الحافظ ابن كثير

البداية والنهاية

منشورات مكتبة المعارف بيروت

ابو الفداء
الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

البداية والنهاية

الجزء السابع

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

مكتبة المعارف
بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة ثلاث عشرة من الهجرة

استهلت هذه السنة والصديق عازم على جمع الجنود ليبعثهم إلى الشام ، وذلك بعد مرجعه من الحج عملا بقوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين] . و بقوله تعالى [قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر] الآية . واقتداء برسول الله (ص) فانه جمع المسلمين لغزو الشام ـ وذلك عام تبوك ـ حتى وصلها فى حر شديد وجهد ، فرجع عامه ذلك ، ثم بعث قبل موته أسامة بن زيد مولاه ليغزو تخوم الشام كما تقدم ولما فرغ الصديق من أمر جزيرة العرب بسط يمينه إلى العراق ، فبعث إليها خالد بن الوليد ثم أراد أن يبعث إلى الشام كما بعث إلى العراق ، فشرع فى جمع الأمراء فى أماكن متفرقة من جزيرة العرب . وكان قد استعمل عمرو بن العاص على صدقات قضاعة معه الوليد بن عقبة فيهم ، فكتب إليه يستنفره إلى الشام : « إنى كنت قد رددتك على العمل الذى ولاكه رسول الله (ص) مرة ، وسماه لك أخرى ، وقد أحببت أبا عبد الله أن أفرغك لما هو خير لك فى حياتك ومعادك منه ، إلا أن يكون الذى أنت فيه أحب إليك » فكتب إليه عمرو بن العاص : إنى سهم من سهام الاسلام ، وأنت عبد الله الرامى بها ، والجامع لها ، فانظر أشدها وأخشاها فارم بى فيها . وكتب إلى الوليد بن عقبة

بمثل ذلك ورد عليه مثله ، وأقبلا بعد ما استخلفا فى عملهما ، إلى المدينة . وقدم خالد بن سعيد بن العاص من اليمن فدخل المدينة وعليه جبة ديباج ، فلما رآها عمر عليه أمر من هناك من الناس بتحريقها عنه ، فغضب خالد بن سعيد وقال لعلى بن أبى طالب : يا أبا الحسن ! أغلبتم يابنى عبد مناف عن الأمرة ؟ فقال له على : أمغالبة تراها أو خلافة ؟ فقال لايغالب على هذا الأمر أولى منكم فقال له عمر بن الخطاب : أسكت فض الله فاك ، والله لاتزال كاذباً تخوض فيما قلت ثم لاتضر إلا نفسك . وأبلغها عمر أبا بكر فلم يتأثر لها أبو بكر . ولما اجتمع عند الصديق من الجيوش ما أراد قام فى الناس خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم حث الناس على الجهاد فقال : ألا لكل أمر جوامع ، فمن بلغها فهى حسبه ، ومن عمل لله كفاه الله ، عليكم بالجد والقصد فان القصد أبلغ ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له ، ولا إيمان لمن لاخشية له ، ولا عمل لمن لانية له ، ألا و إن فى كتاب الله من الثواب على الجهاد فى سبيل الله لماينبغى للمسلم أن يحب أن يخص به ، هى النجاة التى دل الله عليها ، إذ نجى بها من الخزى ، وألحق بها الكرامة .

ثم شرع الصديق فى تولية الأمراء وعقد الألوية والرايات ، فيقال إن أول لواء عقده لخالد بن سعيد بن العاص ، فجاء عمر بن الخطاب فثناه عنه وذكره بما قال . فلم يتأثر به الصديق كما تأثر به عمر ، بل عزله عن الشام وولاه أرض « تيماء » يكون بها فيمن معه من المسلمين حتى يأتيه أمره . ثم عقد لواء يزيد بن أبى سفيان ومعه جمهور الناس ، ومعه سهيل بن عمرو ، وأشباهه من أهل مكة ، وخرج معه ماشياً يوصيه بما اعتمده فى حربه ومن معه من المسلمين ، وجعل له دمشق . و بعث أبا عبيدة بن الجراح على جند آخر ، وخرج معه ماشيا يوصيه ، وجعل له نيابة حمص . و بعث عمرو بن العاص ومعه جند آخر وجعله على فلسطين . وأمر كل أمير أن يسلك طريقاً غير طريق الآخر ، لما لحظ فى ذلك من المصالح . وكان الصديق اقتدى فى ذلك بنبى الله يعقوب حين قال لبنيه [يابنىّ لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شئ إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون] . فكان سلوك يزيد بن أبى سفيان على تبوك . قال المدائنى باسناده عن شيوخه قالوا : وكان بعث أبى بكر هذه الجيوش فى أول سنة ثلاث عشرة . قال محمد بن إسحاق عن صالح بن كيسان : خرج أبو بكر ماشياً و يزيد بن أبى سفيان راكباً فجعل ، يوصيه ، فلما فرغ قال : أقرئك السلام وأستودعك الله ، ثم انصرف ومضى يزيد وأجدّ السير . ثم تبعه شرحبيل بن حسنة ، ثم أبو عبيدة مدداً لهما ، فسلكوا غير ذلك الطريق . وخرج عمرو بن العاص حتى نزل العرمات من أرض الشام . ويقال إن يزيد بن أبى سفيان نزل البلقاء أولا . ونزل شرحبيل بالأردن ، ويقال ببصرى . ونزل أبو عبيدة بالجابية . وجعل الصديق يمدهم بالجيوش ، وأمر كل

واحد منهم أن ينضاف إلى من أحب من الأمراء . ويقال إن أبا عبيدة لما مر بأرض البلقاء قاتلهم حتى صالحوه وكان أول صلح وقع بالشام

ويقال إن أول حرب وقع بالشام أن الروم اجتمعوا بمكان يقال له العربة من أرض فلسطين، فوجه إليهم أبا أمامة فى سرية فقتلهم وغنم منهم، وقتل منهم بطريقاً عظيما . ثم كانت بعد هذه وقعة مرج الصفراء استشهد فيها خالد بن سعيد بن العاص وجماعة من المسلمين . ويقال إن الذى استشهد فى مرج الصفراء ابن لخالد بن سعيد، وأما هو ففر حتى انحاز إلى أرض الحجاز فالله أعلم، حكاه ابن جرير .

قال ابن جرير: ولما انتهى خالد بن سعيد إلى تيماء اجتمع له جنود من الروم فى جمع كثير من نصارى العرب، من غيرا، وتنوخ، وبنى كلب، وسليح، ولخم وجذام، وغسان، فتقدم إليهم خالد بن سعيد، فلما اقترب منهم تفرقوا عنه ودخل كثير منهم فى الاسلام، وبعث الى الصديق يعلمه بما وقع من الفتح، فأمره الصديق أن يتقدم ولا يحجم، وأمده بالوليد بن عتبة وعكرمة بن أبى جهل وجماعة، فسار إلى قريب من إيلياء فالتقى هو وأمير من الروم يقال له ماهان فكسره، ولجأ ماهان إلى دمشق، فلحقه خالد بن سعيد، وبادر الجيوش إلى لحوق دمشق وطلب الحظوة، فوصلوا إلى مرج الصفراء فانطوت عليه مسالح ماهان وأخذوا عليهم الطريق، وزحف ماهان ففر خالد بن سعيد، فلم يرد إلى ذى المروة . واستحوذ الروم على جيشهم إلا من فر على الخيل، وثبت عكرمة بن أبى جهل، وقد تقهقر عن الشام قريباً وبقى ردءاً لمن نفر إليه، وأقبل شرحبيل بن حسنة من العراق من عند خالد بن الوليد إلى الصديق، فأمره على جيشه وبعثه إلى الشام، فلما مر بخالد بن سعيد بذى المروة، أخذ جمهور أصحابه الذين هربوا معه إلى ذى المروة . ثم اجتمع عند الصديق طائفة من الناس فأمر عليهم معاوية بن أبى سفيان وأرسله وراء أخيه يزيد بن أبى سفيان . ولما مر بخالد بن سعيد أخذ من كان بقى معه بذى المروة إلى الشام . ثم أذن الصديق لخالد بن سعيد فى الدخول إلى المدينة وقال: كان عمر أعلم بخالد .

وقعة اليرموك

على ما ذكره سيف بن عمر فى هذه السنة قبل فتح دمشق، وتبعه على ذلك أبو جعفر بن جرير رحمه الله . وأما الحافظ ابن عساكر رحمه الله فانه نقل عن يزيد بن أبى عبيدة والوليد وابن لهيعة والليث وأبى معشر أنها كانت فى سنة خمس عشرة بعد فتح دمشق . وقال محمد بن إسحاق: كانت فى رجب سنة خمس عشرة . وقال خليفة بن خياط قال ابن الكلبى: كانت وقعة اليرموك يوم الاثنين لخمس مضين من رجب سنة خمس عشرة . قال ابن عساكر، وهذا هو المحفوظ و[أما] ماقاله سيف من أنها قبل فتح دمشق سنة ثلاث عشرة فلم يتابع عليه .

قلت : وهذا ذكر سياق سيف وغيره على ما أورده ابن جرير وغيره . قال : ولما توجهت هذه الجيوش نحو الشام أفزع ذلك الروم وخافوا خوفاً شديداً ، وكتبوا إلى هرقل يعلمونه بما كان من الأمر . فيقال إنه كان يومئذ بحمص ، ويقال : كان حج عامه ذلك إلى بيت المقدس . فلما انتهى إليه الخبر . قال لهم : ويحكم إن هؤلاء أهل دين جديد ، وإنهم لا قبل لأحد بهم ، فأطيعوني وصالحوهم بما تصالحونهم على نصف خراج الشام ويبقى لكم جبال الروم ، وإن أنتم أبيتم ذلك أخذوا منكم الشام وضيقوا عليكم جبال الروم . فنخروا من ذلك نخرة حمر الوحش كما هي عاداتهم في قلة المعرفة والرأي بالحرب والنصرة في الدين والدنيا . فعند ذلك سار إلى حمص ، وأمر هرقل بخروج الجيوش الرومية صحبة الأمراء ، في مقابلة كل أمير من المسلمين جيش كثيف ، فبعث إلى عمرو بن العاص أخاً له لأبويه « تذارق » في تسعين ألفاً من المقاتلة . وبعث جرجه بن بوذيها إلى ناحية يزيد بن أبي سفيان ، فعسكر بازائه في خمسين ألفاً أو ستين ألفاً . وبعث الدراقص إلى شرحبيل بن حسنة . وبعث اللقيقار ويقال القيقلان — قال ابن إسحاق وهو خصي هرقل نسطورس — في ستين ألفاً إلى أبي عبيدة بن الجراح . وقالت الروم : والله لنشغلن أبا بكر عن أن يورد الخيول إلى أرضنا . وجميع عساكر المسلمين أحد وعشرون ألفا سوى الجيش الذي مع عكرمة بن أبي جهل . وكان واقفا في طرف الشام ردءاً للناس — في ستة آلاف — فكتب الأمراء إلى أبي بكر وعمر يعلمونهما بما وقع من الأمر العظيم ، فكتب إليهم أن اجتمعوا وكونوا جنداً واحداً والقوا جنود المشركين ، فأنتم أنصار الله والله ينصر من نصره ، وخاذل من كفره ، ولن يؤتى مثلكم عن قلة ، ولكن من تلقاء الذنوب فاحترسوا منها ، وليتصل كل رجل منكم بأصحابه . وقال الصديق : والله لأشغلن النصارى عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد . وبعث إليه وهو بالعراق ليقدم إلى الشام فيكون الأمير على من به ، فاذا فرغ عاد إلى عمله بالعراق ، فكان ماسنذكره . ولما بلغ هرقل ما أمر به الصديق أمراءه من الاجتماع ، بعث الى أمرائه أن يجتمعوا أيضاً وأن ينزلوا بالجيش منزلا واسع العطن ، واسع المطرد ، ضيق المهرب ، وعلى الناس أخوه بندارق ، وعلى المقدمة جرجه ، وعلى المجنبتين ماهان والدراقص ، وعلى البحر القيقلان .

وقال محمد بن عائذ عن عبد الأعلى عن سعيد بن عبد العزيز : إن المسلمين كانوا أربعة وعشرين ألفاً ، وعليهم أبو عبيدة ، والروم كانوا عشرين ومائة ألف عليهم ماهان وسقلاب يوم اليرموك . وكذا ذكر ابن إسحاق أن سقلاب الخصي كان على الروم يومئذ في مائة ألف ، وعلى المقدمة جرجه — من أرمينية — في اثنى عشر ألفا ، ومن المستعربة اثنى عشر ألفا عليهم جبلة بن الأيهم : والمسلمون في أربعة وعشرين ألفا ، فقاتلوا قتالا شديداً حتى قاتلت النساء من ورائهم أشد القتال . وقال الوليد

عن صفوان عن عبد الرحمن بن جبير قال : بعث هرقل مائتي ألف عليهم ماهان الأرمني . قال سيف : فسارت الروم فنزلوا الواقوصة قريبا من اليرموك ، وصار الوادى خندقا عليهم . و بعث الصحابة إلى الصديق يستمدونه و يعلمونه بما اجتمع من جيش الروم باليرموك ، فكتب الصديق عند ذلك إلى خالد بن الوليد أن يستنيب على العراق وأن يقفل بمن معه إلى الشام ، فاذا وصل إليهم فهو الأمير عليهم . فاستناب المثنى بن حارثة على العراق وسار خالد مسرعا فى تسعة آلاف وخمسمائة ، ودليله رافع بن عميرة الطائى ، فأخذ به على السماق حتى انتهى إلى قراقر ، وسلك به أراضى لم يسلكها قبله أحد ، فاجتاب البرارى والقفار ، وقطع الأودية ، وتصعد على الجبال ، وسار فى غير مهيع ، وجعل رافع يدلهم فى مسيرهم على الطريق وهو فى مفاوز معطشة ، وعطش النوق وسقاها الماء عللا بعد نهل ، وقطع مشافرها وكعمها حتى لاتجتر رحل أدبارها ، واستاقها معه ، فلما فقدوا الماء نحرها فشربوا مافى أجوافها من الماء ، ويقال بل سقاه الخيل وشربوا ما كانت تحمله من الماء وأكلوا لحومها . ووصل ولله الحمد والمنة فى خمسة أيام ، فخرج على الروم من ناحية تدمر فصالح أهل تدمر وأركه ، ولما مر بعذراء أباحها وغنم لغسان أموالا عظيمة وخرج من شرقى دمشق ، ثم سار حتى وصل إلى قناة بصرى فوجد الصحابة تحاربها فصالحه صاحبها وسلمها إليه ، فكانت أول مدينة فتحت من الشام ولله الحمد .

و بعث خالد بأخماس ما غنم من غسان مع بلال بن الحرث المزنى الى الصديق ثم سار خالد وأبو عبيدة ومرثد وشرحبيل إلى عمرو بن العاص ــ وقد قصده الروم بأرض العربا من المعور ــ فكانت واقعة أجنادين . وقد قال رجل من المسلمين فى مسيرهم هذا مع خالد :

لله عينا رافع أنّى اهتدى * فوّز من قراقر الى سوى

خمساً إذا ماسارها الجيشُ بكى * ماسارَها قبلكَ إنسي أرى

وقد كان بعض العرب قال له فى هذا المسير : إن أنت أصبحت عند الشجرة الفلانية نجوت أنت ومن معك ، و إن لم تدركها هلكت أنت ومن معك ، فسار خالد بمن معه وسروا سروة عظيمة فأصبحوا عندها ، فقال خالد : عند الصباح يحمد القوم السرى . فأرسلها مثلا ، وهو أول من قالها رضى الله عنه . و يقول غير ابن إسحاق كسيف بن عمر وأبى مخنف وغيرهما فى تكميل السياق الأول : حين اجتمعت الروم مع أمرائها بالواقوصة وانتقل الصحابة من منزلهم الذى كانوا فيه فنزلوا قريباً من الروم فى طريقهم الذى ليس لهم طريق غيره ، فقال عمرو بن العاص : أبشروا أيها الناس ، فقد حصرت والله الروم ، وقلما جاء محصور بخير . ويقال إن الصحابة لما اجتمعوا للمشورة فى كيفية المسير إلى الروم ، جلس الأمراء لذلك فجاء أبو سفيان فقال : ما كنت أظن أنى أعمر حتى أدرك

قوماً يجتمعون لحرب ولا أحضرهم ، ثم أشار أن يتجزأ الجيش ثلاثة أجزاء ، فيسير ثلثه فينزلون تجاه الروم ، ثم تسير الأثقال والذرارى فى الثلث الآخر ، ويتأخر خالد بالثلث الآخر حتى إذا وصلت الأثقال إلى أولئك سار بعدهم ونزلوا فى مكان تكون البرية من وراء ظهورهم لتصل إليهم البرد والمدد . فامتثلوا ما أشار به ونعم الرأى هو .

وذكر الوليد عن صفوان عن عبد الرحمن بن جبير أن الروم نزلوا فيما بين دير أيوب واليرموك ، ونزل المسلمون من وراء النهر من الجانب الآخر ، وأذرعات خلفهم ليصل إليهم المدد من المدينة . ويقال إن خالداً إنما قدم عليهم بعد مانزل الصحابة تجاه الروم بعد ماصابروهم وحاصروهم شهر ربيع الأول بكماله ، فلما انسلخ وأمكن القتال (١) لقلة الماء بعثوا إلى الصديق يستمدونه فقال : خالد لها ، فبعث إلى خالد فقدم عليهم فى ربيع الآخر ، فعند وصول خالد إليهم أقبل ماهان مدداً للروم ومعه القساقسة ، والشمامسة والرهبان يحثونهم ويحرضونهم على القتال لنصر دين النصرانية ، فتكامل جيش الروم أربعون ومائتا ألف ثمانون ألفا مسلسل بالحديد والحبال ، وثمانون ألفا فارس ، وثمانون ألفا راجل . قال سيف وقيل بل كان الذين تسلسلوا كل عشرة سلسلة لئلا يفروا ثلاثين ألفاً ، فالله أعلم . قال سيف وقدم عكرمة بمن معه من الجيوش فتكامل جيش الصحابة ستة وثلاثين ألفاً إلى الأربعين ألفاً .

وعند ابن إسحق والمدائنى أيضا أن وقعة أجنادين قبل وقعة اليرموك وكانت وقعة أجنادين لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، وقتل بها بشر كثير من الصحابة ، وهزم الروم وقتل أميرهم القيقلان . وكان قد بعث رجلا من نصارى العرب يجس له أمر الصحابة ، فلما رجع إليه قال: وجدت قوماً رهباناً بالليل فرسانا بالنهار ، والله لو سرق فيهم ابن ملكهم لقطعوه ، أو زنى لرجموه . فقال له القيقلان : والله لئن كنت صادقاً لبطن الأرض خير من ظهرها . وقال سيف بن عمر فى سياقه : ووجد خالد الجيوش متفرقة فجيش أبى عبيدة وعمرو بن العاص ناحية ، وجيش يزيد وشرحبيل ناحية . فقام خالد فى الناس حطيباً . فأمرهم بالاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف . فاجتمع الناس وتصافوا مع عدوهم فى أول جمادى الآخرة وقام خالد بن الوليد فى الناس فحمدالله وأثنى عليه وقال : إن هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى ، أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم ، وإن هذا يوم له ما بعده لو رددناهم اليوم إلى خندقهم فلا نزال نردهم ، وإن هزمونا لا نفلح بعدها أبداً ، فتعالوا فلنتعاور الامارة فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غداً والآخر بعد غد ، حتى يتأمر كلكم ، ودعونى اليوم أليكم ، فأمروه عليهم وهم يظنون أن الأمر يطول جداً فخرجت الروم فى تعبئة لم

---

(١) كذا فى النسختين ، الحلبية والمصرية ، والظاهر أن فيه سقطا .

ير مثلها قبلها قط وخرج خالد فى تعبئة لم تعبها العرب قبل ذلك . فخرج فى ستة وثلاثين كردوساً إلى الأربعين كل كردوس ألف رجل عليهم أمير ، وجعل أباعبيدة فى القلب ، وعلى الميمنة عمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن حسنة ، وعلى الميسرة يزيد بن أبى سفيان . وأمر على كل كردوس أميراً ، وعلى الطلائع قباب بن أشيم ، وعلى الأقباض عبد الله بن مسعود والقاضى يومئذ ابو الدرداء وقاصهم الذى يعظهم ويحثهم على القتال أبو سفيان بن حرب وقارئهم الذى يدور على الناس فيقرأ سورة الأنفال وآيات الجهاد المقداد بن الأسود. وذكر إسحاق بن يسار باسناده أن أمراء الأرباع يومئذ كانوا أربعة ، أبو عبيدة وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبى سفيان ، وخرج الناس على راياتهم وعلى الميمنة معاذ بن جبل وعلى الميسرة نفاثة بن أسامة الكنانى ، وعلى الرجالة هاشم بن عتبة بن أبى وقاص ، وعلى الخيالة خالد بن الوليد وهو المشير فى الحرب الذى يصدر الناس كلهم عن رأيه . ولما أقبلت الروم فى خيلائها وفخرها قد سدت أقطار تلك البقعة سهلها ووعرها كأنهم غمامة سوداء يصيحون باصوات مرتفعة ورهبانهم يتلون الانجيل ويحثونهم على القتال ، وكان خالد فى الخيل بين يدى الجيش فساق بفرسه إلى أبى عبيدة فقال له : إنى مشير بأمر ، فقال : قل ما أمرك الله أسمع لك وأطيع . فقال له خالد إن هؤلاء القوم لابد لهم من حملة عظيمة لامحيد لهم عنها ، وإنى أخشى على الميمنة والميسرة وقد رأيت أن أفرق الخيل فرقتين وأجعلها وراء الميمنة والميسرة حتى إذا صدموهم كانوا لهم ردءاً فنأتيهم من ورائهم . فقال : له نعم ما رأيت . فكان خالد فى أحد الخيلين من وراء الميمنة وجعل قيس بن هبيرة فى الخيل الأخرى وأمر أبا عبيدة أن يتأخر عن القلب إلى وراء الجيش كله لكى إذا رآه المنهزم استحى منه ورجع الى القتال ، فجعل أبو عبيدة مكانه فى القلب سعيد بن زيد أحد العشرة رضى الله عنهم ، وساق خالد إلى النساء من وراء الجيش ومعهن عدد من السيوف وغيرها ، فقال لهن من رأيتموه مولياً فاقتلنه ، ثم رجع إلى موقفه رضى الله عنه

ولما تراءى الجمعان وتبارز الفريقان وعظ أبو عبيدة المسلمين فقال : عباد الله انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، يامعشر المسلمين اصبروا فان الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب ومدحضة للعار ، ولا تبرحوا مصافكم ، ولا تخطوا إليهم خطوة ، ولا تبدأوهم بالقتال وشرعوا الرماح واستتروا بالدرق والزموا الصمت الا من ذكر الله فى أنفسكم حتى آمركم إن شاء الله تعالى . قالوا : وخرج معاذ بن جبل على الناس فجعل يذكرهم ويقول يا أهل القرآن ، ومتحفظى الكتاب وأنصار الهدى والحق ، إن رحمة الله لاتنال وجنته لاتدخل بالأمانى ، ولايؤتى الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المصدق ألم تسمعوا لقول الله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف

الذين من قبلهم الآية . فاستحيوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم وأنتم فى قبضته وليس لكم ملتحد من دونه ولا عز بغيره .

وقال عمرو بن العاص : يأيها المسلمون غضوا الأبصار ، واجثوا على الركب ، واشرعوا الرماح ، فاذا حملوا عليكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الاسنة فثبوا إليهم وثبة الأسد ، فوالذى يرضى الصدق ويثيب عليه و يمقت الكذب ويجزى بالاحسان إحسانا ، لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كَفراً كَفْراً وقصراً قصراً ، فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم ، فانكم لو صدقتموهم الشد تطايروا تطاير أولاد الحجل .

وقال أبو سفيان : يا معشر المسلمين أنتم العرب وقد أصبحتم فى دار العجم منقطعين عن الأهل نائين عن أمير المؤمنين وأمداد المسلمين ، وقد والله أصبحتم بإزاء عدو كثير عدده ، شديد عليكم حنقه ، وقد وترتموهم فى أنفسهم و بلادهم ونسائهم ، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم ، ولا يبلغ بكم رضوان الله غداً إلا بصدق اللقاء والصبر فى المواطن المكروهة ، ألا وإنها سنة لازمة وان الأرض وراءكم ، بينكم و بين أمير المؤمنين وجماعة المسلمين صحارى و برارى ، ليس لأحد فيها معقل ولا معدل إلا الصبر و رجاء ما وعد الله فهو خير معول ، فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا ولتكن هى الحصون . ثم ذهب إلى النساء فوصاهن ثم عاد فنادى : يامعاشر أهل الاسلام حضر ماترون فهذا رسول الله والجنة أمامكم ، والشيطان والنار خلفكم . ثم سار إلى موقفه رحمه الله .

وقد وعظ الناس أبو هريرة أيضاً فجعل يقول : سارعوا إلى الحور العين وجوار ربكم عز وجل فى جنات النعيم ؛ ما أنتم إلى ربكم فى موطن بأحب إليه منكم فى مثل هذا الموطن ، ألا و إن للصابرين فضلهم . قال سيف بن عمر اسناده عن شيوخه : إنهم قالوا كان فى ذلك الجمع ألف رجل من الصحابة منهم مائة من أهل بدر . وجعل أبو سفيان يقف على كل كردوس و يقول : الله الله إنكم دارة العرب وأنصار الاسلام ، و إنهم دارة الروم وأنصار الشرك ، اللهم إن هذا يوم من أيامك ، اللهم أنزل نصرك على عبادك . قالوا : ولما أقبل خالد من العراق قال رجل من نصارى العرب لخالد بن الوليد : ما أكثر الروم وأقل المسلمين ! ! فقال خالد : ويلك ، أتخوفنى بالروم ؟ إنما تكثر الجنود بالنصر ، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال ، والله لوددت أن الأشقر برأ من توجعه ، وأنهم أضعفوا فى العدد ـ وكان فرسه قد حفا واشتكى فى مجيئه من العراق ـ . ولما تقارب الناس تقدم أبو عبيدة ويزيد بن أبى سفيان ومعهما ضرار بن الأزور ، والحارث بن هشام ، وأبو جندل بن سهيل ، ونادوا : إنما نريد أميركم لنجتمع به ، فأذن لهم فى الدخول على تذارق ، و إذا هو جالس فى خيمة من حرير . فقال الصحابة : لا نستحل دخولها ، فأمر لهم بفرش بسط من حرير ، فقالوا : ولا نجلس على هذه . فجلس معهم حيث

أحبوا وتراضوا على الصلح ، ورجع عنهم الصحابة بعد مادعوهم إلى الله عز وجل فلم يتم ذلك .

وذكر الوليد بن مسلم أن ماهان طلب خالداً ليبرز إليه فيما بين الصفين فيجتمعا فى مصلحة لهم فقال ماهان : إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم الجهد والجوع ، فهلموا إلى أن أعطى كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاماً وترجعون إلى بلادكم ، فاذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها فقال خالد : إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت ، غير أنا قوم نشرب الدماء ، وأنه بلغنا أنه لادم أطيب من دم الروم ، فجئنا لذلك . فقال أصحاب ماهان : هذا والله ما كنا نحدث به عن العرب . قالوا ثم تقدم خالد إلى عكرمة بن أبى جهل والقعقاع بن عمرو ـ وهما على مجنبتى القلب ـ أن ينشئا القتال ، فبدرا يرتجزان ودعوا إلى البراز ، وتنازل الأبطال ، وتجاولوا وحمى الحرب وقامت على ساق . هذا وخالد مع كردوس من الحماة الشجعان الأبطال بين يدى الصفوف ، والأبطال يتصاولون من الفريقين بين يديه ، وهو ينظر و يبعث إلى كل قوم من أصحابه بما يعتمدونه من الأفاعيل ، ويدبر أمر الحرب أتم تدبير .

وقال إسحاق بن بشير عن سعيد بن عبد العزيز عن قدماء مشايخ دمشق ، قالوا : ثم زحف ماهان فخرج أبو عبيدة ، وقد جعل على الميمنة معاذ بن جبل ، وعلى الميسرة قباب بن أشيم الكنانى ، وعلى الرجالة هاشم بن عتبة بن أبى وقاص ، وعلى الخيل خالد بن الوليد ، وخرج الناس على راياتهم ، وسار أبو عبيدة بالمسلمين ، وهو يقول : عباد الله أنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، يامعاشر المسلمين اصبروا فان الصبر منجاة من الكفر ، ومرضاة للرب ، ومدحضة للعار ، ولا تبرحوا مصافكم ، ولا تخطوا إليهم خطوة ، ولا تبدؤهم بالقتال ، واشرعوا الرماح ، واستتروا بالدرق ، والزموا الصمت إلا من ذكر الله . وخرج معاذ بن جبل فجعل يذكرهم ، ويقول : يا أهل القرآن ، ومستحفظى الكتاب ، وأنصار الهدى والحق ، إن رحمة الله لاتنال ، وجنته لا تدخل بالأمانى ، ولا يؤتى الله المغفرة والرحمة الواسعة الا للصادق المصدق ، ألم تسمعوا لقول الله عز وجل [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات] إلى آخر الآية ؟ فاستحيوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم ، وأنتم فى قبضته ، وليس لكم ملتحد من دونه . وسار عمرو بن العاص فى الناس وهو يقول : أيها المسلمون غضوا الأبصار واجثوا على الراكب ، واشرعوا الرماح ، فاذا حملوا عليكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا وثبة الأسد ، فوالذى يرضى الصدق ويثيب عليه ، و يمقت الكذب ويجزى الاحسان إحسانا . لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كفراً كفراً وقصراً قصراً ، فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم ، فانكم لو صدقتموهم الشد لتطايروا تطاير أولاد الحجل . ثم تكلم أبو سفيان فأحسن وحث على القتال فأبلغ فى كلام طويل . ثم قال حين تواجه الناس : يامعشر أهل

الاسلام حضر ماترون ، فهذا رسول الله والجنة أمامكم ، والشيطان والنار خلفكم ، وحرض أبو سفيان النساء فقال : من رأيتنه فاراً فاضربنه بهذه الأحجار والعصى حتى يرجع .

وأشار خالد أن يقف فى القلب سعيد بن زيد ، وأن يكون أبو عبيدة من وراء الناس ليرد المنهزم . وقسم خالد الخيل قسمين فجعل فرقة وراء الميمنة ، وفرقة وراء الميسرة ، لئلا يفر الناس وليكونوا ردءا لهم من ورائهم . فقال له أصحابه : افعل ما أراك الله ، وامتثلوا ما أشار به خالد رضى الله عنه . وأقبلت الروم رافعة صلبانها ولهم أصوات مزعجة كالرعد ، والقساقسة والبطارقة تحرضهم على القتال وهم فى عدد وعدد لم ير مثله ، فالله المستعان وعليه التكلان .

وقد كان فيمن شهد اليرموك الزبير بن العوام ، وهو أفضل من هناك من الصحابة ، وكان من فرسان الناس وشجعانهم ، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ فقالوا : ألا تحمل فنحمل معك ؟ فقال : إنكم لاتثبتون ، فقالوا : بلى ! فحمل وحملوا فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر وعاد إلى أصحابه . ثم جاؤا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل فى الأولى ، وجرح يومئذ جرحين بين كتفيه ، وفى رواية جرح . وقد روى البخارى معنى ماذكرناه فى صحيحه . وجعل معاذ بن جبل كلما سمع أصوات القسيسين والرهبان يقول : اللهم زلزل أقدامهم ، وأرعب قلوبهم : وأنزل علينا السكينة ، وألزمنا كلمة التقوى ، وحبب إلينا اللقاء ، وأرضنا بالقضاء . وخرج ماهان فأمر صاحب الميسرة وهو الدبريجان ، وكان عدو الله متنسكا فيهم ، فحمل على الميمنة وفيها الأزد ومذحج وحضرموت وخولان ، فثبتوا حتى صدقوا [1] أعداء الله ، ثم ركبهم من الروم أمثال الجبال . فزال المسلمون من الميمنة إلى ناحية القلب ، وانكشف طائفة من الناس إلى العسكر ، وثبت صور من المسلمين عظيم يقاتلون تحت راياتهم ، وانكشف زبيد . ثم تنادوا فتراجعوا وحملوا حتى نهنهوا من أمامهم من الروم وأشغلوهم عن اتباع من انكشف من الناس ، واستقبل النساء من انهزم من سرعان الناس يضربنهم بالخشب والحجارة وجعلت خولة بنت ثعلبة تقول :

يا هارباً عن نسوةٍ تقيّاتْ   فعن قليلٍ ماترى سبيّات

* ولا حصيّاتٍ ولا رضيّاتْ *

قال : فتراجع الناس إلى مواقفهم . وقال سيف بن عمر عن أبى عثمان الغسانى عن أبيه . قال قال عكرمة بن أبى جهل يوم اليرموك : قاتلت رسول الله (ص.) فى مواطن وأفر منكم اليوم ؟ ثم نادى : من يبايع على الموت ؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام ، وضرار بن الازور فى أربعمائة من وجوه المسلمين

(١) كذا فى النسخ . ولعله صدموا .

وفرسانهم ، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعا جراحا ، وقتل منهم خلق منهم ضرار بن الازور رضى الله عنهم . وقد ذكر الواقدى وغيره أنهم لما صرعوا من الجراح استسقوا ماء فجئ إليهم بشربة ماء فلما قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر فقال : ادفعها إليه ، فلما دفعت إليه نظر إليه الآخر فقال : ادفعها إليه ، فتدافعوها كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعا ولم يشربها أحد منهم ، رضى الله عنهم أجمعين .

ويقال إن أول من قتل من المسلمين يومئذ شهيداً رجل جاء إلى أبى عبيدة فقال : إنى قد تهيأت لأمرى فهل لك من حاجة إلى رسول الله ص ؟ قال : نعم ، تقرئه عنى السلام وتقول : يا رسول الله إنا قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقاً . قال : فتقدم هذا الرجل حتى قتل رحمه الله . قالوا : وثبت كل قوم على رايتهم حتى صارت الروم تدور كأنها الرحا . فلم تر يوم اليرموك (إلا) مخا ساقطاً ، ومعصما نادراً ، وكفاً طائرة من ذلك الموطن . ثم حمل خالد بمن معه من الخيالة على الميسرة التى حملت على ميمنة المسلمين فأزالوهم إلى القلب فقتل من الروم فى حملته هذه ستة آلاف منهم ثم قال : والذى نفسى بيده لم يبق عندهم من الصبر والجلد غير ما رأيتم ، وإنى لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم . ثم اعترضهم فحمل بمائة فارس معه على نحو من مائة ألف فما وصل إليهم حتى انفض جمعهم ، وحمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد ، فانكشفوا وتبعهم المسلمون لا يمتنعون منهم .

قالوا : وبينما هم فى جولة الحرب وحومة الوغى والأبطال يتصاولون من كل جانب ، إذ قدم البريد من نحو الحجاز فدفع إلى خالد بن الوليد فقال له : ما الخبر ؟ فقال له ـ فيما بينه وبينه ـ : إن الصديق رضى الله عنه قد توفى واستخلف عمر ، واستناب على الجيوش أبا عبيدة عامر بن الجراح . فأسرّها خالد ولم يبد ذلك للناس لئلا يحصل ضعف ووهن فى تلك الحال ، وقال له والناس يسمعون : أحسنت ، وأخذ منه الكتاب فوضعه فى كنانته واشتغل بما كان فيه من تدبير الحرب والمقاتلة ، وأوقف الرسول الذى جاء بالكتاب ـ وهو منجمة بن زنيم ـ إلى جانبه . كذا ذكره ابن جرير بأسانيده .

قالوا وخرج جرجه أحد الأمراء الكبار من الصف واستدعى خالد بن الوليد فجاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما ، فقال جرجه : ياخالد أخبرنى فاصدقنى ولا تكذبنى ، فان الحر لا يكذب ، ولا تخادعنى فان الكريم لا يخادع المسترسل بالله ، هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه فلا تسله على أحد إلا هزمتهم ؟ قال : لا ! قال : فبم سميت سيف الله ؟ قال : إن الله بعث فينا نبيه فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعاً ، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنا كذبه وباعده ، فكنت فيمن كذبه وباعده ، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه ، فقال لى : أنت سيف من

سيوف الله سله الله على المشركين . ودعا لى بالنصر ، فسميت سيف الله بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين .

فقال جرجه : يا خالد إلى ما تدعون ؟ قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله والاقرار بما جاء به من عند الله عز وجل . قال : فمن لم يجبكم ؟ قال : فالجزية ونمنعهم . قال : فان لم يعطها قال : نؤذنه بالحرب ثم نقاتله . قال : فما منزلة من يجيبكم ويدخل فى هذا الأمر اليوم ؟ قال منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا ، شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا . قال جرجه : فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر ؟ قال : نعم وأفضل . قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟ فقال خالد : إنا قبلنا هذا الأمر عنوة وبايعنا نبينا وهو حى بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات ، وحق لمن رأى ما رأينا ، وسمع ماسمعنا أن يسلم ويبايع ، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ماسمعنا من العجائب والحجج ، فمن دخل فى هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا ؟ فقال جرجه : بالله لقد صدقتنى ولم تخادعنى ؟ قال : تالله لقد صدقتك وان الله ولى ما سألت عنه . فعند ذلك قلب جرجه الترس ومال مع خالد وقال : علمنى الاسلام ، فمال به خالد إلى فسطاطه فسنّ عليه قربة من ماء ثم صلى به ركعتين . وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حملة فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية عليهم عكرمة بن أبى جهل والحرث بن هشام . فركب خالد وجرجه معه والروم خلال المسلمين ، فتنادى الناس وثابوا وتراجعت الروم إلى مواقفهم وزحف خالد بالمسلمين حتى تصافحوا بالسيوف فضرب فيهم خالد وجرجه من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب . وصلى المسلمون صلاة الظهر وصلاة العصر إيماء ، وأصيب جرجه رحمه الله ولم يصل لله إلا تلك الركعتين مع خالد رضى الله عنهما . وضعضعت الروم عند ذلك . ثم نهد خالد بالقلب حتى صار فى وسط خيول الروم ، فعند ذلك هربت خيالتهم ، واسندت بهم فى تلك الصحراء ، وأفرج المسلمون بخيولهم حتى ذهبوا . وأخر الناس صلاتى العشاءين حتى استقر الفتح ، وعمد خالد إلى رحل الروم وهم الرجالة ففصلوهم عن آخرهم حتى صاروا كأنهم حائط قد هدم ثم تبعوا من فر من الخيالة واقتحم خالد عليهم خندقهم ، وجاء الروم فى ظلام الليل إلى الواقوصة ، فجعل الذين تسلسلوا وقيدوا بعضهم ببعض إذا سقط واحد منهم سقط الذين معه . قال ابن جرير وغيره : فسقط فيها وقتل عندها مائة ألف وعشرون ألفاً سوى من قتل فى المعركة . وقد قاتل نساء المسلمين فى هذا اليوم وقتلوا خلقاً كثيراً من الروم ، وكن يضربن من انهزم من المسلمين ويقلن : أين تذهبون وتدعوننا للعلوج ؟ فاذا زجرنهم لا يملك أحد نفسه حتى يرجع إلى القتال .

قال وتجلل القيقلان وأشراف من قومه من الروم ببرانسهم وقالوا : إذا لم نقدر على نصر دين

النصرانية فلنمت على دينهم . فجاء المسلمون فقتلوهم عن آخرهم . قالوا :وقتل فى هذا اليوم من المسلمين ثلاثة آلاف منهم عكرمة وابنه عمرو ، وسلمة بن هشام ، وعمرو بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، وأثبت خالد بن سعيد فلا يدرى أين ذهب وضرار بن الأزور ، وهشام بن العاص وعمرو بن الطفيل بن عمرو الدوسى ، وحقق الله رؤيا أبيه يوم اليمامة . وقد أتلف فى هذا اليوم جماعة من الناس انهزم عمرو ابن العاص فى أربعة حتى وصلوا إلى النساء ثم رجعوا حين زجرهم النساء ، وانكشف شرحبيل بن حسنة وأصحابه ثم تراجعوا حين وعظهم الأمير بقوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) الآية .

وثبت يومئذ يزيد بن أبى سفيان وقاتل قتالا شديداً ، وذلك أن أباه مر به فقال له : يابنى عليك بتقوى الله والصبر فانه ليس رجل بهذا الوادى من المسلمين الا محفوفا بالقتال ، فكيف بك وبأشباهك الذين ولوا أمور المسلمين ؟! أولئك أحق الناس بالصبر والنصيحة ، فاتق الله يابنى ولايكونن أحد من أصحابك بأرغب فى الأجر والصبر فى الحرب ولا أجرأ على عدو الاسلام منك . فقال : أفعل إن شاء الله . فقاتل يومئذ قتالا شديداً وكان من ناحية القلب رضى الله عنه ،

وقال سعيد بن المسيب عن أبيه قال : هدأت الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتاً يكاد يملأ العسكر يقول : يا نصر الله اقترب ، الثبات الثبات يامعشر المسلمين ، قال : فنظرنا فاذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد . وأكمل خالد ليلته فى خيمة تدارق أخى هرقل - وهو أمير الروم كلهم يومئذ - هرب فيمن هرب ، وباتت الخيول تجول نحو خيمة خالد يقتلون من مر بهم من الروم حتى أصبحوا وقتل تدارق وكان له ثلاثون سرادقا وثلاثون رواقاً من ديباج بما فيها من الفرش والحرير ، فلما كان الصباح حازوا ما كان هنالك من الغنائم . وما فرحوا بما وجدوا بقدر حزنهم على الصديق حين أعلمهم خالد بذلك ولكن عوضهم الله بالفاروق رضى الله عنه .

وقال خالد حين عزى المسلمين فى الصديق : الحمد لله الذى قضى على أبى بكر بالموت ، وكان أحب إلى من عمر ، والحمد لله الذى ولى عمر وكان أبغض إلى من أبى بكر وألزمنى حبه

وقد اتبع خالد من انهزم من الروم حتى وصل إلى دمشق فخرج إليه أهلها فقالوا : نحن على عهدنا وصلحنا ؟ قال : نعم . ثم اتبعهم إلى ثنية العقاب فقتل منهم خلقاً كثيراً ثم ساق وراءهم إلى حمص فخرج إليه أهلها فصالحهم كما صالح أهل دمشق . وبعث أبو عبيدة عياض بن غنم وراءهم أيضا فساق حتى وصل ملطية فصالحه أهلها ورجع . فلما بلغ هرقل ذلك بعث إلى مقاتليها فحضروا بين يديه وأمر بملطية فحرقت وانتهت الروم منهزمة إلى هرقل وهو بحمص والمسلمون فى آثارهم يقتلون ويأسرون ويغنمون . فلما وصل الخبر إلى هرقل ارتحل من حمص وجعلها بينه وبين المسلمين وترس بها وقال

هرقل : أما الشام فلا شام ، وويل للروم من المولود المشئوم .

ومما قيل من الأشعار فى يوم اليرموك قول القعقاع بن عمرو :

ألم ترنا على اليرموك فزنا * كما فزنا بأيام العراق
وعذراء المدائن قد فتحنا * ومرج الصفر ... على العتاق
فتحنا قبلها بصرى وكانت * محرمة الجناب لدى النعاق
قتلنا من أقام لنا وفينا * نهابهم بأسياف رقاق
قتلنا الروم حتى ما تساوى * على اليرموك معروق الوراق
فضضنا جمعهم لما استجالوا * على الواقوص بالبتر الرقاق
غداة تهافتوا فيها فصاروا * الى أمر يعضل بالذواق

وقال الأسود بن مقرن التميمي :

وكم قد أغرنا غارة بعد غارة * يوماً و يوماً قد كشفنا أهاوله
ولولا رجال كان عشو غنيمة * لدى مأقط رجت علينا أوائله
لقيناهم اليرموك لما تضايقت * بمن حل باليرموك منه حمائله
فلا يعدمن منا هرقل كتائباً * إذا رامها رام الذي لا يحاوله

وقال عمرو بن العاص :

القوم لخم وجذام في الحرب * ونحن والروم بمرج نضطرب
فان يعودوا بها لا نصطحب * بل نعصب الفرار بالضرب الكرب

وروى أحمد بن مروان المالكى فى المجالسة : ثنا أبو إسمعيل الترمذى ثنا أبو معاوية بن عمرو عن أبى إسحق قال : كان أصحاب رسول الله (ص) لا يثبت لهم العدو فواق ناقة عند اللقاء ، فقال هرقل وهو على انطاكية لما قدمت منهزمة الروم : ويلكم أخبرونى عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشراً مثلكم ؟ قالوا : بلى . قال : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافاً فى كل موطن . قال : فما بالكم تنهزمون ؟ فقال شيخ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل و يصومون النهار ، و يوفون بالعهد ، و يأمرون بالمعروف ، و ينهون عن المنكر ، و يتناصفون بينهم ، ومن أجل أنا نشرب الخمر ، ونزنى ، ونركب الحرام ، وننقض العهد ، ونغصب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عما يرضى الله ونفسد فى الأرض . فقال : أنت صدقتنى .

وقال الوليد بن مسلم : أخبرنى من سمع يحيى بن يحيى الغسانى يحدث عن رجلين من قومه قالا : لما نزل المسلمون بناحية الاردن ، تحدثنا بيننا أن دمشق ستحاصر فذهبنا نتسوق منها قبل ذلك ،

فبينا نحن فيها إذ أرسل إلينا بطريقها فجئناه فقال : أنتما من العرب ؟ قلنا نعم ! قال : وعلى النصرانية ؟ قلنا : نعم . فقال : ليذهب أحدكما فليتجسس لنا عن هؤلاء القوم ورأيهم ، وليثبت الآخر على متاع صاحبه . ففعل ذلك أحدنا ، فلبث ملياً ثم جاءه فقال : جئتك من عند رجال دقاق يركبون خيولا عتاقا أما الليل فرهبان ، وأما النهار ففرسان ، يريشون النبل ويبرونها ، ويثقفون القنا ، لو حدثت جليسك حديثاً مافهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر . قال فالتفت إلى أصحابه وقال : أتاكم منهم مالاطاقة لكم به .

انتقال إمرة الشام من خالد إلى أبي عبيدة بعد وقعة اليرموك

وصيرورة الأمرة بالشام إلى أبي عبيدة ، فكان أبو عبيدة أول من سمى أمير الأمراء .

قد تقدم أن البريد قدم بموت الصديق والمسلمون مصافو الروم يوم اليرموك ؛ وأن خالداً كتم ذلك عن المسلمين لئلا يقع وهن ، فلما أصبحوا أجلى لهم الأمر وقال ماقال ، ثم شرع أبوعبيدة فى جمع الغنيمة وتخميسها ، وبعث بالفتح والخمس مع قباب بن أشيم إلى الحجاز ، ثم نودى بالرحيل إلى دمشق ، فساروا حتى نزلوا مرج الصفر ، وبعث أبو عبيدة بين يديه طليعة أبا أمامة الباهلى ومعه رجلان من أصحابه . قال أبو أمامة : فسرت فلما كان ببعض الطريق أمرت الآخر (١) فكمن هناك وسرت أنا وحدى حتى جئت باب البلد ، وهو مغلق فى الليل وليس هناك أحد ، فنزلت وغرزت رمحى بالأرض ونزعت لجام فرسى ، وعلقت عليه مخلاته ونمت ، فلما أصبح الصباح قمت فتوضأت وصليت الفجر ، فاذا باب المدينة يقعقع فلما فتح حملت على البواب فطعنته بالرمح فقتلته ، ثم رجعت والطلب ورائى فلما انتهينا إلى الرجل الذى فى الطريق من أصحابى ظنوا أنه كمين فرجعوا عنى ، ثم سرنا حتى أخذنا الآخر وجئت إلى أبى عبيدة فأخبرته بما رأيت ، فأقام أبو عبيدة ينتظر كتاب عمر فيما يعتمده من أمر دمشق ، فجاءه الكتاب يأمره بالمسير إليها ، فساروا إليها حتى أحاطوا بها . واستخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير بن كعب فى خيل هناك .

وقعة جرت بالعراق بعد مجيء خالد الى الشام

وذلك أن أهل فارس اجتمعوا بعد مقتل ملكهم وابنه على تمليك شهريار بن أزدشير بن شهريار واستغنموا غيبة خالد عنهم فبعثوا إلى نائبه المثنى بن حارثة جيشاً كثيفاً نحواً من عشرة آلاف عليهم هرمز بن حادويه ، وكتب شهريار إلى المثنى : إنى قد بعثت إليك جنداً من وحش أهل فارس إنما هم رعاة الدجاج والخنازير ، ولست أقاتلك إلا بهم . فكتب إليه المثنى : من المثنى إلى شهريار

(١) كذا فى الأصلين ولعل فيه سقطا .

إنما أنت أحد رجلين إما باغ تدلك شر لك وخير لنا ، وإما كاذب فأعظم الكاذبين عقوبة وفضيحة عند الله فى الناس الملوك ، وأما الذى يدلنا عليه الرأى فانكم إنما اضطررتم إليهم ، فالحمد لله الذى رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير . قال : فجزع أهل فارس من هذا الكتاب ، ولاموا شهريار على كتابه إليه واستهجنوا رأيه . وسار المثنى من الحيرة إلى بابل ، ولما التقى المثنى وجيشهم بمكان عند عدوة الصراة الأولى ، اقتتلوا قتالا شديداً جداً ، وأرسل الفرس فيلا بين صفوف الخيل ليفرق خيول المسلمين ، فحمل عليه أمير المسلمين المثنى بن حارثة فقتله ، وأمر المسلمين فحملوا ، فلم تكن إلا هزيمة الفرس فقتلوهم قتلا ذريعاً ، وغنموا منهم مالا عظيما ، وفرت الفرس حتى انتهوا إلى المدائن فى شر حالة ، ووجدوا الملك قد مات فملكوا عليهم ابنة كسرى « بوران بنت أبرويز » فأقامت العدل ، وأحسنت السيرة ، فأقامت سنة وسبع شهور ، ثم ماتت ، فملكوا عليهم أختها « آزرميدخت زنان » فلم ينتظم لهم أمر ، فملكوا عليهم « سابور بن شهريار » ، وجعلوا أمره إلى الفرخزاذ بن البندوان فزوجه سابور بابنة كسرى « آزرميدخت » فكرهت ذلك وقالت : إنما هذا عبد من عبيدنا . فلما كان ليلة عرسها عليه هموا إليه فقتلوه ، ثم ساروا إلى سابور فقتلوه أيضاً ، وملكوا عليهم هذه المرأة وهى « آزرميدخت » ابنة كسرى . ولعبت فارس بملكها لعباً كثيراً ، وآخر ما استقر أمرهم عليه فى هذه السنة أن ملكوا امرأة وقد قال رسول الله (ص) « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » . وفى هذه الوقعة التى ذكرنا يقول عبدة بن الطبيب السعدى ، وكان قد هاجر لمهاجرة حليلة له حتى شهد وقعة بابل هذه ، فلما آيسته رجع إلى البادية وقال :

هلْ حبلُ خولةَ بعد البينِ موصولُ ... أمْ أنتَ عنها بعيدُ الدارِ مشغولُ
وللأحبةِ أيامٌ تذكّرها ... وللنوى قبلَ يومِ البينِ تأويلُ
حلّتْ خويلةُ فى حيٍ عهدتهمُ ... دونَ المدينةِ فيها الديكُ والفيلُ
يقارعونَ رؤسَ العجمِ ضاحيةً ... منهمْ فوارسُ لاعزلٌ ولا ميلُ

وقد قال الفرزدق فى شعره يذكر قتل المثنى ذلك الفيل :

وبيتُ المثنى قاتلَ الفيلَ عنوةً ... ببابلَ إذْ فى فارسٍ ملكُ بابلِ

ثم إن المثنى بن حارثة استبطأ أخبار الصديق لتشاغله بأهل الشام ، وما فيه من حرب اليرموك المتقدم ذكره ، فسار المثنى بنفسه إلى الصديق ، واستناب على العراق بشير بن الخصاصية ، وعلى المسالح سعيد بن مرة العجلى ، فلما انتهى المثنى إلى المدينة وجد الصديق فى آخر مرض الموت . وقد عهد إلى عمر بن الخطاب ، ولما رأى الصديق المثنى قال لعمر : إذا أنا مت فلا تمسين حتى تندب

الناس لحرب أهل العراق مع المثنى ، و إذا فتح الله على أمرائنا بالشام فاردد أصحاب خالد إلى العراق فانهم أعلم بحر به .

فلما مات الصديق ندب عمر المسلمين إلى الجهاد بأرض العراق لقلة من بقى فيه من المقاتلة بعد خالد بن الوليد ، فانتدب خلقا وأمر عليهم أبا عبيدة بن مسعود ، وكان شاباً شجاعاً ، خبيراً بالحرب والمكيدة . وهذا آخر مايتعلق بخبر العراق إلى آخر أيام الصديق وأول دولة الفاروق .

خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

كانت وفاة الصديق رضى الله عنه فى يوم الاثنين عشية ، وقيل بعد المغرب ودفن من ليلته ، وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بعد مرض خمسة عشر يوماً ، وكان عمر بن الخطاب يصلى عنه فيها بالمسلمين ، وفى أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب ، وكان الذى كتب العهد عثمان بن عفان ، وقرئ على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا ، فكانت خلافة الصديق سنتين وثلاثة أشهر ، وكان عمره يوم توفى ثلاثاً وستين سنة ، للسن الذى توفى فيه رسول الله (ص) ، وقد جمع الله بينهما فى التربة ، كما جمع بينهما فى الحياة ، فرضى الله عنه وأرضاه .

قال محمد بن سعد عن أبى قطن عمرو بن الهيثم عن ربيع بن حسان الصائغ . قال : كان نقش خاتم أبى بكر « نعم القادر الله » . وهذا غريب وقد ذكرنا ترجمة الصديق رضى الله عنه ، وسيرته وأيامه وماروى من الأحاديث ، وماروى عنه من الأحكام فى مجلد ولله الحمد والمنة . فقام بالأمر من بعده أتم القيام الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وهو أول من سمى بأمير المؤمنين . وكان أول من حياه بها المغيرة بن شعبة ، وقيل غيره كما بسطنا ذلك فى ترجمة عمر بن الخطاب وسيرته التى أفردناها فى مجلد ، ومسنده والآثار المروية مرتباً على الأبواب فى مجلد آخر ولله الحمد .

وقد كتب بوفاة الصديق إلى أمراء الشام مع شداد بن أوس ، ومحمد بن جريج ، فوصلا والناس مصافون جيوش الروم يوم اليرموك كما قدمنا . وقد أمر عمر على الجيوش أبا عبيدة حين ولاه وعزل خالد بن الوليد . وذكر سلمة عن محمد بن إسحاق أن عمر إنما عزل خالداً لكلام بلغه عنه ، ولما كان من أمر مالك بن نويرة ، وما كان يعتمده فى حربه . فلما ولى عمر كان أول ماتكلم به أن عزل خالداً ، وقال : لايلى لى عملا أبداً . وكتب عمر إلى أبى عبيدة إن أكذب خالد نفسه فهو أمير على ما كان عليه ، و إن لم يكذب نفسه فهو معزول ، فانزع عمامته عن رأسه وقاسمه ماله نصفين . فلما قال أبو عبيدة ذلك لخالد قال له خالد : أمهلنى حتى أستشير أختى ، فذهب إلى أخته فاطمة ـ وكانت تحت الحارث بن هشام ـ فاستشارها فى ذلك ، فقالت له : إن عمر لايحبك أبداً ، و إنه سيعزلك و إن كذبت نفسك . فقال لها : صدقت والله . فقاسمه أبو عبيدة حتى أخذ [إحدى] نعليه وترك له الآخرة ،

وخالد يقول سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين .

وقد روى ابن جرير عن صالح بن كيسان أنه قال : أول كتاب كتبه عمر إلى أبى عبيدة حين ولاه وعزل خالداً أن قال : « وأوصيك بتقوى الله الذى يبقى ويفنى ماسواه ، الذى هدانا من الضلالة ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد فقم بأمرهم الذى يحق عليك ، لاتقدم المسلمين هلكة رجاء غنيمة ، ولا تنزلهم منزلا قبل أن تستريده لهم وتعلم كيف مأتاه ، ولا تبعث سرية إلا فى كنف من الناس ، وإياك وإلقاء المسلمين فى الهلكة ، وقد أبلاك الله بى وأبلانى بك ، فغض بصرك عن الدنيا ، وأله قلبك عنها ، وإياك أن تهلكك كما أهلكت من كان قبلك ، فقد رأيت مصارعهم . وأمرهم بالمسير إلى دمشق » ، وكان بعد مابلغه الخبر بفتح اليرموك وجاءته به البشارة ، وحمل الخمس إليه . وقد ذكر ابن إسحاق أن الصحابة قاتلوا بعد اليرموك أجنادين ثم بفحل من أرض الغور قريباً من بيسان بمكان يقال له الردغة سمى بذلك لكثرة مالقوا من الأوحال فيها ، فأغلقوها عليهم ، وأحاط بها الصحابة . قال : وحينئذ جاءت الامارة لأبى عبيدة من جهة عمر وعزل خالد ، وهذا الذى ذكره ابن إسحاق من مجئ الأمارة لأبى عبيدة فى حصار دمشق هو المشهور .

فتح دمشق

قال سيف بن عمر لما ارتحل أبو عبيدة من اليرموك فنزل بالجنود على مرج الصفر وهو عازم على حصار دمشق إذ أتاه الخبر بقدوم مددهم من حمص ، وجاءه الخبر بأنه قد اجتمع طائفة كبيرة من الروم بفحل من أرض فلسطين ، وهو لا يدرى بأى الأمرين يبدأ . فكتب إلى عمر فى ذلك ، فجاء الجواب أن ابدأ بدمشق فانها حصن الشام وبيت مملكتهم ، فانهد لها واشغلوا عنكم أهل فحل بخيول تكون تلقاءهم ، فان فتحها الله قبل دمشق فذلك الذى نحب ، وإن فتحت دمشق قبلها فسر أنت ومن معك واستخلف على دمشق ، فاذا فتح الله عليكم فحل فسر أنت وخالد إلى حمص واترك عمراً وشرحبيل على الأردن وفلسطين .

قال : فسرح أبو عبيدة إلى فحل عشرة أمراء مع كل أمير خمسة أمراء وعلى الجميع عمارة بن مخشى الصحابى ، فساروا من مرج الصفر إلى فحل فوجدوا الروم هنالك قريباً من ثمانين ألفاً ، وقد أرسلوا المياه حولهم حتى أردغت الأرض فسموا ذلك الموضع الردغة ، وفتحها الله على المسلمين فكانت أول حصن فتح قبل دمشق على ماسيأتى تفصيله . وبعث أبو عبيدة جيشاً يكون بين دمشق وبين فلسطين ، وبعث ذا الكلاع فى جيش يكون بين دمشق وبين حمص ، ليرد من رد إليهم من المدد من جهة هرقل . ثم سار أبو عبيدة من مرج الصفر قاصداً دمشق ، وقد جعل خالد بن الوليد

فى القلب و ركب أبو عبيدة وعمر و بن العاص فى المجنبتين ، وعلى الخيل عياض بن غنم ، وعلى الرجالة شرحبيل بن حسنة ، فقدموا دمشق وعليها نسطاس بن نسطوس ، فنزل خالد بن الوليد على الباب الشرقى و إليه باب كيسان أيضاً ، ونزل أبو عبيدة على باب الجابية الكبير ، ونزل يزيد بن أبى سفيان على باب الجابية الصغير ، ونزل عمر و بن العاص وشرحبيل بن حسنة على بقية أبواب البلد ونصبوا المجانيق والدبابات ، وقد أرصد أبو عبيدة أبا الدرداء على جيش ببرزة يكونون ردءاً له ، وكذا الذى بينه و بين حمص وحاصروها حصاراً شديداً سبعين ليلة ، وقيل أربعة أشهر ، وقيل ستة أشهر ، وقيل أربعة عشر شهراً فالله أعلم . وأهل دمشق ممتنعون منهم غاية الامتناع ، و يرسلون إلى ملكهم هرقل — وهو مقيم بحمص — يطلبون منه المدد فلا يمكن وصول المدد إليهم من ذى الكلاع ، الذى قد أرصده أبو عبيدة رضى الله عنه بين دمشق و بين حمص — عن دمشق ليلة — فلما أيقن أهل دمشق أنه لا يصل إليهم مدد أبلسوا وفشلوا وضعفوا ، وقوى المسلمون واشتد حصارهم ، وجاء فصل الشتاء واشتد البرد وعسر الحال وعسر القتال ، فقدر الله الكبير المتعال ، ذو العزة والجلال ، أن ولد لبطريق دمشق مولود فى تلك الليالى فصنع لهم طعاماً وسقاهم بعده شراباً . وباتوا عنده فى وليمته قد أكلوا وشربوا وتعبوا فناموا عن مواقفهم ، واشتغلوا عن أماكنهم ، وفطن لذلك أمير الحرب خالد بن الوليد فانه كان لاينام ولايترك أحداً ينام ، بل مراصد لهم ليلا ونهاراً ، وله عيون وقصاد يرفعون إليه أحوال المقاتلة صباحاً ومساء . فلما رأى حمدة تلك الليلة ، وأنه لا يقاتل على السور أحد كان قد أعد سلاليم من حبال فجاء هو وأصحابه من الصناديد الأبطال ، مثل القعقاع بن عمر و ومذعور بن عدى ، وقد أحضر جيشه عند الباب وقال لهم : إذا سمعتم تكبيرنا فوق السور فأرقوا إلينا . ثم نهد هو وأصحابه فقطعوا الخندق سباحة بقرب فى أعناقهم ، فنصبوا تلك السلالم وأثبتوا أعاليها بالشرفات ، وأكدوا أسافلها خارج الخندق ، وصعدوا فيها، فلما استووا على السور رفعوا أصواتهم بالتكبير ، وجاء المسلمون فصعدوا فى تلك السلالم وانحدر خالد وأصحابه الشجعان من السور إلى البوابين فقتلوهم ، وقطع خالد وأصحابه أغاليق الباب بالسيوف وفتحوا الباب عنوة ، فدخل الجيش الخالدى من الباب الشرقى . ولما سمع أهل البلد التكبير ثاروا وذهب كل فريق إلى أماكنهم من السور ، لايدرون ما الخبر ، فجعل كلما قدم أحد من أصحاب الباب الشرقى قتله أصحاب خالد ، ودخل خالد البلد عنوة فقتل من وجده . وذهب أهل كل باب فسألوا من أميرهم الذى عند الباب من خارج الصلح — وقد كان المسلمون دعوهم إلى المشاطرة فيأبون عليهم — فلما دعوهم إلى ذلك أجابوهم . ولم يعلم بقية الصحابة ما صنع خالد . ودخل المسلمون من كل جانب وباب فوجدوا خالداً وهو يقتل من وجده فقالوا له : إنا قد أمناهم ، فقال : إنى فتحتها عنوة . والتقت الأمراء فى وسط البلد عند كنيسة المقسلاط بالقرب من

درب الريحان اليوم . هكذا ذكره سيف بن عمر وغيره وهو المشهور أن خالداً فتح الباب قسراً .

وقال آخرون : بل الذى فتحها عنوة أبو عبيدة وقيل يزيد بن أبى سفيان ، وخالد صالح أهل البلد فعكسوا المشهور المعروف والله أعلم .

وقد اختلف الصحابة فقال قائلون هى صلح - يعنى على ما صالحهم الأمير فى نفس الأمر وهو أبو عبيدة - . وقال آخرون : بل هى عنوة ، لأن خالداً افتتحها بالسيف أولا كما ذكرنا ، فلما أحسوا بذلك ذهبوا إلى بقية الأمراء ومعهم أبو عبيدة فصالحوهم ، فاتفقوا فيما بينهم على أن جعلوا نصفها صلحاً ونصفها عنوة ، فملك أهلها نصف ما كان بأيديهم وأقروا عليه ، واستقرت يد الصحابة على النصف. ويقوى هذا ما ذكره سيف بن عمر من أن الصحابة كانوا يطلبون إليهم أن يصالحوهم على المشاطرة فيأبون ، فلما أحسوا باليأس أنابوا إلى ما كانت الصحابة دعوهم إليه فبادروا إلى إجابتهم . ولم تعلم الصحابة بما كان من خالد إليهم والله أعلم ،

ولهذا أخذ الصحابة نصف الكنيسة العظمى التى كانت بدمشق وتعرف « بكنيسة يوحنا » فاتخذوا الجانب الشرقى منها مسجداً ، وأبقوا لهم نصفها الغربى كنيسة ، وقد أبقوا لهم مع ذلك أربع عشرة كنيسة أخرى مع نصف الكنيسة المعروفة « بيوحنا » ، وهى جامع دمشق اليوم . وقد كتب لهم بذلك خالد بن الوليد كتاباً ، وكتب فيه شهادته ابو عبيدة وعمرو بن العاص ويزيد وشرحبيل : إحداها كنيسة المقسلاط التى اجتمع عندها أمراء الصحابة ، وكانت مبنية على ظهر السوق الكبير ، وهذه القناطر المشاهدة فى سوق الصابونيين من بقية القناطر التى كانت تحتها ، ثم بادت فيما بعد وأخذت حجارتها فى العمارات . الثانية : كنيسة كانت فى رأس درب القرشيين وكانت صغيرة ، قال الحافظ ابن عساكر : وبعضها باق إلى اليوم وقد تشعثت . الثالثة : كانت بدار البطيخ العتيقة . قلت : وهى داخل البلد بدرب الكوشك ، وأظنها هى المسجد الذى قبل هذا المكان المذكور ، فإنها خربت من دهر والله أعلم . الرابعة : كانت بدرب بنى نصر بين درب الحبالين ودرب التميمى . قال الحافظ ابن عساكر : وقد أدركت بعض بنيانها ، وقد خرب أكثرها . الخامسة : كنيسة بولص ، قال ابن عساكر : وكانت غربى القيسارية الفخرية وقد أدركت من بنيانها بعض أساس الحنية . السادسة : كانت فى موضع دار الوكالة وتعرف اليوم بكنيسة القلانسيين . قلت : والقلانسيين هى الحواجين اليوم . السابعة : التى بدرب السقيل اليوم وتعرف بكنيسة حميد بن درة سابقا ، لأن هذا الدرب كان أقطاعاً له وهو حميد بن عمرو بن مساحق القرشى العامرى ، ودرة أمه ، وهى درة ابنة هاشم بن عتبة بن ربيعة ، فأبوها خال معاوية . وكان قد أقطع هذا الدرب فنسبت هذه الكنيسة إليه ، وكان مسلماً ، ولم يبق لهم اليوم سواها ، وقد خرب أكثرها . ولليعقوبية منهم كنيسة

داخل باب توما بين رحبة خالد ــ وهو خالد بن أسيد بن أبى العيص ــ و بين درب طلحة بن عمرو بن مرة الجهنى ، وهى الكنيسة الثامنة ، وكانت لليعقوبيين كنيسة أخرى فيما بين درب التنوى وسوق على . قال ابن عساكر : قد بقى من بنائها بعضه ، وقد خربت منذ دهر . وهى الكنيسة التاسعة

وأما العاشرة فهى الكنيسة المصلبة قال الحافظ ابن عساكر : وهى باقية إلى اليوم بين الباب الشرقى وباب توما بقرب النيبطن عند السور . والناس اليوم يقولون النيطون . قال ابن عساكر : وقد خرب أكثرها هكذا قال . وقد خربت هذه الكنيسة وهدمت فى أيام صلاح الدين فاتح القدس بعد الثمانين وخمسمائة بعد موت الحافظ ابن عساكر رحمه الله .

الحادية عشرة : كنيسة مريم داخل الباب الشرقى . قال ابن عساكر وهى من أكبر ما بقى بأيديهم . قلت : ثم خربت بعد موته بدهر فى أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى على ماسيأتى بيانه

الثانية عشر : كنيسة اليهود التى بأيديهم اليوم فى حارتهم ، ومحلها معروف بالقرب من الجبر وتسميه الناس اليوم بستان القط وكانت لهم كنيسة فى درب البلاغة لم تكن داخلة فى العهد فهدمت فيما بعد وجعل مكانها المسجد المعروف بمسجد ابن السهروردى ، والناس اليوم يقولون درب الشاذورى . قلت : وقد أخربت لهم كنيسة كانوا قد أحدثوها لم يذكرها أحد من علماء التاريخ لا ابن عساكر ولا غيره ، وكان إخرابها فى حدود سنة سبع عشرة وسبعمائة ولم يتعرض الحافظ ابن عساكر لذكر كنيسة السامرة بمرة . ثم قال ابن عساكر : ومما أحدث ــ يعنى النصارى ــ كنيسة بناها أبو جعفر المنصور بنى قطيطا فى الفريق عند قناة صالح قريبا من دار بها وارمن اليوم(١) ، وقد أخربت فيما بعد وجعلت مسجداً يعرف بمسجد الجنيق وهو مسجد أبى اليمن . قال ومما أحدث كنيستا العباد إحداهما عند دار ابن الماشلى وقد جعلت مسجداً . والأخرى التى فى رأس درب النقاشين وقد جعلت مسجداً . انتهى ما ذكره الحافظ ابن عساكر الدمشقى رحمه الله . قلت : وظاهر سياق سيف بن عمر يقتضى أن فتح دمشق وقع فى سنة ثلاث عشرة ولكن نص سيف على ما نص عليه الجمهور من أنها فتحت فى نصف رجب سنة أربع عشرة . كذا حكاه الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عائذ القرشى الدمشقى عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن حصين بن غلاق عن يزيد بن عبيدة قال : فتحت دمشق سنة أربع عشرة . ورواه دحيم عن الوليد . قال : سمعت أشياخاً يقولون إن دمشق فتحت سنة أربع عشرة . وهكذا قال سعيد بن عبد العزيز وأبو معشر ومحمد بن إسحق ومعمر والأموى وحكاه عن مشايخه وابن الكلبى وخليفة بن خياط وأبو عبيد القاسم بن سلام ، إن فتح دمشق كان فى سنة

(١) هكذا فى الاصلين من قوله كنيسة بناها الى قوله وارمن اليوم .

أربع عشرة . وزاد سعيد بن عبد العزيز وأبو معشر والأموى : وكانت اليرموك بعدها بسنة . وقال بعضهم : بل كان فتحها فى شوال سنة أربع عشرة . وقال خليفة : حاصرهم أبو عبيدة فى رجب وشعبان ورمضان وشوال وتم الصلح فى ذى القعدة . وقال الاموى فى مغازيه : كانت وقعة أجنادين فى جمادى الاولى ، ووقعة فحل فى ذى القعدة من سنة ثلاث عشرة — يعنى ووقعة دمشق سنة أربع عشرة - وقال دحيم عن الوليد : حدثنى الاموى أن وقعة فحل وأجنادين كانت فى خلافة أبى بكر ثم مضى المسلمون إلى دمشق فنزلوا عليها فى رجب سنة ثلاث عشرة يعنى ففتحوها فى سنة أربع عشرة . وكانت اليرموك سنة خمس عشرة ، وقدم عمر إلى بيت المقدس سنة ست عشرة .

فصل

واختلف العلماء فى دمشق هل فتحت صلحاً أو عنوة ؟ فأكثر العلماء على أنه استقر أمرها على الصلح ، لأنهم شكوا فى المتقدم على الآخر أفتحت عنوة ثم عدل الروم إلى المصالحة ، أو فتحت صلحاً ، أو اتفق الاستيلاء من الجانب الآخر قسراً ؟ فلما شكوا فى ذلك جعلوها صلحا احتياطاً .

وقيل بل جعل نصفها صلحاً ونصفها عنوة ، وهذا القول قد يظهر من صنع الصحابة فى الكنيسة العظمى التى كانت أكبر معابدهم حين أخذوا نصفها وتركوا لهم نصفها والله أعلم .

ثم قيل : إن أبا عبيدة هو الذى كتب لهم كتاب الصلح ، وهذا هو الأنسب والأشهر ، فان خالداً كان قد عزل عن الامرة ، وقيل بل الذى كتب لهم الصلح خالد بن الوليد ، ولكن أقره على ذلك أبو عبيدة فالله أعلم .

وذكر أبو حذيفة إسحاق بن بشر أن الصديق توفى قبل فتح دمشق ، وأن عمر كتب إلى أبى عبيدة يعزيه والمسلمين فى الصديق ، وأنه قد استنابه على من بالشام ، وأمره أن يستشير خالداً فى الحرب ، فلما وصل الكتاب إلى أبى عبيدة كتمه من خالد حتى فتحت دمشق بنحو من عشرين ليلة ، فقال له خالد : يرحمك الله ، ما منعك أن تعلمنى حين جاءك ؟ فقال : إنى كرهت أن أكسر عليك حربك ، وماسلطان الدنيا أريد ، ولا للدنيا أعمل ، وما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع ، وإنما نحن إخوان وما يضر الرجل أن يليه أخوه فى دينه ودنياه .

ومن أعجب مايذكر ههنا ما رواه يعقوب بن سفيان الفسوى : حدثنا هشام بن عمار ثنا عبدالملك ابن محمد ثنا راشد بن داود الصنعانى حدثنى أبو عثمان الصنعانى شراحيل بن مرثد ، قال : بعث أبو بكر خالد بن الوليد إلى أهل اليمامة ، وبعث يزيد بن أبى سفيان إلى الشام ، فذكر الراوى فقال خالد لأهل اليمامة إلى أن قال : ومات أبو بكر واستخلف عمر فبعث أبا عبيدة إلى الشام فقدم دمشق فاستمد أبو عبيدة عمر فكتب عمر إلى خالد بن الوليد أن يسير إلى أبى عبيدة بالشام ، فذكر مسير

خالد من العراق إلى الشام كما تقدم وهذا غريب جداً فان الذى لايشك فيه أن الصديق هو الذى بعث أباعبيدة وغيره من الامراء إلى الشام ، وهو الذى كتب الى خالد بن الوليد أن يقدم من العراق إلى الشام ليكون مدداً لمن به وأميراً عليهم ، ففتح الله تعالى عليه وعلى يديه جميع الشام على ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

وقال محمد بن عائذ : قال الوليد بن مسلم : أخبرنى صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير أن المسلمين لما افتتحوا مدينة دمشق بعثوا أبا عبيدة بن الجراح وافدا إلى أبى بكر بشيرا بالفتح فقدم المدينة فوجد أبا بكر قد توفى واستخلف عمر بن الخطاب فأعظم أن يتأمر أحد من الصحابة عليه فولاه جماعة الناس فقدم عليهم فقالوا : مرحباً بمن بعثناه بريدا فقدم علينا أميرا ،

وقد روى الليث وابن لهيعة وحيوة بن شريح ومفضل بن فضالة وعمر بن الحارث وغير واحد عن يزيد بن أبى حبيب عن عبد الله بن الحكم عن على بن رباح عن عقبة بن عامر أنه بعثه أبو عبيدة بريدا بفتح دمشق قال : فقدمت على عمر يوم الجمعة فقال لى : منذ كم لم تنزع خفيك ؟ فقلت من يوم الجمعة وهذا يوم الجمعة . فقال : أصبت السنة

قال الليث : وبه نأخذ ، يعنى أن المسح على الخفين للمسافر لا يتأقت ، بل له أن يمسح عليهما ما شاء ، وإليه ذهب الشافعى فى القديم . وقد روى أحمد وأبو داود عن أبى بن عمارة مرفوعا مثل هذا ، والجمهور على ما رواه مسلم عن على فى تأقيت المسح للمسافر ثلاثة أيام ولياليهن ، وللمقيم يوم وليلة . ومن الناس من فصل بين البريد ومن فى معناه وغيره ، فقال فى الأول لا يتأقت ، وفيما عداه يتأقت لحديث عقبة وحديث على والله أعلم .

فصل

ثم إن أبا عبيدة بعث خالد بن الوليد إلى البقاع ففتحه بالسيف . وبعث سرية فالتقوا مع الروم بعين ميسنون ، وعلى الروم رجل يقال له « سنان » تحدر على المسلمين من عقبة بيروت فقتل من المسلمين يومئذ جماعة من الشهداء فكانوا يسمون « عين ميسنون » عين الشهداء . واستخلف أبو عبيدة على دمشق يزيد بن أبى سفيان كما وعده بها الصديق . وبعث يزيد دحية بن خليفة إلى تدمر فى سرية ليمهدوا أمرها . وبعث أبا الزهراء القشيرى إلى البثنية وحوران فصالح أهلها .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله : افتتح خالد دمشق صلحا ، وهكذا سائر مدن الشام كانت صلحا دون أرضيها . فعلى يدى يزيد بن أبى سفيان وشرحبيل بن حسنة وأبى عبيدة . وقال الوليد بن مسلم : أخبرنى غير واحد من شيوخ دمشق بينماهم على حصار دمشق إذ أقبلت خيل من

عقبة السلمية مخمرة بالحرير فثار إليهـم المسلمون فالتقوا فيما بين بيت لهيا والعقبـة التى أقبلوا منها ، فهزموهم وطردوهم إلى أبواب حمص ، فلما رأى أهل حمص ذلك ظنوا أنهم قد فتحوا دمشق فقال لهم أهل حمص إنا نصالحكم على ما صالحتم عليه أهل دمشق ففعلوا .

وقال خليفة بن خياط حدثنى عبدالله بن المغيرة عن أبيه قال افتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة ما خلا طبرية فان أهلها صالحوه . وهكذا قال ابن الكلبى . وقالا بعث أبو عبيدة خالداً فغلب على أرض البقاع وصالحه أهل بعلبك وكتب لهم كتاباً . وقال ابن المغيرة عن أبيه وصالحهم على أنصاف منازلهم وكنائسهم ، ووضع الخراج . وقال ابن إسحاق وغيره وفى سنة أربع عشرة فتحت حمص وبعلبك صلحاً على يدى أبى عبيدة فى ذى القعدة قال خليفة ويقال فى سنة خمس عشرة

وقعة فِحل(١)

وقد ذكرها كثير من علماء السير قبل فتح دمشق وإنما ذكرها الامام أبو جعفر بن جرير بعد فتح دمشق وتبع فى ذلك سياق سيف بن عمر فيما رواه عن أبى عثمان يزيد بن أسيد الغسانى وأبى حارثة القيسى قالا : خلف الناس يزيد بن أبى سفيان فى خيـله فى دمشق وسار نحو فحل وعلى الناس الذين هم بالغور شرحبيل بن حسنة وسار أبو عبيدة وقد جعل على المقدمة خالد بن الوليـد وأبو عبيده على الميمنة وعمرو بن العاص على الميسرة ، وعلى الخيل ضرار بن الأزور ، وعلى الرجالة عياض بن غنم فوصلوا إلى فحل وهى بلدة بالغور وقد انحاز الروم إلى بيسان ، وأرسلوا مياه تلك الأراضى على هنالك من الأراضى فحال بينهم وبين المسلمين ، وأرسل المسلمون إلى عمر يخبرونه بما هم فيـه من مصابرة عدوهم وما صنعه الروم من تلك المكيدة ، إلا أن المسلمين فى عيش رغيـد ومدد كبير ، وهم على أهبة من أمرهم . وأمير هذا الحرب شرحبيل بن حسنة وهو لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة . وظن الروم أن المسلمين على غرة ، فركبوا فى بعض الليالى ليبيتوهم ، وعلى الروم سقلاب بن مخراق ، فهجموا على المسلمين فنهضوا إليهـم نهضة رجل واحـد لأنهم على أهبة دائماً ، فقاتلوهم حتى الصباح وذلك اليوم بكماله إلى الليل . فلما أظلم الليل فر الروم وقتل أميرهم سقلاب وركب المسلمون أكتافهم وأسلمتهم هزيمتهم إلى ذلك الوحـل الذى كانوا قد كادوا به المسلمين فغرقهم الله فيـه ، وقتل منهم المسلمين بأطراف الرماح ما قارب الثمانين ألفاً لم ينج منهم إلا الشريد ، وغنموا منهم شيئاً كثيراً ومالاً جزيلا . وانصرف أبو عبيدة وخالد بمن معهما من الجيوش نحو حمص كما أمر أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب . واستخلف أبو عبيدة على الأردن شرحبيل بن حسنة ، فسار شرحبيل ومعه عمرو بن العاص فحاصر بيسان فخرجوا إليه فقتل منهـم مقتلة عظيمة ، ثم صالحوه على مثل ما صالحت عليـه

(١) بكسر الفاء . وقيل والحاء . والصحيح تسكينها .

دمشق ، وضرب عليهم الجزية والخراج على أراضيهم وكذلك فعل أبو الاعور السلمي بأهل طبرية سواء

ما وقع بأرض العراق آنذاك من القتال

وقد قدمنا أن المثنى بن حارثة لما سار خالد من العراق بمن صحبه إلى الشام وقد قيل إنه سار بتسعة آلاف ، وقيل بثلاثة آلاف ، وقيل بسبعمائة وقيل بأقل ، إلا أنهم صناديد جيش العراق ، فأقام المثنى بمن بقى فاستقل عددهم وخاف من سطوة الفرس لولا اشتغالهم بتبديل ملوكهم وملء كاتهم ، واستبطأ المثنى خبر الصديق فسار إلى المدينة فوجد الصديق فى السياق ، فأخبره بأمر العراق ، فأوصى الصديق عمر أن يندب الناس لقتال أهل العراق . فلما مات الصديق ودفن ليلة الثلاثاء أصبح عمر فندب الناس وحثهم على قتال أهل العراق ، وحرضهم ورغبهم فى الثواب على ذلك ، فلم يقم أحد لأن الناس كانوا يكرهون قتال الفرس لقوة سطوتهم ، وشدة قتالهم . ثم ندبهم فى اليوم الثانى والثالث فلم يقم أحد وتكلم المثنى بن حارثة فأحسن ، وأخبرهم بما فتح الله تعالى على يدى خالد من معظم أرض العراق ، ومالهم هنالك من الأموال والأملاك والأمتعة والزاد ، فلم يقم أحد فى اليوم الثالث فلما كان اليوم الرابع كان أول من انتدب من المسلمين أبو عبيد بن مسعود الثقفى ثم تتابع الناس فى الاجابة ، أمر عمر طائفة من أهل المدينة وأمر على الجميع أبا عبيد هذا ولم يكن صحابياً ، فقيل لعمر : هلا أمرت عليهم رجلا من الصحابة ؟ فقال : إنما أومر أول من استجاب ، إنكم إنما سبقتم الناس بنصرة هذا الدين ، وإن هذا هو الذى استجاب قبلكم . ثم دعاه فوصاه فى خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً ، وأمره أن يستشير أصحاب رسول الله «ص» ، (وأن يستشير سليط بن قيس فانه رجل باشر الحروب) [1] فسار المسلمون الى أرض العراق (وهم سبعة آلاف رجل) [2] وكتب عمر إلى أبى عبيدة أن يرسل من كان بالعراق ممن قدم مع خالد إلى العراق (فجهز عشرة آلاف عليهم هاشم ابن عتبة وأرسل عمر جرير بن عبد الله البجلى فى أربعة آلاف إلى العراق فقدم الكوفة ثم خرج منها فواقع هرقران المدار فقتله وانهزم جيشه وغرق أكثرهم فى دجلة) [3] فلما وصل الناس إلى العراق وجدوا الفرس مضطربين فى ملكهم ، وآخر ما استقر عليه أمرهم أن ملكوا عليهم « بوران» بنت كسرى بعد ما قتلوا التى كانت قبلها « أزرميدخت » وفوضت بوران أمر الملك عشر سنين إلى رجل منهم يقال له رستم بن فرخزاذ على أن يقوم بأمر الحرب ، ثم يصير الملك إلى آل كسرى فقبل ذلك . وكان رستم هذا منجما يعرف النجوم وعلمها جيداً ، فقيل له : ما حملك على هذا ؟ يعنون وأنت تعلم أن هذا الأمر لا يتم لك فقال : الطمع وحب الشرف

(١ ، ٢ ، ٣) نقص فى النسخة المصرية تحقيق محمود الامام .

وقعة النمارق

بعث رستم أميراً يقال له « جابان » وعلى مجنبتيه رجلان يقال لأحدهما « جشنس ماه » ويقال للآخر « مردانشاه » وهو خصى أمير حاجب الفرس ، فالتقوا مع أبى عبيد بمكان يقال له النمارق ، ـ بين الحيرة والقادسية ـ وعلى الخيل المثنى بن حارثة ، وعلى الميسرة عمرو بن الهيثم فاقتتلوا هنالك قتالاً شديداً وهزم الله الفرس وأسر جابان ومردانشاه . فأما مردانشاه فانه قتله الذى أسره ، وأما جابان فانه خدع الذى أسره حتى أطلقه فأمسكه المسلمون وأبوا أن يطلقوه ، وقالوا ان هذا هو الأمير وجاؤا به إلى أبى عبيد فقالوا اقتله فانه الأمير فقال وان كان الأمير فانى لا أقتله . وقد أمنه رجل من المسلمين ثم ركب أبو عبيد فى آثار من انهزم منهم وقد لجأوا إلى مدينة كسكر التى لابن خالة كسرى واسمه نرسى فوازرهم نرسى على قتال أبى عبيد فقهرهم أبو عبيد وغنم منهم شيئاً كثيرا وأطعمات كثيرة جداً ، ولله الحمد . و بعث بخمس ما غنم من المال والطعام الى عمر بن الخطاب بالمدينة وقد قال فى ذلك رجل من المسلمين

لَعَمْري وما عمري عليَّ بهينٍ * لقد صبّحتْ بالخزيِ أهلَ النمارقِ
بأيدي رجالٍ هاجروا نحوَ ربِّهمْ * يجوسونَهم ما بينَ دِرنا وبارقِ
قتلناهُمُ ما بينَ مرجِ مسلّحٍ * وبينَ الهوافي من طريقِ التدارقِ

فالتقوا بمكان بين كسكر والسقاطية وعلى ميمنة نرسى وميسرته ابنا خاله بندويه وبيرويه أولاد نظام وكان رستم قد جهز الجيوش مع الجالينوس فلما بلغ أبو عبيد ذلك اعجل نرسى بالقتال قبل وصولهم فاقتتلوا قتالا شديداً فانهزمت الفرس وهرب نرسى والجالينوس الى المدائن بعد وقعة جرت من أبي عبيد مع الجالينوس بمكان يقال له باروسما فبعث أبو عبيد المثنى بن حارثة وسرايا أخر إلى متاخم تلك الناحية كنهر جور ونحوها ففتحها صلحاً وقهراً وضربوا الجزية والخراج وغنموا الاموال الجزيلة ولله الحمد والمنة وكسروا الجالينوس الذى جاء لنصرة جابان وغنموا جيشه وأمواله وكر هارباً إلى قومه حقيراً ذليلا .

وقعة جسر ابي عبيد ومقتل امير المسلمين وخلق كثير منهم

لما رجع الجالينوس هارباً مما لقى من المسلمين تذامرت الفرس بينهم واجتمعوا إلى رستم فأرسل جيشاً كثيفاً عليهم ذا الحاجب « بهمن حادويه » واعطاه راية افريدون وتسمى درفش كابيان وكانت الفرس تتيمن بها . وحملوا معهم راية كسرى وكانت من جلود النمور عرضها ثمانيـة أذرع . فوصلوا إلى المسلمين و بينهم النهر وعليـه جسر فأرسلوا : إما أن تعبروا إلينا و إما إن نعبر اليكم . فقال المسلمون لأميرهم أبى عبيد اأمرهم فليعبروا هم إلينا . فقال ما هم بأجرأ على الموت منا ثم اقتحم

إليهم فاجتمعوا فى مكان ضيق هنالك فاقتتلوا قتالا شديداً لم يعهد مثله والمسلمون فى نحو من عشرة آلاف وقد جاءت الفرس معهم بأفيلة كثيرة عليها الجلاجل ، قائمة لتذعر خيول المسلمين فجعلوا كلما حملوا على المسلمين فرت خيولهم من الفيلة ومما تسمع من الجلاجل التى عليها ولا يثبت منها الا القليل على قسر . و إذا حمل المسلمون عليهم لا تقدم خيولهم على الفيلة و رشقتهم الفرس بالنبل ، فنالوا منهم خلقاً كثيراً وقتل المسلمون منهم مع ذلك ستة آلاف . وأمر أبو عبيد المسلمين أن يقتلوا الفيلة أولا ، فاحتوشوها فقتلوها عن آخرها ، وقد قدمت الفرس بين أيديهم فيلا عظيما أبيض ، فتقدم إليه أبو عبيد فضربه بالسيف فقطع ذلومه فحمى الفيل ، وصاح صيحة هائلة وحمل فتخبطه برجليه فقتله ووقف فوقه فحمل على الفيل خليفة أبى عبيد الذى كان أوصى أن يكون أميراً بعده فقتل ، ثم آخر ثم آخر حتى قتل سبعة من ثقيف كان قد نص أبو عبيد عليهم واحداً بعد واحد ، ثم صارت الى المثنى بن حارثة بمقتضى الوصية أيضاً . وقد كانت دومة امرأة أبى عبيد رأت مناماً يدل على ما وقع سواء بسواء . فلما رأى المسلمون ذلك وهنوا عند ذلك ولم يكن بقى إلا الظفر بالفرس ، وضعف أمرهم ، وذهب ريحهم ، وولوا مدبرين ، وساقت الفرس خلفهم فقتلوا بشراً كثيرا وانكشف الناس فكان أمرا بليغاً وجاؤا إلى الجسر فمر بعض الناس . ثم انكسر الجسر فتحكم فيمن وراءه الفرس فقتلوا من المسلمين وغرق فى الفراة نحوا من أربعة آلاف . فانا لله و إنا اليه راجعون . وسار المثنى بن حارثة فوقف عند الجسر الذى جاؤا منه ، وكان الناس لما انهزموا جعل بعضهم يلقى بنفسه فى الفرات فيغرق ، فنادى المثنى . أيها الناس على هينتكم فانى واقف على فم الجسر لا أجوزه حتى لايبقى منكم أحد ههنا ، فلما عدّى الناس إلى الناحية الأخرى سار المثنى فنزل بهم أول منزل ، وقام يحرسهم هو وشجعان المسلمين ، وقد جرح أكثرهم وأثخنوا . ومن الناس من ذهب فى البرية لايدرى أين ذهب ، ومنهم من رجع إلى المدينة النبوية مذعوراً ، وذهب بالخبر عبد الله بن زيد بن عاصم المازنى إلى عمر بن الخطاب فوجده على المنبر ، فقال له عمر : ماوراءك ياعبد الله بن زيد ؟ فقال : أتاك الخبر اليقين يا أمير المؤمنين ، ثم صعد إليه المنبر فأخبره الخبر سراً ، و يقال كان أول من قدم بخبر الناس عبد الله بن يزيد بن الحصين الحطمى فالله أعلم .

قال سيف بن عمر وكانت هذه الوقعة فى شعبان من سنة ثلاث [عشرة] بعد اليرموك بأربعين يوما فالله أعلم ، وتراجع المسلمون بعضهم إلى بعض وكان منهم من فر إلى المدينة فلم يؤنب عمر الناس بل قال أنا فيئكم وأشغل الله المجوس بأمر ملكهم . وذلك أن أهل المدائن عدوا على رستم فخلعوه ثم ولوه وأضافوا إليه الفيرزان ، واختلفوا على فرقتين ، فركب الفرس إلى المدائن ولحقهم المثنى بن حارثة فى نفر من المسلمين ، فعارضه أميران من أمرائهم فى جيشهم ، فأسرهما وأسر معهما بشراً كثيرا

فضرب أعناقهم . ثم أرسل المثنى إلى من بالعراق من أمراء المسلمين يستمدهم ، فبعثوا إليه بالأمداد ، وبعث إليه عمر بن الخطاب بمدد كثير وفيهم جرير بن عبد الله البجلى ، فى قومه بجيلة بكمالها، وغيره من سادات المسلمين حتى كثر جيشه .

وقعت البويب التي اقتص فيها المسلمون من الفرس

فلما سمع بذلك امراء الفرس ، و بكثرة جيوش المثنى ، بعثوا إليه جيشا آخر مع رجل يقال له مهران فتوافوا هم و إياهم بمكان يقال له « البويب » قريب من مكان الكوفة اليوم و بينهما الفرات . فقالوا : إما أن تعبروا إلينا ، أو نعبر إليكم . فقال المسلمون : بل اعبروا إلينا . فعبرت الفرس إليهم فتواقفوا ، وذلك فى شهر رمضان . فعزم المثنى على المسلمين فى الفطر فأفطروا عن آخرهم ليكون أقوى لهم ، وعبى الجيش ، وجعل يمر على كل راية من رايات الأمراء على القبائل و يعظهم و يحثهم على الجهاد والصبر والصمت . وفى القوم جرير بن عبد الله البجلى فى بجيلة وجماعة من سادات المسلمين . وقال المثنى لهم : إنى مكبر ثلاث تكبيرات فتهيأوا ، فاذا كبرت الرابعة فاحملوا . فقابلوا قوله بالسمع والطاعة والقبول . فلما كبر أول تكبيرة عاجلتهم الفرس فحملوا حتى غالقوهم ، واقتتلوا قتالا شديدا ، ورأى المثنى فى بعض صفوفه خللا ، فبعث إليهم رجلا يقول : الأمير يقرأ عليكم السلام و يقول لكم : لاتفضحوا العرب اليوم فاعتدلوا . فلما رأى ذلك منهم – وهم بنو عجل – اعجبه وضحك . و بعث إليهم يقول : يامعشر المسلمين عاداتكم ، انصروا الله ينصركم . وجعل المثنى المسلمون يدعون الله بالظفر والنصر . فلما طالت مدة الحرب جمع المثنى جماعة من أصحابه الأبطال يحمون ظهره ، وحمل على مهران فأزاله عن موضعه حتى دخل الميمنة ، وحمل غلام من بنى تغلب نصرانى فقتل مهران وركب فرسه . كذا ذكره سيف بن عمر .

وقال محمد بن إسحاق بل حمل عليه المنذر بن حسان بن ضرار الضبى فطعنه واحتز رأسه جرير بن عبدالله البجلى ، واختصما فى سلبه ، فأخذ جرير السلاح وأخذ المنذر منطقه . وهربت المجوس وركب المسلمون أكتافهم يفصلونهم فصلا . وسبق المثنى بن حارثة إلى الجسر فوقف عليه ليمنع الفرس من الجواز عليه ليتمكن منهم المسلمون . فركبوا أكتافهم بقية ذلك اليوم وتلك الليلة ، ومن أبعد إلى الليل فيقال إنه قتل منهم يومئذ وغرق قريب من مائة ألف ولله الحمد والمنة . وغنم المسلمون مالا جزيلا وطعاما كثيراً ، و بعثوا بالبشارة والأخماس إلى عمر رضى الله عنه . وقد قتل من سادات المسلمين فى هذا اليوم بشر كثير أيضا وذلت لهذه الوقعة رقاب الفرس وتمكن الصحابة من الغارات فى بلادهم فيما بين الفرات ودجلة فغنموا شيئا عظيما لا يمكن حصره . وجرت أمور يطول ذكرها بعد يوم البويب وكانت هذه الواقعة بالعراق نظير اليرموك بالشام . وقد قال الأعور الشنى العبدى فى ذلك : —

هاجت لأعورَ دارُ الحيّ أحزانا * واستبدلت بعد عبدِ القيس حسّانا
وقد أرانا بها والشملُ مجتمعٌ * إذ بالنخيلة قتلى جُنْدُ مهرانا
إذ كان سارَ المثنّى بالخيولِ لهم * فقتّلَ الزحفَ من فُرسٍ وجيلانا
سما لمهرانَ والجيشِ الذي معه * حتى أبادهمُ مثنى ووحدانا

فصل

ثم بعث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص الزهرى أحد العشرة فى ستة آلاف أميراً على العراق، وكتب إلى جرير بن عبدالله والمثنى بن حارثة أن يكونا تبعاً له وأن يسمعا له و يطيعا، فلما وصل إلى العراق كانا معه، وكانا قد تنازعا الامرة، فالمثنى يقول لجرير: إنما بعثك أمير المؤمنين مدداً إلى. ويقول جرير: إنما بعثنى أميرا عليك. فلما قدم سعد على أمر العراق انقطع نزاعهما. قال ابن إسحاق. وتوفى المثنى بن حارثة فى هذه السنة: كذا قال ابن إسحق. والصحيح أن بعث عمر سعدا إنما كان فى أول سنة أربع عشرة كما سيأتى.

ذكر اجتماع الفرس على يزدجرد بعد اختلافهم

كان شيرين قد جمع آل كسرى فى القصر الأبيض وأمر بقتل ذكرانهم كلهم، وكانت أم يزدجرد فيهم ومعها ابنها وهو صغير، فواعدت أخواله فجاؤا وأخذوه منها وذهبوا به إلى بلادهم، فلما وقع ماوقع يوم البويب وقتل من قتل منهم كما ذكرنا، وركب المسلمون أكتافهم وانتصروا عليهم وعلى أخذ بلدانهم، ومحالهم وأقاليمهم. ثم سمعوا بقدوم سعد بن أبى وقاص من جهة عمر، اجتمعوا فيما بينهم وأحضروا الأميرين الكبيرين فيهم وهما رستم والفيرزان فتذامروا فيما بينهم وتواصوا وقالوا لهما لئن لم تقوما بالحرب كما ينبغى لنقتلنكما ونشتفى بكما. ثم رأوا فيما بينهم أن يبعثوا خلف نساء كسرى من كل فج ومن كل بقعة، فمن كان لها ولد من آل كسرى ملكوه عليهم. فجعلوا إذا أتوا بالمرأة عاقبوها هل لها ولد وهى تنكر ذلك خوفا على ولدها إن كان لها ولد، فلم يزالوا حتى دلوا على أم يزدجرد، فأحضروها وأحضروا ولدها فملكوه عليهم وهو ابن احدى وعشرين سنة، وهو من ولد شهريار بن كسرى وعزلوا بوران واستوثقت الممالك له، واجتمعوا عليه وفرحوا به، وقاموا بين يديه بالنصر أتم قيام، واستفحل أمره فيهم وقويت شكوتهم به، وبعثوا إلى الأقاليم والرساتيق فخلعوا الطاعة للصحابة ونقضوا عهودهم وذممهم، و بعث الصحابة إلى عمر بالخبر، فأمرهم عمر أن يتبرزوا من بين ظهرانيهم

وليكونوا على أطراف البلاد حولهم على المياه ، وأن تكون كل قبيلة تنظر إلى الأخرى بحيث إذا حدث حدث على قبيلة لايخفى أمرها على جيرانهم . وتفاقم الحال جداً ، وذلك فى ذى القعدة من سنة ثلاث عشرة ، وقد حج بالناس عمر فى هذه السنة وقيل بل حج بهم عبد الرحمن بن عوف ولم يحج عمر هذه السنة والله أعلم .

ما وقع سنة ثلاث عشر من الحوادث

كانت فيها وقائع تقدم تفصيلها ببلاد العراق على يدى خالد بن الوليد رضى الله عنه ، فتحت فيها الحيرة والأنبار وغيرهما من الأمصار ، وفيها سار خالد بن الوليد من العراق إلى الشام على المشهور . وفيها كانت وقعة اليرموك فى قول سيف بن عمر واختيار ابن جرير ، وقتل بها من قتل من الأعيان ممن يطول ذكرهم وتراجمهم رضى الله عنهم أجمعين . وفيها توفى أبو بكر الصديق . وقد أفردنا سيرته فى مجلد ولله الحمد . وفيها ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة منها فولى قضاء المدينة على بن أبى طالب رضى الله عنه واستناب على الشام أبا عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهرى ، وعزل عنها خالد بن الوليد المخزومى ، وأبقاه على شورى الحرب وفيها فتحت بصرى صلحاً وهى أول مدينة فتحت من الشام ، وفيها فتحت دمشق فى قول سيف وغيره كما قدمنا واستنيب فيها يزيد بن أبى سفيان فهو أول من وليها من أمراء المسلمين رضى الله عنهم . وفيها كانت وقعة فحل من أرض الغور وقتل بها جماعة من الصحابة وغيرهم . وفيها كانت وقعة جسر أبى عبيد فقتل فيها أربعة آلاف من المسلمين منهم أميرهم أبو عبيد بن مسعود الثقفى ، وهو والد صفية امرأة عبد الله بن عمر وكانت امرأة صالحة رحمهما الله . و والد المختار بن أبى عبيد كذاب ثقيف وقد كان نائباً على العراق فى بعض وقعات العراق كما سيأتى . وفيها توفى المثنى بن حارثة فى قول ابن إسحاق ، وقد كان نائباً على العراق استخلفه خالد بن الوليد حين سار إلى الشام ، وقد شهد مواقف مشهورة وله أيام مذكورة ولاسيما يوم البويت بعد جسر أبى عبيد قتل فيه من الفرس وغرق بالفراة قريب من مائة ألف ، الذى عليه الجمهور أنه بقى الى سنة أربع عشرة كما سيأتى بيانه . وفيها حج بالناس عمر بن الخطاب فى قول بعضهم وقيل بل حج عبد الرحمن بن عوف . وفيها استنفر عمر قبائل العرب لغزو العراق الشام فأقبلوا من كل النواحى فرمى بهم الشام والعراق . وفيها كانت وقعة أجنادين فى قول ابن سحق يوم السبت لثلاث من جمادى الأولى منها . وكذا عند الواقدى فيما بين الرملة و بين جسرين على الروم القيقلان وأمير المسلمين عمرو بن العاص ، وهو فى عشرين ألفاً فى قول فقتل القيقلان انهزمت الروم وقتل منهم خلق كثير . واستشهد من المسلمين أيضاً جماعة منهم هشام بن العاص

والفضل بن العباس ، وأبان بن سعيد وأخواه خالد وعمرو ، ونعيم بن عبد الله بن النحام ، والطفيل بن عمرو وعبد الله بن عمرو الدوسيان ، وضرار بن الأزور ، وعكرمة بن أبي جهل ، وعمه سلمة بن هشام ، وهبار بن سفيان ، وصخر بن نصر ، وتميم وسعيد ابنا الحارث بن قيس رضى الله عنهم .

وقال محمد بن سعد قتل يومئذ طليب بن عمرو وأمه أروى بنت عبد المطلب عمة رسول الله (ص.) ومن قتل يومئذ عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، وكان عمره يومئذ ثلاثين سنة فيما ذكره الواقدى قال : ولم يكن له رواية وكان ممن صبر يوم حنين . قال ابن جرير وقتل يومئذ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة والحارث بن أوس بن عتيك رضى الله عنهم . وفيها كانت وقعة مرج الصفر فى قول خليفة بن خياط وذلك لثنتى عشرة بقيت من جمادى الأولى وأمير الناس خالد بن سعيد بن العاص فقتل يومئذ وقيل إنما قتل أخوه عمرو وقيل ابنه فالله أعلم ،

قال ابن إسحق : وكان أمير الروم قلقط فقتل من الروم مقتلة عظيمة حتى جرت طاحون هناك من دمائهم . والصحيح أن وقعة مرج الصفر فى أول سنة أربع عشرة كما سيأتى .

ذكر المتوفين في هذه السنة مرتبين على الحروف كما ذكرهم الحافظ الذهبي

أبان بن سعيد بن العاص بن أمية الأموى أبو الوليد المكى صحابى جليل . وهو الذى اجار عثمان ابن عفان يوم الحديبية حتى دخل مكة لأداء رسالة رسول الله (ص.) . أسلم بعد مرجع أخويه من الحبشة . خالد ، وعمرو ، فدعواه إلى الاسلام فأجابهما . وساروا فوجدوا رسول الله (ص.) قد فتح خيبر . وقد استعمله رسول الله (ص.) سنة تسع على البحرين وقتل بأجنادين * أنسة مولى رسول الله (ص.) المشهور أنه قتل ببدر فيما ذكره البخارى وغيره ، وزعم الواقدى فيما نقله عن أهل العلم أنه شهد أحداً وأنه بقى بعد ذلك زمانا . قال : وحدثنى ابن أبي الزناد عن محمد بن يوسف أن أنسة مات فى خلافة أبي بكر الصديق ، وكان يكنى أبا مسروح . وقال الزهرى كان يأذن للناس على النبي (ص.) * تميم بن الحارث بن قيس السهمى وأخوه قيس صحابيان جليلان هاجرا إلى الحبشة وقتلا بأجنادين * الحارث بن أوس بن عتيك من مهاجرة الحبشة . قتل بأجنادين * خالد بن سعيد بن العاص الأموى ، من السابقين الأولين ، ممن هاجر الى الحبشة وأقام بها بضع عشرة سنة ويقال إنه كان على صنعاء من جهة رسول الله (ص.) . وأمره الصديق على بعض الفتوحات كما تقدم قتل يوم مرج الصفر فى قول ، وقيل بل هرب فلم يمكنه الصديق من دخول المدينة تعزيراً له ، فأقام شهرا فى بعض ظواهرها حتى أذن له . ويقال إن الذى قتله أسلم وقال رأيت له حين قتلته نورا ساطعا إلى السماء رضى الله عنه * سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة . ويقال حارثة بن خزيمة بن ثعلبة بن

طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصارى الخزرجى سيدهم ، أبو ثابت ويقال أبو قيس صحابى جليل كان أحد النقباء ليلة العقبة ، وشهد بدرا فى قول عروة وموسى بن عقبة والبخارى وابن ما كولا . وروى ابن عساكر من طريق حجاج بن أرطاة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن راية المهاجرين يوم بدر كانت مع على وراية الانصار مع سعد بن عبادة رضى الله عنهما .

قلت : والمشهور أن هذا كان يوم الفتح والله أعلم . وقال الواقدى : لم يشهدها لأنه نهسته حية فشغلته عنها بعد أن تجهز لها ، فضرب له رسول الله (ص) بسهمه وأجره ، وشهد أحداً وما بعدها . وكذا قال خليفة بن خياط . وكانت له جفنة تدور مع النبى (ص) حيث دار من بيوت نسائه بلحم وثريد ، أو لبن وخبز ، أو خبز بسمن أو بخل وزيت ، وكان ينادى عند أطمة كل ليلة لمن أراد القرى . وكان يحسن الكتابة بالعربى ، والرمى والسباحة ، وكان يسمى من أحسن ذلك كاملا . وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر ماذكره غير واحد من علماء التاريخ أنه تخلف عن بيعة الصديق حتى خرج إلى الشام فمات بقرية من حوران سنة ثلاث عشرة فى خلافة الصديق . قاله ابن اسحاق والمدائنى وخليفة . قال : وقيل فى أول خلافة عمر . وقيل سنة أربع عشرة ، وقيل سنة خمس عشرة . وقال الفلاس وابن بكر سنة ست عشرة

قلت : أما بيعة الصديق فقد روينا فى مسند الامام أحمد انه سلم للصديق ما قاله من إن الخلفاء من قريش . وأما موته بأرض الشام فمحقق والمشهور أنه بحوران . قال محمد بن عائذ الدمشقى عن عبد الاعلى عن سعيد بن عبد العزيز أنه قال : أول مدينة فتحت من الشام بصرى ، وبها توفى سعد ابن عبادة . وعند كثير من أهل زماننا أنه دفن بقرية من غوطة دمشق ، يقال لها « المنيحة » وبها قبر مشهور به . ولم أر الحافظ ابن عساكر تعرض لذكر هذا القبر فى ترجمته بالكلية فالله أعلم . قال ابن عبد البر : ولم يختلفوا أنه وجد ميتاً فى مغتسله ، وقد اخضر جسده ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلا يقول :

قتلنا سيدَ الخزرج سعدَ بنَ عبادةْ * رميناهُ بسهمٍ فلمْ يخطئْ فؤادَهْ

قال ابن جريج : سمعت عطاء (يقول) سمعت أن الجن قالوا فى سعد بن عبادة هذين البيتين . له عن النبى (ص) أحاديث ، وكان رضى الله عنه من أشد الناس غيرة ، ما تزوج امرأة إلا بكراً ، ولا طلق امرأة فتجاسر أحد أن يخطبها بعده . وقد روى أنه لما خرج من المدينة قسم ماله بين بنيه ، فلما توفى ولد له ولد فجاء أبو بكر وعمر إلى ابنه قيس بن سعد فأمراه أن يدخل هذا معهم ، فقال إنى لا أغير ماصنع سعد ولكن نصيبى لهذا الولد * سلمة بن هشام بن المغيرة ، أخو أبى جهل بن هشام ،

أسلم سلمة قديماً وهاجر إلى الحبشة فلما رجع منها حبسه أخوه وأجاعه فكان رسول الله (ص.) يدعو له في القنوت ولجماعة معه من المستضعفين . ثم انسل فلحق برسول الله (ص.) بالمدينة بعد الخندق ، وكان معه بها ، وقد شهد أجنادين وقتل بها رضي الله عنه * ضرار بن الأزور الأسدي ، كان من الفرسان المشهورين ، والأبطال المذكورين ، له مواقف مشهودة ، وأحوال محمودة . ذكر عروة وموسى بن عقبة أنه قتل بأجنادين . له حديث في استحباب إبقاء شيء من اللبن في الضرع عند الحلب * طليب ابن عمير بن وهب بن كثير بن هند بن قصي القرشي العبدي ، أمه أروى بنت عبد المطلب عمة النبي (ص.) . أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، وشهد بدراً . قاله ابن إسحاق والواقدي والزبير بن بكار . ويقال إنه أول من ضرب مشركا ، وذلك أن أبا جهل سب النبي (ص.) فضربه طليب بلحي جمل فشجه . استشهد طليب بأجنادين وقد شاخ رضي الله عنه * عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، ابن عم النبي (ص.) كان من الأبطال المذكورين والشجعان المشهورين ، قتل يوم أجنادين بعد ما قتل عشرة من الروم مبارزة كلهم بطارقة أبطال . وله من العمر يومئذ بضع وثلاثون سنة * عبد الله بن عمرو الدوسي قتل بأجنادين . وليس هذا الرجل معروفا * عثمان بن طلحة العبدري الحجبي . قيل إنه قتل بأجنادين ، والصحيح أنه تأخر إلى ما بعد الاربعين * عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية الأموي أبو عبد الرحمن أمير مكة نيابة عن رسول الله (ص.) استعمله عليها عام الفتح ، وله من العمر عشرون سنة ، فحج بالناس عامئذ ، واستنابه عليها أبو بكر بعده عليه السلام . وكانت وفاته بمكة ، قيل يوم توفي أبو بكر رضي الله عنهما . له حديث واحد رواه أهل السنن الأربعة * عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أبو عثمان القرشي المخزومي ، كان من سادات الجاهلية كأبيه ، ثم أسلم عام الفتح بعد ما فر ، ثم رجع إلى الحق . واستعمله الصديق على عمان حين ارتدوا فظفر بهم كما تقدم . ثم قدم الشام وكان أميراً على بعض الكراديس ، ويقال : إنه لا يعرف له ذنب بعد ما أسلم . وكان يقبل المصحف ويبكي ويقول . كلام ربي كلام ربي . احتج بهذا الامام أحمد على جواز تقبيل المصحف ومشروعيته . وقال الشافعي : كان عكرمة محمود البلاء في الاسلام . قال عروة : قتل بأجنادين . وقال غيره : باليرموك بعد ما وجد به بضع وسبعون ما بين ضربة وطعنة رضي الله عنه * الفضل بن العباس بن عبد المطلب ، قيل إنه توفي في هذه السنة ، والصحيح أنه تأخر إلى سنة ثماني عشرة * نعيم بن عبد الله بن النحام أحد بني عدي ، أسلم قديماً قبل عمر ولم يتهيأ له هجرة إلى ما بعد الحديبية ، وذلك لأنه كان فيه بر بأقاربه ، فقالت له قريش : أقم عندنا على أي دين شئت ، فوالله لا يتعرضك أحد إلا ذهبت أنفسنا دونك . استشهد يوم أجنادين وقيل يوم اليرموك رضي الله عنه * هبار بن الأسود بن أسد أبو الأسود القرشي الاسدي ،

هذا الرجل كان قد طعن راحلة زينب بنت النبي (ص) يوم خرجت من مكة حتى أسقطت ، ثم أسلم بعد لحسن إسلامه ، وقتل بأجنادين رضى الله عنه * هبار بن سفيان بن عبد الأسود المخزومى ابن أخى أم سلمة . أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة واستشهد يوم أجنادين على الصحيح ، وقيل قتل يوم مؤتة والله أعلم * هشام بن العاص بن وائل السهمى أخو عمرو بن العاص . روى الترمذى أن رسول الله (ص) قال « ابنا العاص مؤمنان » وقد أسلم هشام قبل عمرو ، وهاجر إلى الحبشة ، فلما رجع منها احتبس بمكة . ثم هاجر بعد الخندق ، وقد أرسله الصديق إلى ملك الروم . وكان من الفرسان . وقتل بأجنادين ، وقيل باليرموك ، والاول أصح والله أعلم * أبو بكر الصديق رضى الله عنه تقدم وله ترجمة مفردة ولله الحمد .

سنة اربع عشرة من الهجرة

استهلت هذه السنة والخليفة عمر بن الخطاب يحث الناس ويحرضهم على جهاد أهل العراق ، وذلك لما بلغه من قتل أبى عبيد يوم الجسر ، وانتظام شمل الفرس ، واجتماع أمرهم على يزدجرد الذى أقاموه من بيت الملك ، ونقض أهل الذمة بالعراق عهودهم ، ونبذهم المواثيق التى كانت عليهم ، وآذوا المسلمين وأخرجوا العمال من بين أظهرهم . وقد كتب عمر إلى من هنالك من الجيش أن يتبرزوا من بين أظهرهم إلى أطراف البلاد . قال ابن جرير رحمه الله . وركب عمر رضى الله عنه فى أول يوم من المحرم هذه السنة فى الجيوش من المدينة فنزل على ماء يقال له صرار ، فعسكر به عازماً على غزو العراق بنفسه واستخلف على المدينة على بن أبى طالب ، واستصحب معه عثمان بن عفان وسادات الصحابة. ثم عقد مجلساً لاستشارة الصحابه فيما عزم عليه ، ونودى ان الصلاة جامعة ، وقد أرسل إلى على فقدم من المدينة، ثم استشارهم فكلهم وافقوه على الذهاب إلى العراق ، إلا عبدالرحمن بن عوف فانه قال له : إنى أخشى إن كسرت أن تضعف المسلمون فى سائر أقطار الأرض ، وإنى أرى أن تبعث رجلا وترجع أنت إلى المدينة . فارثا[1] عمر والناس عند ذلك واستصوبوا رأى ابن عوف . فقال عمر فمن ترى أن نبعث إلى العراق ؟ فقال : قد وجدته . قال ومن هو ؟ قال الأسد فى براثنه سعد بن مالك الزهرى فاستجاد قوله وأرسل إلى سعد فأمره على العراق وأوصاه فقال : ياسعد بن وهيب لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله (ص) وصاحبه ، فان الله لا يمحو السيئ بالسيئ ، ولكن يمحو السيئ بالحسن ، وإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ويدركون ماعند الله بالطاعة ، فانظر الأمر الذى رأيت

(١) كذا فى الحلبية (بالثاء) وفى المصرية هكذا : فارفا . ولعلها فارفأ بمعنى جنح كما يفهم من النهاية والقاموس .

رسول الله (ص) منذ بعث إلى أن فارقنا عليه فالزمه ، فانه الأمر . هذه عظتى إياك ، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين . ولما أراد فراقه قال له : إنك ستقدم على أمر شديد ، فالصبر الصبر على ما أصابك ونابك ، تجمع لك خشية الله ، واعلم أن خشية الله تجتمع فى أمرين ، فى طاعته واجتناب معصيته ، وإنما طاعة من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة ، وإنما عصيان من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة . وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء ، منها السر ومنها العلانية ، فأما العلانية فأن تكون حامده وذامه فى الحق سواء ، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه ، وبمحبة الناس ، ومن محبة الناس فلا تزهد فى التحبب فان النبيين قد سألوا محبتهم ، وإن الله إذا أحب عبداً حببه ، وإذا أبغض عبداً بغضه ، فاعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس .

قالوا : فسار سعد نحو العراق فى أربعة آلاف ثلاثة آلاف من أهل اليمن ، وألف من سائر الناس ، وقيل فى ستة آلاف . وشيعهم عمر من صرار الى الأعوص وقام عمر فى الناس خطيباً هنالك فقال : إن الله إنما ضرب لكم الأمثال ، وصرف لكم القول لتحيي القلوب فان القلوب ميتة فى صدورها حتى يحييها الله ، من علم شيئاً فلينفع به ، فان للعدل أمارات وتباشير ، فأما الأمارات فالحياء والسخاء والهين واللين . وأما التباشير فالرحمة . وقد جعل الله لكل أمر باباً ، ويسر لكل باب مفتاحاً ، فباب العدل الاعتبار ، ومفتاحه الزهد ، والاعتبار ذكر الموت والاستعداد بتقديم الاموال . والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق والاكتفاء بما يكفيه من الكفاف ، فان لم يكفه الكفاف لم يغنه شئ . إنى بينكم وبين الله ، وليس بينى وبينه أحد ، وإن الله قد ألزمنى دفع الدعاء عنه فانهوا شكاتكم إلينا ، فمن لم يستطع فالى من يبلغناها نأخذ له الحق غير متعتع . ثم سار سعد إلى العراق ، ورجع عمر بمن معه من المسلمين إلى المدينة . ولما انتهى سعد إلى نهر زرود ، ولم يبق بينه وبين أن يجتمع بالمثنى بن حارثة إلا اليسير ، وكل منهما مشتاق إلى صاحبه ، انتقض جرح المثنى بن حارثة الذى كان جرحه يوم الجسر فمات رحمه الله ورضى الله عنه ، واستخلف على الجيش بشير بن الخصاصية . ولما بلغ سعداً موته ترحم عليه وتزوج زوجته سلمى . ولما وصل سعد إلى محلة الجيوش انتهت إليه رياستها وإمرتها ، ولم يبق بالعراق أمير من سادات العرب إلا تحت أمره وأمده عمر بأمداد أخر حتى اجتمع معه يوم القادسية ثلاثون ألفاً ، وقيل ستة وثلاثون . وقال عمر : والله لأرمين ملوك العجم بملوك العرب . وكتب إلى سعد أن يجعل الأمراء على القبائل ، والعرفاء على كل عشرة عريفاً على الجيوش ، وأن يواعدهم إلى القادسية ، ففعل ذلك سعد ، عرف العرفاء ، وأمر على القبائل ، وولى على الطلائع ، والمقدمات ، والمجنبات والساقات ، والرجالة ، والركبان ، كما أمر أمير المؤمنين عمر .

قال سيف باسناده عن مشايخه قالوا : وجعل عمر على قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة الباهلى ذا النون ، وجعل إليه الاقباض وقسمة الفئ ، وجعل داعية الناس وقاصهم سلمان الفارسى . وجعل الكاتب زياد بن أبى سفيان . قالوا وكان فى هذا الجيش كله من الصحابة ثلثمائة و بضعة عشر صحابياً ، منهم بضعة وسبعون بدرياً ، وكان فيه سبعمائة من أبناء الصحابة رضى الله عنهم . و بعث عمر كتابه إلى سعد يأمره بالمبادرة إلى القادسية ، والقادسية باب فارس فى الجاهلية ، وأن يكون بين الحجر والمدر ، وأن يأخذ الطرق والمسالك على فارس ، وأن يبدروهم بالضرب والشدة ، ولا يهولنك كثرة عددهم وعُدَدهم ، فانهم قوم خدعة مكرة ، و إن أنتم صبرتم وأحسنتم ونويتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم ، ثم لم يجتمع لهم شملهم أبداً إلا أن يجتمعوا ، وليست معهم قلوبهم . و إن كانت الأخرى فارجعوا إلى ما وراءكم حتى تصلوا إلى الحجر فانكم عليه أجرأ ، و إنهم عنه أجبن و به أجهل ، حتى يأتى الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكرة . وأمره بمحاسبة نفسه وموعظة جيشه ، وأمرهم بالنية الحسنة والصبر فان النصر يأتى من الله على قدر النية ، والأجر على قدر الحسبة ، وسلوا الله العافية ، وأكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، واكتب إلىّ بجميع أحوالكم وتفاصيلها ، وكيف تنزلون وأين يكون منكم عدوكم ، واجعلنى بكتبك إلى كأنى أنظر إليكم ، واجعلنى من أمركم على الجلية ، وخف الله وارجه ولا تدل بشئ ، واعلم أن الله قد توكل لهذا الأمر بما لا خلف له ، فاحذر أن يصرفه عنك ويستبدل بكم غيركم . فكتب إليه سعد يصف له كيفية تلك المنازل والاراضى بحيث كأنه يشاهدها ، وكتب إليه يخبره بأن الفرس قد جردوا الحرب رستم وأمثاله ، فهم يطلبوننا ونحن نطلبهم ، وأمر الله بعد ماض ، وقضاؤه مسلم ، إلى ماقدر لنا وعلينا ، فنسأل الله خير القضاء وخير القدر فى عافية

وكتب إليه عمر : قد جاءنى كتابك وفهمته ، فاذا لقيت عدوك ومنحك الله أدبارهم ، فانه قد ألقى فى روعى أنكم ستهزمونهم فلا تشكن فى ذلك ، فاذا هزمتهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن فانه خرابها إن شاء الله . وجعل عمر يدعو لسعد خاصة وله وللمسلمين عامة .

ولما بلغ سعد العذيب اعترض للمسلمين جيش للفرس مع شيرزاد بن ازاذويه ، فغنموا مما معه شيئاً كثيراً ووقع منهم موقعاً كبيراً ، فخمسها سعد وقسم أربعة أخماسها فى الناس واستبشر الناس بذلك وفرحوا ، وتفاءلوا ، وأفرد سعد سرية تكون حياطة لمن معهم من الحريم ، على هذه السرية غالب بن عبد الله الليثى .

غزوة القادسية

ثم سار سعد فنزل القادسية ، و بث سراياه ، وأقام بها شهراً لم ير أحداً من الفرس ، فكتب إلى عمر بذلك ، والسرايا تأتى بالميرة من كل مكان. فعجت رعايا الفرس من أطراف بلادهم إلى يزدجرد

من الذين يلقون من المسلمين من النهب والسبي . وقالوا : إن لم تنجدونا والا أعطينا مابأيدينا وسلمنا إليهم الحصون . واجتمع رأى الفرس على إرسال رستم إليهم ، فبعث إليه يزدجرد فأمره على الجيش فاستعفى رستم من ذلك ، وقال : إن هذا ليس برأى فى الحرب ، إن إرسال الجيوش بعد الجيوش أشد على العرب من أن يكسروا جيشاً كثيفاً مرة واحدة . فأبى الملك إلا ذلك ، فتجهز رستم للخروج . ثم بعث سعد كاشفاً الى الحيرة و إلى صلوبا فأتاه الخبر بأن الملك قد أمر على الحرب رستم بن الفرخزاذ الأرمنى ، وأمده بالعساكر . فكتب سعد الى عمر بذلك فكتب إليه عمر : لا يكربنك مايأتيك عنهم ، ولا مايأتونك به ، واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث إليه رجالا من أهل النظر والرأى والجلد يدعونه ، فان الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم وفَلْجاً عليهم ، وا كتب إلى فى كل يوم . ولما اقترب رستم بجيوشه وعسكر بساباط كتب سعد إلى عمر يقول : إن رستم قد عسكر بساباط وجر الخيول والفيول وزحف علينا بها ، وليس شئ أهم عندى ، ولا أكثر ذكراً منى لما أحببت أن أكون عليه من الاستعانة والتوكل . وعبأ رستم فجعل على المقدمة وهى أربعون ألفاً الجالنوس ، وعلى الميمنة الهرمزان ، وعلى الميسرة مهران بن بهرام وذلك ستون ألفاً ، وعلى الساقة البندران فى عشرين ألفاً ، فالجيش كله ثمانون ألفاً فيما ذكره سيف وغيره . وفى رواية : كان رستم فى مائة ألف وعشرين ألفاً ، يتبعها ثمانون ألفاً ، وكان معه ثلاثة وثلاثون فيلا منها فيل أبيض كان لسابور ، فهو أعظمها وأقدمها ، وكانت الفيلة تألفه . ثم بعث سعد جماعة من السادات منهم النعمان بن مقرن ، وفرات بن حبان ، وحنظلة بن الربيع التميمى ، وعطارد بن حاجب ، والاشعث بن قيس ، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن معدى كرب ، يدعون رستم الى الله عز وجل . فقال لهم رستم : ما أقدمكم ؟ فقالوا : جئنا لموعود الله إيانا ، أخذ بلادكم وسبى نسائكم وأبنائكم وأخذ أموالكم ، فنحن على يقين من ذلك ، وقد رأى رستم فى منامه كان ملكا نزل من السماء فختم على سلاح الفرس كله ودفعه الى رسول الله (ص) فدفعه رسول الله (ص) إلى عمر . وذكر سيف بن عمر أن رستم طاول سعداً فى اللقاء حتى كان بين خروجه من المدائن وملتقاه سعداً بالقادسية أربعة أشهر كل ذلك لعله يضجر سعداً ومن معه ليرجعوا ، ولولا أن الملك استعجله ما التقاه ، لما يعلم من غلبة المسلمين لهم ونصرهم عليهم ، لما رأى فى منامه ، ولما يتوسمه ، ولما سمع منهم ، ولما عنده من علم النجوم الذى يعتقد صحته فى نفسه لما له من الممارسة لهذا الفن . ولما دنا جيش رستم من سعد أحب سعد أن يطلع على أخبارهم على الجلية ، فبعث رجلا سرية لتأتيه برجل من الفرس وكان فى السرية طليحة الاسدى الذى كان ادعى النبوة ثم تاب . وتقدم الحارث مع أصحابه حتى رجعوا . فلما بعث سعد السرية اخترق طليحة الجيوش والصفوف ، وتخطى الألوف ، وقتل جماعة من الأبطال حتى أسر أحدهم وجاء به لا يملك من نفسه شيئاً ، فسأله

سعد عن القوم فجعل يصف شجاعة طليحة، فقال دعنا من هذا وأخبرنا عن رستم، فقال: هو فى مائة ألف وعشرين ألفاً، ويتبعها مثلها. وأسلم الرجل من فوره رحمه الله.

قال سيف عن شيوخه: ولما تواجه الجيشان بعث رستم إلى سعد أن يبعث إليه برجل عاقل عالم بما أسأله عنه. فبعث اليه المغيرة بن شعبة رضى الله عنه. فلما قدم عليه جعل رستم يقول له: إنكم جيراننا وكنا نحسن اليكم ونكف الأذى عنكم، فارجعوا إلى بلادكم ولا نمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا. فقال له المغيرة: إنا ليس طلبنا الدنيا، وإنما همنا وطلبنا الآخرة، وقد بعث الله إلينا رسولا قال له: إنى قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بدينى فأنا منتقم بهم منهم، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به، وهو دين الحق، لا يرغب عنه أحد إلا ذل، ولا يعتصم به إلا عز. فقال له رستم: فما هو؟ فقال أما عموده الذى لا يصلح شئ منه إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والاقرار بما جاء من عند الله، فقال ما أحسن هذا؟! وأى شئ أيضا؟ قال واخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله. قال: وحسن أيضا وأى شئ أيضا؟ قال: والناس بنو آدم، فهم أخوة لأب وأم، قال وحسن أيضاً. ثم قال رستم: أرأيت إن دخلنا فى دينكم أترجعون عن بلادنا؟ قال: إى والله ثم لا نقرب بلادكم إلا فى تجارة أو حاجة. قال: وحسن أيضاً. قال: ولما خرج المغيرة من عنده ذاكر رستم رؤساء قومه فى الاسلام فأنفوا ذلك وأبوا أن يدخلوا فيه قبحهم الله وأخزاهم وقد فعل.

قالوا: ثم بعث إليه سعد رسولا آخر بطلبه وهو ربعى بن عامر، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابى الحرير، وأظهر اليواقيت واللآلئ الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة. وقد جلس على سرير من ذهب. ودخل ربعى بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه. فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إنى لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتمونى فان تركتمونى هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: إئذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضى إلى موعود الله. قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقى. فقال رستم: قد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال نعم! كم أحب إليكم؟ يوماً أو يومين؟ قال: لا، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا. فقال:

ماسن لنا رسول الله ص أن نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث ، فانظر فى أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل ، فقال : أسيدهم أنت ؟ قال ! لا : ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم . فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال : هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل ؟ فقالوا معاذ الله أن تميل إلى شئ من هذا وتدع دينك إلى هذا الكاب ، أما ترى إلى ثيابه ؟ فقال : ويلكم لاتنظروا إلى الثياب ، وانظروا إلى الرأى والكلام والسيرة . إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل ، ويصونون الأحساب . ثم بعثوا يطلبون فى اليوم الثانى رجلا فبعث إليهم حذيفة بن محصن فتكلم نحو ماقال ربعى . وفى اليوم الثالث المغيرة بن شعبة فتكلم بكلام حسن طويل . قال فيه رستم للمغيرة : إنما مثلكم فى دخولكم أرضنا كمثل الذباب رأى العسل . فقال من يوصلنى إليه وله درهمان ؟ فلما سقط عليه غرق فيه ، فجعل يطلب الخلاص فلا يجده ، وجعل يقول من يخلصنى وله أربعة دراهم ؟ ومثلكم كمثل ثعلب ضعيف دخل جحراً فى كرم فلما رآه صاحب الكرم ضعيفاً رحمه فتركه ، فلما سمن أفسد شيئاً كثيراً فجاء بجيشه ، واستعان عليه بغلمانه فذهب ليخرج فلم يستطع لسمنه فضربه حتى قتله ، فهكذا تخرجون من بلادنا . ثم استشاط غضباً وأقسم بالشمس لأقتلنكم غداً [. فقال المغيرة : ستعلم . ثم قال رستم للمغيرة : قد أمرت لكم بكسوة . ولأميركم بألف دينار وكسوة ومركوب وتنصرفون عنا . فقال المغيرة : أبعد أن أوهنا ملككم وضعفنا عزكم ، ولنامدة نحو بلادكم ونأخذ الجزية منكم عن يدوأنتم صاغرون وستصيرون لنا عبيداً على رغمكم ؟ ! فلما قال ذلك استشاط غضباً .] (١)

وقال ابن جرير حدثنى محمد بن عبد الله بن صفوان الثقفى ثنا أمية بن خالد ثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن . قال قال أبو وائل : جاء سعد حتى نزل القادسية ومعه الناس قال لا أدرى لعلنا لانزيد على سبعة آلاف أو ثمانية آلاف بين ذلك ، والمشركون ثلاثون ألفاً ونحو ذلك ، فقالوا لايد لكم ولا قوة ولا سلاح ، ماجاء بكم ؟ ارجعوا . قال : قلنا ما نحن براجعين ، فكانوا يضحكون من نبلنا ويقولون دوك دوك وشبهونا بالمغازل . فلما أبينا عليهم أن نرجع قالوا : ابعثوا إلينا رجلا من عقلائكم يبين لنا ماجاء بكم . فقال المغيرة بن شعبة ، أنا : فعبر إليهم فقعد مع رستم على السرير فنخروا وصاحوا ، فقال : إن هذا لم يزدنى رفعة ولم ينتقص صاحبكم . فقال رستم : صدق ، ماجاء بكم ؟ فقال : إنا كنا قوماً فى شر وضلالة ، فبعث الله إلينا نبياً فهدانا الله به ورزقنا على يديه ، فكان فيما رزقنا حبة تنبت فى هذا البلد ، فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا : لاصبر لنا عنها ، أنزلونا هذه الأرض حتى نأكل من هذه الحبة . فقال رستم إذا نقتلكم . قال إن قتلتمونا دخلنا الجنة ، وإن

(١) مابين القوسين المربعين زيادة عن المصرية في النسخة الحلبية .

قتلنا كم دخلتم النار وأديتم الجزية . قال : فلما قال وأديتم الجزية نخروا وصاحوا وقالوا : لاصلح بيننا وبينكم . فقال المغيرة : تعبرون إلينا أو نعبر إليكم ؟ فقال رستم : بل نعبر إليكم . فاستأخر المسلمون حتى عبروا فحملوا عليهم فهزموهم .

وذكر سيف أن سعداً كان به عرق النسا يومئذ ، وأنه خطب الناس وتلى قوله تعالى : [ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون] ، وصلى بالناس الظهر ثم كبر أربعاً وحملوا بعد أن أمرهم أن يقولوا : لاحول ولاقوة إلا بالله ، فى طردهم إياهم ، وقتلهم لهم . وقعودهم لهم كل مرصد ، وحصرهم لبعضهم فى بعض الأماكن حتى أكلوا الكلاب والسنانير . ومارد شاردهم حتى وصل إلى نهاوند ، ولجأ أكثرهم إلى المدائن ، ولحقهم المسلمون إلى أبوابها . وكان سعد قد بعث طائفة من اصحابه إلى كسرى يدعونه إلى الله قبل الوقعة فاستأذنوا على كسرى فأذن لهم ، وخرج أهل البلد ينظرون إلى أشكالهم وأرديتهم على عواتقهم وسياطهم بأيديهم ، والنعال فى أرجلهم ، وخيولهم الضعيفة ، وخبطها الأرض بأرجلها . وجعلوا يتعجبون منها غاية العجب كيف مثل هؤلاء يقهرون جيوشهم مع كثرة عَددها وعُددها . ولما استأذنوا على الملك يزدجرد أذن لهم وأجلسهم بين يديه ، وكان متكبراً قليل الأدب ، ثم جعل يسألهم عن ملابسهم هذه ما اسمها ؟ عن الأردية ، والنعال ، والسياط ثم كلما قالوا له شيئاً من ذلك تفاءل فرد الله فأله على رأسه . ثم قال لهم : ما الذى أقدمكم هذه البلاد ؟ أظننتم أنا لما تشاغلنا بأنفسنا اجترأتم علينا ؟ فقال له النعمان بن مقرن : إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولا يدلنا على الخير ويأمرنا به ، ويعرفنا الشر وينهانا عنه ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة . فلم يدع إلى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين فرقة تقاربه وفرقة تباعده ، ولا يدخل معه فى دينه إلا الخواص ، فمكث كذلك ماشاء الله أن يمكث ، ثم أمر أن ينهد إلى من خالفه من العرب ويبدأ بهم ، ففعل فدخلوا معه جميعاً على وجهين مكروه عليه فاغتبط ، وطائع إياه فازداد . فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذى كنا عليه من العداوة والضيق ، وأمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الانصاف ، فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين الاسلام حسن الحسن وقبح القبيح كله ، فان أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء [(١)] فان أبيتم فالمناجزة . وإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمنا كم عليه على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم ، وشأنكم وبلادكم ، وأن أتيتمونا بالجزى [(١)] قبلنا ومنعنا كم وإلا قاتلنا كم . قال فتكلم يزدجرد فقال : إنى لا أعلم فى الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم ، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحى ليكفونا كم ، لا تغزوكم فارس ولاتطمعون أن تقوموا لهم . فان كان عددكم كثر فلايغرنكم منا ، وان كان الجهد دعا كم فرضنا

---

(١) (١) كذا بالنسختين والمراد « الجزية » اهـ مصححه .

لكم قوتاً إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم . فأسكت القوم فقام المغيرة بن شعبة فقال : أيها الملك إن هؤلاء رؤس العرب ووجوههم ، وهم أشراف يستحيون من الأشراف ، وإنما يكرم الأشراف الأشراف ، ويعظم حقوق الأشراف الأشراف ؛ وليس كل ما أرسلوا له جمعوه لك ، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه ، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك ، فجاوبني فأكون أنا الذى أبلغك ويشهدون على ذلك . إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالماً ، فأما ماذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالا منا ، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع ، كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات ، ونرى ذلك طعامنا ، وأما المنازل فانما هى ظهر الأرض ، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الابل وأشعار الغنم . ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً ، وأن يبغى بعضنا على بعض ، وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهى حية كراهية أن تأكل من طعامه ، وكانت حالنا قبل اليوم على ماذكرت لك [وفى المعاد على ما ذكرت لك] فبعث الله إلينا رجلا معروفاً نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده ، فأرضه خير أرضنا ، وحسبه خير أحسابنا ، وبيته خير بيوتنا ، وقبيلته خير قبائلنا ، وهو نفسه كان خيرنا فى الحال التى كان فيها أصدقنا وأحلمنا ، فدعانا إلى أمر فلم يجبه أحد . أول ترب كان له الخليفة من بعده ، فقال وقلنا ، وصدق وكذبنا ، وزاد ونقصنا ، فلم يقل شيئاً إلا كان ، فقذف الله فى قلوبنا التصديق له واتباعه ، فصار فيما بيننا وبين رب العالمين . فما قال لنا فهو قول الله ، وما أمرنا فهو أمر الله ، فقال لنا إن ربكم يقول : أنا الله وحدى لاشريك لى كنت إذ لم يكن شئ وكل شئ هالك إلا وجهى ، وأنا خلقت كل شئ وإلى يصير كل شئ ، وان رحمتى أدركتكم فبعثت إليكم هذا الرجل لأدلكم على السبيل التى أنجيكم بها بعد الموت من عذابى ، ولأحلكم دارى دار السلام . فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق ، وقال من تابعكم على هذا فله مالكم وعليه ما عليكم ، ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم ، ومن أبى فقاتلوه فأنا الحكم بينكم ، فمن قتل منكم أدخلته جنتى ، ومن بقى منكم أعقبته النصر على من ناوأه . فاختر إن شئت الجزية وأنت صاغر ، وإن شئت فالسيف ، أو تسلم فتنجى نفسك . فقال يزدجرد : اتستقبلنى بمثل هذا ؟ فقال ما استقبلت إلا من كلمنى ، ولو كلمنى غيرك لم أستقبلك به . فقال : لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، لا شئ لكم عندى . وقال إئتونى بوقر من تراب فاحملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من أبيات المدائن . إرجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أنى مرسل إليه رستم حتى يدفنه وجنده فى خندق القادسية وينكل به وبكم من بعد ، ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم فى أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور . ثم قال : من أشرفكم ؟ فسكت القوم فقال عاصم بن عمرو وافتات ليأخذ التراب أنا أشرفهم ، أنا سيد هؤلاء فحملنيه ، فقال : أكذلك ؟ قالوا : نعم . فحمله على عنقه فخرج به من الايوان والدار حتى أتى راحلته

فحمله عليها ثم انجذب فى السير ليأتوا به سعداً وسبقهم عاصم فمر بباب قديس فطواه وقال بشروا الأمير بالظفر ، ظفرنا إن شاء الله تعالى ، ثم مضى حتى جعل التراب فى الحجر ثم رجع فدخل على سعد فأخبره الخبر . فقال : ابشروا فقد والله أعطانا الله أقاليد ملكهم ، وتفاءلوا بذلك أخذ بلادهم . ثم لم يزل أمر الصحابة يزداد فى كل يوم علواً وشرفاً و رفعة ، و ينحط أمر الفرس سفلا وذلا و وهناً . ولما رجع رستم إلى الملك يسأله عن حال من رأى من المسلمين ، فذكر له عقلهم وفصاحتهم وحدة جوابهم ، وأنهم يرومون أمراً يوشك أن يدركوه . وذكر ما أمر به أشرفهم من حمل التراب وأنه استحمق أشرفهم فى حمله التراب على رأسه ، ولو شاء اتقى بغيره وأنا لا أشعر . فقال له رستم: إنه ليس أحمق ، وليس هو بأشرفهم ، إنما أراد أن يفتدى قومه بنفسه ولكن والله ذهبوا بمفاتيح أرضنا وكان رستم منجماً ، ثم أرسل رجلا و راءهم وقال : إن أدرك التراب فرده تداركنا أمرنا ، و إن ذهبوا به إلى أميرهم غلبونا على أرضنا . قال : فساق و راءهم فلم يدركهم بل سبقوه إلى سعد بالتراب . وساء ذلك فارس وغضبوا من ذلك أشد الغضب واستهجنوا رأى الملك .

فصل

كانت وقعة القادسية وقعة عظيمة لم يكن بالعراق أعجب منها ، وذلك أنه لما تواجه الصفان كان سعد رضى الله عنه قد أصابه عرق النسا ، ودمامل فى جسده ، فهو لا يستطيع الركوب ، و إنما هو فى قصر متكئ على صدره فوق وسادة وهو ينظر إلى الجيش و يدبر أمره ، وقد جعل أمر الحرب إلى خالد بن عرفطة ، وجعل على الميمنة جرير بن عبدالله البجلى ، وعلى الميسرة قيس بن مكشوح ، وكان قيس والمغيرة بن شعبة قد قدما على سعد مدداً من عند أبى عبيدة من الشام بعد ما شهدا وقعة اليرموك .

و زعم ابن إسحاق أن المسلمين كانوا ما بين السبعة آلاف إلى الثمانية آلاف ، وأن رستما كان فى ستين ألفاً ، فصلى سعد بالناس الظهر ثم خطب الناس فوعظهم وحثهم وتلا قوله تعالى [ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون] وقرأ القراء آيات الجهاد وسوره ، ثم كبر سعد أربعاً ثم حملوا بعد الرابعة فاقتتلوا حتى كان الليل فتحاجزوا ، وقد قتل من الفرقين بشر كثير ، ثم أصبحوا إلى مواقفهم فاقتتلوا يومهم ذلك وعامة ليلتهم ، ثم أصبحوا كما أمسوا على مواقفهم فاقتتلوا حتى أمسوا ثم اقتتلوا فى اليوم الثالث كذلك وأمست هذه الليلة تسمى ليلة الهرير ، فلما أصبح اليوم الرابع اقتتلوا قتالا شديداً وقد قاسوا من الفيلة بالنسبة إلى الخيول العربية بسبب نفرتها منها أمراً بليغاً ، وقد أباد الصحابة الفيلة ومن عليها ، وقلعوا عيونها ، وأبلى جماعة من الشجعان فى هذه الايام مثل طليحة الأسدى ، وعمرو بن معدى كرب ، والقعقاع بن عمرو ، وجرير بن عبدالله البجلى ، وضرار بن الخطاب ، وخالد بن عرفطة ، وأشكالهم وأضرابهم . فلما كان وقت الزوال من هذا اليوم

ويسمى يوم القادسية ، وكان يوم الاثنين من المحرم سنة أربع عشرة كما قاله سيف بن عمر التميمى ، هبت ريح شديدة فرفعت خيام الفرس عن أماكنها وألقت سرير رستم الذى هو منصوب له ، فبادر فركب بغلته وهرب فأدركه المسلمون فقتلوه وقتلوا الجالينوس مقدم الطلائع القادسية ، وانهزمت الفرس ولله الحمد والمنة عن بكرة أبيهم ، ولحقهم المسلمون فى أقفائهم فقتل يومئذ المسلسلون بكمالهم وكانوا ثلاثين ألفاً ، وقتل فى المعركة عشرة آلاف ، وقتلوا قبل ذلك قريباً من ذلك . وقتل من المسلمين فى هذا اليوم وما قبله من الأيام ألفان وخمسمائة رحمهم الله . وساق المسلمون خلف المنهزمين حتى دخلوا وراءهم مدينة الملك وهى المدائن التى فيها الايوان الكسروى ، وقد أذن لمن ذكرنا عليه ، فكان منهم إليه ما قدمنا . وقد غنم المسلمون من وقعة القادسية هذه من الأموال والسلاح مالا يحد ولا يوصف كثرة ، فحصلت الغنائم بعد صرف الأسلاب وخمست وبعث بالخمس والبشارة إلى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وقد كان عمر رضى الله عنه يستخبر عن أمر القادسية كل من لقيه من الركبان ، ويخرج من المدينة إلى ناحية العراق يستنشق الخبر ، فبينما هو ذات يوم من الأيام إذا هو براكب يلوح من بعد ، فاستقبله عمر فاستخبره ، فقال له : فتح الله على المسلمين بالقادسية وغنموا غنائم كثيرة وجعل يحدثه وهو لا يعرف عمر وعمر ماش تحت راحلته ، فلما اقتربا من المدينة جعل الناس يحيون عمر بالامارة فعرف الرجل عمر فقال : يرحمك الله يا أمير المؤمنين هلا أعلمتنى أنك الخليفة ؟ فقال لاحرج عليك يا أخى .

وقد تقدم أن سعداً رضى الله عنه كان به قروح وعرق النسا ، فمنعه من شهود القتال لكنه جالس فى رأس القصر ينظر فى مصالح الجيش ، وكان مع ذلك لا يغلق عليه باب القصر لشجاعته ، ولو فر الناس لأخذته الفرس قبضاً باليد ، لا يمتنع منهم ، وعنده امرأته سلمى بنت حفص التى كانت قبله عند المثنى بن حارثة ، فلما فر بعض الخيل يومئذ فزعت وقالت : وامثنياه ولامثنى لى اليوم . فغضب سعد من ذلك ولطم وجهها ، فقالت — أغيرة وجبنا يعنى أنها تعيره بجلوسه فى القصر يوم الحرب — وهذا عناد منها فانها أعلم الناس بعذره وما هو فيه من المرض المانع من ذلك ، وكان عنده فى القصر رجل مسجون على الشراب كان قد حد فيه مرات متعددة ، يقال سبع مرات ، فأمر به سعد فقيد وأودع فى القصر فلما رأى الخيول تجول حول حمى القصر وكان من الشجعان الأبطال قال :

كفىَ حزَناً أنْ تدحمَ الخيلُ بالفتى * وأتركَ مشدوداً عليَّ وثاقيا
إذا قمتُ غنّاني الحديدُ وغلّقتْ * مصاريعُ من دوني تصمُّ المناديا
وقدْ كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ * وقدْ تركوني مفرَداً لا أخاليا

ثم سأل من زبراء أم ولد سعد أن تطلقه وتعيره فرس سعد ، وحلف لها أنه يرجع آخر النهار فيصع

رجله فى القيد فأطلقته ، وركب فرس سعد وخرج فقاتل قتالا شديداً ، وجعل سعد ينظر إلى فرسه فيعرفها وينكرها ويشبهه بأبى محجن ولكن يشك لظنه أنه فى القصر موثق ، فلما كان آخر النهار رجع فوضع رجله فى قيدها ونزل سعد فوجد فرسه يعرق فقال : ما هذا ؟ فذكروا له قصة أبى محجن فرضى عنه وأطلقه رضى الله عنهما .

وقد قال رجل من المسلمين فى سعد رضى الله عنه :

نقاتل حتى أنزلَ اللهُ نصره * وسعدُ بباب القادسيةِ معصم

فأبنا وقدْ آمتْ نساءٌ كثيرةٌ * ونسوة سعدٍ ليسَ فيهنَّ أيِّمُ

فيقال إن سعداً نزل إلى الناس فاعتذر إليهم مما فيه من القروح فى فخذيه وإليتيه ، فعذره الناس . ويذكر أنه دعا على قائل هذين البيتين وقال : اللهم إن كان كاذباً ، أو قال الذى قال رياء وسمعة وكذباً فاقطع لسانه ويده . فجاءه سهم وهو واقف بين الصفين ، فوقع فى لسانه فبطل شقه فلم يتكلم حتى مات رواه سيف عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر فذكره . وقال سيف عن المقدام بن شريح الحارثى عن أبيه قال قال جرير بن عبد الله البجلى :

أنا جريرٌ وكنيتى أبو عمرو * قدْ فتحَ اللهُ وسعدُ فى القصْر

فأشرف سعد من قصره وقال :

وما أرجو بُجيلةَ غيرَ أني * أؤملُ أجرها يومَ الحسابِ

وقدْ دلفتْ خيولُهمْ خيولاً * وقد وقعَ الفوارسُ فى الضرابِ

وقد دلفتْ بعرصتِهمْ خيولٌ * كأنّ زهاءَها إبلُ الجرابِ

فلولا جمعُ قعقاع بنِ عمرو * وحمالٌ للجُّوا فى الركابِ

ولولا ذاكَ ألفيتمْ رعاعا * تسيل جموعكمْ مثلَ الذبابِ

وقد روى محمد بن إسحق عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم البجلى ــ وكان ممن شهد القادسية ــ قال : كان معنا رجل من ثقيف فلحق بالفرس مرتداً ، فأخبرهم أن بأس الناس فى الجانب الذى فيه بجيلة . قال : وكنا ربع الناس ، قال : فوجهوا إلينا ستة عشر فيلا ، وجعلوا يلقون تحت أرجل خيولنا حسك الحديد ، ويرشقوننا بالنشاب ، فلكأنه المطر ، وقربوا خيولهم بعضها إلى بعض لئلا ينفروا . قال : وكان عمرو بن معد يكرب الزبيدى يمر بنا فيقول : يامعشر المهاجرين ، كونوا أسوداً فانما الفارسى تيس . قال : وكان فيهم أسوار لا تكاد تسقط له نشابة ، فقلنا له يا أبا ثور نق ذاك الفارس فانه لاتسقط له نشابة ، فوجه إليه الفارس ورماه بنشابة فأصاب ترسه وحمل عليه عمرو فاعتنقه فذبحه فاستلبه سوارين من ذهب ، ومنطقة من ذهب ، ويلمقا من ديباج . قال : وكان المسلمون

ستة آلاف أو سبعة آلاف ، فقتل الله رستما وكان الذى قتله رجل يقال له هلال بن علقمة التيمى ، رماه رستم بنشابة فأصاب قدمه وحمل عليه هلال فقتله واحتز رأسه وولت الفرس فاتبعهم المسلمون يقتلونهم فأدركوهم فى مكان قد نزلوا فيه واطمأنوا ، فبينما هم سكارى قد شربوا ولعبوا إذ هجم عليهم المسلمون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وقتل هنالك الجالينوس ، قتله زهرة بن حوية التميمى . ثم ساروا خلفهم فكلما تواجه الفريقان نصر الله حزب الرحمن ، وخذل حزب الشيطان وعبدة النيران ؛ واحتاز المسلمون من الأموال ما يعجز عن حصره ميزان وقبان ، حتى أن منهم من يقول من يقايض بيضاء بصفراء لكثرة ماغنموا من الفرسان . ولم يزالوا يتبعونهم حتى جازوا الفرات وراءهم وفتحوا المدائن وجلولاء على ما سيأتى تفصيله فى موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة

وقال سيف بن عمر عن سليمان بن بشير عن أم كثير امرأة همام بن الحارث النخعى قالت : شهدنا القادسية مع سعد مع أزواجنا ، فلما أتانا أن قد فرغ من الناس ، شددنا علينا ثيابنا وأخذنا الهراوى ثم أتينا القتلى ، فمن كان من المسلمين سقيناه ورفعناه ؛ ومن كان من المشركين أجهزنا عليه ، ومعنا الصبيان فنوليهم ذلك – تعنى استلابهم – لئلا يكشفن عن عورات الرجال .

وقال سيف بأسانيده عن شيوخه قالوا : وكتب سعد إلى عمر يخبره بالفتح وبعدة من قتلوا من المشركين . وبعدة من قتل من المسلمين ، بعث بالكتاب مع سعد بن عميلة الفزارى وصورته « أما بعد فان الله نصرنا على أهل فارس ومنحناهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم ، بعد قتال طويل ، وزلزال شديد ، وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراؤن مثل زهائها ، فلم ينفعهم الله بذلك ، بل سلبوه ونقله عنهم إلى المسلمين ، واتبعهم المسلمون على الأنهار ، وصفوف الآجام ، وفى الفجاج . وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارى وفلان وفلان ، ورجال من المسلمين لا يعلمهم إلا الله ، فانه بهم عالم كانوا يدوون بالقرآن إذا جن عليهم الليل كدوى النحل ، وهم آساد فى النهار لاتشبهم الأسود ، ولم يفضل من مضى منهم من بقى إلا بفضل الشهادة إذا لم تكتب لهم »

فيقال إن عمر قرأ هذه البشارة على الناس فوق المنبر رضى الله عنهم . ثم قال عمر للناس : إنى حريص على أن لا أرى حاجة إلا سددتها ، ما اتسع بعضنا لبعض ، فاذا عجز ذلك عنا تأسينا فى عيشنا حتى نستوى فى الكفاف ، ولوددت أنكم علمتم من نفسى مثل الذى وقع فيها لكم ، ولست معلمكم إلا بالعمل ، إنى والله لست بملك فأستعبدكم ، ولكنى عبد الله عرض على الأمانة فان أبيتها ورددتها عليكم واتبعتكم حتى تشبعوا فى بيوتكم وترووا سعدت بكم ، وإن أنا حملتها واستتبعتكم إلى بيتى شقيت بكم ، ففرحت قليلا وحزنت طويلا ، فبقيت لا أقال ولا أرد فأستعتب .

وقال سيف عن شيوخه قالوا : وكانت العرب من العذيب إلى عدن أبين ؛ يتربصون وقعة

القادسية هذه ، يرون أن ثبات ملكهم وزواله بها ، وقد بعث أهل كل بلدة قاصداً يكشف ما يكون من خبرهم ، فلما كان ما كان من الفتح سبقت الجن بالبشارة إلى أقصى البلاد قبل رسل الأنس فسمعت امرأة ليلا بصنعاء على رأس جبل وهى تقول :

فحييتَ عنا عكرمَ ابنةَ خالدٍ * وما خيرُ زادٍ بالقليلِ المصردِ
وحييتَ عني الشمسَ عند طلوعها * وحييتَ عني كلَّ تاجٍ مفردِ
وحييتكَ عنى عصبةٌ نخعيةٌ * حسانُ الوجوهِ آمنوا بمحمدِ
أقاموا لكسرى يضربونَ جنودَهُ * بكلِّ رقيقِ الشفرتينِ مهندِ
إذا ثوبَ الداعي أناخوا بكلكلٍ * منَ الموتِ مسودِّ الغياطلِ أجردِ

قالوا : وسمع أهل اليمامة مجتازاً يغنى بهذه الابيات :

وجدنا الاكرمينَ بنى تميمٍ * غداةَ الروعِ أكثرهمْ رجالا
هموا ساروا بأرعنَ مكفهرٍ * إلى لَجبٍ يرونهمُ رعالا
بحورٍ للأكاسر من رجالٍ * كأسدِ الغابِ تحسبهمْ جبالا
تركنَ لهمْ بقادسَ عزَّ فخرٍ * وبالخيفينِ أياماً طِوالا
مقطعةٌ أكفهمُ وسوقٌ * بمُرْدٍ حيثُ قابلتِ الرجالا

قالوا : وسمع ذلك فى سائر بلاد العرب ، وقد كانت بلاد العراق بكمالها التى فتحها خالد نقضت العهود والذمم والمواثيق التى كانوا أعطوها خالداً ، سوى أهل بانقيا و برسما ، وأهل أليس الآخرة ثم عاد الجميع بعد هذه الوقعة التى أوردناها ، وادعوا أن الفرس أجبروهم على نقض العهود ، وأخذوا منهم الخراج وغير ذلك . فصدقوهم فى ذلك تألفاً لقلوبهم وسنذكر حكم أهل السواد فى كتابنا الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى . وقد ذهب ابن إسحاق وغيره إلى أن وقعة القادسية كانت فى سنة خمس عشرة . وزعم الواقدى أنها كانت فى سنة ست عشرة . وأما سيف بن عمر وجماعة فذكروها فى سنة أربع عشرة ، وفيها ذكرها ابن جرير فالله أعلم .

قال ابن جرير والواقدى : فى سنة أربع عشرة جمع عمر بن الخطاب الناس على أبى بن كعب فى التراويح وذلك فى شهر رمضان منها ، وكتب إلى سائر الأمصار يأمرهم بالاجتماع فى قيام شهر رمضان قال ابن جرير وفيها بعث عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان إلى البصرة وأمره أن ينزل فيها بمن معه من المسلمين ، وقطع مادة أهل فارس عن الذين بالمدائن ونواحيها منهم فى قول المدائنى ، وروايته . قال : وزعم سيف أن البصرة إنما مصرت فى ربيع من سنة ست عشرة وأن عتبة بن غزوان إنما خرج إلى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد من جلولاء وتكريت ، وجهه إليها سعد بأمر عمر رضى الله عنهم .

وقال أبو مخنف عن مجالد عن الشعبي رضى الله عنهم : إن عمر بعث عتبة بن غزوان إلى أرض البصرة فى ثلثمائة و بضعة عشر رجلا ، وسار إليه من الأعراب ما كمل معه خمسمائة ، فنزلها فى ربيع الأول سنة أربع عشرة ، والبصرة يومئذ تدعى أرض الهند فيها حجارة بيض خشنة ، وجعل يرتاد لهم منزلا حتى جاؤا حيال الجسر الصغير فاذا فيه حلفا وقصب نابت ، فنزلوا . فركب إليهم صاحب الفرات فى أربعة آلاف أسوار ، فالتقاه عتبة بعد مازالت الشمس ، وأمر الصحابة فحملوا عليهم فقتلوا الفرس عن آخرهم ، وأسروا صاحب الفرات ، وقام عتبة خطيباً فقال فى خطبته : إن الدنيا قد آذنت بصرم ، وولت حذاء ، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الاناء ، وإنكم منتقلون منها إلى دار القرار ، فانتقلوا عما بحضرتكم ، فقد ذكر لى لو أن صخرة ألقيت من شفير جهنم هوت سبعين خريفاً ولتملأنه ، أو عجبتم ؟ ولقد ذكر لى أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، ولقد رأيتنى وأنا سابع سبعة ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مالنا طعام إلا ورق السمر ، حتى تفرحت أشداقنا ، والتقطت بردة فشققتها بينى وبين سعد ، فما منا من أولئك السبعة من أحد إلا هو أمير على مصر من الأمصار ، وسيجربون الناس بعدنا . وهذا الحديث فى صحيح مسلم بنحو من هذا السياق .

وروى على بن محمد المدائنى أن عمر كتب إلى عتبة بن غزوان حين وجهه إلى البصرة : ياعتبة إنى استعملتك على أرض الهند وهى حومة من حومة العدو ، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها ، وأن يعينك عليها ، وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمى يمدك بعرفجة بن هرثمة . فاذا قدم عليك فاستشره وقربه ، وادع إلى الله ، فمن أجابك فاقبل منه ، ومن أبى فالجزية عن صغار وذلة ، وإلا فالسيف فى غير هوادة ، واتق الله فيما وليت ، وإياك أن تنازعك نفسك الى كبر فتفسد عليك آخرتك ، وقد صحبت رسول الله ص فعززت بعد الذلة ، وقويت بعد الضعف ، حتى صرت أميراً مسلطاً ، وملكا مطاعا ، تقول فيسمع منك ، وتأمر فيطاع أمرك ، فيالها نعمة إذا لم ترق فوق قدرك ، وتبطر على من دونك ، احتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية ، وهى أخوفهما عندى عليك أن يستدرجك ويخدعك فتسقط سقطة فتصير بها إلى جهنم ، أعيذك بالله ونفسى من ذلك ، إن الناس أسرعوا إلى الله حتى رفعت لهم الدنيا فأرادوها ، فأرد الله ولا ترد الدنيا ، واتق مصارع الظالمين .

وقد فتح عتبة الأبلة فى رجب أو شعبان من هذه السنة . ولما مات عتبة بن غزوان فى هذه السنة استعمل عمر على البصرة المغيرة بن شعبة سنتين ، فلما رمى بما رمى به عزله وولى عليها أبا موسى الأشعرى رضى الله عنهم . وفى هذه السنة ضرب عمر بن الخطاب ابنه عبيد الله فى الشراب هو وجماعة معه ، وفيها ضرب أبا محجن الثقفى فى الشراب أيضاً سبع مرات ، وضرب معه ربيعة بن أمية بن

خلف ، وفيها نزل سعد بن أبي وقاص الكوفة ، وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب . قال وكان بمكة عتاب بن أسيد ، وبالشام أبو عبيدة ، وبالبحرين عثمان بن أبي العاص وقيل العلاء بن الحضرمي ، وعلى العراق سعد ، وعلى عمان حذيفة بن محصن .

ذكرى من توفي في هذا العام من المشاهير

ففيها توفى سعد بن عبادة فى قول والصحيح فى التى قبلها والله أعلم * عتبة بن غزوان بن جابر بن هيب المازنى ، حليف بنى عبد شمس صحابى بدرى ، وأسلم قديماً بعد سنة[1] وهاجر إلى أرض الحبشة وهو أول من اختط البصرة عن أمر عمر فى إمرته له على ذلك كما تقدم ، وله فضائل ومآثر ، وتوفى سنة أربع عشرة ، وقيل سنة خمس عشرة ، وقيل سنة سبع عشرة ، وقيل سنة عشرين فالله أعلم . وقد جاوز الخمسين ، وقيل بلغ ستين سنة رضى الله عنه * عمرو بن أم مكتوم الأعمى ، ويقال اسمه عبد الله ، صحابى مهاجرى ، هاجر بعد مصعب بن عمير ، قبل النبى (ص.) فكان يقرئ الناس القرآن ، وقد استخلفه رسول الله (ص.) على المدينة غير مرة ، فيقال ثلاث عشرة مرة ، وشهد القادسية مع سعد زمن عمر فيقال إنه قتل بها شهيداً ويقال إنه رجع إلى المدينة وتوفى بها والله أعلم * المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعد بن مرة بن ذهل بن شيبان الشيبانى نائب خالد على العراق ، وهو الذى صارت اليه الامرة بعد أبى عبيد يوم الجسر ، فدارى بالمسلمين حتى خلصهم من الفرس يومئذ ، وكان أحد الفرسان الأبطال ، وهو الذى ركب إلى الصديق فحرضه على غزو العراق ، ولما توفى تزوج سعد بن أبى وقاص بامرأته سلمى بنت حفص رضى الله عنهما وأرضاهما . وقد ذكره ابن الأثير فى كتابه الغابة فى أسماء الصحابة * أبو زيد الأنصارى النجارى أحد القراء الأربعة الذين حفظوا القرآن من الأنصار فى عهد رسول الله (ص.) كما ثبت ذلك فى حديث أنس بن مالك ، وهم معاذ بن جبل ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . قال أنس أحد عمومتى . قال الكلبى واسم أبى زيد هذا قيس بن السكن بن قيس بن زعوراء بن حزم بن جندب بن غنم بن عدى بن النجار شهد بدراً . قال موسى بن عقبة واستشهد يوم جسر أبى عبيد وهى عنده فى سنة أربع عشرة ، وقال بعض الناس أبو زيد الذى يجمع القرآن سعد بن عبيد ، وردوا هذا برواية قتادة عن أنس بن مالك قال : افتخرت الأوس والخزرج فقالت الأوس : مناغسيل الملائكة حنظلة بن أبى عامر ، ومنا الذى حمته الدبر عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح ، ومنا الذى اهتز له عرش الرحمن سعد بن معاذ ، ومنا الذى جعلت شهادته شهادة رجلين خزيمة بن ثابت . فقالت الخزرج منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله (ص.) أبى ، وزيد بن ثابت ، ومعاذ ، وأبو زيد رضى الله عنهم أجمعين * أبو عبيد بن

(١) كذا فى الاصلين ولعله يريد بعد سنة من البعثة لانه من السابقين الأولين .

مسعود بن عمرو الثقفى والد المختار بن أبى عبيـد أمير العراق ، ووالد صفية امرأة عبـد الله بن عمر .
أسـلم أبو عبيد فى حياة النبى (ص.) وذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر فى الصحابة .

قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبى : ولا يبعد أن يكون له رواية والله أعلم .

أبو قحافة والد الصديق واسم أبى بكر الصديق عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن صخر ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، أسلم أبو قحافة عام الفتح فجاء به الصديق يقوده إلى النبى (ص.) فقال « هلا أقررتم الشيخ فى بيته حتى كنا نحن نأتيه » تكرمة لابى بكر رضى الله عنـه فقال : بل هو أحق بالسعى إليك يارسول الله . فأجلسه رسول الله (ص.) بين يديه ورأسه كالثغامة بياضاً ودعا له ، وقال : « غيروا هـذا الشيب بشئ وجنبوه السواد » . ولما توفى رسول الله (ص.) وصارت الخلافة إلى الصديق أخبره المسلمون بذلك وهو بمكة ، فقال : أو أقرت بذلك بنو هاشم و بنو مخزوم ؟ قالوا : نعم ! قال : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . ثم أصيب بابنه الصديق رضى الله عنه . ثم توفى أبو قحافة فى محرم وقيل فى رجب سنة أربع عشرة بمكة ، عن أربع وسبعين سنة رحمه الله وأكرم مثواه .

وممن ذكر شيخنا أبو عبد الله الذهبى من المستشهدين فى هذه السنة مرتبين على الحروف

أوس بن أوس بن عتيك قتل يوم الجسر * بشير بن عنبس بن يزيد الظفرى أحدى ، وهو ابن عم قتادة بن النعمان ويعرف بفارس الحواء اسم فرسه * ثابت بن عتيك ، من بنى عمرو بن مبذول ، صحابى قتل يوم الجسر * ثعلبة بن عمرو بن محصن النجارى بدرى قتل يومئـذ * الحارث بن عتيك ابن النعمان النجارى شهد أحداً قتل يومئذ * الحارث بن مسعود بن عبدة صحابى أنصارى قتل يومئذ ، الحارث بن عدى بن مالك أنصارى أحدى قتل يومئذ * خالد بن سعيد بن العاص ، قيل إنه استشهد يوم مرج الصفر ، وكان فى سنة أربع عشرة فى قول * خزيمة بن أوس الأشهلى قتل يوم الجسر * ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب أرخ وفاته فى هـذه السنة ابن قانع * زيد بن سراقة يوم الجسر * سعد بن سلامة بن وقش الأشهلى * سعد بن عبادة فى قول * سلمة بن أسلم بن حريش يوم الجسر * ضمرة بن غزية يوم الجسر * عباد وعبد الله وعبد الرحمن بنو مريع بن قيظى قتلوا يومئذ * عبد الله بن صعصعة بن وهب الأنصارى النجارى ، شهد أحداً وما بعدها . قال ابن الأثير فى الغابة : وقتل يوم الجسر * عتبة بن غزوان تقدم * عقبة وأخوه عبد الله حضرا الجسر مع أبيهما قيظى بن قيس وقتلا يومئذ * العلاء بن الحضرمى توفى فى هذه السنة فى قول وقيل بعدها وسيأتى * عمرو بن أبى اليسر قتل يوم الجسر * قيس بن السكن أبو زيد الأنصارى رضى الله عنه تقدم * المثنى بن حارثة الشيبانى ، توفى فى هذه السنة رحمه الله وقد تقدم * نافع بن غيلان قتل يومئذ * نوفل بن الحارث بن عبد المطلب

وكان أسن من عمه العباس ، قيل إنه توفى فى هذه السنة والمشهور قبلها كما تقدم * واقد بن عبد الله قتل يوم[١] * يزيد بن قيس بن الخطيم الأنصارى الظفرى شهد أحداً وما بعدها ، قتل يوم الجسر ، وقد أصابه يوم أحد جراحات كثيرة وكان أبوه شاعراً مشهوراً * أبو عبيد بن مسعود الثقفى أمير يوم الجسر وبه عرف لقتاله عنده ، تخبطه الفيل حتى قتله رضى الله عنه بعد ما قطع بسيفه خرطومه كما تقدم * أبو قحافة التيمى والد أبى بكر الصديق ، توفى فى هـذه السنة رضى الله عنه . هند بنت عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس بن أمية الأموية ، والدة معاوية بن أبى سـفيان ، وكانت من سيدات نساء قريش ذات رأى ودهاء ورياسة فى قومها ، وقـد شهدت يوم أحد مع زوجها وكان لها تحريض على قتل المسلمين يومئذ ، ولما قتل حمزة مثلت به وأخـذت من كبده فلا كتها فلم تستطع إساغتها ، لأنه كان قد قتل أباها وأخاها يوم بدر ، ثم بعد ذلك كله أسلمت وحسن إسلامها عام الفتح ، بعد زوجها بليلة . ولما أرادت الذهاب إلى رسول الله «ص» لتبايعه استأذنت أبا سفيان فقال لها : قد كنت بالأمس مكذبة بهذا الأمر ؛ فقالت والله ما رأيت الله عبد حق عبادته بهذا المسجد قبل هذه الليلة ، والله إنهم باتوا ليلهم كلهم يصلون فيه . فقال لها : إنك قد فعلت ما فعلت فلا تذهبى وحدك . فذهبت إلى عثمان ابن عفان ويقال إلى أخيها أبى حـذيفة بن عتبة فذهب معها ، فدخلت وهى متنقبة ، فلما بايعها رسول الله «ص» مع غـيرها من النساء قال « على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنين » فقالت : أو تزنى الحرة ؟ « ولا تقتلن أولادكن » قالت : قد ربيناهم صغاراً تقتلهم كباراً ؟ ! فتبسم رسول الله «ص» ، « ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك » فبادرت وقالت : فى معروف . فقال فى معروف ، وهـذا من فصاحتها وحزمها ، وقـد قالت لرسول الله «ص» : والله يا محمد ما كان على ظهر الارض أهل خباء أحب إلىّ من أن يذلوا من أهل خبائك ، فقـد والله أصبح اليوم وما على ظهر الارض من أهل خباء أحب إلى من أن يعزوا من أهل خبائك . فقال : وكذلك والذى نفسى بيـده . وشكت من شح أبى سفيان فأمرها أن تأخذ ما يكفيها ويكفى بنيها بالمعروف ، وقصتها مع الفاكه بن المغيرة مشهورة ، وقد شهدت اليرموك مع زوجها وماتت يوم مات أبو قحافة فى سنة أربع عشرة وهى أم معاوية بن أبى سفيان .

ثم دخلت سنة خمس عشرة

قال ابن جرير قال بعضهم فيها مصّر سعد بن أبى وقاص الكوفة دلهم عليها ابن بقيلة قال لسعد : أدلك على أرض ارتفعت عن البق وانحدرت عن الفلاة ؟ فدلهم على موضع الكوفة اليوم ، قال : وفيها كانت وقعة مرج الروم ، وذلك لما انصرف أبو عبيدة وخالد من وقعة فحل قاصدين إلى حمص حسب

(١) بياض بالاصلين . وفى الاصابة انه توفى فى أول خلافة عمر

ما أمر به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنـه كما تقدم فى رواية سيف بن عمر ، فسارا حتى نزلا على ذى الكلاع ، فبعث هرقل بطريقاً يقال له توذرا فى جيش معه فنزل بمرج دمشق وغربها ، وقد هجم الشتاء فبدأ أبو عبيدة بمرج الروم ، وجاء أمير آخر من الروم يقال له شنس وعسكر معه كثيف ، فنازله أبو عبيدة فاشتغلوا به عن توذرا فسار توذرا نحو دمشق لينازلها وينتزعها من يزيد ابن أبى سفيان ، فاتبعه خالد بن الوليد وبرز إليه يزيد بن أبى سفيان من دمشق ، فاقتتلوا وجاء خالد وهم فى المعركة فجعل يقتلهم من ورائهم ويزيد يفصل فيهم من أمامهم ، حتى أناموهم ولم يفلت منهم إلا الشارد ، وقتل خالد توذرا وأخذوا من الروم أموالا عظيمة فاقتسماها ورجع يزيد إلى دمشق وانصرف خالد إلى أبى عبيدة فوجده قد واقع شنس بمرج الروم فقاتلهم فيه مقاتلة عظيمة حتى أنتنت الأرض من زهمهم ، وقتل أبو عبيدة شنس وركبوا أكتافهم إلى حمص فنزل عليها يحاصرها .

وقعة حمص الأولى

لما وصل أبو عبيدة فى اتباعه الروم المنهزمين إلى حمص ، نزل حولها يحاصرها ، ولحقه خالد بن الوليد فحاصروها حصاراً شديداً ، وذلك فى زمن البرد الشديد ، وصابر أهل البلد رجاء أن يصرفهم عنهم شدة البرد ،وصبر الصحابة صبراً عظيما بحيث إنه ذكر غير واحد أن من الروم من كان يرجع ، وقد سقطت رجله وهى فى الخف ، والصحابة ليس فى أرجلهم شئ سوى النعال ، ومع هذا لم يصب منهم قـدم ولا أصبع أيضاً ، ولم يزالوا كذلك حتى انسلخ فصل الشتاء فاشتد الحصار ، وأشار بعض كبار أهـل حمص عليهم بالمصالحة فأبوا عليه ذلك وقالوا : أنصالح والملك منا قريب ؟ فيقال إن الصحابة كبروا فى بعض الأيام تـكبيرة ارتجت منها المدينة حتى تفطرت منها بعض الجدران ، ثم تـكبيرة أخرى فسقطت بعض الدور ، فجاءت عامتهـم إلى خاصتهم فقالوا : ألا تنظرون إلى ما نزل بنا ، وما نحن فيـه ؟ ألا تصالحون القوم عنا ؟ قال : فصالحوهم على ماصالحوا عليـه أهل دمشق ، على نصف المنازل ، وضرب الخراج على الأراضى ، وأخـذ الجزية عـلى الرقاب بحسب الغنى والفقر . وبعث أبو عبيدة بالاخماس والبشارة إلى عمر مع عبد الله بن مسعود . وأنزل أبو عبيدة بحمص جيشاً كثيفاً يكون بها مع جماعة من الأمراء ، منهم بلال والمقداد وكتب أبو عبيدة إلى عمر يخبره بأن هرقل قد قطع الماء إلى الجزيرة وأنه يظهر تارة ويخفى أخرى . فبعث إليه عمر يأمره بالمقام ببلده .

وقعة قنّسرين

لما فتح أبو عبيدة حمص بعث خالد بن الوليد إلى قنسرين ، فلما جاءها ثار إليه أهلها ومن عندهم من نصارى العرب ، فقاتلهم خالد فيها قتالا شديداً ، وقتل منهم خلقاً كثيرا ، فأما من هنـاك من الروم فأبادهم وقتل أميرهم ميناس . وأما الأعراب فانهم اعتذروا إليه بأن هذا القتال لم يكن عن رأينا

فقتل منهم خالد وكف عنهم ثم خلص إلى البلد فتحصنوا فيه ، فقال لهم خالد إنكم لو كنتم فى السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا . ولم يزل بهم حتى فتحها الله عليه ولله الحمد .

فلما بلغ عمر ما صنعه خالد فى هذه الوقعة قال يرحم الله أبا بكر ، كان أعلم بالرجال منى ، والله إنى لم أعزله عن ريبة ولكن خشيت أن يوكل الناس إليه . وفى هذه السنة تقهقر هرقل بجنوده ، وارتحل عن بلاد الشام إلى بلاد الروم . هكذا ذكره ابن جرير عن محمد بن إسحاق . قال وقال سيف : كان ذلك فى سنة ست عشرة ، قالوا : وكان هرقل كلما حج إلى بيت المقدس وخرج منها يقول عليك السلام ياسورية ، تسليم مودع لم يقض منك وطراً وهو عائد . فلما عزم على الرحيل من الشام و بلغ الرها ، طلب من أهلها أن يصحبوه إلى الروم ، فقالوا : إن بقاءنا هاهنا أنفع لك من رحيلنا معك ، فتركهم . فلما وصل إلى شمشاط وعلا على شرف هنالك التفت إلى نحو بيت المقدس وقال : عليك السلام ياسورية سلاماً لا اجتماع بعده إلا أن أسلم عليك تسليم المفارق ، ولا يعود إليك رومى أبداً إلا خائفا حتى يولد المولود المشؤم ، ويا ليته لم يولد . ما أحلى فعله وأمر عاقبته على الروم ! ! ثم سار هرقل حتى نزل القسطنطينية واستقر بها ملكه ، وقد سأل رجلا ممن اتبعه كان قد أسر مع المسلمين ، فقال : أخبرنى عن هؤلاء القوم ، فقال : أخبرك كأنك تنظر إليهم ، هم فرسان بالنهار ، رهبان بالليل ، لا يأكلون فى ذمتهم الا بثمن ، ولا يدخلون إلا بسلام ، يقفون على من حاربوه حتى يأتوا عليه . فقال : لئن كنت صدقتنى ليملكن موضع قدمى هاتين .

قلت وقد حاصر المسلمون قسطنطينية فى زمان بنى أمية فلم يملكوها ولكن سيملكها المسلمون فى آخر الزمان كما سنبينه فى كتاب الملاحم ، وذلك قبل خروج الدجال بقليل على ما صحت به الأحاديث عن رسول ص فى صحيح مسلم وغيره من الأئمة ولله الحمد والمنة ،

وقد حرم الله على الروم أن يملكوا بلاد الشام برمتها إلى آخر الدهر ، كما ثبت به الحديث فى الصحيحين عن أبى هريرة قال قال رسول الله ص « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله عز وجل » وقد وقع ما أخبر به صلوات الله وسلامه عليه كما رأيت ، وسيكون ما أخبر به جزماً لا يعود ملك القياصرة إلى الشام أبداً لأن قيصر علم جنس عند العرب يطلق على كل من ملك الشام مع بلاد الروم . فهذا لا يعود لهم أبداً .

وقعة قيسارية

قال ابن جرير : وفى هذه السنة أمّر عمر معاوية بن أبى سفيان على قيسارية وكتب إليه : أما بعد فقد وليتك قيسارية فسر إليها واستنصر الله عليهم ، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله

العلى العظيم ، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا فنعم المولى ونعم النصير . فسار إليها فحاصرها ، وزاحفه أهلها مرات عديدة ، وكان آخرها وقعة أن قاتلوا قتالا عظيما ، وصمم عليهم معاوية ، واجتهد فى القتال حتى فتح الله عليه فما انفصل الحال حتى قتل منهم نحواً من ثمانين ألفاً ، وكمل المائة الألف من الذين انهزموا عن المعركة ، وبعث بالفتح والأخماس إلى أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه .

قال ابن جرير : وفيها كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص بالمسير إلى إيليا ، ومناجزة صاحبها فاجتاز فى طريقه عند الرملة بطائفة من الروم فكانت .

وقعة اجنادين

وذلك أنه سار بجيشه وعلى ميمنته ابنه عبدالله بن عمرو ، وعلى ميسرته جنادة بن تميم المالكى ، من بنى مالك بن كنانة ، ومعه شرحبيل بن حسنة ، واستخلف على الأردن أبا الأعور السلمى ؛ فلما وصل إلى الرملة وجد عندها جمعاً من الروم عليهم الأرطبون ، وكان أدهى الروم وأبعدها غوراً ، وأنكأها فعلا ، وقد كان وضع بالرملة جنداً عظيما وبإيلياء جنداً عظيما ، فكتب عمرو إلى عمر بالخبر . فلما جاءه كتاب عمرو قال : قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب ، فانظروا عما تنفرج . وبعث عمرو بن العاص علقمة بن حكيم الفراسى ، ومسروق بن بلال العكى على قتال أهل إيليا . وأبا أيوب المالكى إلى الرملة ، وعليها التذارق ، فكانوا بإزائهم ليشغلوهم عن عمرو بن العاص وجيشه ، وجعل عمرو كلما قدم عليه امداد من جهة عمر يبعث منهم طائفة إلى هؤلاء وطائفة إلى هؤلاء . وأقام عمرو على أجنادين لايقدر من الأرطبون على سقطة ولا تشفيه الرسل فوليه بنفسه ، فدخل عليه كأنه رسول ، فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حضرته حتى عرف ما أراد ، وقال الأرطبون فى نفسه : والله إن هذا لعمرو أو أنه الذى يأخذ عمرو برأيه ، وما كنت لأصيب القوم بأمر هو أعظم من قتله . فدعا حرسيا فساره فأمره بفتكه فقال : اذهب فقم فى مكان كذا وكذا ، فاذا مر بك فاقتله ، ففطن عمرو ابن العاص فقال للأرطبون : أيها الامير إنى قد سمعت كلامك وسمعت كلامى ، وإنى واحدمن عشرة بعثنا عمر بن الخطاب لنكون مع هذا الوالى لنشهد أموره . وقد أحببت أن آتيك بهم ليسمعوا كلامك ويروا ما رأيت . فقال الأرطبون : نعم ! فاذهب فأتنى بهم ، ودعا رجلا فساره فقال : اذهب إلى فلان فرده . وقام عمرو فذهب إلى جيشه ثم تحقق الأرطبون أنه عمرو بن العاص ، فقال : خدعنى الرجل ، هذا والله أدهى العرب . وبلغت عمر بن الخطاب فقال : لله در عمرو . ثم ناهضه عمرو فاقتتلوا بأجنادين قتالا عظيما ، كقتال اليرموك ، حتى كثرت القتلى بينهم ثم اجتمعت بقية الجيوش إلى عمرو ابن العاص ، وذلك حين أعياهم صاحب إيليا وتحصن منهم بالبلد ، وكثر جيشه ، فكتب الأرطبون الى عمرو بأنك صديق ونظيرى أنت فى قومك مثلى فى قومى ، والله لاتفتح من فلسطين شيئاً بعد

أجنادين فارجع ولا تغرَّ فتلقى مثل ما لقى الذين قبلك من الهزيمة ، فدعا عمرو رجلا يتكلم بالرومية فبعثه إلى أرطبون وقال : اسمع ما يقول لك ثم ارجع فأخبرنى . وكتب إليه معه : جاءنى كتابك وأنت نظيرى ومثلى فى قومك ، لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتى وقد علمت أنى صاحب فتح هذه البلاد ، واقرأ كتابى هذا بمحضر من أصحابك ووزرائك . فلما وصله الكتاب جمع وزراءه وقرأ عليهم الكتاب فقالوا للأرطبون : من أين علمت أنه ليس بصاحب فتح هذه البلاد ؟ فقال : صاحبها رجل اسمه على ثلاثة أحرف . فرجع الرسول إلى عمرو فأخبره بما قال فكتب عمرو إلى عمر يستمده ويقول له : إنى أعالج حربا كؤدا صدوما ، وبلاداً ادخرت لك ، فرأيك . فلما وصل الكتاب إلى عمر علم أن عمراً لم يقل ذلك إلا لأمر علمه ، فعزم عمر على الدخول إلى الشام لفتح بيت المقدس كما سنذكر تفصيله .

قال سيف بن عمر عن شيوخه : وقد دخل عمر الشام أربع مرات ، الأولى كان راكباً فرساً حين فتح بيت المقدس ، والثانية على بعير ، والثالثة وصل إلى سرع ثم رجع لأجل ما وقع بالشام من الوباء . والرابعة دخلها على حمار هكذا نقله ابن جرير عنه .

فتح بيت المقدس على يدي عمر بن الخطاب

ذكره أبو جعفر بن جرير فى هذه السنة عن رواية سيف بن عمر وملخص ما ذكره هو وغيره أن أبا عبيدة لما فرغ من دمشق كتب إلى أهل إيليا يدعوهم إلى الله وإلى الاسلام ، أو يبذلون الجزية أو يؤذنوا بحرب . فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه . فركب إليهم فى جنوده واستخلف على دمشق سعيد بن زيد ثم حاصر بيت المقدس وضيق عليهم حتى أجابوا الى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . فكتب إليه أبو عبيدة بذلك فاستشار عمر الناس فى ذلك فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركب إليهم ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم . وأشار على بن أبى طالب بالمسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين فى حصارهم بينهم ، فهوى ما قال على ولم يهو ما قال عثمان . وسار بالجيوش نحوهم واستخلف على المدينة على بن أبى طالب وسار العباس بن عبد المطلب على مقدمته ، فلما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورؤس الأمراء ، كخالد بن الوليد ، ويزيد بن أبى سفيان ، فترجل أبو عبيدة وترجل عمر فأشار أبو عبيدة ليقبل يد عمر فهم عمر بتقبيل رجل أبى عبيدة فكف أبو عبيدة فكف عمر . ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس واشترط عليهم إجلاء الروم الى ثلاث ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذى دخل منه رسول الله (ص) ليلة الاسراء . ويقال إنه لبى حين دخل بيت المقدس فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود ، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد فقرأ فى الأولى بسورة ص وسجد فيها والمسلمون معه ، وفى الثانية بسورة بنى إسرائيل ، ثم جاء الى الصخرة

فاستدل على مكانها من كعب الأحبار وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه فقال ضاهيت اليهودية . ثم جعل المسجد فى قبلى بيت المقدس وهو العمرى اليوم ثم نقل التراب عن الصخرة فى طرف ردائه وقبائه ، ونقل المسلمون معه فى ذلك ، وسخر أهل الأردن فى نقل بقيتها ، وقد كانت الروم جعلوا الصخرة مزبلة لأنها قبلة اليهود ، حتى أن المرأة كانت ترسل خرقة حيضتها من داخل الحوز لتلقى فى الصخرة ، وذلك مكافأة لما كانت اليهود عاملت به القمامة وهى المكان الذى كانت اليهود صلبوا فيه المصلوب فجعلوا يلقون على قبره القمامة فلاجل ذاك سمى ذلك الموضع القمامة وانسحب هذا الاسم على الكنيسة التى بناها النصارى هنالك .

وقد كان هرقل حين جاءه الكتاب النبوى وهو بايلياء وعظ النصارى فيما كانوا قد بالغوا فى القاء الكناسة على الصخرة حتى وصلت إلى محراب داود قال لهم : انكم لخليق أن تقتلوا على هذه الكناسة مما امتهنتم هذا المسجد كما قتلت بنو إسرائيل على دم يحيى بن زكريا ثم أمروا بازالتها فشرعوا فى ذلك فما أزالوا ثلثها حتى فتحها المسلمون فأزالها عمر بن الخطاب وقد استقصى هذا كله بأسانيده ومتونه الحافظ بهاء الدين بن الحافظ أبى القاسم بن عساكر فى كتابه المستقصى فى فضائل المسجد الاقصى .

وذكر سيف فى سياقه : أن عمر رضى الله عنه ركب من المدينة على فرس ليسرع السير بعد ما استخلف عليها على بن أبى طالب ، فسار حتى قدم الجابية فنزل بها وخطب بالجابية خطبة طويلة بليغة منها : « أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم ، واعملوا لآخرتكم تكفوا أمر دنياكم ، واعلموا أن رجلا ليس بينه و بين آدم أب حى ولا بينه و بين الله هوادة ، فمن أراد لَحْبَ (طريق) وجه الجنة فليلزم الجماعة فان الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد ، ولايخلون أحدكم بامرأة فان الشيطان ثالثهما ، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن » وهى خطبة طويلة اختصرناها . ثم صالح عمر أهل الجابية ورحل إلى بيت المقدس وقد كتب الى أمراء الأجناد أن يوافوه فى اليوم الفلانى إلى الجابية فتوافوا أجمعون فى ذلك اليوم إلى الجابية ، فكان أول من تلقاه يزيد بن أبى سفيان ، ثم أبوعبيدة ، ثم خالد بن الوليد فى خيول المسلمين وعليهم يلامق الديباج ، فسار إليهم عمر ليحصبهم فاعتذروا إليه بأن عليهم السلاح ، وأنهم يحتاجون إليه فى حروبهم . فسكت عنهم واجتمع الأمراء كلهم بعد ما استخلفوا على أعمالهم ، سوى عمرو بن العاص وشرحبيل فانهما موافقان الأرطبون بأجنادين ، فبينما عمر فى الجابية إذا بكردوس من الروم بأيديهم سيوف مسللة ، فسار إليهم المسلمون بالسلاح فقال عمر : إن هؤلاء قوم يستأمنون . فساروا نحوهم فاذا هم جند من بيت المقدس يطلبون الأمان والصلح من أمير المؤمنين حين سمعوا بقدومه فأجابهم عمر رضى الله عنه إلى ما سألوا ، وكتب لهم كتاب أمان

ومصالحة ، وضرب عليهم الجزية ، واشترط عليهم شروطاً ذكرها ابن جرير ، وشهد فى الكتاب خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وهو كاتب الكتاب وذلك فى سنة خمسة عشر . ثم كتب لأهل لد ومن هنالك من الناس كتاباً آخر وضرب عليهم الجزية ، ودخلوا فيما صالح عليه أهل إيلياء ، وفر الأرطبون إلى بلاد مصر ، فكان بها حتى فتحها عمرو بن العاص ، ثم فر الى البحر فكان يلى بعض السرايا الذين يقاتلون المسلمين فظفر به رجل من قيس فقطع يد القيسى وقتله القيسى وقال فى ذلك .

فان يكنْ أرطبونُ الرومِ أفسدها * فانَّ فيها بحمدِ اللهِ منتفعا
و إنْ يكنْ أرطبونُ الرومِ قطّعها * فقدْ تركتُ بها أو صالهُ قطعا

ولما صالح أهل الرملة وتلك البلاد ، أقبل عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة حتى قدما الجابية فوجدا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب راكباً ، فلما اقتربا منه أكبا على ركبتيه فقبلاها واعتنقهما عمر معاً رضى الله عنهم * قال سيف ثم سار عمر إلى بيت المقدس من الجابية وقد توحّى فرسه فأتوه ببرذون فركبه فجعل يهملج به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لا علّم الله من علمك ، هذا من الخيلاء ، ثم لم يركب برذوناً قبله ولا بعده ، ففتحت إيلياء وأرضها على يديه ماخلا أجنادين فعلى يدى عمرو . وقيسارية فعلى يدى معاوية . هذا سياق سيف بن عمر وقد خالفه غيره من أئمة السير فذهبوا إلى أن فتح بيت المقدس كان فى سنة ست عشرة .

قال محمد بن عائذ عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن حصن بن علان قال يزيد بن عبيدة : فتحت بيت المقدس سنة ست عشرة وفيها قدم عمر بن الخطاب الجابية . وقال ابو زرعة الدمشقى عن دحيم عن الوليد بن مسلم قال : ثم عاد فى سنة سبع عشرة فرجع من سرغ ثم قدم سنة ثمانى عشرة فاجتمع إليه الأمراء وسلموا إليه ما اجتمع عندهم من الأموال فقسمها وجند الأجناد ومصر الأمصار ثم عاد إلى المدينة .

وقال يعقوب بن سفيان : ثم كان فتح الجابية و بيت المقدس سنة ست عشرة . وقال أبو معشر : ثم كان عمواس والجابية فى سنة ست عشرة . ثم كانت سرغ فى سبع عشرة ، ثم كان عام الرمادة فى سنة ثمانى عشرة قال : وكان فيها طاعون عمواس – يعنى فتح البلدة المعروفة بعمواس – فأما الطاعون المنسوب إليها فكان فى سنة ثمانى عشرة كما سيأتى قريباً إن شاء الله تعالى .

قال أبو مخنف : لما قدم عمر الشام فرأى غوطة دمشق ونظر إلى المدينة والقصور والبساتين تلا قوله تعالى [كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوماً آخرين] ثم أنشد قول النابغة .

هما فتيا دهر يكرُّ عليهما * نهارٌ وليلٌ يلحقان التواليا
إذا ما هما مرّا بحيٍّ بغبطةٍ * أناخا بهم حتى يلاقوا الدواهيا

وهذا يقتضى بادى الرأى أنه دخل دمشق وليس كذلك ، فانه لم ينقل أحد أنه دخلها فى شئ من قدماته الثلاث إلى الشام ، أما الأولى وهى هذه فانه سار من الجابية إلى بيت المقدس ، كما ذكر سيف وغيره والله أعلم وقال الواقدى أما رواية غير أهل الشام فهى أن عمر دخل الشام مرتين ورجع الثالثة من سرغ سنة سبع عشرة وهم يقولون دخل فى الثالثة دمشق وحمص وأنكر الواقدى ذلك .

قلت : ولا يعرف أنه دخل دمشق إلا فى الجاهلية قبل إسلامه كما بسطنا ذلك فى سيرته . وقد روينا أن عمر حين دخل بيت المقدس سأل كعب الأحبار عن مكان الصخرة فقال : يا أمير المؤمنين اذرع من وادى جهنم كذا وكذا ذراعاً فهى ثمّ . فذرعوا فوجدوها وقد اتخذها النصارى مزبلة ، كما فعلت اليهود بمكان القمامة ، وهو المكان الذى صلب فيه المصلوب الذى شبه بعيسى فاعتقدت النصارى واليهود أنه المسيح . وقد كذبوا فى اعتقادهم هذا كما نص الله تعالى على خطئهم فى ذلك . والمقصود أن النصارى لما حكموا على بيت المقدس قبل البعثة بنحو من ثلثمائة سنة ، طهروا مكان القمامة واتخذوه كنيسة هائلة بنتها أم الملك قسطنطين بانى المدينة المنسوبة اليه ، واسم أمه هيلانة الحرانية البندقانية . وأمرت ابنها فبنى للنصارى بيت لحم على موضع الميلاد ، وبنت هى على موضع القبر فيما يزعمون . والغرض أنهم اتخذوا مكان قبلة اليهود مزبلة أيضا ، فى مقابلة ماصنعوا فى قديم الزمان وحديثه . فلما فتح عمر بيت المقدس وتحقق موضع الصخرة ، أمر بازالة ماعليها من الكناسة حتى قيل إنه كنسها بردائه ، ثم استشار كعباً أين يضع المسجد ؟ فأشار عليه بأن يجعله وراء الصخرة ، فضرب فى صدره وقال . يا ابن أم كعب ضارعت اليهود : وأمر ببنائه فى مقدم بيت المقدس .

قال الامام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ثنا حماد بن سلمة عن أبى سنان عن عبيد بن آدم وأبى مريم وأبى شعيب أن عمر بن الخطاب كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس ، قال قال ابن سلمة : فحدثنى أبو سنان عن عبيد بن آدم سمعت عمر يقول لكعب : أين ترى أن أصلى ؟ قال إن أخذت عنى صليت خلف الصخرة وكانت القدس كلها بين يديك ، فقال عمر ضاهيت اليهودية لا ولكن أصلى حيث صلى رسول الله (ص) ، فتقدم إلى القبلة فصلى ، ثم جاء فبسط رداءه وكنس الكناسة فى ردائه وكنس الناس . وهذا إسناد جيد أختاره الحافظ ضياء الدين المقدسى فى كتابه المستخرج ، وقد تكلمنا على رجاله فى كتابنا الذى أفردناه فى مسند عمر ، ما رواه من الأحاديث المرفوعة وما روى عنه من الآثار الموقوفة مبوباً على أبواب الفقه ولله الحمد والمنة .

وقد روى سيف بن عمر عن شيوخه عن سالم قال : لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق ،

فقال السلام عليك يا فاروق ، أنت صاحب إيلياء ؟ لا هالله لا ترجع حتى يفتح الله عليك إيلياء .

وقد روى أحمد بن مروان الدينورى عن محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن الهيثم بن عدى عن أسامة ابن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم مولى عمر بن الخطاب أنه قدم دمشق فى تجار من قريش ، فلما خرجوا تخلف عمر لبعض حاجته ، فبينما هو فى البلد إذا ببطريق يأخذ بعنقه ، فذهب ينازعه فلم يقدر ، فأدخله دارا فيها تراب وفأس ومجرفة وزنبيل ، وقال له : حول هذا من ههنا إلى ههنا ، وغلق عليه الباب وانصرف فلم يجئ إلى نصف النهار . قال : وجلست مفكراً ولم أفعل مما قال لى شيئاً . فلما جاء قال : مالك لم تفعل ؟ ولكمنى فى رأسى بيده قال : فأخذت الفأس فضربته بها فقتلته وخرجت على وجهى فجئت ديراً لراهب فجلست عنده من العشى ، فأشرف على فنزل وأدخلنى الدير فأطعمنى وسقانى ، وأتحفنى ، وجعل يحقق النظر فى ، وسألنى عن أمرى فقلت : إنى أضللت أصحابى . فقال : إنك لتنظر بعين خائف ، وجعل يتوسمنى ، ثم قال : لقد علم أهل دين النصرانية أنى أعلمهم بكتابهم ، وإنى لأراك الذى تخرجنا من بلادنا هذه ، فهل لك أن تكتب لى كتاب أمان على ديرى هذا ؟ فقلت : يا هذا لقد ذهبت غير مذهب . فلم يزل بى حتى كتبت له صحيفة بما طلب منى ، فلما كان وقت الانصراف أعطانى أتاناً فقال لى اركبها ، فاذا وصلت إلى أصحابك فابعث إلى بها وحدها فانها لا تمر بدير إلا أكرموها . ففعلت ما أمرنى به ، فلما قدم عمر لفتح بيت المقدس أتاه ذلك الراهب وهو بالجابية بتلك الصحيفة فأمضاها له عمر واشترط عليه ضيافة من يمر به من المسلمين ، وأن يرشدهم إلى الطريق . رواه ابن عساكر وغيره . وقد ساقه ابن عساكر من طريق أخرى فى ترجمة يحيى بن عبيد الله بن أسامة القرشى البلقاوى عن زيد بن أسلم عن أبيه فذكر حديثا طويلا عجيباً هذا بعضه . وقد ذكرنا الشروط العمرية على نصارى الشام مطولا فى كتابنا الاحكام ، وأفردنا له مصنفاً على حدة ولله الحمد والمنة .

وقد ذكرنا خطبته فى الجابية بألفاظها وأسانيدها فى الكتاب الذى أفردناه لمسند عمر ، وذكرنا تواضعه فى دخوله الشام فى السيرة التى أفردناها له .

وقال أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنى الربيع بن ثعلب نا أبو إسماعيل المؤدب عن عبد الله بن مسلم ابن هرمز المكى عن أبى الغالية الشامى قال : قدم عمر بن الخطاب الجابية على طريق إيلياء على جمل أورق ، تلوح صلعته للشمس ، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة ، تصطفق رجلاه بين شعبتى الرحل بلا ركاب ، وطاؤه كساء انبجانى ذو صوف هو وطاؤه إذا ركب ، وفراشه إذا نزل ، حقيبته نمرة أو شملة محشوة ليفاً ، هى حقيبته اذا ركب ووسادته إذا نزل وعليه قميص من كرابيس قد رسم وتخرق جنبه . فقال : ادعوا لى رأس القوم ، فدعوا له الجلومس ، فقال : اغسلوا قميصى وخيطوه وأعيرونى ثوباً أو قميصاً .

فأتى بقميص كتان فقال : ماهذا ؟ قالوا : كتان . قال : وما الكتان ؟ فأخبروه فنزع قميصه فغسل ورقع وأتى به فنزع قميصهم ولبس قميصه . فقال له الجلومس : أنت ملك العرب وهذه بلاد لا تصلح بها الابل ، فلو لبست شيئاً غير هذا وركبت برذوناً لكان ذلك أعظم فى أعين الروم . فقال : نحن قوم أعزنا الله بالاسلام فلا نطلب بغير الله بديلا . فأتى ببرذون فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل فركبه بها فقال : احبسوا احبسوا ، ما كنت أرى الناس يركبون الشيطان قبل هذا فأتى بجمله فركبه .

وقال إسماعيل بن محمد الصفار : حدثنا سعدان بن نصر حدثنا سفيان عن أيوب الطائى عن قيس ابن مسلم عن طارق بن شهاب قال : لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع موقيه فأمسكهما بيده ، وخاض الماء ومعه بعيره : فقال له أبو عبيدة : قد صنعت اليوم صنيعاً عظيما عند أهل الأرض ، صنعت كذا وكذا ، قال : فصك فى صدره وقال : أو لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة ، إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس ، فأعزكم الله بالاسلام فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله .

قال ابن جرير : وفى هذه السنة — أعنى سنة خمس عشرة — كانت بين المسلمين وفارس وقعات فى قول سيف بن عمر . وقال ابن إسحاق والواقدى : إنما كان ذلك فى سنة ست عشرة ، ثم ذكر ابن جرير وقعات كثيرة كانت بينهم ، وذلك حين بعث عمر بن الخطاب الى سعد بن أبى وقاص يأمره بالمسير إلى المدائن ، وأن يخلف النساء والعيال بالعقيق (١) فى خيل كثيرة كثيفة . فلما تفرغ سعد من القادسية بعث على المقدمة زهرة بن حوية ، ثم أتبعه بالأمراء واحداً بعد واحد ، ثم سار فى الجيوش وقد جعل هاشم بن عتبة بن أبى وقاص على خلافته مكان خالد بن عرفطة ، وجعل خالداً هذا على الساقة ، فساروا فى خيول عظيمة ، وسلاح كثير ، وذلك لأيام بقين من شوال من هذه السنة ، فنزلوا الكوفة وارتحل زهرة بين أيديهم نحو المدائن ، فلقيه بها بصبُهرى فى جيش من فارس فهزمهم زهرة وذهبت الفرس فى هزيمتهم إلى بابل وبها جمع كثير ممن انهزم يوم القادسية قد جعلوا عليهم الفيرزان ، فبعث زهرة إلى سعد فأعلمه باجتماع المنهزمين ببابل ، فسار سعد بالجيوش إلى بابل ، فتقابل هو والفيرزان عند بابل فهزمهم كأسرع من لفة الرداء ، وانهزموا بين يديه فرقتين ففرقة ذهبت إلى المدائن ، وأخرى سارت إلى نهاوند ، وأقام سعد ببابل أياما ثم سار منها نحو المدائن فلقوا جمعاً آخر من الفرس فاقتتلوا قتالا شديداً وبارزوا أمير الفرس ، وهو شهريار ، فبرز إليه رجل من المسلمين يقال له نائل الأعرجى أبو نباتة من شجعان بنى تميم ، فتجاولا ساعة بالرماح ، ثم ألقياها فانتضيا سيفيهما وتصاولا بهما ، ثم تعانقا وسقطا عن فرسيهما إلى الأرض ، فوقع شهريار على صدر أبى نباتة ، وأخرج خنجراً ليذبحه بها ، فوقعت أصبعه فى فم أبى نباتة فقضمها حتى شغله عن نفسه ، وأخذ الخنجر فذبح شهريار بها وأخذ

(١) العقيق : كذا فى الاصلين وفى ابن جرير بالعتيق .

فرسه وسواريه وسلبه ، وانكشف أصحابه فهزموا ، فأقسم سعد على نائل ليلبس سوارى شهريار وسلاحه ، وليركبن فرسه إذا كان حرب فكان يفعل ذلك . قالوا : وكان أول من تسور بالعراق : وذلك بمكان يقال له كوثى . وزار المكان الذى حبس فيه الخليل وصلى عليه وعلى سائر الأنبياء : وقرأ [وتلك الأيام نداولها بين الناس] الآية

وقعة نهر شير (١)

قالوا : ثم قدّم سعد زهرة بين يديه من كوثى الى نهرشير فمضى إلى المقدمة وقد تلقاه شيرزاذ إلى ساباط بالصلح والجزية فبعثه إلى سعد فأمضاه ، ووصل سعد بالجنود إلى مكان يقال له مظلم ساباط ، فوجدوا هنالك كتائب كثيرة لكسرى يسمونها بوران ، وهم يقسمون كل يوم لايزول ملك فارس ماعشنا ، ومعهم أسد كبير لكسرى يقال له المقرَّط ، قد أرصدوه فى طريق المسلمين فتقدم إليه ابن أخى سعد ، وهو هاشم بن عتبة ، فقتل الأسد والناس ينظرون وسمى يومئذ سيفه المتين (٢) وقبل سعد يومئذ رأس هاشم ، وقبل هاشم قدم سعد . وحمل هاشم على الفرس فأزالهم عن أماكنهم وهزمهم وهو يتلو قوله تعالى [أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال] فلما كان الليل ارتحل المسلمون ونزلوا نهرشير فجعلوا كلما وقفوا كبروا وكذلك حتى كان آخرهم مع سعد فأقاموا بها شهرين ودخلوا فى الثالث وفرغت السنة .

قال ابن جرير : وفيها حج بالناس عمر وكان عامله فيها على مكة عتاب بن أسيد ، وعلى الشام أبو عبيدة ، وعلى الكوفة والعراق سعد ، وعلى الطائف يعلى بن أمية (٣) وعلى البحرين واليمامة عثمان بن أبى العاص ، وعلى عمان حذيفة بن محصن .

قلت : وكانت وقعة اليرموك فى سنة خمس عشرة فى رجب منها عند الليث بن سعد وابن لهيعة وأبى معشر والوليد بن مسلم ويزيد بن عبيدة وخليفة بن خياط وابن الكلبى ومحمد بن عائذ وابن عساكر وشيخنا أبى عبد الله الذهبى الحافظ . وأما سيف بن عمر وأبو جعفر بن جرير فذكروا وقعة اليرموك فى سنة ثلاث عشرة . وقد قدمنا ذكرها هنالك تبعاً لابن جرير ، وهكذا وقعة القادسية عند بعض الحفاظ أنها كانت فى أواخر هذه السنة ـ سنة خمس عشرة ـ وتبعهم فى ذلك شيخنا الحافظ الذهبى . والمشهور أنها كانت فى سنة أربع عشرة كما تقدم ثم ذكر شيخنا الذهبى .

من توفي في هذه السنة مرتبين على الحروف

سعد بن عبادة الأنصارى الخزرجى ، وهو أحد أقوال المؤرخين . وقد تقدم * سعد بن عبيد بن

---

(١) وفى فتوح العجم والعراق للواقدى « نهمشير » . وفى الطبرى « بَهُرَسِير » .

(٢) كذا بالأصلين . وفى الطبرى « المتن » بفتح النونين . (٣) فى الطبرى « منية »

النعمان أبو زيد الأنصاری الأوسی ، قتل بالقادسية ، و يقال إنه أبو زيد القاری أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن علی عهد رسول الله (ص.) . وأنكر آخرون ذلك ، و يقال إنه والد عمير بن سعد الزاهد أمير حمص . وذكر محمد بن سعد وفاته بالقادسية وقال : كانت فی سنة ست عشرة والله أعلم * سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن حسل بن عامر بن لؤی أبو يزيد العامری أحد خطباء قريش وأشرافهم ، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وكان سمحاً جواداً فصيحاً كثير الصلاة والصوم والصدقة وقراءة القرآن والبكاء . و يقال إنه قام وصام حتی شحب لونه . وله سعی مشكور فی صلح الحديبية . ولما مات رسول الله (ص.) خطب الناس بمكة خطبة عظيمة تثبت الناس علی الاسلام ، وكانت خطبته بمكة قريباً من خطبة الصديق بالمدينة ، ثم خرج فی جماعة إلی الشام مجاهداً فحضر اليرموك وكان أميراً علی بعض الكراديس ، و يقال إنه استشهد يومئذ . وقال الواقدی والشافعی : توفی بطاعون عمواس * عامر بن مالك بن أهيب الزهری أخی سعد بن أبی وقاص ، هاجر إلی الحبشة ، وهو الذی قدم بكتاب عمر إلی أبی عبيدة بولايته علی الشام وعزل خالد عنها ، استشهد يوم اليرموك * عبد الله بن سفيان بن عبد الأسد المخزومی ، صحابی هاجر إلی الحبشة مع عمه أبی سلمة بن عبد الأسد . روی عنه عمرو بن دينار منقطعاً لانه قتل يوم اليرموك * عبد الرحمن بن العوام ، أخو الزبير ابن العوام ، حضر بدراً مشركا ثم أسلم واستشهد يوم اليرموك فی قول * عتبة بن غزوان ، توفی فيها فی قول * عكرمة بن أبی جهل استشهد باليرموك فی قول * عمرو بن أم مكتوم استشهد يوم القادسية وقد تقدم ، و يقال بل رجع إلی المدينة * عمرو بن الطفيل بن عمرو تقدم * عامر بن أبی ربيعة تقدم * فراس بن النضر بن الحارث يقال استشهد يوم اليرموك * قيس بن عدی بن سعد بن سهم من مهاجرة الحبشة قتل باليرموك * قيس بن أبی صعصعة * عمرو بن زيد بن عوف الأنصاری المازنی شهد العقبة و بدراً ، وكان أحد أمراء الكراديس يوم اليرموك ، وقتل يومئذ ، وله حديث قال : قلت يارسول الله فی كم أقرأ القرآن ؟ قال : « فی خمس عشرة » الحديث ، قال شيخنا أبو عبد الله الذهبی : ففيه دليل علی أنه ممن جمع القرآن فی عهد رسول الله (ص.) * نصير بن الحارث بن علقمة بن كلدة ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قصی القرشی العبدری ، أسلم عام الفتح ، وكان من علماء قريش ، وأعطاه رسول الله (ص.) يوم حنين مائة من الابل ، فتوقف فی أخذها وقال : لا أرتشی علی الاسلام ، ثم قال : والله ماطلبتها ولاسألتها ، وهی عطية من رسول الله (ص.) ، فأخذها وحسن إسلامه ، واستشهد يوم اليرموك * نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله (ص.) ، كان أسن من أسلم من بنی عبد المطلب ، وكان ممن أسر يوم بدر ففاداه العباس ، و يقال إنه هاجر أيام الخندق وشهد الحديبية والفتح ، وأعان رسول الله (ص.) يوم حنين بثلاثة آلاف رمح ، وثبت يومئذ وتوفی سنة خمس عشرة ،

وقيل سنة عشرين والله أعلم ، توفى بالمدينة وصلى عليه عمر ومشى فى جنازته ودفن بالبقيع وخلف عدة أولاد فضلاء وأكابر * هشام بن العاص أخو عمرو بن العاص تقدم وقال ابن سعد : قتل يوم اليرموك .

ثم دخلت سنة ست عشرة

استهلت هذه السنة وسعد بن أبى وقاص منازل مدينة نهرشير ، وهى إحدى مدينتى كسرى مما يلى دجلة من الغرب ، وكان قدوم سعد إليها فى ذى الحجة من سنة خمس عشرة ، واستهلت هذه السنة وهو نازل عندها . وقد بعث السرايا والخيول فى كل وجه ، فلم يجدوا واحداً من الجند ، بل جمعوا من الفلاحين مائة ألف فحبسوا حتى كتب إلى عمر ما يفعل بهم ، فكتب إليه عمر : إن من كان من الفلاحين لم يعن عليكم وهو مقيم ببلده فهو أمانه ، ومن هرب فأدركتموه فشأنكم به . فأطلقهم سعد بعد مادعاهم إلى الاسلام فأبوا إلا الجزية . ولم يبق من غربى دجلة إلى أرض العرب أحد من الفلاحين إلا تحت الجزية والخراج ، وامتنعت نهرشير من سعد أشد الامتناع ، وقد بعث إليهم سعد سلمان الفارسى فدعاهم إلى الله عز وجل أو الجزية أو المقاتلة ، فأبوا إلا المقاتلة والعصيان ، ونصبوا المجانيق والدبابات ، وأمر سعد بعمل المجانيق فعملت عشرون منجنيقاً ، ونصبت على نهرشير ، واشتد الحصار وكان أهل نهرشير يخرجون فيقاتلون قتالا شديداً ويحلفون أن لا يفروا أبداً ، فأكذبهم الله وهزمهم زهرة بن حوية بعد ما أصابه سهم وقتل بعد مصابه كثيراً من الفرس وفروا بين يديه ولجأوا إلى بلدهم ، فكانوا يحاصرون فيه أشد الحصار ، وقد انحصر أهل البلد حتى أكلوا الكلاب والسنانير وقد أشرف رجل منهم على المسلمين فقال : يقول لكم الملك : هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة إلى جبلنا ، ولكم مايليكم من دجلة إلى جبلكم ؟ أما شبعتم ؟ لا أشبع الله بطونكم . قال : فبدر الناس رجل يقال له أبو مقرن الأسود بن قطبة فأنطقه الله بكلام لم يدر ماقال لهم ، قال : فرجع الرجل ورأيناهم يقطعون من نهرشير إلى المدائن . فقال الناس لأبى مقرن : ماقلت لهم ؟ فقال : والذى بعث محمداً بالحق ما أدرى ما قلت لهم إلا أن على سكينة وأنا أرجو أن أكون قد انطقت بالذى هو خير ، وجعل الناس ينتابونه يسألونه عن ذلك ، وكان فيمن سأله سعد بن أبى وقاص ، وجاءه سعد إلى منزله فقال : يا أبا مقرن ماقلت ؟ فوالله إنهم هراب . فحلف له أنه لا يدرى ما قال . فنادى سعد فى الناس ونهد بهم إلى البلد والمجانيق تضرب فى البلد ، فنادى رجل من البلد بالأمان فأمناه ، فقال والله ما بالبلد أحد ، فتسور الناس السور فما وجدنا فيها أحداً إلا قد هربوا إلى المدائن . وذلك فى شهر صفر من هذه السنة فسألنا ذلك الرجل وأناساً من الأسارى فيها لأى شئ هربوا ؟ قالوا بعث الملك إليكم يعرض عليكم الصلح فأجابه ذلك الرجل بأنه لا يكون بينكم و بينه صلح أبداً حتى نأكل

عسل افريذين بأترج كوثى . فقال الملك : ياوِ يلاه إن الملائكة لتتكلم على ألسنتهم ، ترد علينا وتجيبنا عن العرب . ثم أمر الناس بالرحيل من هناك إلى المدائن فجازوا فى السفن منها إليها و بينهما دجلة ، وهى قريبة منها جداً ، ولما دخل المسلمون نهرشير لاح لهم القصر الأبيض من المدائن وهو قصر الملك الذى ذكره رسول الله ص أنه سيفتحه الله على أمته ، وذلك قريب الصباح ، فكان أول من رآه من المسلمين ضرار بن الخطاب ، فقال : الله أكبر أبيض كسرى ، هذا ماوعدنا الله و رسوله . ونظر الناس إليه فتتابعوا التكبير إلى الصبح .

ذكر فتح المدائن

لما فتح سعد نهرشير واستقر بها ، وذلك فى صفة لم يجد فيها أحداً ولاشيئاً مما يغنم ، بل قد تحولوا بكمالهم إلى المدائن وركبوا السفن وضموا السفن إليهم ، ولم يجد سعد رضى الله عنه شيئا من السفن وتعذر عليه تحصيل شئ منها بالكلية ، وقد زادت دجلة زيادة عظيمة واسودّ ماؤها ، و رمت بالزبد من كثرة الماء بها ، وأخبر سعد بأن كسرى يزدجرد عازم على أخذ الأموال والأمتعة من المدائن إلى حلوان ، وأنك إن لم تدركه قبل ثلاث فات عليك وتفارط الأمر . فخطب سعد المسلمين على شاطئ دجلة ، فحمد الله وأثنى عليه وقال إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون اليهم معه ، وهم يخلصون إليكم إذا شاؤا فينا وشونكم فى سفنهم ، وليس وراءكم شئ تخافون أن تؤتوا منه ، وقد رأيت أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا ، ألا إنى قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم . فقالوا جميعاً : عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل . فعند ذلك ندب سعد الناس إلى العبور ويقول : من يبدأ فيحمى لنا الفراض ـ يعنى ثغرة المخاضة من الناحية الأخرى ـ ليجوز الناس إليهم آمنين ، فانتدب عاصم بن عمرو وذو البأس من الناس قريب من ستمائة ، فأمّر سعد عليهم عاصم ابن عمرو فوقفوا على حافة دجلة فقال عاصم : من ينتدب معى لنكون قبل الناس دخولا فى هذا البحر فنحمى الفراض من الجانب الآخر ؟ فانتدب له ستون من الشجعان المذكورين ـ والأعاجم وقوف صفوفاً من الجانب الآخر ـ فتقدم رجل من المسلمين وقد أحجم الناس عن الخوض فى دجلة ، فقال : أتخافون من هذه النطفة ؟ ثم تلا قوله تعالى [وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله كتاباً مؤجلا] ثم أقحم فرسه فيها واقتحم الناس ، وقد افترق الستون فرقتين أصحاب الخيل الذكور وأصحاب الخيل الاناث . فلما رآهم الفرس يطفون على وجه الماء قالوا : ديوانا ديوانا . يقولون مجانين مجانين . ثم قالوا : والله ماتقاتلون إنساً بل تقاتلون جناً . ثم أرسلوا فرسانا منهم فى الماء يلتقون أول المسلمين ليمنعوهم من الخروج من الماء ، فأمر عاصم بن عمرو أصحابه أن يشرعوا لهم الرماح ويتوخوا الأعين ، ففعلوا ذلك بالفرس فقلعوا عيون خيولهم ، فرجعوا أمام المسلمين لا يملكون كف خيولهم حتى خرجوا من

الماء ، واتبعهم عاصم وأصحابه فساقوا وراءهم حتى طردوهم عن الجانب الآخر ، ووقفوا على حافة الدجلة من الجانب الآخر ونزل بقية أصحاب عاصم من الستمائة فى دجلة فخاضوها حتى وصلوا إلى أصحابهم من الجانب الآخر فقاتلوا مع أصحابهم حتى نفوا الفرس عن ذلك الجانب وكانوا يسمون الكتيبة الأولى كتيبة الأهوال ، وأميرها عاصم بن عمرو ، والكتيبة الثانية الكتيبة الخرساء وأميرها القعقاع بن عمرو . وهذا كله وسعد والمسلمون ينظرون إلى ما يصنع هؤلاء الفرسان بالفرس ، وسعد واقف على شاطئ دجلة . ثم نزل سعد ببقية الجيش ، وذلك حين نظروا إلى الجانب الآخر قد تحصن بمن حصل فيه من الفرسان المسلمين ، وقد أمر سعد المسلمين عند دخول الماء أن يقولوا : نستعين بالله ونتوكل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . ثم اقتحم بفرسه دجلة واقتحم الناس لم يتخلف عنه أحد ، فساروا فيها كأنما يسيرون على وجه الأرض حتى ملؤا ما بين الجانبين ، فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجالة ، وجعل الناس يتحدثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الأرض ، وذلك لما حصل لهم من الطمأنينة والأمن ، والوثوق بأمر الله ووعده ونصره وتأييده ، ولأن أميرهم سعد بن أبى وقاص أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وقد توفى رسول الله (ص) وهو عنه راض ، ودعا له . فقال « اللهم أجب دعوته ، وسدد رميته » والمقطوع به أن سعداً دعا لجيشه هذا فى هذا اليوم بالسلامة والنصر ، وقد رمى بهم فى هذا اليم فسددهم الله وسلمهم ، فلم يفقد من المسلمين رجل واحد غير أن رجلا واحداً يقال له غرقدة البارق ، ذل عن فرس له شقراء ، فأخذ القعقاع بن عمرو بلجامها ، وأخذ بيد الرجل حتى عدله على فرسه ، وكان من الشجعان ، فقال : عجز النساء أن يلدن مثل القعقاع بن عمرو . ولم يعدم للمسلمين شئ من أمتعتهم غير قدح من خشب لرجل يقال له مالك بن عامر ، كانت علاقته رثة فأخذه الموج ، فدعا صاحبه الله عز وجل ، وقال : اللهم لا تجعلنى من بينهم يذهب متاعى . فرده الموج إلى الجانب الذى يقصدونه فأخذه الناس ثم ردوه على صاحبه بعينه . وكان الفرس إذا أعيا وهو فى الماء يقيض الله له مثل النشز المرتفع فيقف عليه فيستريح ، وحتى أن بعض الخيل ليسير وما يصل الماء إلى حزامها ، وكان يوماً عظيما وأمراً هائلا ، وخطباً جليلا ، وخارقاً باهراً ، ومعجزة لرسول الله (ص) ، خلقها الله لأصحابه لم ير مثلها فى تلك البلاد ، ولا فى بقعة من البقاع ، سوى قضية العلاء بن الحضرمى المتقدمة ، بل هذا أجل وأعظم ، فان هذا الجيش كان أضعاف ذلك . قالوا : وكان الذى يساير سعد ابن أبى وقاص فى الماء سلمان الفارسى ، فجعل سعد يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل . والله لينصرن الله وليه وليظهرن الله دينه ، وليهزمن الله عدوه ، إن لم يكن فى الجيش بغى أو ذنوب تغلب الحسنات . فقال له سلمان : إن الاسلام جديد . ذللت لهم والله البحور كما ذلل لهم البر ، أما والذى نفس سلمان

بيسه ليخرجن منه أفواجاً كما دخلوا أفواجاً . فخرجوا منه كما قال سلمان لم يغرق منهم أحد ، ولم يفقدوا شيئا .

ولما استقل المسلمون على وجه الأرض خرجت الخيول تنفض أعرافها صاهلة ، فساقوا وراء الأعاجم حتى دخلوا المدائن ، فلم يجدوا بها أحداً ، بل قد أخذ كسرى أهله وما قدروا عليه من الأموال والأمتعة والحواصل وتركوا ما عجزوا عنه من الانعام والثياب والمتاع ، والآنية والالطاف والادهان ما لا يدرى قيمته . وكان فى خزانة كسرى ثلاثة آلاف ألف ألف ألف دينار ثلاث مرات فأخذوا من ذلك ما قدروا عليه وتركوا ما عجزوا عنه وهو مقدار النصف من ذلك أو ما يقاربه . فكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال ثم الكتيبة الخرساء ، فأخذوا فى سككها لا يلقون أحداً ولا يخشونه غير القصر الابيض ففيه مقاتلة وهو محصن .

فلما جاء سعد بالجيش دعا أهل القصر الأبيض ثلاثة أيام على لسان سلمان الفارسى ، فلما كان اليوم الثالث نزلوا منه وسكنه سعد واتخذ الايوان مصلى ، وحين دخله تلا قوله تعالى [كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين] ثم تقدم إلى صدره فصلى ثمان ركعات صلاة الفتح ، وذكر سيف فى روايته أنه صلاها بتسليمة واحدة وأنه جمع بالايوان فى صفر من هذه السنة فكانت أول جمعة جمعت بالعراق ، وذلك لأن سعداً نوى الاقامة بها ، وبعث إلى العيالات فأنزلهم دور المدائن واستوطنوها ، حتى فتحوا جلولاء وتكريت والموصل ، ثم تحولوا الى الكوفة بعد ذلك كما سنذكره . ثم أرسل السرايا فى إثر كسرى يزدجرد فلحق بهم طائفة فقتلوهم وشردوهم واستلبوا منهم أموالا عظيمة . وأكثر ما استرجعوا من ملابس كسرى وتاجه وحليه . وشرع سعد فى تحصيل ما هنالك من الأموال والحواصل والتحف ، مما لا يقوم ولا يحد ولا يوصف كثرة وعظمة . وقد روينا أنه كان هناك تماثيل من جص فنظر سعد إلى أحدها وإذا هو يشير بأصبعه إلى مكان ، فقال سعد : إن هذا لم يوضع هكذا سدى ، فأخذوا ما يسامت أصبعه فوجدوا قبالتها كنزاً عظيما من كنوز الأكاسرة الأوائل ، فأخرجوا منه أموالا عظيمة جزيلة ، وحواصل باهرة ، وتحفاً فاخرة . واستحوذ المسلمون على ما هنالك أجمع مما لم ير أحد فى الدنيا أعجب منه . وكان فى جملة ذلك تاج كسرى وهو مكلل بالجواهر النفيسة التى تحير الأبصار ، ومنطقته كذلك وسيفه وسواره وقباؤه وبساط إيوانه ، وكان مربعاً ستون ذراعا فى مثلها ، من كل جانب ، والبساط مثله سواء ، وهو منسوج بالذهب واللآلئ والجواهر الثمينة ، وفيه مصور جميع ممالك كسرى ، بلاده بأنهارها وقلاعها ، وأقاليمها ، وكنوزها ، وصفة الزروع والاشجار التى فى بلاده . فكان إذا جلس على كرسى مملكته ودخل تحت تاجه ، وتاجه معلق بسلاسل الذهب ، لأنه كان لا يستطيع أن يقله

على رأسه لثقله ، بل كان يجيء فيجلس تحته ثم يدخل رأسه تحت التاج والسلاسل الذهب تحمله عنه ، وهو يستره حال لبسه فاذا رفع الحجاب عنه خرت له الامراء سجوداً . وعليه المنطقة والسواران والسيف والقباء المرصع بالجواهر فينظر فى البلدان واحدة واحدة ، فيسأل عنها ومن فيها من النواب وهل حدث فيها شيء من الأحداث ؟ فيخبره بذلك ولاة الامور بين يديه . ثم ينتقل الى الاخرى ، وهكذا حتى يسأل عن أحوال بلاده فى كل وقت لايهمل أمر المملكة ، وقد وضعوا هذا البساط بين يديه تذكاراً له بشأن الممالك ، وهو إصلاح جيد منهم فى أمر السياسة . فلما جاء قدر الله زالت تلك الأيدى عن تلك الممالك والاراضى وتسلمها المسلمون من أيديهم قسراً ، وكسروا شوكتهم عنها وأخذوها بأمر الله صافية ضافية ، ولله الحمد والمنة . وقد جعل سعد بن أبى وقاص على الأقباض عمرو بن عمرو بن مقرن فكان أول ما حصل ما كان فى القصر الابيض ومنازل كسرى ، وسائر دور المدائن ، وما كان بالايوان مما ذكرنا ، وما يفد من السرايا الذين فى صحبة زهرة بن حوية ، وكان فيما رد زهرة بغل كان قد أدركه وغصبه من الفرس وكانت تحوطه بالسيوف فاستنقذه منهم وقال إن لهذا لشأناً فرده إلى الأقباض وإذا عليه سفطان فيهما ثياب كسرى وحليه . ولبسه الذى كان يلبسه على السرير كما ذكرنا ، وبغل آخر عليه تاجه الذى ذكرنا فى سفطين أيضاً ردا من الطريق مما استلبه أصحاب السرايا ، وكان فيما ردت السرايا أموال عظيمة وفيها أكثر أثاث كسرى وأمتعته والاشياء النفيسة التى استصحبوها معهم ، فلحقهم المسلمون فاستلبوها منهم . ولم تقدر الفرس على حمل البساط لثقله عليهم ، ولا حمل الاموال لكثرتها . فانه كان المسلمون يجيئون بعض تلك الدور فيجدون البيت ملآنا إلى أعلاه من أوانى الذهب والفضة ، ويجدون من الكافور شيئاً كثيراً ، فيحسبونه ملحاً ، وربما استعمله بعضهم فى العجين فوجدوه مراً حتى تبينوا أمره فتحصل الفيء على أمر عظيم من الأموال ، وشرع سعد نخمسه وأمر سلمان الفارسى(١) فقسم الاربعة الاخماس بين الغانمين ، فحصل لكل واحد من الفرسان اثنى عشر ألفاً ، وكانوا كلهم فرساناً ، ومع بعضهم جنائب ، واستوهب سعد أربعة أخماس البساط ولبس كسرى من المسلمين ، ليبعثه إلى عمر والمسلمين بالمدينة لينظروا إليه ويتعجبوا منه ، فطيبوا له ذلك وأذنوا فيه : فبعثه سعد إلى عمر مع الخمس مع بشير بن الخصاصية ، وكان الذى بشر بالفتح قبله حليس بن فلان الأسدى ، فروينا أن عمر لما نظر إلى ذلك قال إن قوماً أدوا هذا لأمناء ، فقال له على بن أبى طالب : إنك عففت فعفت رعيتك ، ولو رتعت لرتعت . ثم قسم عمر ذلك فى المسلمين فأصاب عليا قطعة من البساط فباعها بعشرين ألفاً ،

وقد ذكر سيف بن عمر أن عمر بن الخطاب ألبس ثياب كسرى لخشبة ونصبها أمامه ليرى الناس ما فى هذه الزينة من العجب ، وما عليها من زهرة الحياة الدنيا الفانية . وقد روينا أن عمر

(١) ـ ابن ربيعة الباهلي لا سلمان الفارسي .

ألبس ثياب كسرى لسراقة بن مالك بن جعشم أمير بنى مدلج رضى الله عنه .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى فى دلائل النبوة : أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهانى ثنا أبو سعيد ابن الأعرابى . قال وجدت فى كتابى بخط يدى عن أبى داود حدثنا محمد بن عبيد حدثنا حماد ثنا يونس عن الحسن أن عمر بن الخطاب أتى بفروة كسرى فوضعت بين يديه وفى القوم سراقة بن مالك بن جعشم ، قال فألقى إليه سوارى كسرى بن هرمز فجعلهما فى يده فبلغا منكبيه فلما رآهما فى يدى سراقة قال الحمد لله سوارى كسرى بن هرمز فى يدى سراقة بن مالك بن جعشم أعرابى من بنى مدلج . وذكر الحديث . هكذا ساقه البيهقى . ثم حكى عن الشافعى أنه قال : وإنما ألبسهما سراقة لأن رسول الله (ص) قال لسراقة ونظر إلى ذراعيه « كأنى بك وقد ألبست سوارى كسرى » قال الشافعى : وقد قال عمر لسراقة حين ألبسه سوارى كسرى : قل الله أكبر . فقال الله أكبر . ثم قال : قل الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك أعرابى من بنى مدلج . وقال الهيثم بن عدى : أخبرنا أسامة بن زيد الليثى ثنا القاسم بن محمد بن أبى بكر ، قال بعث سعد بن أبى وقاص أيام القادسية إلى عمر بقباء كسرى وسيفه ومنطقته وسواريه وسراويله وقميصه وتاجه وخفيه ، قال فنظر عمر فى وجوه القوم . وكان أجسمهم وأبدنهم قامة سراقة بن مالك بن جعشم فقال ياسراق قم فالبس ، قال سراقة فطمعت فيه فقمت فلبست فقال أدبر فأدبرت ، ثم قال أقبل فأقبلت ، ثم قال بخ بخ ، أعيرابى من بنى مدلج عليه قباء كسرى وسراويله وسيفه ومنطقته وتاجه وخفاه . رب يوم ياسراق بن مالك ، لو كان عليك فيه هذا من متاع كسرى وآل كسرى ، كان شرفاً لك ولقومك ، انزع . فنزعت . فقال : اللهم إنك منعت هذا رسولك ونبيك ، وكان أحب إليك منى وأكرم عليك منى . ومنعته أبا بكر وكان أحب إليك منى ، وأكرم عليك منى ، وأعطيتنيه فأعوذ بك أن تكون أعطيتنيه لتمكر بى . ثم بكى حتى رحمه من كان عنده . ثم قال لعبد الرحمن بن عوف : أقسمت عليك لما بعته ثم قسمته قبل أن تمسى .

وذكر سيف بن عمر التميمى : أن عمر حين ملك تلك الملابس والجواهر جئ بسيف كسرى ومعه عدة سيوف منها سيف النعمان بن المنذر نائب كسرى على الحيرة وأن عمر قال : الحمد لله الذى جعل سيف كسرى فيما يضره ولا ينفعه . ثم قال : إن قوما أدوا هذا لأمناء ، أو لذوا أمانة . ثم قال : إن كسرى لم يزد على أن تشاغل بما أوتى عن آخرته فجمع لزوج امرأته ، أو زوج ابنته ، ولم يقدم لنفسه ، ولو قدم لنفسه ووضع الفضول فى مواضعها لحصل له . وقد قال بعض المسلمين وهو أبو نجيد نافع بن الأسود فى ذلك :

وأملنا على المدائن خيلا * بحرها مثلُ برِّهنَّ أريضا

فانتشلنا خزائنَ المرءِ كسرى * يوم ولوْا وحاصَ منا جريضا

وقعة جلولاء

لما سار كسرى وهو يزدجرد بن شهريار من المدائن هاربا إلى حلوان شرع فى أثناء الطريق فى جمع رجال وأعوان وجنود ، من البلدان التى هناك ، فاجتمع إليه خلق كثير ، وجم غفير من الفرس وأمر على الجميع مهران ، وسار كسرى إلى حلوان فأقام الجمع الذى جمعه بينه وبين المسلمين فى جلولاء ، واحتفروا خندقاً عظيما حولها ، وأقاموا بها فى العدد والعدد وآلات الحصار ، فكتب سعد إلى عمر يخبره بذلك . فكتب إليه عمر أن يقيم هو بالمدائن ويبعث ابن أخيه هاشم بن عتبة أميراً على الجيش الذى يبعثه إلى كسرى ، ويكون على المقدمة القعقاع بن عمرو ، وعلى الميمنة سعد بن مالك وعلى الميسرة أخوه عمر بن مالك ، وعلى الساقة عمرو بن مرة الجهنى . ففعل سعد ذلك وبعث مع ابن أخيه جيشاً كثيفاً يقارب اثنى عشر ألفاً ، من سادات المسلمين ووجوه المهاجرين والأنصار ، ورءوس العرب . وذلك فى صفر من هذه السنة بعد فراغهم من أمر المدائن ، فساروا حتى انتهوا إلى المجوس وهم بجلولاء قد خندقوا عليهم ، فحاصرهم هاشم بن عتبة ، وكانوا يخرجون من بلدهم للقتال فى كل وقت فيقاتلون قتالا لم يسمع بمثله . وجعل كسرى يبعث إليهم الأمداد ، وكذلك سعد يبعث المدد إلى ابن أخيه ، مرة بعد أخرى . وحمى القتال ، واشتد النزال ، واضطرمت نار الحرب ، وقام فى الناس هاشم فخطبهم غير مرة ، فحرضهم على القتال والتوكل على الله . وقد تعاقدت الفرس وتعاهدت ، وحلفوا بالنار أن لا يفروا أبداً حتى يفنوا العرب . فلما كان الموقف الأخير وهو يوم الفيصل والفرقان ، تواقفوا من أول النهار ، فاقتتلوا قتالا شديداً لم يعهد مثله حتى فنى النشاب من الطرفين ، وتقصفت الرماح من هؤلاء ومن هؤلاء ، وصاروا إلى السيوف والطبرزنيات ، وحانت صلاة الظهر فصلى المسلمون إيماءً ، وذهبت فرقة المجوس وجاءت مكانها أخرى ، فقام القعقاع بن عمرو فى المسلمين فقال : أهالكم مارأيتم أيها المسلمون ؟ قالوا : نعم إنا كالّون وهم مريحون ، فقال : بل إنا حاملون عليهم ومجدون فى طلبهم ، حتى يحكم الله بيننا ، فاحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى نخالطهم ، فحمل وحمل الناس ، فأما القعقاع فانه صمم الحملة فى جماعة من الفرسان والأبطال والشجعان ، حتى انتهى إلى باب الخندق ، وأقبل الليل بظلامه وجالت بقية الأبطال بمن معهم فى الناس وجعلوا يأخذون فى التحاجز من أجل إقبال الليل وفى الأبطال يومئذ طليحة الأسدى ، وعمرو بن معدى كرب الزبيدى ، وقيس بن مكشوح ، وحجر بن عدى . ولم يعلموا بما صنعه القعقاع فى ظلمة الليل ، ولم يشعروا بذلك ، لولا مناديه ينادى : أين أيها المسلمون ، هذا أميركم على باب خندقهم . فلما سمع ذلك المجوس فروا وحمل المسلمون نحو القعقاع بن عمرو فاذا هو على باب الخندق قد ملكه

عليهم ،وهربت الفرس كل مهرب ، وأخـذهم المسلمون من كل وجه ، وقعدوا لهم كل مرصد ، فقتل منهم فى ذلك الموقف مائة ألف حتى جللوا وجه الأرض بالقتلى ، فلذلك سميت جلولاء . وغنموا من الاموال والسلاح والذهب والفضة قريباً مما غنموا من المدائن قبلها

و بعث هاشم بن عتبـة القعقاع بن عمرو فى إثر من انهزم منهم و راء كسرى ، فساق خلفهم حتى أدرك مهران منهزماً ، فقتله القعقاع بن عمر و ، وأفلتهم الفيرزان فاستمر منهزماً ، وأسر سبايا كثيرة بعث بها إلى هاشم بن عتبة ، وغنموا دواب كثيرة جداً . ثم بعث هاشم بالغنائم والأموال إلى عمه سعد بن أبى وقاص فنفل سعد ذوى النجدة ثم أمر بقسم ذلك على الغانمين .

قال الشعبى : كان المال المتحصل من وقعة جلولاء ثلاثين ألف ألف ، فـكان خمسه ستة آلاف ألف وقال غيره : كان الذى أصاب كل فارس يوم جلولاء نظير ما حصل له يوم المدائن – يعنى اثنى عشر ألفاً لـكل فارس – وقيل أصاب كل فارس تسعة آلاف وتسع دواب . وكان الذى ولى قسم ذلك بين المسلمين وتحصيله ، سلمان الفارسى رضى الله عنه . ثم بعث سعد بالأخماس من المال والرقيق والدواب مع زياد بن أبى سـفيان ، وقضاعى بن عمر و ، وأبى مقرن الاسود . فلما قدموا على عمر سأل عمر زياد بن أبى سفيان عن كيفية الوقعـة فذكرها له ، وكان زياد فصيحاً ، فأعجب إيراده لهـا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأحب أن يسمع المسلمون منه ذلك ، فقال له : أتستطيع أن تخطب الناس بما أخبرتنى به ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إنه ليس أحـد على وجه الارض أهيب عنـدى منك ، فـكيف لا أقوى على هذا مع غيرك ؟ فقام فى الناس فقص عليهم خبر الوقعة ، وكم قتلوا ، وكم غنموا ، بعبارة عظيمة بليغة فقال عمر : إن هذا لهو الخطيب المصقع – يعنى الفصيح – فقال زياد : إن جندنا أطلقوا بالفعال لساننا . ثم حلف عمر بن الخطاب أن لا يجن هـذا المال الذى جاؤا به سـقف حتى يقسمه ، فبات عبد الله بن أرقم وعبد الرحمن بن عوف يحرسانه فى المسجد ، فلما أصبح جاء عمر فى الناس ، بعـد ما صلى الغداة وطلعت الشمس ، فأمر فـكشف عنـه جلابيبه ، فلما نظر إلى ياقوته وزبرجده وذهبه الاصفر وفضته البيضاء ، بكى عمر ، فقال له عبد الرحمن : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله إن هذا لموطن شكر ، فقال عمر : والله ما ذاك يبكينى ، وتالله ما أعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا وتباغضوا ، ولا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم . ثم قسمه كما قسم أموال القادسية .

و روى سـيف بن عمر عن شيوخه أنهم قالوا : وكان فتح جلولاء فى ذى القعدة من سـنة سنة عشر ، وكان بينه و بين فتح المدائن تسعة أشهر وقد تـكلم ابن جرير ههنا فيما رواه عن سيف على ما يتعلق بأرض السواد وخراجها ، وموضع تحرير ذلك كتاب الاحكام .

وقد قال هاشم بن عتبة فى يوم جلولاء :

يومُ جلولاءَ ويومُ رستمٍ * ويومُ زحفِ الكوفةِ المقدمِ
ويومُ عرضِ الشهرِ المحرمِ * وأيامٌ خلتْ من بينهنّ صرمِ
شيّبن أصدغي فهي هرم * مثلُ ثغامِ البلدِ المحرّمِ

وقال أبو نجيد فى ذلك :

ويومُ جلولاءَ الوقيعةُ أصبحتْ * كتائبنا تردى بأسدٍ عوابسِ
فضضتُ جموعَ الفرسِ ثم أنمتهم * فتباً لأجسادِ المجوسِ النجائسِ
وأفلتهنّ الفيرزانُ بجرعةٍ * ومهرانُ أردتْ يومَ حزِ القوانسِ
أقاموا بدارٍ للمنيةِ موعدٌ * وللتربِ تحثوها خجوجُ الروامسِ

ذكر فتح حلوان

ولما انقضت الوقعة أقام هشام بن عتبة بجلولاء عن أمر عمر بن الخطاب ـ فى كتابه إلى سعد ـ وتقدم القعقاع بن عمرو إلى حلوان ، عن أمر عمر أيضاً ليكون ردءاً للمسلمين هنالك ، ومرابطاً لكسرى حيث هرب . فسار كما قدمنا ، وأدرك أمير الوقعة وهو مهران الرازى ، فقتله وهرب منه الفيرزان ، فلما وصل إلى كسرى وأخبره بما كان من أمر جلولاء ، وما جرى على الفرس بعده ، وكيف قتل منهم مائة ألف ، وأدرك مهران فقتل ، هرب عند ذلك كسرى من حلوان إلى الرى ، واستناب على حلوان أميراً يقال له خسروشنوم ، فتقدم إليه القعقاع بن عمرو ، وبرز إليه خسروشنوم إلى مكان خارج من حلوان ، فاقتتلوا هنالك قتالا شديداً ثم فتح الله ونصر المسلمين وانهزم خسروشنوم ، وساق القعقاع إلى حلوان فتسلمها ودخلها المسلمون فغنموا وسبوا ، وأقاموا بها ، وضربوا الجزية على من حولها من الكور والأقاليم ، بعد ما دعوا إلى الدخول فى الاسلام فأبوا إلا الجزية . فلم يزل القعقاع بها حتى تحول سعد من المدائن إلى الكوفة ، فسار إليها كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

فتح تكريت والموصل

لما افتتح سعد المدائن بلغه أن أهل الموصل قد اجتمعوا بتكريت على رجل من الكفرة يقال له الأنطاق ، فكتب إلى عمر بأمر جلولاء واجتماع الفرس بها ، وبأمر أهل الموصل ، فتقدم ما ذكرناه من كتاب عمر فى أهل جلولاء ، وما كان من أمرها . وكتب عمر فى قضية أهل الموصل الذين قد اجتمعوا بتكريت على الأنطاق ، أن يعين جيشاً لحربهم ، ويؤمر عليه عبد الله بن المعتم ، وان يجعل على مقدمته ربعى بن الأفكل الغزى ، وعلى الميمنة الحارث بن حسان الذهلى ، وعلى الميسرة فرات بن حيان العجلى ، وعلى الساقة هانىء بن قيس ، وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة . ففصل عبد الله ابن المعتم فى خمسة آلاف من المدائن ، فسار فى أربع حتى نزل بتكريت على الأنطاق ، وقد اجتمع

إليه جماعة من الروم ، ومن الشهارجة ، ومن نصارى العرب ، من إياد وتغلب والنمر . وقد أحدقوا بتكريت ، فحاصرهم عبد الله بن المعتم أربعين يوماً . وزاحفوه فى هذه المدة أربعة وعشرين مرة ، ما من مرة إلا وينتصر عليهم ويفل جموعهم ، فضعف جانبهم ؛ وعزمت الروم على الذهاب فى السفن بأموالهم ، وراسل عبد الله بن المعتم إلى من هنالك من الأعراب ، فدعاهم إلى الدخول معه فى النصرة على أهل البلد ، فجاءت القصاد إليه عنهم بالاجابة إلى ذلك ، فأرسل إليهم : إن كنتم صادقين فيما قلتم فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأقروا بما جاء من عند الله . فرجعت القصاد إليه بأنهم قد أسلموا فبعث إليهم : ان كنتم صادقين فاذا كبرنا وحملنا على البلد الليلة فأمسكوا علينا أبواب السفن ، وامنعوهم أن يركبوا فيها ، واقتلوا منهم من قدرتم على قتله . ثم شد عبد الله وأصحابه ، وكبروا تكبيرة رجل واحد ، وحملوا على البلد فكبرت الأعراب من الناحية الأخرى ، فحار أهل البلد ، وأخذوا فى الخروج من الابواب التى تلى دجلة ، فتلقتهم إياد والنمر وتغلب ، فقتلوهم قتلا ذريعاً ، وجاء عبد الله بن المعتم بأصحابه من الابواب الأخر فقتل جميع أهل البلد عن بكرة أبيهم ، ولم يسلم إلا من أسلم من الأعراب من إياد وتغلب والنمر ، وقد كان عمر عهد فى كتابه إذا نصروا على تكريت أن يبعثوا ربعى بن الأفكل إلى الحصنين وهى الموصل سريعاً ، فسار إليها كما أمر عمر ، ومعه سرية كثيرة ، وجماعة من الابطال ، فسار إليها حتى فجئها قبل وصول الاخبار إليها ، فما كان إلا أن وافقها حتى أجابوا إلى الصلح فضربت عليهم الذمة عن يد وهم صاغرون ، ثم قسمت الاموال التى تحصلت من تكريت ، فبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف ، وسهم الراجل ألف درهم . وبعثوا بالاخماس مع فرات بن حيان ، وبالفتح مع الحارث بن حسان ، وولى إمرة حرب الموصل ربعى بن الأفكل ، وولى الخراج بها عرفجة بن هرثمة .

فتح ماسبذان من ارض العراق

لما رجع هاشم بن عتبة من جلولاء إلى عمر بالمدائن ، بلغ سعداً أن آذين بن الهرمزان قد جمع طائفة من الفرس ، فكتب إلى عمر فى ذلك ، فكتب إليه أن ابعث جيشاً وأمر عليهم ضرار ابن الخطاب . فخرج ضرار فى جيش من المدائن ، وعلى مقدمته ابن الهزيل الاسدى ، فتقدم ابن الهزيل بين يدى الجيش ، فالتقى مع آذين وأصحابه قبل وصول ضرار إليه ، فكسر ابن الهزيل طائفة الفرس ، وأسر آذين بن الهرمزان ، وفرعنه أصحابه ، وأمر ابن الهزيل فضرب عنق آذين بين يديه ، وساق وراء المنهزمين حتى انتهى إلى ماسبذان — وهى مدينة كبيرة — فأخذها عنوة ، وهرب أهلها فى رءوس الجبال والشعاب ، فدعاهم فاستجابوا له ، وضرب على من لم يسلم الجزية ، وأقام نائباً عليها حتى تحول سعد من المدائن إلى الكوفة كما سيأتى .

فتح قرقيسيا وهيت في هذه السنة

قال ابن جرير وغيره : لما رجع هاشم من جلولاء إلى المدائن وكان أهل الجزيرة قد أمدوا أهل حمص على قتال أبي عبيدة وخالد ـ لما كان هرقل بقنسرين ـ واجتمع أهل الجزيرة فى مدينة هيت ، كتب سعد إلى عمر فى ذلك ، فكتب إليه أن يبعث إليهم جيشاً ، وأن يؤمر عليهم عمر بن مالك ابن عتبة بن نوفل بن عبد مناف ، فسار فيمن معه من المسلمين إلى هيت ، فوجدهم قد خندقوا عليهم ، فحاصرهم حيناً فلم يظفر بهم ، فسار فى طائفة من أصحابه واستخلف على محاصرة هيت الحارث ابن يزيد ، فراح عمر بن مالك إلى قرقيسيا فأخذها عنوة ، وأنابوا إلى بذل الجزية ، وكتب إلى نائبه على هيت : إن لم يصالحوا أن يحفر من وراء خندقهم خندقا ، ويجعل له أبوابا من ناحيته . فلما بلغهم ذلك أنابوا إلى المصالحة .

قال شيخنا أبو عبد الله الحافظ الذهبي : وفى هذه السنة بعث أبو عبيدة عمرو بن العاص بعد فراغه من اليرموك إلى قنسرين فصالح أهل حلب ، ومنبج ، وأنطاكية ، على الجزية . وفتح سائر بلاد قنسرين عنوة . قال : وفيها افتتحت سروج والرها على يدى عياض بن غنم .

قال : وفيها فيما ذكر ابن الكلبي سار أبو عبيدة وعلى مقدمته خالد بن الوليد ، فحاصر إيليا فسألوا الصلح على أن يقدم عمر فيصالحهم على ذلك ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر فقدم حتى صالحهم وأقام أياماً ثم رجع إلى المدينة . قلت : قد تقدم هذا فيما قبل هذه السنة والله أعلم .

قال الواقدى : وفى هذه السنة حمى عمر الربذة لخيل المسلمين ، وفيها غرّب عمر أبا محجن الثقفى إلى باضع[١] ، وفيها تزوج عبد الله بن عمر صفية بنت أبي عبيد . قلت : الذى قتل يوم الجسر ، وكان أمير السرية ، وهى أخت المختار بن أبي عبيد أمير العراق فيما بعد ، وكانت امرأة صالحة ، وكان أخوها فاجراً وكافراً أيضاً . قال الواقدى : وفيها حج عمر بالناس ، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت . قال : وكان نائبه على مكة عتاب ، وعلى الشام أبو عبيدة ، وعلى العراق سعد ، وعلى الطائف عثمان ابن أبي العاص ، وعلى اليمن يعلى بن أمية ، وعلى اليمامة والبحرين العلاء بن الحضرمى ، وعلى عمان حذيفة بن محصن ، وعلى البصرة المغيرة بن شعبة ، وعلى الموصل ربعى بن الأفكل ، وعلى الجزيرة عياض بن غنم الأشعرى .

قال الواقدى وفى ربيع الأول من هذه السنة ـ أعنى سنة ست عشرة ـ كتب عمر بن الخطاب التاريخ ، وهو أول من كتبه . قلت : قد ذكرنا سببه فى سيرة عمر ، وذلك أنه رفع إلى عمر صك مكتوب لرجل على آخر بدين يحل عليه فى شعبان ، فقال : أى شعبان ؟ أمن هذه السنة

(١) فى الاصلين : الى ما صنع وحكاية نفيه معروفة . وباضع عين أو جزيرة بساحل اليمن .

ام التي قبلها ، أم التي بعدها ؟ ثم جمع الناس فقال : ضعوا للناس شيئاً يعرفون فيه حلول ديونهم . فيقال إنهم أراد بعضهم أن يؤرخوا كما تؤرخ الفرس بملوكهم ، كلما هلك ملك أرخوا من تاريخ ولاية الذي بعده ، فكرهوا ذلك . ومنهم من قال : أرخوا بتاريخ الروم من زمان اسكندر فكرهوا ذلك ، ولطوله أيضاً . وقال قائلون : أرخوا من مولد رسول الله (ص) . وقال آخرون من مبعثه عليه السلام . وأشار علي بن أبي طالب وآخرون أن يؤرخ من هجرته من مكة إلى المدينة لظهوره لكل أحد فانه أظهر من المولد والمبعث . فاستحسن ذلك عمر والصحابة ، وأمر عمر أن يؤرخ من هجرة رسول الله (ص) وأرخوا من أول تلك السنة من محرمها ، وعند مالك رحمه الله فيما حكاه عن السهيلي وغيره أن أول السنة من ربيع الأول لقدومه عليه السلام إلى المدينة . والجمهور على أن أول السنة من المحرم ، لأنه أضبط لئلا تختلف الشهور ، فان المحرم أول السنة الهلالية العربية . وفي هذه السنة ـ أعني سنة ست عشرة ـ توفيت مارية أم إبراهيم بن رسول الله (ص) ، وذلك في المحرم منها فيما ذكره الواقدي وابن جرير وغير واحد ، وصلى عليها عمر بن الخطاب ، وكان يجمع الناس لشهود جنازتها ، ودفنت بالبقيع رضي الله عنها وأرضاها ، وهي مارية القبطية ، أهداها صاحب اسكندرية ـ وهو جريج بن مينا ـ في جملة تحف وهدايا لرسول الله (ص) ، فقبل ذلك منه ، وكان معها أختها شيرين التي وهبها رسول الله (ص) لحسان بن ثابت ، فولدت له ابنه عبد الرحمن بن حسان . ويقال أهدى المقوقس معهما جاريتين أخرتين ، فيحتمل أنهما كانتا خادمتين لمارية وسيرين . وأهدى معهن غلاماً خصياً اسمه مابور ، وأهدى مع ذلك بغلة شهباء اسمها الدلدل ، وأهدى حلة حرير من عمل الاسكندرية . وكان قدوم هذه الهدية في سنة ثمان . فحملت مارية من رسول الله (ص) بابراهيم عليه السلام ، فعاش عشرين شهراً ، ومات قبل أبيه رسول الله (ص) بسنة سواء . وقد حزن عليه رسول الله (ص) وبكى عليه وقال : تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلا مايرضي ربنا ، وإنا بك ياإبراهيم لمحزونون ، وقد تقدم ذلك في سنة عشر . وكانت مارية هذه من الصالحات الخيرات الحسان . وقد حظيت عند رسول الله (ص) وأعجب بها ، وكانت جميلة ملاحة ، أي حلوة ، وهي تشابه هاجر سرية الخليل ، فان كلا منهما من ديار مصر وتسراها نبي كريم ، وخليل جليل ، عليهما السلام .

ثم دخلت سنة سبع عشرة

في المحرم منها انتقل سعد بن أبي وقاص من المدائن إلى الكوفة ، وذلك أن الصحابة استوخموا المدائن ، وتغيرت ألوانهم ، وضعفت أبدانهم ، لكثرة ذبابها وغبارها ، فكتب سعد إلى عمر في ذلك ، فكتب عمر : إن العرب لا تصلح إلا حيث يوافق إبلها . فبعث سعد حذيفة وسلمان بن زياد يرتادان للمسلمين منزلا مناسباً يصلح لاقامتهم . فمرا على أرض الكوفة وهي حصباء في رملة حمراء ،

فأعجبتهما ووجد هنالك ديرات ثلاث دير حرقة بنت النعمان ،ودير أم عمرو ، ودير سلسلة ، وبين ذلك خصاص خلال هذه الكوفة ، فنزلا فصليا هنالك وقال كل واحد منهما : أللهم رب السماء وما أظلت ، ورب الأرض وما أقلت ، ورب الريح وما ذرت ، والنجوم وما هوت ، والبحار وما جرت ، والشياطين وما أضلت ، والخصاص وما أجنت ، بارك لنا فى هذه الكوفة واجعلها منزل ثبات . ثم كتبا إلى سعد بالخبر ، فأمر سعد باختطاط الكوفة ، وسار إليها فى أول هذه السنة فى محرمها ، فكان أول بناء وضع فيها المسجد . وأمر سعد رجلا رامياً شديد الرمى ، فرمى من المسجد إلى الأربع جهات فحيث سقط سهمه بنى الناس منازلهم ، وعمر قصراً تلقاء محراب المسجد للامارة وبيت المال ، فكان أول ما بنوا المنازل بالقصب ، فاحترقت فى أثناء السنة ، فبنوها باللبن عن أمر عمر ، بشرط أن لا يسرفوا ولا يجاوزوا الحد . وبعث سعد إلى الامراء والقبائل فقدموا عليه ، فأنزلهم الكوفة ، وأمر سعد أبا هياج الموكل بانزال الناس فيها بأن يعمروا ويدعوا للطريق المنهج وسع أربعين ذراعاً . ولما دون ذلك ثلاثين وعشرين ذراعاً ، وللازقة سبعة أذرع . وبنى لسعد قصر قريب من السوق ، فكانت غوغاء الناس تمنع سعداً من الحديث ، فكان يغلق بابه ويقول : سكن الصويت فلما بلغت هذه الكلمة عمر بن الخطاب بعث محمد بن مسلمة ، فأمره إذا انتهى إلى الكوفة أن يقدح زناده ويجمع حطباً ويحرق باب القصر ثم يرجع من فوره . فلما انتهى إلى الكوفة فعل ما أمره به عمر ، وأمر سعداً أن لا يغلق بابه عن الناس ، ولا يجعل على بابه أحداً يمنع الناس عنه ، فامتثل ذلك سعد وعرض على محمد بن مسلمة شيئاً من المال فامتنع من قبوله ، ورجع إلى المدينة ، واستمر سعد بعد ذلك فى الكوفة ثلاث سنين ونصف ، حتى عزله عنها عمر ، من غير عجز ولا خيانة .

أبو عبيدة وحصر الروم له بحمص وقدوم عمر الى الشام

وذلك أن جمعاً من الروم عزموا على حصار أبى عبيدة بحمص ، واستجاشوا بأهل الجزيرة ، وخلق ممن هنالك ، وقصدوا أبا عبيدة ، فبعث أبو عبيدة إلى خالد فقدم عليه من قنسرين ، وكتب إلى عمر بذلك ، واستشار أبو عبيدة المسلمين فى أن يناجز الروم أو يتحصن بالبلد حتى يجىء أمر عمر ؟ فكلهم أشار بالتحصن ، إلا خالداً فانه أشار بمناجزتهم ، فعصاه وأطاعهم . وتحصن بحمص وأحاط به الروم ، وكل بلد من بلدان الشام مشغول أهله عنه بأمرهم ، ولو تركوا ما هم فيه وأقبلوا إلى حمص لا نخرم النظام فى الشام كله . وكتب عمر إلى سعد أن يندب الناس مع القعقاع بن عمرو ، ويسيرهم إلى حمص من يوم يقدم عليه الكتاب ، نجدة لأبى عبيدة فانه محصور ، وكتب اليه أن يجهز جيشاً إلى أهل الجزيرة الذين مالأوا الروم على حصار أبى عبيدة ويكون أمير الجيش إلى الجزيرة عياض ابن غنم . فخرج الجيشان معاً من الكوفة ، القعقاع فى أربعة آلاف نحو حمص لنجدة أبى عبيدة ؛

وخرج عمر بنفسه من المدينة لينصر أبا عبيدة ، فبلغ الجابية وقيل إنما بلغ سرغ . قاله ابن إسحاق ، وهو أشبه والله أعلم . فلما بلغ أهل الجزيرة الذين مع الروم على حمص أن الجيش قد طرق بلادهم ، انشمروا إلى بلادهم ، وفارقوا الروم ، وسمعت الروم بقدوم أمير المؤمنين عمر لينصر نائبه عليهم فضعف جانبهم جداً . وأشار خالد على أبي عبيدة بأن يبرز إليهم ليقاتلهم ، ففعل ذلك أبو عبيدة ، ففتح الله عليه ونصره ، وهزمت الروم هزيمة فظيعة . وذلك قبل ورود عمر عليهم ، وقبل وصول الامداد إليهم بثلاث ليال . فكتب أبو عبيدة إلى عمر وهو بالجابية يخبره بالفتح وأن المدد وصل إليهم بعد ثلاث ليال وسأله هل يدخلهم في القسم معهم مما أفاء الله عليهم ؟ فجاء الجواب بأن يدخلهم معهم في الغنيمة ، فان العدو إنما ضعف وإنما انشمر عنه المدد من خوفهم منهم ، فأشركهم أبو عبيدة في الغنيمة . وقال عمر : جزى الله أهل الكوفة خيراً يحمون حوزتهم ويمدون أهل الأمصار .

فتح الجزيرة

قال ابن جرير : وفي هذه السنة فتحت الجزائر فيما قاله سيف بن عمر ، قال ابن جرير : في ذي الحجه من سنة سبع عشرة فوافق سيف بن عمر في كونها في هذه السنة . وقال ابن إسحاق : كان ذلك في سنة تسع عشرة . سار إليها عياض بن غنم . وفي صحبته أبو موسى الأشعري وعمر بن سعد ابن أبي وقاص ، وهو غلام صغير السن ليس إليه من الأمر شيء ، وعثمان بن أبي العاص . فنزل الرها فصالحه أهلها على الجزية ، وصالحت حران على ذلك . ثم بعث أبا موسى الأشعري إلى نصيبين ، وعمر بن سعد إلى رأس العين ، وسار بنفسه إلى دارا ، فافتتحت هذه البلدان ، وبعث عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية ، فكان عندها شيء من قتال قتل فيه صفوان بن المعطل السلمي شهيداً . ثم صالحهم عثمان بن أبي العاص على الجزية ، على كل أهل بيت دينار .

وقال سيف في روايته : جاء عبد الله بن عبد الله بن غسان فسلك على رجليه حتى انتهى إلى الموصل فعبر إلى بلد حتى انتهى إلى نصيبين ، فلقوه بالصلح وصنعوا كما صنع أهل الرقة . وبعث إلى عمر برءوس النصارى من عرب أهل الجزيرة ، فقال لهم عمر : أدوا الجزية . فقالوا : أبلغنا مأمننا فوالله لئن وضعت علينا الجزية لندخلن أرض الروم ، والله لتفضحنا من بين العرب . فقال لهم : أنتم فضحتم أنفسكم ، وخالفتم أمتكم ، ووالله لتؤدن الجزية وأنتم صغرة قمئة ، ولئن هربتم إلى الروم لأكتبن فيكم ، ثم لأسبينكم . قالوا : فخذ منا شيئاً ولا تسميه جزية . فقال : أما نحن فنسميه جزية ، وأما أنتم فسموه ما شئتم . فقال له علي بن أبي طالب : ألم يضعف عليهم سعد الصدقة ؟ قال : بلى : وأصغى إليه ورضى به منهم .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام فوصل إلى سرغ

فى قول محمد بن إسحاق ، وقال سيف : وصل إلى الجابية . قلت : والأشهر أنه وصل سرغ : وقد تلقاه أمراء الأجناد ، أبو عبيدة ، ويزيد بن أبى سفيان ، وخالد بن الوليد ، إلى سرغ فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام ، فاستشار عمر المهاجرين والأنصار فاختلفوا عليه ، فمن قائل يقول : أنت قد جئت لأمر فلا ترجع عنه . ومن قائل يقول : لا نرى أن تقدم بوجوه أصحاب رسول الله (ص) على هذا الوباء . فيقال إن عمر أمر الناس بالرجوع من الغد . فقال أبو عبيدة : أفراراً من قدر الله ؟ قال : نعم ! نفر من قدر الله إلى قدر الله ، أرأيت لو هبطت وادياً ذا عدوتين إحداهما مخصبة والأخرى مجدبة ، فان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ، و إن أنت رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ ثم قال لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة .

قال ابن إسحاق فى روايته وهو فى صحيح البخارى : وكان عبد الرحمن بن عوف متغيباً فى بعض شأنه ، فلما قدم قال : إن عندى من ذلك علماً ، سمعت رسول الله (ص) يقول : إذا سمعتم به بأرض قوم فلا تقدموا عليه ، و إذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه . فحمد الله عمر - يعنى لكونه وافق رأيه - ورجع بالناس . وقال الامام أحمد : ثنا وكيع ثنا سفيان بن حسين بن أبى ثابت عن إبراهيم بن سعد عن سعد بن مالك بن أبى وقاص وخزيمة بن ثابت وأسامة بن زيد قالوا : قال رسول الله (ص) « إن هذا الطاعون رجز و بقية عذاب عذب به قوم قبلكم ، فاذا وقع بأرض أنتم فيها فلا تخرجوا منها فراراً منه ، و إذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه » و رواه الامام أحمد أيضاً من حديث سعيد بن المسيب و يحيى بن سعيد عن سعد بن أبى وقاص به . قال سيف بن عمر : كان الوباء قد وقع بالشام فى المحرم من هذه السنة ثم ارتفع ، وكأن سيفاً يعتقد أن هذا الوباء هو طاعون عمواس ، الذى هلك فيه خلق من الأمراء ووجوه المسلمين ، وليس الأمر كما زعم ، بل طاعون عمواس من السنة المستقبلة بعد هذه ، كما سنبينه إن شاء الله تعالى . وذكر سيف بن عمر أن أمير المؤمنين عمر كان قد عزم على أن يطوف البلدان ، و يزور الأمراء ، وينظر فيما اعتمدوه وما آثروا من الخير ، فاختلف عليه الصحابة فمن قائل يقول ابدأ بالعراق ، ومن قائل يقول بالشام . فعزم عمر على قدوم الشام لأجل قسم مواريث من مات من المسلمين فى طاعون عمواس ، فانه أشكل قسمها على المسلمين بالشام فعزم على ذلك . وهذا يقتضى أن عمر عزم على قدوم الشام بعد طاعون عمواس ، وقد كان الطاعون فى سنة ثمانى عشرة كما سيأتى ، فهو قدوم آخر غير قدوم سرغ . والله أعلم .

قال سيف عن أبى عثمان وأبى حارثة والربيع بن النعمان قالوا : قال عمر : ضاعت مواريث الناس بالشام أبدأ بها فأقسم المواريث وأقيم لهم ما فى نفسى ، ثم أرجع فأتقلب فى البلاد وأنبذ إليهم أمرى . قالوا : فأتى عمر الشام أربع مرات مرتين فى سنة ست عشرة ، ومرتين فى سنة سبع

عشرة ، ولم يدخلها فى الأولى من الآخرين . وهـذا يقتضى ما ذكرناه عن سيف أنه يقول بكون طاعون عمواس فى سنة سبع عشرة . وقد خالفه محمد بن إسحاق وأبو معشر وغير واحد ، فذهبوا إلى أنه كان فى سنة ثمانى عشرة . وفيه توفى أبو عبيدة ومعاذ و يزيد بن أبى سفيان ، وغيرهم من الأعيان ، على ما سيأتى تفصيله إن شاء الله تعالى .

شيء من أخبار طاعون عمواس

الذى توفى فيـه أبو عبيدة ومعاذ و يزيد بن أبى سـفيان وغيرهم من أشراف الصحابة وغيرهم . أورده ابن جرير فى هذه السنة .

قال محمد بن إسحاق عن شعبة عن المختار بن عبد الله البجلى عن طارق بن شهاب البجلى . قال : أتينا أبا موسى وهو فى داره بالـكوفة لنتحدث عنـده فلما جلسنا قال : لا تخفوا فقد أصيب فى الدار إنسان بهذا السقم ، ولا عليكم أن تتنزهوا عن هـذه القرية فتخرجوا فى فسيح بلادكم ونزهها ، حتى يرتفع هـذا البلاء ، فانى سأخبركم بما يكره ممـا يتقى . من ذلك أن يظن من خرج أنه لو قام مات ، و يظن من أقام فأصابه ذلك أنه لو خرج لم يصبه ، فاذا لم يظن ذلك هذا المرء المسلم فلا عليه أن يخرج وأن يتنزه عنـه ، إنى كنت مع أبى عبيدة بن الجراح بالشام عام طاعون عمواس ، فلما اشتعل الوجع و بلغ ذلك عمر كتب إلى أبى عبيدة ليستخرجه منـه : أن سـلام عليك أما بعد فانه قد عرضت لى إليك حاجة أريد أن أشافهك بها ، فعزمت عليك إذا نظرت فى كتابى هذا أن لا تضعه من يدك حتى تقبل إلى : قال فعرف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء فقال : يغفر الله لأمير المؤمنين . ثم كتب إليه ياأمير المؤمنين إنى قد عرفت حاجتك إلى ، و إنى فى جند من المسلمين لا أجد بنفسى رغبة عنهم ، فلست أريد فراقهم حتى يقضى الله فىَّ وفيهم أمره وقضاءه ، فخلنى من عزمتك يا أمير المؤمنين ، ودعنى فى جندى . فلما قرأ عمر الـكتاب بكى فقال الناس يا أمير المؤمنين أمات أبو عبيدة ؟ قال : لا ، وكأن قد . قال : ثم كتب إليه « سلام عليك أما بعد فانك أنزلت الناس أرضاً عميقة فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة » قال أبو موسى : فلما أتاه كتابه دعانى فقال : يا ابا موسى ، إن كتاب أمير المؤمنين قـد جاءنى بما ترى ، فاخرج فارتد للناس منزلا حتى أتبعك بهـم ، فرجعت إلى منزلى لأرتحل فوجدت صاحبتى قد أصيبت ، فرجعت إليه وقلت : والله لقد كان فى أهلى حدث . فقال : لعل صاحبتك قد أصيبت ؟ قلت : نعم ، فأمر ببعير فرحـل له فلما وضع رجله فى غرزه طعن فقال : والله لقد أصبت ، ثم سار بالناس حتى نزل الجابية ورفع عن الناس الوباء .

وقال محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح عن شهر بن حوشب عن رابة ــ رجل من قومه ــ . وكان قد خلف على أمه بعد أبيه ، وكان قد شهد طاعون عمواس . قال : لما اشتعل الوجع قام أبو عبيدة فى

الناس خطيباً فقال : أيها الناس ، إن هـذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلـكم ، و إن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم لأبى عبيدة حظه ، فطعن ، فمات واستخلف على الناس معاذ بن جبل ، فقام خطيبا بعده . فقال : أيها الناس ، إن هـذا الوجع رحمة بكم ، ودعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلـكم ، و إن معاذا يسأل الله تعالى أن يقسم لآل معاذ حظهم ، فطعن ابنه عبد الرحمن فمات ، ثم قام فدعا لنفسه فطعن فى راحته فلقد رأيته ينظر إليها ثم يقلب[1] ظهر كفه ثم يقول : ما أحب أن لى بما فيك شيئاً من الدنيا . فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص فقام فيهم خطيباً فقال أيها الناس ، إن هـذا الوجع إذا وقع فانما يشتعل اشتعال النار ، فتحصنوا منه فى الجبال . فقال أبو وائل الهذلى : كذبت والله لقد صحبت رسول الله (ص.) وأنت شر من حمارى هـذا . فقال : والله ما أرد عليك ما تقول ، وأيم الله لانقيم عليه . قال : ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا ودفعه الله عنهم " قال : فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأى عمرو بن العاص فوالله ما كرهه . قال ابن إسحاق : ولما انتهى إلى عمر مصاب أبى عبيدة و يزيد بن أبى سفيان ، أمر معاوية على جند دمشق وخراجها ، وأمر شرحبيل بن حسنة على جند الأردن وخراجها .

وقال سيف بن عمر عن شيوخه قالوا : لما كان طاعون عمواس وقع مرتين لم ير مثلهما وطال مكثه ، وفنى خلق كثير من الناس ، حتى طمع العدو وتخوفت قلوب المسلمين لذلك .

قلت : ولهذا قـدم عمر بعد ذلك إلى الشام فقسم مواريث الذين ماتوا لما أشكل أمرها على الأمراء ، وطابت قلوب الناس بقدومه ، وانقمعت الأعداء من كل جانب لمجيئه إلى الشام ولله الحمد والمنة .

وقال سيف بعد ذكره قدوم عمر بعد طاعون عمواس فى آخر سنة سبع عشرة ، قال : فلما أراد القفول إلى المدينة فى ذى الحجة منها خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ألا إنى قد وليت عليكم وقضيت الذى عـلى فى الذى ولانى الله من أمركم إن شاء الله ، فبسطنا بينـكم فيأكم ومنازلـكم ومغازيكم ، وأبلغنا كم ما لدينا ، فجندنا لـكم الجنود ، وهيأنا لـكم العروج ، و بوأنا لـكم ، ووسعنا عليكم ما بلغ فيؤكم وما قاتلتم عليـه من شامكم ، وسمينا لـكم أطماتـكم ، وأمرنا لـكم بأعطياتـكم وأرزاقـكم ومغانمكم . فمن علم شيئاً ينبغى العمل به فليعلمنا نعمل به إن شاء الله ولا قوة إلا بالله . قال وحضرت الصلاة فقال الناس : لو أمرت بلالا فأذن ؟ فأمره فأذن فلم يبق أحد كان أدرك رسول الله (ص.) و بلال يؤذن إلا بكى حتى بل لحيته ، وعمر أشدهم بكاء ، و بكى من لم يدركه لبكائهم ولذكره (ص.) .

وذكر ابن جرير فى هذه السنة من طريق سيف بن عمر عن أبى المجالد أن عمر بن الخطاب

---

(١) كذا بالنسختين . وفى الطبرى : يقبل .

بعث ينكر على خالد بن الوليد فى دخوله إلى الحمام ، وتدلكه بعد النورة بعصفر معجون بخمر ، فقال فى كتابه : إن الله قد حرم ظاهر الخمر وباطنه ، كما حرم ظاهر الاثم و باطنه ، وقد حرم مس الخمر فلا تمسوها أجسامكم فانها نجس ، فان فعلتم فلا تعودوا . فكتب إليه خالد : إنا قتلناها فعادت غسولا غير خمر . فكتب إليه عمر : إنى أظن أن آل المغيرة قد ابتلوا بالجفاء فلا أماتكم الله عليه فانتهى لذلك .

قال سيف : وأصاب أهل البصرة تلك السنة طاعون أيضاً فمات بشر كثير وجم غفير ، رحمهم الله و رضى الله عنهم أجمعين . قالوا : وخرج الحارث بن هشام فى سبعين من أهله إلى الشام فلم يرجع منهم إلا أربعة . فقال المهاجر بن خالد فى ذلك .

مَنْ يسكنْ الشامَ يعرسْ بهِ * والشامُ إن لم يفننا كاربُ
أفنى بنى ريطةَ فرسانهمْ * عشرونَ لم يقصصْ لهم شاربُ
ومن بني أعمامهم مثلهمْ * لمثل هذا يعجبُ العاجبُ
طعناً وطاعوناً منايامْ * ذلكَ ما خطَّ لنا الكاتبُ

كائنة غريبة فيها عزل خالد عن قِنَّسرين ايضاً

قال ابن جرير : و فى هذه السنة أدرب خالد بن الوليد وعياض بن غنم ، أى سلكا درب الروم وأغارا عليهم ، فغنموا أموالا عظيمة وسبياً كثيراً . ثم روى من طريق سيف عن أبى عثمان وأبى حارثة والربيع وأبى المجالد . قالوا : لما رجع خالد ومعه أموال جزيلة من الصائفة انتجعه الناس يبتغون رفده ونائله ، فكان ممن دخل عليه الأشعث بن قيس فأجازه بعشرة آلاف فلما بلغ ذلك عمر كتب إلى أبى عبيدة يأمره أن يقيم خالداً و يكشف عمامته و ينزع عنه قلنسوته و يقيده بعمامته و يسأله عن هذه العشرة آلاف ، إن كان أجازها الأشعث من ماله فهو سرف ، و إن كان من مال الصائفة فهى خيانة ثم اعزله عن عمله . فطلب أبو عبيدة خالداً وصعد أبو عبيدة المنبر ، وأقيم خالد بين يدى المنبر ، وقام إليه بلال ففعل ما أمر به عمر بن الخطاب هو والبريد الذى قدم بالكتاب . هذا وأبو عبيدة ساكت لا يتكلم ، ثم نزل أبو عبيدة واعتذر إلى خالد مما كان بغير اختياره و إرادته ، فعذره خالد وعرف أنه لا قصد له فى ذلك . ثم سار خالد إلى قنسرين فخطب أهل البلد و ودعهم ، وسار بأهله إلى حمص فخطبهم أيضاً و ودعهم وسار إلى المدينة ، فلما دخل خالد على عمر أنشد عمر قول الشاعر

صنعتَ فلم يصنع كصنعكَ صانعٌ * وما يصنعُ الأقوامُ فاللهُ صانعُ

ثم سأله من أين هذا اليسار الذى تجيز منه بعشرة آلاف ؟ فقال : من الأنفال والسهمان . قال :

فما زاد على الستين ألفاً فلك ، ثم قوم أمواله وعروضه وأخذ منه عشرين ألفاً ثم قال : والله إنك علىّ لكريم ، و إنك إلى لحبيب ؛ ولن تعمل لى بعد اليوم على شئ .

وقال سيف عن عبد الله عن المستورد عن أبيه عن عدى بن سهل . قال : كتب عمر إلى الأمصار : إنى لم أعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة ، ولكن الناس فتنوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع . ثم رواه سيف عن مبشر عن سالم قال : لما قدم خالد على عمر فذكر مثله . قال الواقدى : وفى هذه السنة اعتمر عمر فى رجب منها ، وعمر فى المسجد الحرام وأمر بتجديد أنصاب الحرم ، أمر بذلك لمخرمة بن نوفل ، وأزهر بن عبد عوف ، وحويطب بن عبد العزى ، وسعيد بن يربوع . قال الواقدى : وحدثنى كثير بن عبد الله المزى عن أبيه عن جده قال : قدم عمر مكة فى عمرة سنة سبع عشرة ؛ فمر فى الطريق فكلمه أهل المياه أن يبنوا منازل بين مكة والمدينة ـ ولم يكن قبل ذلك بناء ـ فأذن لهم وشرط عليهم أن ابن السبيل أحق بالظل والماء .

قال الواقدى : وفيها تزوج عمر بأم كلثوم بنت على بن أبى طالب ، من فاطمة بنت رسول الله (ص) ، ودخل بها فى ذى القعدة . وقد ذكرنا فى سيرة عمر ومسنده صفة تزويجه بها وأنه أمهرها أربعين ألفاً ، وقال إنما تزوجتها لقول رسول الله (ص) « كل سبب ونسب فانه ينقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى » قال : وفي هذه السنة ولى عمر أبا موسى الأشعرى البصرة ، وأمره أن يشخص إليه المغيرة بن شعبة فى ربيع الأول فشهد عليه فيما حدثني معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب : أبو بكرة ، وشبل بن معبد البجلي ، ونافع بن عبيد ، وزياد . ثم ذكر الواقدى وسيف هذه القصة وملخصها : أن امرأة كان يقال لها أم جميل بنت الافقم ، من نساء بنى عامر بن صعصعة ، ويقال من نساء بنى هلال . وكان زوجها من ثقيف قد توفى عنها ، وكانت تغشى نساء الأمراء والأشراف ، وكانت تدخل على بيت المغيرة بن شعبة وهو أمير البصرة ، وكانت دار المغيرة تجاه دار أبى بكرة ، وكان بينهما الطريق ، وفى دار أبى بكرة كوة تشرف على كوة فى دار المغيرة ، وكان لا يزال بين المغيرة وبين أبى بكرة شنآن . فبينما أبو بكرة فى داره وعنده جماعة يتحدثون فى العلية ، إذ فتحت الريح باب الكوة ، فقام أبو بكرة ليغلقها ، فاذا كوة المغيرة مفتوحة ، وإذا هو على صدر امرأة وبين رجليها ، وهو يجامعها ، فقال أبو بكرة لأصحابه : تعالوا فانظروا إلى أميركم يزنى بأم جميل . فقاموا فنظروا إليه وهو يجامع تلك المرأة ، فقالوا لأبى بكرة : ومن أين قلت إنها أم جميل ؟ ـ وكان رأساهما من الجانب الآخر ـ فقال : انتظروا ، فلما فرغا قامت المرأة فقال أبو بكرة : هذه أم جميل . فعرفوها فيما يظنون . فلما خرج المغيرة ـ وقد اغتسل ـ ليصلى بالناس منعه أبو بكرة أن يتقدم . وكتبوا إلى عمر فى ذلك ، فولى عمر أبا موسى الأشعرى أميراً على البصرة . وعزل المغيرة ، فسار إلى البصرة فنزل

البرد . فقال المغيرة : والله ماجاء أبو موسى تاجراً ولا زائراً ولا جاء إلا أميراً . ثم قدم أبو موسى على الناس وناول المغيرة كتابا من عمر هو أوجز كتاب فيه «أما بعد فانه بلغنى نبأ عظيم فبعثت أبا موسى أميراً فسلم مافى يديك والعجل» وكتب إلى أهل البصرة : إنى قد وليت عليكم أبا موسى ليأخذ من من قويكم لضعيفكم ، وليقاتل بكم عدوكم ، وليدفع عن دينكم وليجبى لكم فيأكم ثم ليقسمه بينكم. وأهدى المغيرة لأبى موسى جارية من مولدات الطائف تسمى عقيلة وقال : إنى رضيتها لك ، وكانت فارهة . وارتحل المغيرة والذين شهدوا عليه وهم أبو بكرة ، ونافع بن كلدة ، وزياد بن أمية ، وشبل بن معبد البجلى . فلما قدموا على عمر جمع بينهم و بين المغيرة . فقال المغيرة : سل هؤلاء الأعبد كيف رأونى ؟ مستقبلهم أو مستدبرهم ؟ وكيف رأوا المرأة وعرفوها ، فان كانوا مستقبلى فكيف لم يستتروا ؟ أو مستدبرى فكيف استحلوا النظر فى منزلى على امرأتى ؟ والله ما أتيت إلا امرأتى وكانت تشبهها. فبدأ عمر بأبى بكرة فشهد عليه أنه رآه بين رجلى أم جميل وهو يدخله و يخرجه كالميل فى المكحلة ، قال : كيف رأيتهما ؟ قال : مستدبرهما . قال : فكيف استبنت رأسها قال : تحاملت . ثم دعا شبل ابن معبد فشهد بمثل ذلك ، فقال استقبلتهما أم استدبرتهما ؟ قال : استقبلتهما . وشهد نافع بمثل شهادة أبى بكرة ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم . قال : رأيته جالساً بين رجلى امرأة فرأيت قدمين مخضوبتين يخفقان وأستين مكشوفتين ، وسمعت حفزاناً شديداً . قال : هل رأيت كالميل فى المكحلة ؟ قال : لا . قال : فهل تعرف المرأة ؟ قال : لا ولكن أشبهها . قال : فتنح . وروى أن عمر رضى الله عنه كبر عند ذلك ثم أمر بالثلاثة فجلدوا . الحد وهو يقرأ قوله تعالى [فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون] فقال المغيرة : اشفنى من الأعبد . قال : اسكت أسكت الله فاك ، والله لو تمت الشهادة لرجمناك بأحجارك

فتح الأهواز ومناذر ونهر تيري

قال ابن جرير : كان فى هذه السنة ، وقيل : فى سنة ست عشرة . ثم روى من طريق سيف عن شيوخه أن الهرمزان كان قد تغلب على هذه الأقاليم وكان ممن فر يوم القادسية من الفرس ، فجهز أبو موسى من البصرة ، وعتبة بن غزوان من الكوفة جيشين لقتاله ، فنصرهم الله عليه ، وأخذوا منه مابين دجلة إلى دجيل ، وغنموا من جيشه ما أرادوا ، وقتلوا من أرادوا ، ثم صانعهم وطلب مصالحتهم عن بقية بلاده ، فشاوروا فى ذلك عتبة بن غزوان فصالحه ، و بعث بالأخماس والبشارة إلى عمر ، و بعث وفداً فيهم الأحنف بن قيس . فأعجب عمر به وحظى عنده . وكتب إلى عتبة يوصيه به ويأمره بمشاورته والاستعانة برأيه . ثم نقض الهرمزان العهد والصلح ، واستعان بطائفة من الاكراد ، وغرته نفسه ، وحسن له الشيطان عمله فى ذلك . فبرز إليه المسلمون فنصروا عليه وقتلوا من جيشه جماً

غفيراً ، وخلقاً كثيراً ، وجمعاً عظيما ، واستلبوا منه ما بيده من الأقاليم والبلدان إلى تستر، فتحصن بها ، و بعثوا إلى عمر بذلك . وقد قال الأسود بن سريع فى ذلك ـ وكان صحابياً رضى الله عنه ـ .

لعمركَ ما أضاعَ بنو أبينا * ولكنْ حافظوا فيمنْ يطيعوا
أطاعوا ربهمْ وعصاهُ قومٌ * أضاعوا أمرهُ فيمنْ يضيعُ
مجوسٌ لاينهنها كتابٌ * فلاقوا كبةً فيها قبوعُ
وولى الهرمزانُ على جوادٍ * سريع الشدِّ يثفنهُ الجميعُ
وخلى سرةَ الأهوازِ كرهاً * غداةَ الجسرِ إذ نجم الربيعُ

وقال حرقوص بن زهير السعدى وكان صحابياً أيضاً :

غلبنا الهرمزان على بلادٍ * لها فى كلِ ناحيةٍ ذخائرْ
سواءٌ برهمْ والبحرُ فيها * إذا صارت نواحيها بوا كرْ
لها بحرٌ يعجُ بجانبيهِ * جعافرُ لا يزالُ لها زواخرْ

فتح تسترُ المرة الأولى صلحاً

قال ابن جرير : كان ذلك فى هذه السنة فى قول سيف وروايته . وقال غيره : فى سنة ست عشرة وقال غيره : كانت فى سنة تسع عشرة . ثم قال ابن جرير : ذكر الخبر عن فتحها ، ثم ساق من طريق سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو قالوا : ولما افتتح حرقوص بن زهير سوق الأهواز ، وفر الهرمزان بين يديه ، فبعث فى إثره جزء بن معاوية ـ وذلك عن كتاب عمر بذلك ـ فما زال جزء يتبعه حتى انتهى إلى رامهرمز فتحصن الهرمزان فى بلادها ، وأعجز جزءاً تطلبه ، واستحوذ جزء على تلك البلاد والأقاليم والأراضى ، فضرب الجزية على أهلها ، وعمر عامرها ، وشق الأنهار إلى خرابها ومواتها : فصارت فى غاية العمارة والجودة . ولما رأى الهرمزان ضيق بلاده عليه لمجاورة المسلمين ، طلب من جزء بن معاوية المصالحة ، فكتب إلى حرقوص ، فكتب حرقوص إلى عتبة بن غزوان ، وكتب عتبة إلى عمر فى ذلك . فجاء الكتاب العمرى بالمصالحة على رامهرمز ، وتستر ، وجند سابور ، ومدائن أخر مع ذلك . فوقع الصلح على ذلك كما أمر به عمر رضى الله عنه .

ذكر غزو بلاد فارس من ناحية البحرين

عن ابن جرير عن سيف

وذلك أن العلاء بن الحضرمى كان على البحرين فى أيام الصديق ، فلما كان عمر عزله عنها وولاها لقدامة بن مظعون . ثم أعاد العلاء بن الحضرمى إليها . وكان العلاء بن الحضرمى يبارى سعد بن أبى وقاص . فلما افتتح سعد القادسية ، وأزاح كسرى عن داره ، وأخذ حدود مايلى السواد ، واستعلى

وجاء بأعظم مما جاء به العلاء بن الحضرمى من ناحية البحرين . فأحب العلاء أن يفعل فعلا فى فارس نظير ما فعله سعد فيهم ، فندب الناس إلى حربهم ، فاستجاب له أهل بلاده : فجزأهم أجزاء ، فعلى فرقة الجرود بن المعلى : وعلى الأخرى السوار بن همام : وعلى الأخرى خليد بن المنذر بن ساوى ، وخليد هو أمير الجماعة . فحملهم فى البحر الى فارس ، وذلك بغير إذن عمر له فى ذلك — وكان عمر يكره ذلك لأن رسول الله ص . وأبا بكر ما أغزيا فيه المسلمين — فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس ، فخرجوا من عند اصطخر فحالت فارس بينهم و بين سفنهم ، فقام فى الناس خليد بن المنذر فقال : أيها الناس ، إنما أراد هؤلاء القوم بصنيعهم هذا محاربتكم ، وأنتم جئتم لمحاربتهم ، فاستعينوا بالله وقاتلوهم : فإنما الأرض والسفن لمن غلب ، واستعينوا بالصبر والصلاة و إنها لكبيرة إلا على الخاشعين فأجابوه إلى ذلك فصلوا الظهر ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالا شديداً فى مكان من الأرض يدعى طاوس ، ثم أمر خليد المسلمين فترجلوا وقاتلوا فصبروا ، ثم ظفروا فقتلوا فارس مقتله لم يقتلوا قبلها مثلها . ثم خرجوا يريدون البصرة فغرقت بهم سفنهم ، ولم يجدوا إلى الرجوع فى البحر سبيلا و وجدوا شهرك فى أهل اصطخر قد أخذوا على المسلمين بالطرق ، فعسكروا وامتنعوا من العدو . ولما بلغ عمر ما ص العلاء بن الحضرمى ، اشتد غضبه عليه ، وبعث إليه فعزله وتوعده ، وأمره بأثقل الأشياء عليه ، وأبغض الوجوه إليه . فقال : الحق بسعد بن أبى وقاص [فخرج العلاء إلى سعد بن أبى وقاص (١و٢)] مضافاً إليه ، وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان : إن العلاء بن الحضرمى خرج بجيش فأقطعهم أهل فارس وعصانى ، وأظنه لم يرد الله بذلك ، فخشيت عليهم إن لا ينصروا ، أن يغلبوا وينشبوا ، فاندب إليهم الناس واضممهم إليك من قبل أن يجتاحوا . فندب عتبة المسلمين وأخبرهم بكتاب عمر إليه فى ذلك ، فانتدب جماعة من الأمراء الأبطال ، منهم هاشم بن أبى وقاص ، وعاصم بن عمرو ، وعرفجة بن هرثمة ، وحذيفة بن محصن ، والأحنف بن قيس ، وغيرهم ، فى اثنى عشر ألفاً . وعلى الجميع أبو سبرة بن أبى رهم . فخرجوا على البغال يجنبون الخيل سراعاً ، فساروا على الساحل لا يلقون أحداً حتى انتهوا إلى موضع الوقعة التى كانت بين المسلمين من أصحاب العلاء ، و بين أهل فارس بالمكان المسمى بطاوس ، و إذا خليد بن المنذر ومن معه من المسلمين محصورون قد أحاط بهم العدو من كل جانب ، وقد تداعت عليهم تلك الأمم من كل وجه ، وقد تكاملت أمداد المشركين ، ولم يبق إلا القتال . فقدم المسلمون إليهم فى أحوج ماهم فيه إليهم ، فالتقوا مع المشركين رأساً ، فكسر أبو سبرة المشركين كسرة عظيمة ، وقتل منهم مقتلة عظيمة جداً ، وأخذ منهم أموالا جزيلة باهرة ، واستنقذ خليداً ومن معه من المسلمين من أيديهم ، وأعز به الاسلام وأهله ، ودفع

---

(١) بياض بالنسخة المصرية . (٢) زيادة بالمصرية عن محمود الامام .

الشرك وذلك ولله الحمد والمنة ثم عادوا إلى عتبة بن غزوان إلى البصرة .

ولما استكمل عتبة فتح تلك الناحية ، استأذن عمر فى الحج فأذن له فسار إلى الحج واستخلف على البصرة أبا سبرة بن أبى رهم ، واجتمع بعمر فى الموسم ، وسأله أن يقيله فلم يفعل ، وأقسم عليه ليرجعن إلى ع . فدعا عتبة الله عز وجل فمات ببطن نخلة ، وهو منصرف من الحج ، فتأثر عليه عمر وأثنى عليه خيراً ، وولى بعده بالبصرة المغيرة بن شعبة ، فوليها بقية تلك السنة والتى تليها ، لم يقع فى زمانه حدث ، وكان مرزوق السلامة فى عمله . ثم وقع الكلام فى تلك المرأة من أبى بكرة فكان من أمره ما قدمنا . ثم بعث إليها أبا موسى الأشعرى واليا عليها رضى الله عنهم .

ذكر فتح تستر ثانية وأسر الهرمزان وبعثه الى عمر بن الخطاب

قال ابن جرير : كان ذلك فى هـذه السنة فى رواية سيف بن عمر التميمى . وكان سبب ذلك أن يزدجرد كان يحرض أهل فارس فى كل وقت ويُؤنبهـم بملك العرب بلادهم وقصدهم إياهم فى حصونهم فكتب إلى أهل الأهواز وأهل فارس فتحركوا وتعاهدوا وتعاقدوا على حرب المسلمين ، وأن يقصدوا البصرة . وبلغ الخبر إلى عمر ، فكتب إلى سعد ـ وهو بالكوفة ـ أن ابعث جيشاً كثيفاً إلى الأهواز مع النعمان بن مقرن وعجل وليكونوا بازاء الهرمزان ، وسمى رجالا من الشجعان الأعيان الأمراء يكونون فى هـذا الجيش ، منهم جرير بن عبد الله البجلى ، وجرير بن عبد الله الحميرى ، والنعمان بن مقرن ، وسويد بن مقرن : وعبـد الله بن ذى السهمين . وكتب عمر إلى أبى موسى وهو بالبصرة أن ابعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً وأمر عليهم سهيل بن عـدى ، وليكن معه البراء بن مالك ، وعاصم ابن عمرو ، ومجزأة بن ثور ، وكعب بن ثور ، وعرفجة بن هرثمة ، وحذيفة بن محصن ، وعبد الرحمن بن سهل ، والحصين بن معبد . وليكن على أهل الكوفة وأهل البصرة جميعاً أبو سبرة بن أبى رهم ، وعلى كل من أتاه من المـدد . قالوا : فسار النعمان بن مقرن بجيش الكوفة فسبق البصريين فانتهى إلى رامهرمز وبها الهرمزان ، فخرج إليه الهرمزان فى جنده ونقض العهد بينه وبين المسلمين ، فبادره طمعاً أن يقتطعه قبل مجىء أصحابه من أهل البصرة رجاء أن ينصر أهل فارس ، فالتقى معه النعمان بن مقرن بأربل ، فاقتتلا قتالا شديداً ، فهزم الهرمزان وفر إلى تستر ، وترك رامهرمز فتسلمها النعمان عنوة وأخذ ما فيها من الحواصل والذخائر والسلاح والعـدد . فلما وصل الخبر إلى أهل البصرة بما صنع الكوفيون بالهرمزان وأنه فر فلجأ إلى تستر ، ساروا إليها ولحقهم أهل الكوفة حتى أحاطوا بها فحاصروها جميعاً ، وعلى الجميع أبو سبرة [فوجدوا الهرمزان قد حشد بها خلقاً كثيراً ، وجماً غفيراً . وكتبوا إلى عمر فى ذلك وسألوه أن يمدهم ، فكتب إلى أبى موسى أن يسير إليهـم . فسار إليهـم ـ وكان أمير أهل

البصرة واستمر أبو سبرة] [١] على الامرة على جميع أهل الكوفة والبصرة ، فحاصرهم أشهراً وكثر القتال من الفريقين ، وقتل البراء بن مالك أخو أنس بن مالك يومئذ مائة مبارز سوى من قتل غير ذلك ، وكذلك فعل كعب بن ثور ، ومجزأة بن ثور ، وأبو يمامة [٢] وغيرهم من أهل البصرة ، وكذلك أهل الكوفة قتل منهم جماعة مائة مبارزة كحبيب بن قرة ، وربعى بن عامر ، وعامر بن عبد الأسود وقد تزاحفوا أياماً متعددة ، حتى إذا كان فى آخر زحف قال المسلمون للبراء بن مالك ـ وكان مجاب الدعوة ـ : يابراء اقسم على ربك ليهز منهم لنا . فقال : اللهم اهزمهم لنا ، واستشهدنى قال : فهزمهم المسلمون حتى أدخلوهم خنادقهم واقتحموها عليهم ، ولجأ المشركون إلى البلد فتحصنوا به ، وقد ضاقت بهم البلد ، وطلب رجل من أهل البلد الأمان من أبى موسى فأمنه ، فبعث يدل المسلمين على مكان يدخلون منه إلى البلد ، وهو من مدخل الماء إليها ، فندب الأمراء الناس إلى ذلك فانتدب رجال من الشجعان والأبطال ، وجاؤا فدخلوا مع الماء ـ كالبط ـ إلى البلد ، وذلك فى الليل ، فيقال كان أول من دخلها عبد الله بن مغفل المزنى ، وجاؤا إلى البوابين فأناموهم وفتحوا الأبواب ، وكبر المسلمون فدخلوا البلد ، وذلك فى وقت الفجر إلى أن تعالى النهار ، ولم يصلوا الصبح يومئذ إلا بعد طلوع الشمس [كما حكاه البخارى عن أنس بن مالك قال : شهدت فتح تستر ، وذلك عند صلاة الفجر ، فاشتغل الناس بالفتح فما صلوا الصبح إلا بعد طلوع الشمس] [٣] فما أحب أن لى بتلك الصلاة حمر النعم . احتج بذلك البخارى لمكحول والأوزاعى فى ذهابهما إلى جواز تأخير الصلاة لعذر القتال . وجنح إليه البخارى واستدل بقصة الخندق فى قوله عليه السلام «شغلونا عن الصلاة الوسطى ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً » وبقوله يوم بنى قريظة « لايصلين أحد منكم العصر إلا فى بنى قريظة » فأخرها فريق من الناس إلى بعد غروب الشمس ، ولم يعنفهم ، وقد تكلمنا على ذلك فى غزوة الفتح

والمقصود أن الهرمزان لما فتحت البلد لجأ إلى القلعة فتبعه جماعة من الأبطال ممن ذكرنا وغيرهم فلما حصروه فى مكان من القلعة ولم يبق إلا تلافه أو تلافهم ، قال لهم بعد ما قتل البراء بن مالك ومجزأة بن ثور رحمهما الله : إن معى جعبة فيها مائة سهم ، وإنه لايتقدم إلى أحد منكم إلا رميته بسهم قتلته ، ولا يسقط لى سهم إلا فى رجل منكم ، فماذا ينفعكم إن أسرتمونى بعد ما قتلت منكم مائة رجل ؟ قالوا : فماذا تريد ؟ قال : تؤمنونى حتى أسلمكم يدى فتذهبوا بى إلى عمر بن الخطاب فيحكم فىّ بما يشاء . فأجابوه إلى ذلك فألقى قوسه ونشابه وأسروه فشدوه وثاقاً وأرصدوه ليبعثوه إلى أمير

---

(١) لم ترد فى المصرية . (٢) كذا فى الحلبية . وفى المصرية : وأبو عتبة . وفى الطبرى أبو تميمة (٣) لم ترد فى الحلبية .

المؤمنين عمر ؛ ثم تسلموا ما فى البلد من الأموال والحواصل فاقتسموا أربعة أخماسه فنال كل فارس ثلاثة آلاف وكل راجل ألف درهم .

فتح السوس

ثم ركب أبو سبرة فى طائفة من الجيش ومعه أبو موسى الأشعرى والنعمان بن مقرن ، واستصحبوا معهم الهرمزان ، وساروا فى طلب المنهزمين من الفرس حتى نزلوا على السوس ، فأحاطوا بها . وكتب أبو سبرة إلى عمر فجاء الكتاب بأن يرجع أبو موسى إلى البصرة ؛ وأمر عمر زر بن عبد الله بن كليب العقيمى ـ وهو صحابى ـ أن يسير إلى جند سابور ، فسار . ثم بعث أبو سبرة بالخمس وبالهرمزان مع وفد فيهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس ، فلما اقتربوا من المدينة هيؤا الهرمزان بلبسه الذى كان يلبسه من الديباج والذهب المكلل بالياقوت واللآلئ . ثم دخلوا المدينة وهو كذلك فتيمموا به منزل أمير المؤمنين ، فسألوا عنه فقالوا : انه ذهب إلى المسجد بسبب وفد من الكوفة . فجاؤا المسجد فلم يروا أحداً فرجعوا ، فاذا غلمان يلعبون فسألوهم عنه فقالوا : إنه نائم فى المسجد متوسداً برنساً له . فرجعوا إلى المسجد فاذا هو متوسد برنساً له كان قد لبسه للوفد ، فلما انصرفوا عنه توسد البرنس ونام وليس فى المسجد غيره ، والدرة معلقة فى يده . فقال الهرمزان : أين عمر ؟ فقالوا : هو ذا . وجعل الناس يخفضون أصواتهم لئلا ينبهوه ، وجعل الهرمزان يقول : وأين حجابه ؟ أين حرسه ؟ فقالوا : ليس له حجاب ولا حرس ، ولا كاتب ولا ديوان . فقال : ينبغى أن يكون نبياً . فقالوا : بل يعمل عمل الأنبياء . وكثر الناس فاستيقظ عمر بالجلبة فاستوى جالساً ، ثم نظر إلى الهرمزان ، فقال : الهرمزان ؟ قالوا : نعم . فتأمله وتأمل ما عليه ثم قال : أعوذ بالله من النار وأستعين بالله . ثم قال : الحمد لله الذى أذل بالاسلام هذا وأشياعه ، يامعشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين ، واهتدوا بهدى نبيكم ، ولا تبطرنكم الدنيا فانها غدارة . فقال له الوفد : هذا ملك الأهواز فكلمه . فقال : لا حتى لا يبقى عليه من حليته شئ . ففعلوا ذلك وألبسوه ثوباً صفيقاً ، فقال عمر : ياهرمزان كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله ؟ فقال : ياعمر : انا وإياكم فى الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم ، اذ لم يكن معنا ولا معكم ، فلما كان معكم غلبتمونا . فقال عمر : إنما غلبتمونا فى الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا . ثم قال : ما عذرك وما حجتك فى انتقاضك مرة بعد مرة ؟ فقال : أخاف أن تقتلنى قبل أن أخبرك . قال : لا تخف ذلك . فاستسقى الهرمزان ماء فأتى به فى قدح [غليظ ، فقال : لو مت عطشاً لم أستطع أن أشرب فى هذا . فأتى به فى قدح] آخر يرضاه فلما أخذه جعلت يده ترعد ، وقال : إنى أخاف أن أقتل وأنا أشرب . فقال عمر : لا بأس عليك حتى تشربه فأكفأه . فقال عمر :

أعيدوه عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش . فقال : لا حاجة لى فى الماء ، إنما أردت أن أستأنس به . فقال له عمر : إنى قاتلك ، فقال انك أمنتنى . قال : كذبت ، فقال أنس : صدق يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : ويحك يا أنس أنا أؤمن من قتل مجزأة والبراء ؟ لتأتينى بمخرج والا عاقبتك ، قال : قلت لا بأس عليك حتى تخبرنى . وقلت لا بأس عليك حتى تشربه ، وقال له من حوله مثل ذلك . فأقبل على الهرمزان فقال : خدعتنى والله لا أنخدع الا أن تسلم . فأسلم ففرض له فى ألفين وأنزله المدينة . وفى رواية أن الترجمان بين عمر و بين الهرمزان كان المغيرة بن شعبة ، فقال له عمر : قل له من أى أرض أنت ؟ قال مهرجانى . قال : تكلم بحجتك . فقال : أ كلام حى أم ميت ؟ قال : بل كلام حى . فقال قد أمنتنى ، فقال خدعتنى ولا أقبل ذلك إلا أن تسلم . فأسلم ففرض له فى ألفين وأنزله المدينة . ثم جاء زيد فترجم بينهما أيضاً .

قلت : وقد حسن إسلام الهرمزان وكان لايفارق عمر حتى قتل عمر فاتهمه بعض الناس بممالأة أبى لؤلؤة هو وجفينة ، فقتل عبيد الله بن عمر الهرمزان وجفينة على ما سيأتى تفصيله .

وقد روينا أن الهرمزان لما علاه عبيد الله بالسيف قال : لا إله إلا الله . وأما جفينة فصلب على وجهه .

والمقصود أن عمر كان يحجر على المسلمين أن يتوسعوا فى بلاد العجم خوفاً عليهم من العجم ، حتى أشار عليه الأحنف بن قيس بأن المصلحة تقتضى توسعهم فى الفتوحات فان الملك يزدجرد لا يزال يستحثهم على قتال المسلمين ، و إن لم يستأصل شأو العجم و إلا طمعوا فى الاسلام وأهله ، فاستحسن عمر ذلك منه وصوبه . وأذن للمسلمين فى التوسع فى بلاد العجم ، ففتحوا بسبب ذلك شيئاً كثيراً ، ولله الحمد . وأ كثر ذلك وقع فى سنة ثمانى عشرة كما سيأتى بيانه فيها .

ثم نعود إلى فتح السوس وجند سابور وفتح نهاوند فى قول سيف . كان قد تقدم أن أبا سبرة سار بمن معه من علية الأمراء من تستر إلى السوس ، فنازلها حيناً وقتل من الفريقين خلق كثير ، فأشرف عليه علماء أهلها فقالوا : يا معشر المسلمين لا تتعبوا فى حصار هذا البلد فانا نأثر فيما نرويه عن قدمائنا من أهل هذا البلد أنه لايفتحه إلا الدجال أو قوم معهم الدجال ، واتفق أنه كان فى جيش أبى موسى الأشعرى صاف بن صياد ، فأرسله أبو موسى فيمن يحاصره ، فجاء إلى الباب فدقه برجله فتقطعت السلاسل ، وتكسرت الأغلاق ، ودخل المسلمون البلد فقتلوا من وجدوا حتى نادوا بالامان ودعوا الى الصلح فأجابوهم إلى ذلك ، وكان على السوس شهريار أخو الهرمزان ، فاستحوذ المسلمون على السوس ، وهو بلد قديم العمارة فى الأرض يقال إنه أول بلد وضع على وجه الأرض والله أعلم . وذكر ابن جرير أنهم وجدوا قبر دانيال بالسوس ، وأن أبا موسى لما قدم بها بعد مضى أبى سبرة

إلى جندى سابور ، كتب الى عمر فى أمره فكتب اليه أن يدفنه وأن يغيب عن الناس موضع قبره ، ففعل . وقد بسطنا ذلك فى سيرة عمر ولله الحمد .

قال ابن جرير : وقال بعضهم ان فتح السوس و رامهز وتسيير الهرمزان من تستر إلى عمر فى سنة عشرين والله أعلم وكان الكتاب العمرى قد ورد بأن النعمان بن مقرن يذهب إلى أهل نهاوند فسار إليها فمر بماه ـ بلدة كبيرة قبلها ـ فافتتحها ثم ذهب إلى نهاوند ففتحها ولله الحمد .

قلت : المشهور أن فتح نهاوند إنما وقع فى سنة إحدى وعشرين كما سيأتى فيها بيان ذلك ، وهى وقعة عظيمة وفتح كبير ، وخبر غريب ونبأ عجيب ، وفتح زر بن عبد الله الفقيمى مدينة جندى سابور (١) فاستوثقت تلك البلاد للمسلمين . هذا وقد تحول يزدجرد من بلد إلى بلد ، حتى انتهى أمره إلى الاقامة بأصبهان ، وقد كان صرف طائفة من أشراف أصحابه قريبا من ثلثمائة من العظماء عليهم رجل يقال له سياه ، فكانوا يفرون من المسلمين من بلد إلى بلد حتى فتح المسلمون تستر واصطخر ، فقال سياه لأصحابه : إن هؤلاء بعد الشقاء والذلة ملكوا أماكن الملوك الأقدمين ، ولايلقون جنداً إلا كسروه، والله ما هذا عن باطل . ـ ودخل فى قلبه الاسلام وعظمته ـ فقالوا له : نحن تبع لك . و بعث عمار ابن ياسر فى غضون ذلك يدعوهم إلى الله ، فأرسلوا إلى أبى موسى الأشعرى باسلامهم [وكتب فيهم إلى عمر فى ذلك ، فأمره أن يفرض لهم فى ألفين ألفين ، وفرض لستة منهم فى ألفين وخمسمائة ، وحسن إسلامهم](٢) وكان لهم نكاية عظيمة فى قتال قومهم حتى بلغ من أمرهم أنهم حاصروا حصناً فامتنع عليهم فجاء أحدهم فرمى بنفسه فى الليل على باب الحصن وضمخ ثيابه بدم ، فلما نظروا إليه حسبوا أنه منهم ، ففتحوا إليه باب الحصن ليأووه فثار إلى البواب فقتله ، وجاء بقية أصحابه ففتحوا ذلك الحصن ، وقتلوا من فيه من المجوس . إلى غير ذلك من الأمور العجيبة والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

وذكر ابن جرير أن عمر بن الخطاب عقد الألوية والرايات الكبيرة فى بلاد خراسان والعراق لغزو فارس والتوسع فى بلادهم كما أشار عليه بذلك الأحنف بن قيس ، فحصل بسبب ذلك فتوحات كثيرة فى السنة المستقبلة بعدها كما سنبينه وننبه عليه ولله الحمد والمنة .

قال : وحج بالناس فى هذه السنة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ثم ذكر نوابه على البلاد، وهم من ذكر فى السنة قبلها غير المغيرة فان على البصرة بدله أبو موسى الأشعرى .

قلت : وقد توفى فى هذه السنة أقوام قيل إنهم توفوا قبلها وقد ذكرناهم ، وقيل فيما بعدها وسيأتى ذكرهم فى أماكنهم والله تعالى أعلم .

---

(١) فى النسختين « جند سابور بدون ياء . والتصحيح من الطبري (٢) لم ترد فى الحلبية .

ثم دخلت سنة ثماني عشرة

المشهور الذى عليه الجمهور ان طاعون عمواس كان بها ، وقد تبعنا قول سيف بن عمر وابن جرير فى إيراده ذلك فى السنة التى قبلها ، لكنا نذكر وفاة من مات فى الطاعون فى هذه السنة إن شاء الله تعالى ، قال ابن إسحاق ، وأبو معشر : كان فى هذه السنة طاعون عمواس وعام الرمادة ، فتفانى فيهما الناس . قلت : كان فى عام الرمادة جدب عم أرض الحجاز ، وجاع الناس جوعاً شديداً. وقد بسطنا القول فى ذلك فى سيرة عمر . وسميت عام الرمادة لأن الأرض اسودت من قلة المطر حتى عاد لونها شبيهاً بالرماد . وقيل : لأنها تسفى الريح تراباً كالرماد . ويمكن أن تكون سميت لكل منهما والله أعلم . وقد أجدبت الناس فى هذه السنة بأرض الحجاز ، وجفلت الأحياء إلى المدينة ولم يبق عند أحد منهم زاد فلجأوا إلى أمير المؤمنين فأنفق فيهم من حواصل بيت المال مما فيه من الأطعمة والأموال حتى أنفده ، وألزم نفسه أن لا يأكل سمناً ولا سميناً حتى يكشف ما بالناس ، فكان فى زمن الخصب يبث له الخبز باللبن والسمن ، ثم كان عام الرمادة يبث له بالزيت والخل ، وكان يستمرئ الزيت . وكان لا يشبع مع ذلك ، فاسود لون عمر رضى الله عنه وتغير جسمه حتى كاد يخشى عليه من الضعف . واستمر هذا الحال فى الناس تسعة أشهر ، ثم تحول الحال إلى الخصب والدعة وانشمر الناس عن المدينة إلى أماكنهم .

قال الشافعى : بلغنى أن رجلا من العرب قال لعمر حين ترحلت الأحياء عن المدينة : لقد انجلت عنك ولانك لابن حرة . أى واسيت الناس وأنصفتهم وأحسنت إليهم . وقد روينا أن عمر عس المدينة ذات ليلة عام الرمادة فلم يجد أحداً يضحك ، ولا يتحدث الناس فى منازلهم على العادة ، ولم ير سائلا يسأل ، فسأل عن سبب ذلك فقيل له : ياأمير المؤمنين إن السؤال سألوا فلم يعطوا فقطعوا السؤال ، والناس فى هم وضيق فهم لا يتحدثون ولا يضحكون . فكتب عمر إلى أبى موسى بالبصرة أن ياغوثاه لأمة محمد . وكتب الى عمرو بن العاص بمصر أن ياغوثاه لأمة محمد . فبعث إليه كل واحد منهما بقافلة عظيمة تحمل البر وسائر الاطعمات ، ووصلت ميرة عمرو فى البحر إلى جدة ومن جدة إلى مكة . وهذا الأثر جيد الاسناد ، لكن ذكر عمرو بن العاص فى عام الرمادة مشكل ، فان مصر لم تكن فتحت فى سنة ثمانى عشرة ، فاما أن يكون عام الرمادة بعد سنة ثمانى عشرة ، أو يكون ذكر عمرو بن العاص فى عام الرمادة وهم والله أعلم .

وذكر سيف عن شيوخه أن أبا عبيدة قدم المدينة ومعه أربعة آلاف راحلة تحمل طعاماً ، فأمره عمر بتفريقها فى الأحياء حول المدينة ، فلما فرغ من ذلك أمر له بأربعة آلاف درهم فأبى أن يقبلها ، فلح عليه عمر حتى قبلها .

وقال سيف بن عمر عن سهل بن يوسف السلمى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كان عام الرمادة فى آخر سنة سبع عشرة ، وأول سنة ثمانى عشرة ، أصاب أهل المدينة وما حولها جوع فهلك كثير من الناس ، حتى جعلت الوحش تأوى إلى الانس ، فكان الناس بذلك وعمر كالمحصور عن أهل الأمصار حتى أقبل بلال بن الحارث المزنى فاستأذن على عمر فقال : أنا رسول رسول الله إليك ، يقول لك رسول الله (ص) « لقد عهدتك كيساً ، وما زلت على ذلك [1] ، فما شأنك » ؟ قال : متى رأيت هذا ؟ قال : البارحة . فخرج فنادى فى الناس الصلاة جامعة ، فصلى بهم ركعتين ثم قام فقال: أيها الناس أنشدكم الله هل تعلمون منى أمراً غيره خير منه ؟ فقالوا : اللهم لا ، فقال : إن بلال بن الحارث يزعم ذية وذية . قالوا : صدق بلال فاستغث بالله ثم بالمسلمين . فبعث إليهم - وكان عمر عن ذلك محصورا - فقال عمر : الله أكبر ، بلغ البلاء مدته فانكشف . ما أذن لقوم فى الطلب إلا وقد رفع عنهم الأذى والبلاء . وكتب إلى أمراء الأمصار أن أغيثوا أهل المدينة ومن حولها ، فانه قد بلغ جهدهم . وأخرج الناس إلى الاستسقاء فخرج وخرج معه العباس بن عبد المطلب ماشيا ، فخطب وأوجز وصلى ثم جثى لركبتيه وقال : اللهم إياك نعبد و إياك نستعين ، اللهم اغفر لنا وارحمنا وارض عنا . ثم انصرف فما بلغوا المنازل راجعين حتى خاضوا الغدران .

ثم روى سيف عن مبشر بن الفضيل عن جبير بن صخر عن عاصم بن عمر بن الخطاب أن رجلا من مزينة عام الرمادة سأله أهله أن يذبح لهم شاة فقال : ليس فيهن شئ . فألحوا عليه فذبح شاة فاذا عظامها حمر فقال يا محمداه . فلما أمسى أرى فى المنام أن رسول الله (ص) يقول له : « أبشر بالحياة ، إيت عمر فأقرء منى السلام وقل له إن عهدى بك وفىّ العهد شديد العقد ، فالكيس الكيس ياعمر » ، فجاء حتى أتى باب عمر فقال لغلامه استأذن لرسول رسول الله (ص) . فأتى عمر فأخبره ففزع ثم صعد عمر المنبر فقال للناس أنشدكم الله الذى هداكم للاسلام هل رأيتم منى شيئاً تكرهونه ؟ فقالوا : اللهم لا ، وعم ذاك ؟ فأخبرهم بقول المزنى - وهو بلال بن الحارث - ففطنوا ولم يفطن . فقالوا : إنما استبطأك فى الاستسقاء فاستسق بنا . فنادى فى الناس فخطب فأوجز ثم صلى ركعتين فأوجز ثم قال : اللهم عجزت عنا أنصارنا ، وعجز عنا حولنا وقوتنا ، وعجزت عنا أنفسنا ، ولا حول ولا قوة إلا بك ، اللهم اسقنا وأحى العباد والبلاد .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسى قالا : حدثنا أبو عمر بن مطر حدثنا إبراهيم بن على الذهلى حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن مالك قال : أصاب الناس قحط فى زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبى (ص)

---

(١) فى الطبرى : فما زالت على ذلك

فقال : يارسول الله استسق الله لأمتك فانهم قد هلكوا . فأتاه رسول الله (ص.) فى المنام فقال : إيت عمر فأقره منى السلام واخبرهم أنهم مسقون ، وقل له عليك بالكيس الكيس . فأتى الرجل فأخبر عمر فقال : يارب ما آلوا إلا ما عجزت عنه . وهذا إسناد صحيح

وقال الطبرانى : حدثنا أبو مسلم الكشى حدثنا أبو محمد الأنصارى ثنا أبى عن ثمامة بن عبد الله ابن أنس ، عن أنس أن عمر خرج يستسق وخرج بالعباس معه يستسق يقول : اللهم إنا كنا إذا قحطنا على عهد نبينا توسلنا إليك بنبينا ، و إنا نتوسل إليك بعم نبينا (ص.) . وقد رواه البخارى عن الحسن بن محمد عن محمد بن عبد الله به ولفظه «عن أنس أن عمر كان اذا قحطوا يستسقى بالعباس ابن عبد المطلب فيقول : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا و إنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا . قال : فيسقون. وقال أبو بكر بن أبى الدنيا ـ فى كتاب المطر و فى كتاب مجابى الدعوة ـ حدثنا أبو بكر النيسابورى ثنا عطاء بن مسلم عن العمرى عن خوات بن جبير قال : خرج عمر يستسق بهم فصلى ركعتين فقال : اللهم إنا نستغفرك ونستسقيك فما برح من مكانه حتى مطروا فقدم أعراب فقالوا : يا أمير المؤمنين بينا نحن فى وادينا فى ساعة كذا إذ أظلتنا غمامة فسمعنا منها صوتاً :أتاك الغوث أبا حفص ، أتاك الغوث أبا حفص . وقال ابن أبى الدنيا : ثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا سفيان عن مطرف بن طريف عن الشعبى قال : خرج عمر يستسق بالناس فما زاد على الاستغفار حتى رجع فقالوا يا أمير المؤمنين ماتراك استسقيت . فقال : لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التى يستنزل بها المطر ثم قرأ [استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا] ثم قرأ [وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه] الآية .

وذكر ابن جرير فى هذه السنة من طريق سيف بن عمر عن أبى المجالد والربيع وأبى عثمان وأبى حارثة وعن عبد الله بن شبرمة عن الشعبى قالوا : كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب أن نفراً من المسلمين أصابوا الشراب ، منهم ضرار وأبو جندل بن سهل ، ، فسألناهم فقالوا : خيرنا فاخترنا. قال فهل أنتم منتهون ? ولم يعزم . فجمع عمر الناس فأجمعوا على خلافهم ، وأن المعنى : فهل أنتم منتهون أى انتهوا . وأجمعوا على جلدهم ثمانين ثمانين . و أن من تأول هذا التأويل وأصر عليه يقتل . فكتب عمر إلى أبى عبيدة أن ادعهم فسلهم عن الخمر فان قالوا هى حلال فاقتلهم ، و إن قالوا هى حرام فاجلدهم . فاعترف القوم بتحريمها ، فجلدوا الحد وندموا على ما كان منهم من اللجاجة فيما تأولوه ، حتى وسوس أبو جندل فى نفسه ، فكتب أبو عبيدة الى عمر فى ذلك ، وسأله أن يكتب إلى أبى جندل ويذكره ، فكتب إليه عمر بن الخطاب فى ذلك ، من عمر إلى أبى جندل ، إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، فتب وارفع رأسك وابرز ولا تقنط فان الله تعالى يقول

[قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم] وكتب عمر إلى الناس : إن عليكم أنفسكم ومن غير فغيروا عليه ؛ ولا تعيروا أحداً فيفشو فيكم البلاء ، وقد قال أبو الزهراء القشيرى فى ذلك .

ألم تر أنَّ الدهرَ يعثرُ بالفتى * وليسَ على صرفِ المنونِ بقادرِ
صبرتُ ولم أجزعْ وقد ماتَ إخوتى * ولستُ عن الصهباءِ يوماً بصابرِ
رماها أميرُ المؤمنينَ بحتفها * فخلانها يبكونَ حولَ المقاصرِ

قال الواقدى وغيره : وفى هذه السنة فى ذى الحجة منها حول عمر المقام ـ وكان ملصقا بجدار الكعبة ـ فأخره إلى حيث هو الآن لئلا يشوش المصلون عنده على الطائفين . قلت : قد ذكرت أسانيد ذلك فى سيرة عمر ولله الحمد والمنة * قال : وفيها استقضى عمر شريحا على الكوفة ، وكعب ابن سور على البصرة [قال وفيها حج عمر بالناس وكانت نوابه فيها الذين تقدم ذكرهم فى السنة الماضية] (١) وفيها فتحت الرقة والرها وحران على يدى عياض بن غنم . قال : وفتحت رأس عين الوردة على يدى عمر بن سعد بن أبى وقاص . وقال غيره خلاف ذلك . وقال شيخنا الحافظ الذهبى فى تاريخه : وفيها ـ يعنى هذه السنة ـ افتتح أبو موسى الأشعرى الرها وشمشاط عنوة ، وفى أوائلها وجه أبو عبيدة عياض بن غنم إلى الجزيرة فوافق أبا موسى فافتتحا حران ونصيبين وطائفة من الجزيرة عنوة ، وقيل صلحا . وفيها سار عياض إلى الموصل فافتتحها وماحولها عنوة . وفيها بنى سعد جامع الكوفة. وقال الواقدى : وفيها كان طاعون عمواس فمات فيه خمسة وعشرون ألفا . قلت : هذا الطاعون منسوب إلى بلدة صغيرة يقال لها عمواس ـ وهى بين القدس والرملة ـ لأنها كان أول مانجم الداء بها ، ثم انتشر فى الشام منها فنسب إليها ، فانا لله وإنا إليه راجعون . قال الواقدى توفى : فى عام طاعون عمواس من المسلمين بالشام خمسة وعشرون ألفا . وقال غيره : ثلاثون ألفا . وهذا ذكر طائفة من أعيانهم رضى الله عنهم

الحارث بن هشام

أخو أبى جهل أسلم يوم الفتح ، وكان سيداً شريفاً فى الاسلام كما كان فى الجاهلية ، استشهد بالشام فى هذه السنة فى قول ، وتزوج عمر بعده بامرأته فاطمة .

شرحبيل بن حسنة

أحد أمراء الأرباع ، وهو أمير فلسطين ، وهو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن قطن الكندى حليف بنى زهرة ، وحسنة أمه ، نسب إليها وغلب عليه ذلك . أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة وجهزه الصديق إلى الشام ، فكان أميراً على ربع الجيش ، وكذلك فى الدولة العمرية ، وطعن هو

(١) لم ترد فى المصرية محمود الامام .

وأبو عبيدة وأبو مالك الأشعرى فى يوم واحد سنة ثمانى عشرة . له حديثان روى ابن ماجه أحدهما فى الوضوء وغيره

عامر بن عبد الله بن الجرّاح

ابن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشى أبو عبيدة بن الجراح الفهرى ، أمين هذه الأمة ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الخمسة الذين أسلموا فى يوم واحد ، وهم عثمان بن مظعون ، وعبيدة بن الحارث ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وأبو عبيدة بن الجراح . أسلموا على يدى الصديق . ولما هاجروا آخى رسول الله (ص) بينه و بين سعد بن معاذ ، وقيل بين محمد بن مسلمة . وقد شهد بدراً وما بعدها ، وقال رسول الله (ص) « إن لكل أمة أمينا وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » ثبت ذلك فى الصحيحين . وثبت فى الصحيحين أيضا أن الصديق قال يوم السقيفة : وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوه ـ يعنى عمر بن الخطاب وأبا عبيدة ـ و بعثه الصديق أميراً على ربع الجيش إلى الشام ، ثم لما انتدب خالداً من العراق كان أميراً على أبى عبيدة وغيره لعلمه بالحروب . فلما انتهت الخلافة إلى عمر عزل خالدا وولى أبا عبيدة ابن الجراح ، وأمره أن يستشير خالدا ، فجمع للأمة بين أمانة أبى عبيدة وشجاعة خالد . قال ابن عساكر : وهو أول من سمى أمير الأمراء بالشام . قالوا : وكان أبو عبيدة طوالا نحيفا أجنى معروق الوجه ، خفيف اللحية ، أهتم ، وذلك لأنه لما انتزع الحلقتين من وجنتى رسول الله (ص) يوم أحد خاف أن يؤلم رسول الله (ص) فتحامل على ثنيتيه فسقطتا ، فما رأى أحسن هتما منه . توفى بالطاعون عام عمواس كما تقدم سياقه فى سنة ست عشرة عن سيف بن عمر . والصحيح أن عمواس كانت فى هذه السنة سنة ثمانى عشرة ـ بقرية فحل ، وقيل بالجابية . وقد اشتهر فى هذه الأعصار قبر بالقرب من عقبة ينسب إليه والله أعلم . وعمره يوم مات ثمان وخمسون سنة .

الفضل بن عباس بن عبد المطلب

كان حسنا وسيما جميلا ، أردفه رسول الله (ص) وراءه يوم النحر من حجة الوداع ، وهو شاب حسن ، وقد شهد فتح الشام ، واستشهد بطاعون عمواس ، فى قول محمد بن سعد والزبير بن بكار وأبى حاتم وابن الرقى وهو الصحيح . وقيل يوم مرج الصفر ، وقيل بأجنادين . ويقال باليرموك سنة ثمان وعشرين

معاذ بن جبل

ابن عمرو بن أوس بن عابد بن عدى بن كعب بن عمرو بن أدى بن على بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصارى الخزرجى أبو عبد الرحمن المدنى صحابى جليل كبير القدر . قال الواقدى : كان طوالا حسن الشعر والثغر براق الثنايا ، لم يولد له . وقال غيره : بل ولد له ولد وهو عبد الرحمن . شهد معه اليرموك . وقد شهد معاذ العقبة . ولما هاجر الناس آخى رسول الله (ص)

بينه و بين ابن مسعود . وحكى الواقدى الاجماع على ذلك . وقد قال محمد بن إسحق: آخى بينه و بين جعفر بن أبى طالب . وشهد بدرا وما بعدها. وكان أحد الأربعة من الخزرج ، الذين جمعوا القرآن فى حياة النبي (ص) ، وهم أبى بن كعب ، و زيد بن ثابت ، ومعاذ بن جبل ، وأبو زيد عمر بن أنس بن مالك. وصح فى الحديث الذى رواه أبو داود والنسائى من حديث حيوة بن شريح عن عقبة بن مسلم عن أبى عبد الرحمن الجبلى عن الصنابحى عن معاذ أن رسول الله (ص) قال له «يامعاذ والله إنى لأحبك فلا تدعن أن تقول فى دبر كل صلاة اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » وفى المسند والنسائى وابن ماجه من طريق أبى قلابة عن أنس مرفوعا «وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل» وقد بعثه رسول الله (ص) إلى اليمن وقال له « بم تحكم » ؟ فقال : بكتاب الله و بالحديث . وكذلك أقره الصديق على ذلك يعلم الناس الخير باليمن . ثم هاجر إلى الشام فكان بها حتى مات بعد ما استخلفه أبو عبيدة حين طعن ثم طعن بعده فى هذه السنة . وقد قال عمر بن الخطاب . إن معاذاً يبعث أمام العلماء بربوة . ورواه محمد بن كعب مرسلا . وقال ابن مسعود : كنا نشبهه بابراهيم الخليل . وقال ابن مسعود : إن معاذاً كان قانتاً لله حنيفا ولم يك من المشركين . وكانت وفاته شرقى غور بيسان سنة ثمانى عشرة . وقيل سنة تسع عشرة [وقيل سبع عشرة ، عن ثمان وثلاثين سنة على المشهور] (١) وقيل غير ذلك والله أعلم .

يزيد بن أبي سفيان

أبو خالد صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى ، أخو معاوية ، وكان يزيد أكبر وأفضل . وكان يقال له يزيد الخير ، أسلم عام الفتح ، وحضر حنينا وأعطاه رسول الله (ص) مائة من الابل وأربعين أوقية ، واستعمله الصديق على ربع الجيش إلى الشام ، وهو أول أمير وصل إليها ، ومشى الصديق فى ركابه يوصيه ، و بعث معه أبا عبيدة وعمرو بن العاص وشرحبيل ابن حسنة فهؤلاء أمراء الأرباع . ولما افتتحوا دمشق دخل هو من باب الجابية الصغير عنوة كخالد فى دخوله من الباب الشرقى عنوة وكان الصديق قد وعده بأمرتها ، فوليها عن أمر عمر وأنفذ له ما وعده الصديق ، وكان أول من وليها من المسلمين . المشهور أنه مات فى طاعون عمواس كما تقدم . وزعم الوليد بن مسلم أنه توفى سنة تسع عشرة بعد ما فتح قيسارية . ولما مات كان قد استخلف أخاه معاوية على دمشق فأمضى عمر بن الخطاب له ذلك رضى الله عنهم . وليس له فى الكتب شئ ، وقد روى عنه أبو عبد الله الأشعرى أن رسول الله (ص) قال « مثل الذى يصلى ولا يتم ركوعه ولا سجوده مثل الجائع الذى لا يأكل إلا التمرة والتمرتين لا يغنيان عنه شيئا » .

---

(١) لم ترد فى الحلبية .

أبو جندل بن سهيل

ابن عمرو ، وقيل اسمه العاص أسلم قديما وقد جاء يوم صلح الحديبية مسلما يرسف فى قيوده لأنه كان قد استضعف فرده أبوه وأبى أن يصالح حتى يرد ، ثم لحق أبوجندل بأبى بصير إلى سيف البحر ، ثم هاجر إلى المدينة وشهد فتح الشام . وقد تقدم أنه تأول آية الخمر ثم رجع ، ومات بطاعون عمواس رحمه الله ورضى عنه * أبو عبيدة بن الجراح هو عامر بن عبد الله تقدم * أبو مالك الاشعرى ، قيل اسمه كعب بن عاصم قدم مهاجرا سنة خيبر مع أصحاب السفينة ، وشهد مابعدها ، واستشهد بالطاعون عام عمواس هو وأبو عبيدة ومعاذ فى يوم واحد رضى الله عنهم أجمعين .

ثم دخلت سنة تسع عشرة

قال الواقدى وغيره : كان فتح المدائن وجلولاء فيها . والمشهور خلاف ما قال كما تقدم . وقال محمد ابن إسحق : كان فتح الجزيرة والرها وحران ورأس العين ونصيبين فى هذه السنة . وقد خالفه غيره . وقال أبو معشر وخليفة وابن الكلبى : كان فتح قيسارية فى هذه السنة وأميرها معاوية . وقال غيره يزيد بن أبى سفيان . وقد تقدم أن معاوية افتتحها قبل هذا بسنتين . وقال محمد بن إسحق كان فتح قيسارية من فلسطين وهرب هرقل وفتح مصر فى سنة عشرين . وقال سيف بن عمر : كان فتح قيسارية وفتح مصر فى سنة ست عشرة . قال ابن جرير : فأما فتح قيسارية فقد تقدم ، وأما فتح مصر فانى سأذكره فى سنة عشرين إن شاء الله تعالى . قال الواقدى : وفى هذه السنة ظهرت نار من حرة ليلا فأراد عمر أن يخرج بالرجال إليها ، ثم أمر المسلمين بالصدقة فطفئت ولله الحمد . ويقال كان فيها وقعة أرمينية ، وأميرها عثمان بن أبى العاص ، وقد أصيب فيها صفوان بن المعطل بن رخصة السلمى ثم الذكوانى ، وكان أحد الامراء يومئذ . وقد قال فيه رسول الله (ص) « ما علمت عليه إلا خيرا » وهو الذى ذكره المنافقون فى قصة الافك فبرأ الله ساحته ، وجناب أم المؤمنين زوجة رسول الله (ص) مما قالوا . وقد كان إلى حين قالوا لم يتزوج ، ولهذا قال والله ما كشفت كنف أنثى قط . ثم تزوج بعد ذلك ، وكان كثير النوم ربما غلب عليه عن صلاة الصبح فى وقتها ، كما جاء فى سنن أبى داود وغيره . وكان شاعرا ثم حصلت له شهادة فى سبيل الله . قيل بهذا البلد ، وقيل بالجزيرة ، وقيل بشمشاط . وقد تقدم بعض هذا فيما سلف . وفيها فتحت تكريت فى قول والصحيح قبل ذلك ، وفيها فيما ذكرنا أسرت الروم عبد الله بن حذافة . وفيها فى ذى الحجة منها كانت وقعة بأرض العراق قتل فيها أمير المجوس شهرك ، وكان أمير المسلمين يومئذ الحكم بن أبى العاص رضى الله عنه . قال ابن جرير وفيها حج بالناس عمر ، ونوابه فى البلاد وقضاته هم المذكورون قبلها والله أعلم *

ذكر من توفي فيها من الأعيان

وممن توفى فيها من الأعيان أبى بن كعب سيد القراء ، وهو أبى بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، أبو المنذر وأبو الطفيل ، الأنصارى النجارى سيد القراء شهد العقبة و بدرا وما بعدها ، وكان سيداً جليل القدر . وهو أحد القراء الأربعة الخزرجيين الذين جمعوا القرآن فى حياة رسول الله (ص) ، وقد قال لعمر يوما : إنى تلقيت القرآن ممن تلقاه منه جبريل وهو رطب . وفى المسند والنسائى وابن ماجه من طريق أبي قلابة عن أنس مرفوعا « أقرأ أمتى أبى ابن كعب » وفى الصحيح أن رسول الله (ص) قال له « إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن » . قال : وسمانى لك ؟ « قال نعم » فذرفت عيناه وقد تكلمنا على ذلك فى التفسير عند سورة [لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة] قال الهيثم بن عدى : توفى أبى سنة تسع عشرة . وقال يحيى بن معين : سنة سبع عشرة أو عشرين . وقال الواقدى عن غير واحد : توفى سنة ثنتين وعشرين . و به قال أبو عبيد وابن نمير وجماعة . وقال الفلاس وخليفة : توفى فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه * وفيها مات خباب مولى عتبة بن غزوان من المهاجرين شهد بدرا وما بعدها ، وهو صحابى من السابقين وصلى عليه عمر * ومات فيها صفوان بن المعطل فى قول كما تقدم والله أعلم .

سنة عشرين من الهجرة

قال محمد بن إسحق : فيها كان فتح مصر . وكذا قال الواقدى : إنها فتحت هى واسكندرية فى هذه السنة . وقال أبو معشر : فتحت مصر سنة عشرين ، واسكندرية فى سنة خمس وعشرين . وقال سيف : فتحت مصر واسكندرية فى سنة ست عشرة فى ربيع الأول منها . ورجح ذلك أبو الحسن ابن الأثير فى الكامل لقصة بعث عمرو الميرة من مصر عام الرمادة ، وهو معذور فيما رجحه والله أعلم. وفيها كان فتح تستر فى قول طائفة من علماء السير بعد محاصرة سنتين وقيل سنة ونصف والله أعلم .

صفة فتح مصر عن ابن إسحق وسيف

قالوا : لما استكمل عمر والمسلمون فتح الشام بعث عمرو بن العاص إلى مصر وزعم سيف أنه بعثه بعد فتح بيت المقدس ، وأردفه بالزبير بن العوام وفى صحبته بشر بن أرطاة ، وخارجة بن حذافة ، وعمير ابن وهب الجمحى . فاجتمعا على باب مصر فلقيهم أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف أبو مريام فى أهل الثبات ، بعثه المقوقس صاحب اسكندرية لمنع بلادهم ، فلما تصافوا قال عمرو بن العاص لا تعجلوا حتى نعذر ، ليبرز إلىّ بو مريم وأبو مريام راهبا هذه البلاد ، فبرزا إليه ، فقال لهما عمرو بن العاص : أنتما راهبا هذه البلاد فاسمعا ، إن الله بعث محمداً (ص) بالحق وأمره به وأمرنا به محمد (ص) ، وأدى

إلينا كل الذى أمر به ، ثم مضى وتركنا على الواضحة ، وكان مما أمرنا به الاعـذار إلى الناس ، فنحن ندعوكم إلى الاسلام ، فمن أجابنا إليه فمثلنا ، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية و بذلنا له المنعة ، وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم ، وأوصانا بكم حفظا لرحمنا منكم ، وأن لكم إن أجبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة . ومما عهد إلينا أميرنا استوصوا بالقبطيين خيراً ، فان رسول الله ص ـ أوصانا بالقبطيين خيراً ، لأن لهم رحما وذمة . فقالوا : قرابة بعيـدة لايصل مثلها إلا الأنبياء معروفة شريفة ، كانت ابنة ملكنا وكانت من أهل منف والملك فيهـم فأديل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم وسلبوهم ملكهم واغتربوا فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام مرحباً به وأهلا . أمنّا حتى نرجع إليك ، فقال عمرو : إن مثلى لايخدع ولكنى أؤجلكما ثلاثا لتنظروا ولتناظرا قومكما وإلا ناجزتكم . قالا : زدنا ، فزادهم يوما ، فقالا : زدنا . فزادهم يوما . فرجعا إلى المقوقس فأبى أرطبون أن يجيبهما وأمر بمناهدتهم ، فقالا لأهل مصر : أما نحن فسنجتهد أن ندفع عنكم ولا نرجع إليهم . وقد بقيت أربعة أيام قاتلوا وأشار عليهم بأن يبيتوا المسلمين ، فقال الملأ منهم : ما تقاتلون من قوم قتلوا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم. فألح الأرطبون فى أن يبيتوا للمسلمين ففعلوا فلم يظفروا بشئ بل قتل منهـم طائفة منهم الأرطبون ؛ وحاصر المسلمون عين شمس من مصر فى اليوم الرابع . وارتقى الزبير عليهم سور البلد ، فلما أحسوا بذلك خرجوا إلى عمرو من الباب الآخر فصالحوه واخترق الزبير البلد حتى خرج من الباب الذى عليه عمرو فأمضوا الصلح وكتب لهم عمرو كتاب أمان : « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عمرو ابن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهـم وبرهم وبحرهم لايدخل عليهـم شئ من ذلك ولا ينتقص ولا يساكنهم النوبة ، وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزيه إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليهـم ما حق لصونهم ، فان أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم ، وذمتنا ممن أبى بريئة . وإن نقص نهرهم من غايته رفع عنهم بقـدر ذلك ومن دخل فى صلحهـم من الروم والنوبة ، فله مثل مالهم وعليـه مثل ماعليهم ، ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا ، عليهم ما عليهم أثلاثا ، فى كل ثلث جباية ثلث ما عليهم . على مافى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين ، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا ، وكذا وكذا فرسا على أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة . شهد الزبير وعبـد الله ومحمـد ابناه وكتب وردان وحضر » فدخل فى ذلك أهل مصر كلهـم وقبلوا الصلح واجتمعت الخيول بمصر وعمروا الفسطاط ، وظهر أبو مريم وأبو مريام فكلما عمراً فى السبايا التى أصيبت بعـد المعركة . فأبى عمرو أن يردها عليهما ، وأمر بطردهما واخراجهما من بين يديه ، فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن

الخطاب أمر أن كل سبى أخذ فى الخمسة أيام التى أمنوهم فيها أن يرد عليهم ، وكل سبى أخذ ممن لم يقاتل وكذلك من قاتل فلا يرد عليه سباياه . وقيل إنه أمره أن يخيروا من فى أيديهم من السبى بين الاسلام وبين أن يرجع إلى أهله ، فمن اختار الاسلام فلا يردوه إليهم ، ومن اختارهم ردوه عليهم وأخذوا منه الجزية ، وأما ما تفرق من سبيهم فى البلاد ووصل إلى الحرمين وغيرهما ، فانه لايقدر على ردهم ولا ينبغى أن يصالحهم على مايتعذر الوفاء به . ففعل عمرو ما أمر به أمير المؤمنين ، وجمع السبايا وعرضوهم وخيروهم فمنهم من اختار الاسلام ، ومنهم من عاد إلى دينه ، وانعقد الصلح بينهم . ثم أرسل عمرو جيشا إلى اسكندرية ـ وكان المقوقس صاحب الاسكندرية قبل ذلك يؤدى خراج بلده وبلد مصر إلى ملك الروم ـ فلما حاصره عمرو بن العاص جمع أساقفته وأكابر دولته وقال لهم : إن هؤلاء العرب غلبوا كسرى وقيصر وأزالوهم عن ملكهم ولاطاقة لنا بهم ، والرأى عندى أن نؤدى الجزية إليهم . ثم بعث إلى عمرو بن العاص يقول : إنى كنت أؤدى الخراج إلى من هو أبغض إلى منكم ـ فارس والروم ـ ثم صالحه على أداء الجزية ، وبعث عمرو بالفتح والأخماس إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وذكر سيف أن عمرو بن العاص لما التقى مع المقوقس جعل كثير من المسلمين يفر من الزحف فجعل عمر يزمرهم ويحثهم على الثبات : فقال له رجل من أهل اليمن : إنا لم نخلق من حجارة ولاحديد. فقال له عمرو : اسكت فانما ، أنت كلب . فقال له الرجل فأنت إذا أمير الكلاب . فأعرض عنه عمرو ونادى يطلب أصحاب رسول الله ﷺ فلما اجتمع إليه من هناك من الصحابة قال لهم عمرو : تقدموا فبكم ينصر الله المسلمين . فنهدوا إلى القوم ففتح الله عليهم وظفروا أتم الظفر . قال سيف : ففتحت مصر فى ربيع الأول من سنة ست عشرة وقام فيها ملك الاسلام ولله الحمد والمنة . وقال غيره : فتحت مصر فى سنة عشرين ، وفتحت اسكندرية فى سنة خمس وعشرين بعد محاصرة ثلاثة أشهر عنوة ، وقيل صلحا على ثنى عشر ألف دينار . وقد ذكر أن المقوقس سأل من عمرو أن يهادنه أولا ، فلم يقبل عمرو وقال له : قد علمتم مافعلنا بملككم الاكبر هرقل . فقال المقوقس لأصحابه : صدق فنحن أحق بالاذعان . ثم صالح على ماتقدم . وذكر غيره أن عمراً والزبير سارا إلى عين شمس فحاصراها وأن عمراً بعث إلى الفرما أبرهة بن الصباح ، وبعث عوف بن مالك إلى الاسكندرية ، فقال كل منهما لأهل بلده : إن نزلتم فلكم الامان . فتربصوا ماذا يكون من أهل عين شمس ، فلما صالحوا صالح الباقون . وقد قال عوف بن مالك لأهل اسكندرية : ما أحسن بلدكم ؟ فقالوا : إن اسكندر لما بناها قال : لأبنين مدينة فقيرة إلى الله غنية عن الناس . فبقيت بهجتها . وقال أبرهة لاهل الفرما : ما أقبح مدينتكم ؟ فقالوا إن الفرما ـ وهو أخو الاسكندر ـ لما بناها قال لأبنين مدينة

غنية عن الله فقيرة إلى الناس . فهى لا يزال ساقطا بناؤها فشوهت بذلك

وذكر سيف أن عبد الله بن سعد بن أبى سرح لما ولى مصر بعد ذلك زاد فى الخراج عليهم رءوسا من الرقيق يهدونها إلى المسلمين فى كل سنة ، و يعوضهم المسلمون بطعام مسمى وكسوة . وأقر ذلك عثمان بن عفان و ولاة الامور بعده ، حتى كان عمر بن عبد العزيز فأمضاه أيضا نظراً لهم ، و إبقاء لعهدهم . قلت : و إنما سميت ديار مصر بالفسطاط نسبة إلى فسطاط عمرو بن العاص ، وذلك أنه نصب خيمته وهى الفسطاط موضع مصر اليوم ، و بنى الناس حوله ، وتركت مصر القديمة من زمان عمرو بن العاص و إلى اليوم ، ثم رفع الفسطاط و بنى موضعه جامعا وهو المنسوب إليه اليوم . وقد غزا المسلمون بعد فتح مصر النوبة فنالهم جراحات كثيرة ، وأصيبت أعين كثيرة ، لجودة رمى النوبة فسموهم جند الحدق . ثم فتحها الله بعد ذلك وله الحمد والمنة . وقد اختلف فى بلاد مصر فقيل : فتحت صلحا إلا الاسكندرية ، وهو قول يزيد بن أبى حبيب . وقيل : كلها عنوة وهو قول ابن عمر وجماعة . وعن عمرو بن العاص أنه خطب الناس فقال : ماقعدت مقعدى هذا ولاحد من القبط عندى عهد إن شئت ـ قلت ، و إن شئت بعت و إن شئت خمست إلا لاهل الطابلس فان لهم عهداً نوفى به .

قصة نيل مصر

روينا من طريق ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال : لما افتتحت مصر أتى اهلها عمرو بن العاص ـ حين دخل بؤنة من أشهر العجم ـ فقالوا : أيها الامير ، لنيلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها . قال : وما ذاك ؟ قالوا : إذا كانت اثنتى عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها ، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها فى هذا النيل . فقال لهم عمرو : إن هذا مما لا يكون فى الاسلام ، إن الاسلام يهدم ما قبله . قال : فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى والنيل لا يجرى قليلا ولا كثيراً ، حتى هموا بالجلاء ، فكتب عمرو إلى عمر ابن الخطاب بذلك ، فكتب إليه : إنك قد أصبت بالذى فعلت ، و إنى قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابى ، فألقها فى النيل . فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فاذا فيها « من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر ، أما بعد ، فان كنت إنما تجرى من قبلك ومن أمرك فلا تجر فلا حاجة لنا فيك ، و إن كنت إنما تجرى بأمر الله الواحد القهار ، وهو الذى يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك» قال : فألقى البطاقة فى النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم .

قال سيف بن عمر : وفى ذى القعدة من هذه السنة ـ وهى عنده سنة ست عشرة ـ جعل عمرو المسالح على أرجاء مصر ، وذلك لأن هرقل أغزا الشام ومصر فى البحر . قال ابن جرير : وفى هذه

السنة غزا أرض الروم أبو بحرية عبد الله بن قيس العبدى ـ وهو أول من دخلها فيما قيل ـ فسلم وغنم وقيل أول من دخلها ميسرة بن مسروق العبسى . قال الواقدى : وفيها عزل عمر قدامة بن مظعون عن البحرين ، وحده فى الشراب . وولى على البحرين واليمامة أبا هريرة الدوسى رضى الله عنه . قال : وفيها شكا أهل الكوفة سعدا فى كل شئ ، حتى قالوا : لا يحسن يصلى ، فعزله عنها وولى عليها عبد الله بن عبد الله بن عتبان ـ وكان نائب سعد ـ وقيل بل ولاها عمرو بن ياسر . وقال الامام أحمد : حدثنا سفيان عن عبد الملك سمعه من جابر بن سمرة . قال : شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر فقالوا : إنه لا يحسن يصلى ، قال الاعاريب ؟ والله ما آلوبهم صلاة رسول الله (ص.) فى الظهر والعصر ، اردد فى الأولين وأصرف فى الأخيرين . فسمعت عمر يقول : كذا الظن بك يا أبا إسحق. وفى صحيح مسلم أن عمر بعث من يسأل عنه أهل الكوفة فأثنوا خيراً إلا رجلا يقال له : أبو سعدة قتادة بن أسامة قام فقال : أما إذ أنشدتنا فان سعداً لا يقسم بالسوية ولا يعدل فى القضية ، ولا يخرج فى السرية . فقال سعد : اللهم إن كان عبدك هذا قام مقام رياء وسمعة ، فأطل عمره وأدم فقره وعرضه للفتن . فأصابته دعوة سعد ـ فكان شيخاً كبيراً يرفع حاجبيه عن عينيه ، ويتعرض للجوارى فى الطرق فيغمزهن ، فيقال له فى ذلك ، فيقول : شيخ كبير مفتون أصابته دعوة سعد . وقد قال عمر فى وصيته ـ وذكره فى الستة ـ « فان أصابت الامرة سعداً فذاك ، وإلا فليستعن به أيكم ولى ، فانى لم أعزله عن عجز ولا خيانة . قال : وفيها أجلى عمر يهود خيبر عنها إلى أذرعات وغيرها ، وفيها أجلى عمر يهود نجران منها أيضاً إلى الكوفة ، وقسم خيبر ، ووادى القرى ، ونجران بين المسلمين . قال : وفيها دون عمر الدّواوين ، وزعم غيره أنه دوّنها قبل ذلك فالله أعلم . قال : وفيها بعث عمر علقمة بن مجزز المدلجى إلى الحبشة فى البحر فأصيبوا فآلى عمر على نفسه أن لا يبعث جيشاً فى البحر بعدها . وقد خالف الواقدى فى هذا أبو معشر فزعم أن غزوة الحبشة إنما كانت فى سنة إحدى وثلاثين ـ يعنى فى خلافة عثمان بن عفان ـ والله أعلم . قال الواقدى : وفيها تزوج عمر فاطمة بنت الوليد بن عتبة . التى مات عنها الحارث بن هشام فى الطاعون . وهى أخت خالد بن الوليد . قال : وفيها مات هلال بدمشق ، وأسيد بن الحضير فى شعبان ، وزينب بنت جحش أم المؤمنين . وهى أول من مات من أمهات المؤمنين رضى الله عنها . قال : وفيها مات هرقل وقام بعده ولده قسطنطين . قال : وحج بالناس فى هذه السنة عمر ونوابه وقضاته من تقدم فى التى قبلها . سوى من ذكرنا أنه عزله وولى غيره .

ذكر المتوفين من الأعيان ـ أسيد بن الحضير

ابن سماك الأنصارى الأشهلى من الأوس ، أبو يحيى أحد النقباء ليلة العقبة ، وكان أبوه رئيس الأوس يوم بعاث ، وكان قبل الهجرة بست سنين وكان يقال له حضير الكتائب ، يقال إنه أسلم

على يدى مصعب بن عمير . ولما هاجر الناس آخى رسول الله (ص) بينه و بين زيد بن حارثة ، ولم يشهد بدراً . وفى الحديث الذى صححه الترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال « نعم الرجل أبو بكر ، نعم الرجل عمر ، نعم الرجل أسيد بن الحضير » وذكر جماعة . وقدم الشام مع عمر وأثنت عليه عائشة ، وعلى سعد بن معاذ ، وعباد بن بشر ، رضى الله عنهم . وذكر ابن بكير أنه توفى بالمدينة سنة عشرين ، وأن عمر حمل بين عموديه وصلى عليه ودفن بالبقيع ، وكذا أرخ وفاته سنة عشرين الواقدى وأبو عبيد وجماعة .

انيس بن مرثد بن ابي مرثد الغنوي

هو وابوه وجده صحابة وكان أنيس هذا عينا لرسول الله يوم حنين ، ويقال إنه الذى قال له رسول الله (ص) « إغد ياأنيس إلى امرأة هذا فان اعترفت فارجمها» والصحيح أنه غيره ، فان فى الحديث « فقال لرجل من أسلم » فقيل : انه أنيس بن الضحاك الأسلمى . وقد مال ابن الأثير إلى ترجيحه والله أعلم . له حديث فى الفتنة قال إبراهيم بن المنذر : توفى فى ربيع الأول سنة عشرين .

بلال بن ابي رباح الحبشي المؤذن مولى بي بكر

ويقال له بلال بن حمامة . وهى أمه . أسلم قديما فعذب فى الله فصبر فاشتراه الصديق فأعتقه ، شهد بدراً وما بعدها . وكان عمر يقول : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا رواه البخارى . ولما شرع الأذان بالمدينة كان هو الذى يؤذن بين يدى رسول الله (ص) وابن أ مكتوم يتناوبان ، تارة هذا وتارة هذا ، وكان بلال ندى الصوت حسنه ، فصيحاً ، وما يروى « أن سين بلال عند الله شينا » فليس له أصل . وقد أذن يوم الفتح على ظهر الكعبة . ولما توفى رسول الله (ص) ترك الأذان ، ويقال أذن للصديق أيام خلافته ولايصح . ثم خرج إلى الشام مجاهدا ، ولما قدم عمر إلى الجابية أذن بين يديه بعد الخطبة لصلاة الظهر ، فانتحب الناس بالبكاء . وقيل إنه زار المدينة فى غضون ذلك [فأذن فبكى الناس بكاء شديداً ويحق لهم ذلك] (١) رضى الله عنهم .وثبت فى الصحيح أن رسول الله (ص) قال لبلال « إنى دخلت الجنة فسمعت خشف نعليك أمامى فأخبرنى بأرجى عمل عملته » . فقال : ما توضأت إلا وصليت ركعتين . « فقال بذاك » وفى رواية « ما أحدثت إلا توضأت وما توضأت إلا رأيت أن على أن أصلى ركعتين » قالوا : وكان بلال آدم شديد الأدمة طويلا نحيفا كثير الشعر خفيف العارضين . قال ابن بكير : توفى بدمشق فى طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة . وقال محمد بن إسحق وغير واحد : توفى سنة عشرين . قال الواقدى : ودفن بباب الصغير وله بضع وستون سنة .

---

(١) لم ترد فى الحلبية .

وقال غيره : مات بداريا ودفن بباب كيسان . وقيل دفن بداريا ، وقيل إنه مات بحلب . والأول أصح والله أعلم .

سعيد بن عامر بن خذيم

من أشراف بنى جمح ، شهد خيبر وكان من الزهاد والعباد ، وكان أميراً لعمر على حمص بعد أبى عبيدة ، بلغ عمر أنه قد أصابته جراحة شديدة ، فأرسل إليه بألف دينار فتصدق بها جميعها ، وقال لزوجته : أعطيناها لمن يتجر لنا فيها رضى الله عنه . قال خليفة : فتح هو ومعاوية قيسارية كل منهما أمير على من معه .

عياض بن غُنم

أبو سعد الفهرى من المهاجرين الأولين ، شهد بدرا وما بعدها ، وكان سمحا جوادا ، شجاعا ، وهو الذى افتتح الجزيرة ، وهو أول من جاز درب الروم غازيا ، واستنابه أبو عبيدة بعده على الشام فأقره عمر عليها إلى أن مات سنة عشرين عن ستين سنة .

أبو سفيان بن الحارث

ابن عبد المطلب بن عم رسول الله (ص) قيل اسمه المغيرة . أسلم عام الفتح فحسن إسلامه جدا وكان قبل ذلك من أشد الناس على رسول الله (ص) ، وعلى دينه ومن تبعه ، وكان شاعراً مطيقاً يهجو الاسلام وأهله ، وهو الذى رد عليه حسان بن ثابت رضى الله عنه فى قوله :

ألا أبلغْ أبا سفيانَ عني * مغلغلةً فقدْ برِحَ الخفاءُ
هجوتَ محمداً وأجبتَ عنه * وعندَ اللهِ فى ذاكَ الجزاءُ
أتهجوهُ ولستَ لهُ بكفءٍ * فشرُّكما لخيرِكما الفداءُ

ولما جاء هو وعبد الله بن أبى أمية ليسلما لم يأذن لهما عليه السلام حتى شفعت أم سلمة لأخيها فأذن له ، و بلغه أن أبا سفيان هذا قال : والله لئن لم يأذن لى لآخذن بيد بنى هذا ـ لولد معه صغير ـ فلا ذهبن فلا يدرى أين أذهب . فرق حينئذ له رسول الله (ص) وأذن له ، ولزم رسول الله (ص) ، يوم حنين وكان آخذاً بلجام بغلته يومئذ ، وقد روى أن رسول الله (ص) أحبه وشهد له بالجنة ، وقال « أرجو أن تكون خلفا من حمزة » وقد رثى رسول الله (ص) حين توفى بقصيدة ذكرناها فيما سلف وهى التى يقول فيها :

ارقتُ فبات ليلِي لا يزولُ * وليلُ أخِ المصيبةِ فيهِ طولُ
وأسعدنى البكاءُ وذاكَ فيما * أُصيبُ المسلمونَ بهِ قليلُ
فقدْ عظمتْ مصيبتُنا وجلتْ * عشيةَ قيلَ قدْ قبضَ الرسولُ

فقدنا الوحى والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبرئيل

ذكروا أن أبا سفيان حج فلما حلق رأسه قطع الحالق ثؤلولا له فى رأسه فتمرض منه فلم يزل كذلك حتى مات بعد مرجعه إلى المدينة ، وصلى عليه عمر بن الخطاب . وقد قيل إن أخاه نوفلا توفى قبله بأربعة أشهر والله أعلم .

أبو الهيثم بن التيهان

هو مالك بن مالك بن عسل بن عمرو بن عبد الاعلم بن عامر بن دعورا بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصارى الأوسى ، شهد العقبة نقيبا ، وشهد بدراً وما بعدها ، ومات سنة عشرين ، وقيل إحدى وعشرين ، وقيل إنه شهد صفين مع على ، قال ابن الأثير وهو الأكثر . وقد ذكره شيخنا هنا فالله أعلم .

زينب بنت جحش

ابن رباب الأسدية من أسد خزيمة أول أمهات المؤمنين وفاة ، أمها أميمة بنت عبد المطلب ، وكان اسمها برة ، فسماها رسول الله زينب ، وتكنى أم الحكم ، وهى التى زوجه الله بها ، وكانت تفتخر بذلك على سائر أزواج النبى (ص) ، فتقول : زوجكن أهلوكن و زوجنى الله من السماء . قال الله تعالى [فلما قضى زيد منها وطرازوجنا كها] الآية . وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة ، فلما طلقها تزوجها رسول الله (ص) . قيل كان ذلك فى سنة ثلاث وقيل أربع وهو الأشهر . وقيل سنة خمس . وفى دخوله عليه السلام بها نزل الحجاب كما ثبت فى الصحيحين عن أنس . وهى التى كانت تسامى عائشة بنت الصديق فى الجمال والحظوة ، وكانت دينة ورعة عابدة كثيرة الصدقة . وذاك الذى أشار إليه رسول الله (ص) بقوله « أسرعكن لحاقا بى أطولكن يداً » أى بالصدقة . وكانت امرأة صناعا تعمل بيديها وتتصدق على الفقراء . قالت عائشة : ما رأيت امرأة قط خيراً فى الدين وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم أمانة وصدقة من زينب بنت جحش . ولم تحج بعد حجة الوداع لا هى ولا سودة ، لقوله عليه السلام لأزواجه « هذه ثم ظهور الحصر » وأما بقية أزواج النبى (ص) فكن يخرجن إلى الحج وقالتا زينب وسودة : والله لاتحركنا بعده دابة . قالوا : و بعث عمر إليها فرضها اثنى عشر ألفاً فتصدقت به فى أقاربها . ثم قالت : اللهم لا يدركنى عطاء عمر بعد هذا . فماتت فى سنة عشرين وصلى عليها عمر . وهى أول من صنع لها النعش ، ودفنت بالبقيع .

صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول

وهى أم الزبير بن العوام ، وهى شقيقة حمزة والمقوم وحجل ، أمهم هالة بنت وهيب بن عبد مناف ابن زهرة . لاخلاف فى إسلامها وقد حضرت يوم أحد ووجدت على أخيها حمزة وجدا كثيراً ، وقتلت

يوم الخندق رجلا من اليهود جاء فجعل يطوف بالحصن التى هى فيه وهو نازع حصن حسان فقالت لحسان : انزل فاقتله ، فأبى ، فنزلت إليه فقتلته ثم قالت : انزل فاسلبه فلولا أنه رجل لاستلبته . فقال: لا حاجة لى فيه . وكانت أول امرأة قتلت رجلا من المشركين . وقد اختلف فى إسلام من عداها من عمات النبي (ص.) فقيل : أسلمت أروى وعاتكة . قال ابن الأثير وشيخنا أبو عبد الله الذهبى الحافظ : والصحيح أنه لم يسلم منهن غيرها . وقد تزوجت أولا بالحارث بن حرب بن أمية . ثم خلف عليها العوام بن خويلد فولدت له الزبير وعبد الكعبة . وقيل تزوج بها العوام بكراً، والصحيح الاول توفيت بالمدينة سنة عشرين عن ثلاث وسبعين سنة . ودفنت بالبقيع رضى الله عنها وقد ذكر ابن إسحق من توفى غيرها .

عويم بن ساعدة الأنصاري

شهد العقبتين والمشاهد كلها وهو أول من استنجى بالماء ، وفيه نزل قوله تعالى [فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين] وله روايات توفى هذه السنة بالمدينة * بشر بن عمرو بن حنش يلقب بالجارود ، أسلم فى السنة العاشرة ، وكان شريفاً مطاعاً فى عبد القيس، وهو الذى شهد على قدامة بن مظعون أنه شرب الخمر ، فعزله عمر عن اليمن وحده قتل الجارود شهيدا * أبو خراشة خويلد بن مرة الهذلى ، كان شاعرا مجيداً مخضرما أدرك الجاهلية والاسلام وكان إذا جرى سبق الخيل . نهشته حية فمات بالمدينة .

ثم دخلت سنة احدي وعشرين وكانت وقعة نهاوند

وهي وقعة عظيمة جدا لها شان رفيع ونبأ عجيب ،وكان المسلمون يسمونها فتح الفتوح

قال ابن إسحق والواقدى : كانت وقعة نهاوند فى سنة إحدى وعشرين . وقال سيف : كانت فى سنة سبع عشرة . وقيل فى سنة تسع عشرة والله أعلم . وإنما ساق أبو جعفر بن جرير قصتها فى هذه السنة فتبعناه فى ذلك وجمعنا كلام هؤلاء الأئمة فى هذا الشأن سياقا واحداً ، حتى دخل سياق بعضهم فى بعض . قال سيف وغيره : وكان الذى هاج هذه الوقعة أن المسلمين لما افتتحوا الأهواز ومنعوا جيش العلاء من أيديهم واستولوا على دار الملك القديم من اصطخر مع ما حازوا من دار مملكتهم حديثا ، وهى المدائن ، وأخذ تلك المدائن والأقاليم والكور والبلدان الكثيرة ، فحموا عند ذلك واستجاشهم يزدجرد الذى تقهقر من بلد إلى بلد حتى صار إلى أصبهان مبعداً طريداً ، لكنه فى أسرة من قومه وأهله وماله ، وكتب إلى ناحية نهاوند وما والاها من الجبال والبلدان ، فتجمعوا وتراسلوا حتى كمل لهم من الجنود مالم يجتمع لهم قبل ذلك ، فبعث سعد إلى عمر يعلمه بذلك ، وثار أهل الكوفة على سعد فى غضون هذا الحال . فشكوه فى كل شئ حتى قالوا : لايحسن يصلى . وكان الذى نهض

بهذه الشكوى رجل يقال له : الجراح بن سنان الأسدى فى نفر معه ، فلما ذهبوا إلى عمر فشكوه قال لهم عمر : إن الدليل على ما عندكم من الشر نهوضكم فى هذا الحال عليه ، وهو مستعد لقتال أعداء الله ، وقد جمعوا لكم ، ومع هذا لا يمنعنى أن أنظر فى أمركم . ثم بعث محمد بن مسلمة — وكان رسول العمال — فلما قدم محمد بن مسلمة الكوفة طاف على القبائل والعشائر والمساجد بالكوفة فكل يثنى على سعد خيراً إلا ناحية الجراح بن سنان فإنهم سكتوا فلم يذموا ولم يشكروا ، حتى انتهى إلى بنى عبس ، فقام رجل يقال له أبو سعدة أسامة بن قتادة ، فقال : أما إذ ناشدتنا فإن سعدا لا يقسم بالسوية ، ولا يعدل فى الرعية ، ولا يغزو فى السرية . فدعا عليه سعد فقال : اللهم إن كان قالها كذبا ورياءاً وسمعة فاعم بصره ، وكثر عياله ، وعرضه لمضلات الفتن . فعمى واجتمع عنده عشر بنات ، وكان يسمع بالمرأة فلا يزال حتى يأتيها فيجسها فإذا عثر عليه قال : دعوة سعد الرجل المبارك . ثم دعا سعد على الجراح وأصحابه فكل أصابته قارعة فى جسده ، ومصيبة فى ماله بعد ذلك . واستنفر محمد بن مسلمة أهل الكوفة لغزو أهل نهاوند فى غضون ذلك عن أمر عمر بن الخطاب . ثم سار سعد ومحمد بن مسلمة والجراح وأصحابه حتى جاءوا عمر فسأله عمر : كيف يصلى ؟ فأخبره أنه يطول فى الأوليين ويخفف فى الأخريين وما آلو ما اقتديت به من صلاة رسول الله (ص) . فقال له عمر : ذاك الظن بك يا أبا إسحق . وقال سعد فى هذه القصة . لقد أسلمت خامس خمسة ، ولقد كنا ومالنا طعام إلا ورق الحبلة حتى تقرحت أشداقنا ، وإنى لأول رجل رمى بسهم فى سبيل الله ، ولقد جمع لى رسول الله (ص) أبويه وما جمعهما لأحد قبلى ، ثم أصبحت بنو أسد يقولون لا يحسن يصلى . وفى رواية يعزرونى على الاسلام ، لقد خبت إذاً وضل عملى . ثم قال عمر لسعد : من استخلفت على الكوفة ؟ فقال : عبد الله بن عبد الله ابن عتبان ، فأقره عمر على نيابته الكوفة — وكان شيخا كبيراً من أشراف الصحابة حليفا لبنى الحبلى من الأنصار — واستمر سعد معزولا من غير عجز ولا خيانة ويهدد أولئك النفر ، وكاد يوقع بهم بأساً . ثم ترك ذلك خوفا من أن لا يشكو أحدا أميراً .

والمقصود أن أهل فارس اجتمعوا من كل فج عميق بأرض نهاوند ، حتى اجتمع منهم مائة ألف وخمسون ألف مقاتل ، وعليهم الفيرزان ويقال : بندار ، ويقال ذو الحاجب . وتذامروا فيما بينهم ، ١٥
وقالوا : إن محمداً الذى جاء العرب لم يتعرض لبلادنا ، ولا أبو بكر الذى قام بعده تعرض لنا فى دار ملكنا ، وإن عمر بن الخطاب هذا لما طال ملكه انتهك حرمتنا وأخذ بلادنا ، ولم يكفه ذلك حتى أغزانا فى عقر دارنا ، وأخذ بيت المملكة وليس بمنته حتى يخرجكم من بلادكم . فتعاهدوا وتعاقدوا على أن يقصدوا البصرة والكوفة ثم يشغلوا عمر عن بلاده ، وتواثقوا من أنفسهم وكتبوا بذلك عليهم كتابا . فلما كتب سعد بذلك إلى عمر — وكان قد عزل سعداً فى غضون ذلك — شافه سعد عمر بما

تمالؤا عليه وقصدوا إليه ، وأنه قد اجتمع منهم مائة وخمسون ألفا . وجاء كتاب عبد الله بن عبد الله ابن عتبان من الكوفة إلى عمر مع قريب بن ظفر العبدى بأنهم قد اجتمعوا وهم متحرفون متذامرون على الاسلام وأهله ، وأن المصلحة يا أمير المؤمنين أن تقصدهم فتعاجلهم عما هموا به وعزموا عليه من المسير إلى بلادنا . فقال عمر لحامل الكتاب : ما اسمك ؟ قال : قريب . قال : ابن من ؟ قال : ابن ظفر . فتفاءل عمر بذلك وقال : ظفر قريب . ثم أمر فنودى الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس وكان أول من دخل المسجد لذلك سعد بن أبى وقاص ، فتفاءل عمر أيضا بسعد ، فصعد عمر المنبر حتى اجتمع الناس فقال : إن هذا يوم له مابعده من الأيام ، ألا و إنى قد هممت بأمر فاسمعوا وأجيبوا وأوجزوا ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، إنى قد رأيت أن أسير بمن قبلى حتى أنزل منزلا وسطا بين هذين المصرين فأستنفر الناس ، ثم أكون لهم ردءاً حتى يفتح الله عليهم . فقام عثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف فى رجال من أهل الرأى ، فتكلم كل منهم بانفراده فأحسن وأجاد ، واتفق رأيهم على أن لا يسير من المدينة ، ولكن يبعث البعوث ويحصرهم برأيه ودعائه . وكان من كلام على رضى الله عنه أن قال : ياأمير المؤمنين ، إن هذا الأمر لم يكن نصرُهُ ولا خذلانه بكثرة ولا قلة ، هو دينه الذى أظهر ، وجنده الذى أعزه وأمده بالملائكة حتى بلغ ما بلغ . فنحن على موعود من الله والله منجز وعده ، وناصر جنده ، ومكانك منهم يا أمير المؤمنين مكان النظام من الخرز يجمعه و يمسكه ، فاذا انحل تفرق مافيه وذهب ، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً . والعرب اليوم و إن كانوا قليلا فهم كثير عزيز بالاسلام ، فأقم مكانك وا كتب إلى أهل الكوفة فهم أعلام العرب ورؤساؤهم ، فليذهب منهم الثلثان ويقيم الثلث ، وا كتب إلى أهل البصرة يمدونهم أيضا . ـ وكان عثمان قد أشار فى كلامه أن يمدهم فى جيوش من أهل اليمن والشام . ووافق عمر على الذهاب إلى مابين البصرة والكوفة ـ فرد علىّ على عثمان فى موافقته على الذهاب إلى ما بين البصرة والكوفة كما تقدم ، ورد رأى عثمان فيما أشار به من استمداد أهل الشام خوفا على بلادهم إذا قل جيوشها من الروم . ومن أهل اليمن خوفا على بلادهم من الحبشة . فأعجب عمر قول على وسر به ـ وكان عمر إذا استشار أحدا لايبرم أمرا حتى يشاور العباس ـ فلما أعجبه كلام الصحابة فى هذا المقام عرضه على العباس فقال : يا أمير المؤمنين خفض عليك ، فانما اجتمع هؤلاء الفرس لنقمة تنزل عليهم . ثم قال عمر : أشيروا على بمن أوليه أمر الحرب وليكن عراقيا . فقالوا : أنت أبصر بجندك يا أمير المؤمنين . فقال : اما والله لأولين رجلا يكون أول الأسنة إذا لقيها غدا . قالوا : من يا أمير المؤمنين ؟ قال : النعمان بن مقرن . فقالوا : هو لها ـ وكان النعمان قد كتب إلى عمر وهو على كسكر وسأله أن يعزله عنها و يوليه قتال أهل نهاوند ـ فلهذا أجابه إلى ذلك وعينه له ، ثم كتب عمر إلى حذيفة أن يسير من الكوفة بجنود

منها ، وكتب إلى أبي موسى أن يسير بجنود البصرة ، وكتب إلى النعمان ـ وكان بالبصرة ـ أن يسير بمن هناك من الجنود إلى نهاوند ، وإذا اجتمع الناس فكل أمير على جيشه والأمير على الناس كلهم النعمان بن مقرن . فاذا قتل فحذيفة بن اليمان ، فان قتل فجرير بن عبدالله ، فان قتل فقيس بن مكشوح ، فان قتل قيس ففلان ثم فلان ، حتى عد سبعة أحدهم المغيرة بن شعبة ، وقيل لم يسم فيهم والله أعلم .

وصورة الكتاب «بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عمر أمير المؤمنين ، إلى النعمان بن مقرن سلام عليك ، فانى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فانه قد بلغنى أن جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند ، فاذا أتاك كتابى هذا فسر بأمر الله و بعون الله و بنصر الله بمن معك من المسلمين ، ولاتوطئهم وعراً فتؤذيهم ، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم ، ولا تدخلهم غيضة ، فان رجلا من المسلمين أحب إلى من مائة ألف دينار ، والسلام عليك . فسر فى وجهك ذلك حتى تأتى ماه فانى قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافوك بها ، فاذا اجتمع إليك جنودك فسر إلى الفيرزان ومن جمع معه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم ، واستنصروا وأكثروا من لاحول ولاقوة إلا بالله » . وكتب عمر إلى نائب الكوفة ـ عبد الله بن عبد الله ـ أن يعين جيشا ويبعثهم إلى نهاوند ، وليكن الأمير عليهم حذيفة بن اليمان حتى ينتهى إلى النعمان بن مقرن ، فان قتل النعمان فحذيفة ، فان قتل فنعيم بن مقرن . وولى السائب بن الأقرع قسم الغنائم . فسار حذيفة فى جيش كثيف نحو النعمان ابن مقرن ليوافوه بماه ، وسار مع حذيفة خلق كثير من أمراء العراق ، وقد أرصد فى كل كورة ما يكفيها من المقاتلة ، وجعل الحرس فى كل ناحية ، واحتاطوا احتياطا عظيما ، ثم انتهوا إلى النعمان ابن مقرن حيث اتعدوا ، فدفع حذيفة بن اليمان إلى النعمان كتاب عمر وفيه الأمر له بما يعتمده فى هذه الوقعة ، فكمل جيش المسلمين فى ثلاثين ألفاً من المقاتلة فيما رواه سيف عن الشعبى ، فمنهم من سادات الصحابة ورءوس العرب خلق كثير وجم غفير ، منهم عبد الله بن عمر أمير المؤمنين ، وجرير بن عبد الله البجلى ، وحذيفة بن اليمان ، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن معدى كرب الزبيدى ، وطليحة بن خويلد الأسدى ، وقيس بن مكشوح المرادى . فسار الناس نحو نهاوند وبعث النعمان بن مقرن الأمير بين يديه طليعة ثلاثة وهم طليحة ، وعمرو بن معدى كرب الزبيدى ، وعمرو بن أبى سلمة . ويقال له عمرو بن ثبى أيضاً ، ليكشفوا له خبر القوم وما هم عليه . فسارت الطليعة يوما وليلة فرجع عمرو بن ثبى فقيل له : ما رجعك ؟ فقال : كنت فى أرض العجم وقتلت أرض جاهلها وقتل أرضاً عالمها . ثم رجع بعده عمرو بن معدى كرب وقال : لم نر أحدا وخفت أن يؤخذ علينا الطريق ، ونفذ طليحة ولم يحفل برجوعهما فسار بعد ذلك نحواً من بضعة عشر فرسخا حتى انتهى إلى نهاوند ، ودخل فى العجم وعلم من أخبارهم ما أحب ـ ثم رجع إلى النعمان فأخبره بذلك ، وأنه ليس بينه و بين نهاوند

شئ يكرهه . فسار النعمان على تعبئته وعلى المقدمة نعيم بن مقرن ، وعلى المجنبتين حذيفة وسويد بن مقرن ، وعلى المجردة القعقاع بن عمرو ، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود ، حتى انتهوا إلى الفرس وعليهم الفيرزان ، ومعه من الجيش كل من غاب عن القادسية فى تلك الأيام المتقدمة ، وهو فى مائة وخمسين ألفا ، فلما تراءا الجمعان كبر النعمان وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات ، فزلزلت الأعاجم ورعبوا من ذلك رعبا شديدا . ثم أمر النعمان بحط الأثقال وهو واقف ، فحط الناس أثقالهم ، وتركوا رحالهم ، وضربوا خيامهم وقبابهم . وضربت خيمة للنعمان عظيمة ، وكان الذين ضربوا أربعة عشر من أشراف الجيش ، وهم حذيفة بن اليمان ، وعتبة بن عمرو ، والمغيرة بن شعبة ، وبشير بن الخصاصية ، وحنظلة الكاتب ، وابن الهوبر ، وربعى بن عامر ، وعامر بن مطر ، وجرير بن عبد الله الحميرى ، وجرير بن عبد الله البجلى ، والأقرع بن عبد الله الحميرى ، والأشعث بن قيس الكندى ، وسعيد بن قيس الهمدانى ، ووائل بن حجر ، فلم ير بالعراق خيمة عظيمة أعظم من بناء هذه الخيمة ، وحين حطوا الأثقال أمر النعمان بالقتال وكان يوم الأربعاء ، فاقتتلوا ذلك اليوم والذى بعده والحرب سجال ، فلما كان يوم الجمعة انحجزوا فى حصنهم ، وحاصرهم المسلمون فأقاموا عليهم ماشاء الله ، والأعاجم يخرجون إذا أرادوا ويرجعون إلى حصونهم إذا أرادوا . وقد بعث أمير الفرس يطلب رجلا من المسلمين ليكلمه ، فذهب إليه المغيرة بن شعبة ، فذكر من عظم ما رأى عليه من لبسه ومجلسه ، وفيما خاطبه به من الكلام فى احتقار العرب واستهانته بهم ، وأنهم كانوا أطول الناس جوعا ، وأقلهم دارا وقدرا . وقال : ما يمنع هؤلاء الأساورة حولى أن ينتظموكم بالنشاب إلا تحجا من جيفكم ، فان تذهبوا نخل عنكم ، وإن تأبوا نزركم مصارعكم . قال : فتشهدت وحمدت الله وقلت : لقد كنا أسوأ حالا مما ذكرت ، حتى بعث الله رسوله فوعدنا النصر فى الدنيا ، والخير فى الآخرة ، وما زلنا نتعرف من ربنا النصر منذ بعث الله رسوله إلينا ، وقد جئناكم فى بلادكم وإنا لن نرجع إلى ذلك الشقاء أبدا حتى نغلبكم على بلادكم وما فى أيديكم أو نقتل بأرضكم . فقال : أما والله إن الأعور لقد صدقكم مافى نفسه . فلما طال على المسلمين هذا الحال واستمر ، جمع النعمان بن مقرن أهل الرأى من الجيش ، وتشاوروا فى ذلك ، وكيف يكون من أمرهم حتى يتواجهوا هم والمشركون فى صعيد واحد ، فتكلم عمرو بن أبى سلمة أولا — وهو أسن من كان هناك — فقال : إن بقاءهم على ماهم عليه أضر عليهم من الذى يطلبه منهم وأبقى على المسلمين . فرد الجميع عليه وقالوا : إنا لعلى يقين من إظهار ديننا ، وإنجاز موعود الله لنا . وتكلم عمرو بن معدى كرب فقال : ناهدهم وكاثرهم ولا تخفهم . فردوا جميعا عليه وقالوا : انما تناطح بنا الجدران والجدران أعوان لهم علينا . وتكلم طليحة الأسدى فقال : إنهما لم يصيبا ، وإنى أرى أن تبعث سرية فتحدق بهم ويناوشوهم بالقتال ويحمشوهم فاذا برزوا إليهم فليفروا إلينا هرابا ، فاذا استطردوا

وراءهم وانتموا إلينا عزمنا أيضا على الفرار كلنا ، فانهم حينئذ لا يشكون فى الهزيمة فيخرجون من حصونهم عن بكرة أبيهم ، فاذا تكامل خروجهم رجعنا إليهم فجالدناهم حتى يقضى الله بيننا . فاستجاد الناس هذا الرأى ، وأمر النعمان على المجردة القعقاع بن عمرو ، وأمرهم أن يذهبوا إلى البلد فيحاصروهم وحدهم ويهربوا بين أيديهم إذا برزوا إليهم . ففعل القعقاع ذلك ، فلما برزوا من حصونهم نكص القعقاع بمن معه ثم نكص ثم نكص فاغتنمها الأعاجم ، ففعلوا ما ظن طليحة ، وقالوا : هى هى ، فخرجوا بأجمعهم ولم يبق بالبلد من المقاتلة إلا من يحفظ لهم الأبواب ، حتى انتهوا إلى الجيش ، والنعمان بن مقرن على تعبئته . وذلك فى صدر نهار جمعة ، فعزم الناس على مصادمتهم ، فنهاهم النعمان وأمرهم أن لا يقاتلوا حتى تزول الشمس ، وتهب الأرواح ، وينزل النصر كما كان رسول الله ص ، يفعل . وألح الناس على النعمان فى الحملة فلم يفعل – وكان رجلا ثابتاً – فلما حان الزوال صلى بالمسلمين ثم ركب برذوناً له أحوى قريبا من الأرض ، فجعل يقف على كل راية ويحثهم على الصبر ويأمرهم بالثبات ، ويقدم إلى المسلمين أنه يكبر الأولى فيتأهب الناس للحملة ، ويكبر الثانية فلا يبقى لأحد أهبة ، ثم الثالثة ومعها الحملة الصادقة . ثم رجع إلى موقفه . وتعبت الفرس تعبئة عظيمة واصطفوا صفوفاً هائلة . فى عدد وعُدد لم ير مثله ، وقد تغلغل كثير منهم بعضهم فى بعض وألقوا حسك الحديد وراء ظهورهم حتى لا يمكنهم الهرب ولا الفرار ، ولا التحيز . ثم إن النعمان بن مقرن رضى الله عنه كبر الأولى وهز الراية فتأهب الناس للحملة ، ثم كبر الثانية وهز الراية فتأهبوا أيضاً ، ثم كبر الثالثة وحمل وحمل الناس على المشركين وجعلت راية النعمان تنقض على الفرس كانقضاض العقاب على الفريسة ، حتى تصافحوا بالسيوف فاقتتلوا قتالا لم يعهد مثله فى موقف من المواقف المتقدمة ، ولا سمع السامعون بوقعة مثلها ، قتل من المشركين مابين الزوال إلى الظلام من القتلى ماطبق وجه الأرض دما ، بحيث إن الدواب كانت تطبع فيه ، حتى قيل إن الأمير النعمان بن مقرن زلق به حصانه فى ذلك الدم فوقع وجاءه سهم فى خاصرته فقتله ، ولم يشعر به أحد سوى أخيه سويد ، وقيل نعيم ، وقيل غطاه بثوبه وأخفى موته ودفع الراية إلى حذيفة بن اليمان ، فأقام حذيفة أخاه نعيما مكانه ، وأمر بكتم موته حتى ينفصل الحال لئلا ينهزم الناس . فلما أظلم الليل انهزم المشركون مدبرين وتبعهم المسلمون [وكان الكفار قد قرنوا منهم ثلاثين ألفاً بالسلاسل وحفروا حولهم خندقاً ، فلما انهزموا وقعوا فى الخندق وفى تلك الأودية نحو مائة ألف] [1] وجعلوا يتساقطون فى أودية بلادهم فهلك منهم بشر كثير نحو مائة ألف أو يزيدون ، سوى من قتل فى المعركة ، ولم يفلت منهم إلا الشريد . وكان الفيرزان أميرهم قد صرع فى المعركة فانفلت وانهزم واتبعه نعيم بن مقرن ، وقدم القعقاع بين يديه

(١) سقط من المصرية .

وقصد الفيرزان همدان فلحقه القعقاع وأدركه عند ثنية همدان ، وقد أقبل منها بغال كثير وحُمُر تحمل عسلا ، فلم يستطع الفيرزان صعودها منهم ، وذلك لحينه فترجل وتعلق فى الجبل فاتبعه القعقاع حتى قتله ، وقال المسلمون يومئذ : إن لله جنوداً من عسل ، ثم غنموا ذلك العسل وما خالطه من الأحمال وسميت تلك الثنية ثنية العسل . ثم لحق القعقاع بقية المنهزمين منهم إلى همدان وحاصرها وحوى ما حولها، فنزل إليه صاحبها ـ وهو خسرشنوم ـ فصالحه عليها . ثم رجع القعقاع إلى حذيفة ومن معه من المسلمين ، وقد دخلوا بعد الوقعة نهاوند عنوة ، وقد جمعوا الأسلاب والمغانم إلى صاحب الأقباض وهو السائب ابن الأقرع . ولما سمع أهل ماه بخبر أهل همدان بعثوا إلى حذيفة وأخذوا لهم منه الأمان ، وجاء رجل يقال له الهربذ ـ وهو صاحب نارهم ـ فسأل من حذيفة الأمان و يدفع إليهم وديعة عنده لكسرى ، ادخرها لنوائب الزمان ، فأمنه حذيفة وجاء ذلك الرجل بسفطين مملوءتين جوهراً ثميناً لا يقوم ، غير أن المسلمين لم يعبئوا به ، واتفق رأيهم على بعثه لعمر خاصة ، وأرسلوه صحبة الأخماس والسبى صحبة السائب بن الأقرع ، وأرسل قبله بالفتح مع طريف بن سهم ، ثم قسم حذيفة بقية الغنيمة فى الغانمين ، ورضخ ونفل لذوى النجدات ؛ وقسم لمن كان قد أرصد من الجيوش لحفظ ظهور المسلمين من ورائهم ، ومن كان ردءاً لهم ، ومنسوباً إليهم . وأما أمير المؤمنين فانه كان يدعو الله ليلا ونهاراً لهم ، دعاء الحوامل المقربات ، وابتهال ذوى الضرورات ، وقد استبطأ الخبر عنهم فبينا رجل من المسلمين ظاهر المدينة إذا هو براكب فسأله من أين أقبل ؟ فقال : من نهاوند . فقال : ما فعل الناس ؟ قال : فتح الله عليهم وقتل الأمير ، وغنم المسلمون غنيمة عظيمة أصاب الفارس ستة آلاف ، والراجل ألفان . ثم فاته وقدم ذلك الرجل المدينة فأخبر الناس وشاع الخبر حتى بلغ أمير المؤمنين فطلبه فسأله عمن أخبره ، فقال : راكب . فقال : إنه لم يجئنى ، و إنما هو رجل من الجن وهو بريدهم واسمه عثيم ، ثم قدم طريف بالفتح بعد ذلك بأيام ، وليس معه سوى الفتح ، فسأله عمن قتل النعمان فلم يكن معه علم حتى قدم الذين معهم الأخماس فأخبروا بالأمر على جليته ، فاذا ذاك قد الجنى شهد الوقعة و رجع سريعاً إلى قومه نذيراً . ولما أخبر عمر بمقتل النعمان بكى وسأل السائب عمن قتل من المسلمين فقال : فلان وفلان وفلان ، لأعيان الناس وأشرافهم .

ثم قال وآخرون من أفناد الناس ممن لا يعرفهم أمير المؤمنين ، فجعل يبكى و يقول : وما ضرهم أن لا يعرفهم أمير المؤمنين ؟ لكن الله يعرفهم وقد أكرمهم بالشهادة ، وما يصنعون بمعرفة عمر . ثم أمر بقسمة الخمس على عادته ، وحملت ذانك السفطان إلى منزل عمر ، و رجعت الرسل ، فلما أصبح عمر طلبهم فلم يجدهم ، فأرسل فى إثرهم البرد فما لحقهم البريد إلا بالكوفة .

قال السائب بن الأقرع : فلما أنخت بعيرى بالكوفة ، أناخ البريد على عرقوب بعيرى ، وقال :

أجب أمير المؤمنين ، فقلت : لماذا ؟ فقال : لا أدرى . فرجعنا على إثرنا ، حتى انتهيت إليه . قال : مالى ولك يا ابن أم السائب ، بل مالا بن أم السائب ومالى ، قال : فقلت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ويحك والله إن هو إلا أن نمت فى الليلة التى خرجت فيها فباتت ملائكة الله تسحبنى إلى ذينك السفطين وهما يشتعلان ناراً ، يقولون لنكوينك بهما . فأقول : إنى سأقسمهما بين المسلمين . فاذهب بهما لا أبالك فبعهما فاقسمهما فى أعطية المسلمين وأرزاقهم ، فانهم لايدرون ما وهبوا ولم تدر أنت معهم .

قال السائب : فأخذتهما حتى جئت بهما مسجد الكوفة وغشيتنى التجار فابتاعهما منى عمرو بن حريث المخزومى بألفى ألف . ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم فباعهما بأربعة آلاف ألف . فما زال أكثر أهل الكوفة ما لا بعد ذلك . قال سيف : ثم قسم ثمنهما بين الغانمين فنال كل فارس أربعة آلاف درهم من ثمن السفطين . قال الشعبى : وحصل للفارس من أصل الغنيمة ستة آلاف وللراجل ألفان وكان المسلمون ثلاثين ألفاً .

قال : وافتتحت نهاوند فى أول سنة تسع عشرة لسبع سنين من إمارة عمر ، رواه سيف عن عمرو ابن محمد عنه . وبه عن الشعبى قال : لما قدم سبى نهاوند إلى المدينة جعل أبو لؤلؤة ـ فيروز غلام المغيرة ابن شعبة ـ لا يلقى منهم صغيراً إلا مسح رأسه و بكى وقال : أكل عمر كبدى ـ وكان أصل أبى لؤلؤة من نهاوند فأسرته الروم أيام فارس وأسرته المسلمون بعد ، فنسب إلى حيث سبى ـ قالوا : ولم تقم للأعاجم بعد هذه الوقعة قائمة ، وأتحف عمر الذين أبلوا فيها بألفين تشريفاً لهم و إظهاراً لشأنهم .

وفى هذه السنة افتتح المسلمون أيضاً بعد نهاوند مدينة جَىّ ـ وهى مدينة أصبهان ـ بعد قتال كثير وأمور طويلة ، فصالحوا المسلمين وكتب لهم عبد الله بن عبد الله كتاب أمان وصلح وفر منهم ثلاثون نفراً إلى كرمان لم يصالحوا المسلمين . وقيل : إن الذى فتح أصبهان هو النعمان بن مقرن وأنه قتل بها ، ووقع أمير المجوس وهو ذو الحاجبين عن فرسه فانشق بطنه ومات وانهزم أصحابه . والصحيح أن الذى فتح إصبهان عبد الله بن عبد الله بن عتبان ـ الذى كان نائب الكوفة ـ وفيها افتتح أبو موسى قم وقاشان ، وافتتح سهيل بن عدى مدينة كرمان .

وذكر ابن جرير عن الواقدى : أن عمرو بن العاص سار فى جيش معه إلى طرابلس قال : وهى برقة فافتتحها صلحاً على ثلاثة عشر ألف دينار فى كل سنة .

قال : وفيها بعث عمرو بن العاص عقبة بن نافع الفهرى إلى زويلة ففتحها بصلح ، وصار ما بين برقة إلى زويلة سلما للمسلمين . قال : وفيها ولى عمر عمار بن ياسر على الكوفة بدل زياد بن حنظلة الذى ولاه بعد عبد الله بن عبد الله بن عتبان ، وجعل عبد الله بن مسعود على بيت المال ، فاشتكى

أهل الكوفة من عمار فاستعفى عمار من عمله ، فعزله وولى جبير بن مطعم ، وأمره أن لا يعلم أحداً ، وبعث المغيرة بن شعبة امرأته إلى امرأة جبير يعرض عليها طعاماً للسفر فقالت : اذهبي فأتيني به . فذهب المغيرة إلى عمر فقال : بارك الله يا أمير المؤمنين فيمن وليت على الكوفة . فقال : وما ذاك ؟ وبعث إلى جبير بن مطعم فعزله وولى المغيرة بن شعبة ثانية ، فلم يزل عليها حتى مات عمر رضي الله عنهم

قال : وفيها حج عمر واستخلف على المدينة زيد بن ثابت وكان عماله على البلدان المتقدمون فى السنة التى قبلها سوى الكوفة .

قال الواقدى : وفيها توفى خالد بن الوليد بحمص وأوصى إلى عمر بن الخطاب . وقال غيره توفى سنة ثلاث وعشرين ، وقيل بالمدينة . والأول أصح . وقال غيره : وفيها توفى العلاء بن الحضرمى فولى عمر مكانه أبا هريرة . وقد قيل إن العلاء توفى قبل هذا كما تقدم والله أعلم .

وقال ابن جرير فيما حكاه عن الواقدى : وكان أمير دمشق فى هذه السنة عمير بن سعيد ، وهو أيضاً على حمص وحوران وقنسرين والجزيرة ، وكان معاوية على البلقاء والأردن ، وفلسطين . والسواحل وإنطاكية ، وغير ذلك .

ذكر من توفي سنة إحدى وعشرين

خالد بن الوليد

ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى أبو سليمان المخزومى ، سيف الله ، أحد الشجعان المشهورين ، لم يقهر فى جاهلية ولا إسلام . وأمه عصماء بنت الحارث ، أخت لبابة [1] بنت الحارث ، وأخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين . قال الوقدى : أسلم أول يوم من صفر سنة ثمان ، وشهد مؤتة وانتهت إليه الامارة يومئذ عن غير إمرة ، فقاتل يومئذ قتالا شديداً لم ير مثله ، اندقت فى يده تسعة أسياف ، ولم تثبت فى يده إلا صفيحة يمانية . وقد قال رسول الله (ص) « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه » . وقد روى أن خالداً سقطت قلنسوته يوم اليرموك وهو فى الحرب فجعل يستحث فى طلبها فعوتب فى ذلك ، فقال : إن فيها شيئاً من شعر ناصية رسول الله (ص) ، وإنها ما كانت معى فى موقف إلا نصرت بها .

وقد روينا فى مسند أحمد من طريق الوليد بن مسلم عن وحشى بن حرب عن أبيه عن جده وحشى بن حرب عن أبى بكر الصديق أنه لما أمر خالداً على حرب أهل الردة قال : سمعت رسول الله (ص) يقول « فنعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد ، خالد بن الوليد سيف من سيوف الله

(١) الذى فى المصرية : أمه لبابة بنت الحارث أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين .

سله الله على الكفار والمنافقين» وقال أحمد : حدثنا حسين الجعفى عن زائدة عن عبدالملك بن عمير قال : استعمل عمر بن الخطاب أبا عبيدة على الشام وعزل خالد بن الوليد ، فقال خالد : بعث إليكم أمين هذه الأمة ، [سمعت رسول الله (ص.) يقول « أمين هذه الأمة] (١) أبو عبيدة بن الجراح » فقال أبو عبيدة : سمعت رسول الله (ص.) يقول « خالد سيف من سيوف الله نعم فتى العشيرة » وقد أورده ابن عساكر من حديث عبد الله بن أبى أوفى ، وأبى هريرة ، ومن طرق مرسلة يقوى بعضها بعضاً . وفى الصحيح « وأما خالد فانكم تظلمون خالداً وقد احتبس أدراعه وأعبده فى سبيل الله » وشهد الفتح وشهد حنيناً وغزا بنى جذيمة أميراً فى حياته عليه السلام . واختلف فى شهوده خيبر [وقد دخل مكة أميراً على طائفة من الجيش وقتل خلقاً كثيراً من قريش ، كما قدمنا ذلك مبسوطا فى موضعه ، ولله الحمد والمنة . وبعثه رسول الله (ص.) إلى العزى - وكانت لهوازن - فكسر قمتها أولا ثم دعثرها وجعل يقول : ياعزى كفرانك لا سبحانك * إنى رأيت الله قد أهانك . ثم حرقها] (٢) وقد استعمله الصديق بعد رسول الله (ص.) على قتال أهل الردة وما نعى الزكاة ، فشفى واشتفى . ثم وجهه إلى العراق ثم أتى الشام فكانت له من المقامات ما ذكرناها مما تقر بها القلوب والعيون ، وتتشنف بها الأسماع . ثم عزله عمر عنها وولى أبا عبيدة وأبقاه مستشاراً فى الحرب ، ولم يزل بالشام حتى مات على فراشه رضى الله عنه .

وقد روى الواقدى عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه قال : لما حضرت خالداً الوفاة بكى ثم قال : لقد حضرت كذا وكذا زحفاً ، وما فى جسدى شبر إلا وفيه ضربة سيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، وها أنا أموت على فراشى حتف أنفى كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء . وقال أبو يعلى : ثنا شريح بن يونس ثنا يحيى بن زكريا عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس . قال : قال خالد بن الوليد : ما ليلة يهدى إلى فيها عروس ، أو أبشر فيها بغلام بأحب إلى من ليلة شديدة الجليد فى سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو . وقال أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن خيثمة قال : أتى خالد برجل معه زق خمر فقال : اللهم اجعله عسلا ، فصار عسلا . وله طرق ، وفى بعضها مر عليه رجل معه زق خمر فقال له خالد : ماهذا ؟ فقال : عسل فقال : اللهم اجعله خلا ، فلما رجع إلى أصحابه قال : جئتكم بخمر لم يشرب العرب مثله ، ثم فتحه فاذا هو خل ، فقال أصابته والله دعوة خالد رضى الله عنه . وقال حماد بن سلمة عن ثمامة عن أنس . قال : لقى خالد عدواً له فولى عنه المسلمون منهزمين وثبت هو وأخو البراء بن مالك ؛ وكنت بينهما واقفاً ، قال : فنكس خالد رأسه ساعة إلى الأرض ثم رفع رأسه إلى السماء ساعة - قال : وكذلك كان يفعل إذا أصابه مثل هذا - ، ثم

---

(١) و (٢) سقط من الحلبية.

قال لأخى البراء : قم فركبا ، واختطب خالد من معه من المسلمين وقال : ماهو إلا الجنة وما إلى المدينة سبيل . ثم حمل بهم فهزم المشركين .

وقد حكى مالك عن عمر بن الخطاب أنه قال لأبى بكر : اكتب إلى خالد أن لا يعطى شاة ولا بعيراً إلا بأمرك . فكتب أبو بكر إلى خالد بذلك ، فكتب إليه خالد : إما أن تدعنى وعملى ، و إلا فشأنك بعملك . فأشار عليه عمر بعزله ، فقال أبو بكر : فمن يجزى عنى جزاء خالد ؟ قال عمر : أنا . قال : فأنت . فتجهز عمر حتى أنيخ الظهر فى الدار ، ثم جاء الصحابة فأشاروا على الصديق بابقاء عمر بالمدينة و إبقاء خالد بالشام . فلما ولى عمر كتب إلى خالد بذلك فكتب إليه خالد بمثل ذلك فعزله ، وقال : ما كان الله ليرانى آمر أبا بكر بشئ لا أنفذه أنا . وقد روى البخارى فى التاريخ وغيره من طريق على بن رباح عن ياسر بن سمى البرنى ، قال : سمعت عمر يعتذر إلى الناس بالجابية من عزل خالد ، فقال : أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين فأعطاه ذا البأس ، وذا الشرف واللسان ، فأمرت أبا عبيدة . فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة : ما اعتذرت ياعمر، لقد نزعت عاملا استعمله رسول الله (ص.) ، ووضعت لواء رفعه رسول الله (ص.) ، وأغمدت سيفاً سله الله ، ولقد قطعت الرحم ، وحسدت ابن العم . فقال عمر : إنك قريب القرابة ، حديث السن مغضب فى ابن عمك.

قال الواقدى رحمه الله ، ومحمد بن سعيد وغير واحد : مات سنة إحدى وعشرين بقرية على ميل من حمص ، وأوصى إلى عمر بن الخطاب . وقال دحيم وغيره : مات بالمدينة . والصحيح الأول . وقدمنا فيما سلف تعزير عمر له حين أعطى الأشعث بن قيس عشرة آلاف ، وأخذه من ماله عشرين ألفاً أيضاً . وقدمنا عتبه عليه لدخوله الحمام وتدلكه بعد النورة بدقيق عصفر معجون بخمر ، واعتذار خالد إليه بأنه صار غسولا . وروينا عن خالد أنه طلق امرأة من نسائه وقال : إنى لم أطلقها عن ريبة ، ولكنها لم تمرض عندى ولم يصبها شئ فى بدنها ولا رأسها ولا فى شئ من جسدها . وروى سيف وغيره : أن عمر قال حين عزل خالداً عن الشام ، والمثنى بن حارثة عن العراق : إنما عزلتهما ليعلم الناس أن الله نصر الدين لا بنصرهما وأن القوة لله جميعاً . وروى سيف أيضاً أن عمر قال حين عزل خالداً عن قنسرين وأخذ منه ما أخذ : إنك على لكريم ، وإنك عندى لعزيز ، ولن يصل إليك منى أمر تكرهه بعد ذلك . وقد قال الأصمعى عن سلمة عن بلال عن مجالد عن الشعبى قال : اصطرع عمر وخالد وهما غلامان — وكان خالد ابن خال عمر — فكسر خالد ساق عمر ، فعولجت وجبرت ، وكان ذلك سبب العداوة بينهما . وقال الأصمعى عن ابن عون عن محمد بن سيرين قال : دخل خالد على عمر وعليه قميص حرير فقال عمر : ما هذا ياخالد ؟ فقال : وما بأس يا أمير المؤمنين ، أليس قد لبسه عبد الرحمن بن عوف ؟ فقال : وأنت مثل ابن عوف ؟ ولك مثل ما لابن عوف ؟ عزمت

على من بالبيت إلا أخذ كل واحد منهم بطائفة مما يليه . قال : فمزقوه حتى لم يبق منه شئ . وقال عبد الله بن المبارك عن حماد بن زيد حدثنا عبد الله بن المختار عن عاصم بن بهدلة عن أبى وائل ـ ثم شك حماد فى أبى وائل ـ قال : ولما حضرت خالد بن الوليد الوفاة قال : لقد طلبت القتل فى مظانه فلم يقدر لى إلا أن أموت على فراشى . وما من عملى شئ أرجى عندى بعد لا إله إلا الله من ليلة بتها وأنا متترس والسماء تهلنى تمطر إلى الصبح ، حتى نغير على الكفار . ثم قال : إذا أنا مت فانظروا إلى سلاحى وفرسى فاجعلوه عدة فى سبيل الله . فلما توفى خرج عمر على جنازته فذكر قوله : ما على آل نساء الوليد أن يسفحن على خالد من دموعهن مالم يكن نقعا أو لقلقة .

قال ابن المختار : النقع التراب على الرأس ، واللقلقة الصوت . وقد علق البخارى فى صحيحه بعض هذا فقال : وقال عمر : دعهن يبكين على أبى سليمان مالم يكن نقع أو لقلقة . وقال محمد بن سعد ثنا وكيع وأبو معاوية وعبد الله بن نمير قالوا : حدثنا الأعمش عن شقيق بن سلمة قال : لما مات خالد ابن الوليد اجتمع نسوة بنى المغيرة فى دار خالد يبكين عليه فقيل لعمر : إنهن قد اجتمعن فى دار خالد يبكين عليه ، وهن خلقاء أن يسمعنك بعض ماتكره . فأرسل إليهن فانههن . فقال عمر : وما عليهن أن ينزفن من دموعهن على أبى سليمان ، مالم يكن نقعاً أو لقلقة . ورواه البخارى فى التاريخ من حديث الأعمش بنحوه .

وقال إسحق بن بشر وقال محمد : مات خالد بن الوليد بالمدينة فخرج عمر فى جنازته و إذا أمه تندبه وتقول :

أنتَ خيرٌ من ألفِ ألفٍ من القو * م إذا ما كبتْ وجوهُ الرجالِ

فقال : صدقت والله إن كان لكذلك .

وقال سيف بن عمر عن شيوخه عن سالم . قال : فأقام خالد فى المدينة حتى إذا ظن عمر أنه قد زال ما كان يخشاه من افتتان الناس به . وقد عزم على توليته بعد أن يرجع من الحج ، واشتكى خالد بعده وهو خارج من المدينة زائراً لأمه فقال لها احدرونى إلى مهاجرى ، فقدمت به المدينة ومرضته فلما ثقل وأظل قدوم عمر لقيه لاق على مسيرة ثلاث صادراً عن حجة فقال له عمر بهم(١) فقال : خالد بن الوليد ثقيل لمابه . فطوى عمر ثلاثاً فى ليلة فادركه حين قضى ، فرق عليه واسترجع وجلس ببابه حتى جهز ، و بكته البواكى ، فقيل لعمر : ألا تسمع ألا تنهاهن ؟ فقال : وما على نساء قريش أن يبكين أبا سليمان ؟ مالم يكن نقع ولا لقلقة . فلما خرج لجنازته رأى عمر امرأة محرمة تبكيه وتقول :

أنتَ خيرٌ منْ ألفِ ألف منْ النا * سِ إذا ما كبت وجوهُ الرجالِ

(١) كذا بالحلبية وفى المصرية بياض .

أشجاعٌ فأنتَ أشجعُ منْ ليثٍ * ضمرٍ بنِ جهمٍ أبى أشبالِ

أجوادٌ فأنتَ أجود منْ سيلٍ * دياسٍ يسيلُ بينَ الجبالِ

فقال عمر : من هـذه ؟ فقيل له : أمه . فقال : أمه والا له ثلاثاً . وهل قامت النساء عن مثل خالد . قال : فـكان عمر يتمثل فى طيه تلك الثلاث فى ليلة و فى قدومه .

تبكي ما وصلتْ بهِ الندامى * ولا تبكى فوارس كالجبالِ

أولئكَ إنْ بكيتَ أشد فقداً * من الاذهابِ والعكرِ الجلالِ

تمنى بعدهمْ قومٌ مداهمْ * فلمْ يدنوا لأسبابِ الـكمالِ

و فى رواية أن عمر قال لأم خالد : أخالداً أو أجره ترزئين ؟ عزمت عليك أن لا تبيتى حتى تسود يداك من الخضاب . وهذا كله مما يقتضى موته بالمدينة النبوية ، و إليه ذهب دحيم عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقى ، ولـكن المشهور عن الجمهور وهم الواقدى ، وكاتبه محمد بن سعد ، وأبو عبيد القاسم ابن سـلام ، و إبراهيم بن المنذر ، ومحمد بن عبـد الله بن نمير ، وأبو عبد الله العصفرى ، وموسى بن أيوب ، وأبو سليمان بن أبى محمد وغـيرهم ، أنه مات بحمص سـنة إحدى وعشرين . زاد الواقدى : وأوصى إلى عمر بن الخطاب . وقد روى محمد بن سـعد عن الواقدى عن عبد الرحمن بن أبى الزناد وغيره قالوا : قدم خالد المدينة بعد ما عزله عمر فاعتمر ثم رجع إلى الشام ، فلم يزل بها حتى مات فى سنة إحدى وعشرين . وروى الواقدى أن عمر رأى حجاجاً يصلون بمسجد قباء فقال : أين نزلتم بالشام ؟ قالوا : بحمص ، قال : فهل من معرفة خبر ؟ قالوا : نعم مات خالد بن الوليد . قال : فاسترجع عمر وقال : كان والله سـداداً لنحور العدو ، ميمون النقيبة . فقال له على : فلم عزلته ؟ قال : لبذله المال لذوى الشرف واللسان .

و فى رواية أن عمر قال لعلى : ندمت على ما كان منى . وقال محمد بن سعد : أخبرنا عبد الله بن الزبير الحميدى ثنا سفيان بن عيينة ثنا إسماعيل بن أبى خالد ، سمعت قيس بن أبى حازم يقول : لما مات خالد بن الوليد قال عمر : رحم الله أبا سليمان ، لقد كنا نظن به أموراً ما كانت . وقال جويرية عن نافع قال : لما مات خالد لم يوجد له إلا فرسه وغلامه وسـلاحه ، وقال القاضى المعافا بن زكريا الحريرى : ثنا أحمد بن العباس العسكرى ، ثنا عبد الله بن أبى سـعد حدثنى عبد الرحمن بن حمزة اللخمى ثنا أبو عـلى الحرنازى قال : دخل هشام بن البحترى فى ناس من بنى مخزوم على عمر بن الخطاب فقال له : ياهشام أنشدنى شعرك فى خالد . فأنشده فقال : قصرت فى الثناء على أبى سليمان رحمـه الله ، إنه كان ليحب أن يذل الشرك وأهله ، و إن كان الشامت به لمتعرضاً لمقت الله . ثم قال عمر قاتل الله أخا بنى تميم ما أشعره

وقلْ للذى يبقى خلافَ الذى مضى * تهيأْ لأخرى مثلها فـكأنْ قدى
فما عيشُ منْ قد عاشَ بعدى بنافعى * ولا موتُ منْ قد ماتَ يوماً بمخلدِى

ثم قال عمر : رحم الله أبا سليمان ما عند الله خير له مما كان فيه . ولقد مات سعيداً وعاش حميداً ولـكن رأيت الدهر ليس بقائل .

طليحة بن خويلد

ابن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس بن طريف بن عمر بن قعير بن الحارث بن ثعلبة بن داود بن أسد بن خزيمة الأسدى الفقعسى ، كان ممن شهد الخندق من ناحية المشركين ، ثم أسلم سنة تسع ، ووفد على رسول الله (ص.) إلى المدينة ثم ارتد بعد وفاة رسول الله (ص.) فى أيام الصديق ، وادعى النبوة كما تقدم .. وروى ابن عساكر أنه ادعى النبوة فى حياة رسول الله (ص.) وأن ابنه خيال قـدم على رسول الله (ص.) فسأله : ما اسم الذى يأتى إلى أبيك ؟ فقال : ذو النون الذى لا يكذب ولا يخون ، ولا يكون كما يكون . فقال : لقد سمى ملـكا عظيم الشأن ، ثم قال لابنه : قتلك الله وحرمك الشهادة . ورده كما جاء . فقتل خيال فى الردة فى بعض الوقائع قتـله عكاشة بن محصن ثم قتل طليحة عكاشة وله مع المسلمين وقائع . ثم خذله الله على يدى خالد بن الوليد ، وتفرق جنـده فهرب حتى دخل الشام فنزل على آل جفنة ، فأقام عندهم حتى مات الصديق حياء منـه ، ثم رجع إلى الاسلام واعتمر ، ثم جاء يسلم على عمر فقال له : اغرب عنى فانك قاتل الرجلين الصالحين ، عكاشة بن محصن ، وثابت بن أقرم ، فقال : يا أمير المؤمنين هما رجلان أكرمهما الله على يدى ولم يهنى بأيديهما . فأعجب عمر كلامه ورضى عنه . وكتب له بالوصاة إلى الأمراء أن يشاور ولا يولى شيئاً من الأمر ثم عاد إلى الشام مجاهداً فشهد اليرموك وبعض حروب كالقادسية ونهاوند الفرس ، وكان من الشجعان المذكورين ، والأبطال المشهورين ، وقد حسن إسلامه بعد هذا كله . وذكره محمد بن سعد فى الطبقة الرابعة من الصحابة وقال : كان يعد بألف فارس لشدته وشجاعته وبصره بالحرب . وقال أبو نصر بن ماكولا : أسـلم ثم ارتد ثم أسـلم وحسن إسلامه ، وكان يعدل بألف فارس . ومن شعره أيام ردته وادعائه النبوة فى قتل المسلمين أصحابه .

فما ظنكمْ بالقوم إذْ تقتلونهمْ * أليسوا وإنْ لم يسلموا برجالِ
فانْ يكنِ اذداد أصبنَ ونسوةٌ * فلم يذهبوا فرغاً بقتلِ خيالِ
نصبتُ لهم صدرَ الحمالةِ إنها * معاودةٌ قتلَ الـكماةِ نزالِ
فيوماً تراها فى الجلالِ مصونةً * ويوماً تراها غيرَ ذاتِ جلالِ
ويوماً تراها تضيءُ المشرفيةُ نحوها * ويوماً تراها فى ظلالِ عوالِى

عشيةَ غادرتُ ابنَ أقرمَ ثاوياً * وعكاشةُ العمى عندَ مجالِ

وقال سيف بن عمر عن مبشر بن الفضيل عن جابر بن عبد الله . قال : بالله الذى لا إله إلا هو ما اطلعنا على أحد من أهل القادسية يريد الدنيا مع الآخرة ، ولقد اتهمنا ثلاثة نفر فما رأينا كما هجمنا عليهم من أماناتهم وزهدهم ، طليحة بن خويلد الأسدى ، وعمرو بن معدى كرب ، وقيس ابن المكشوح . قال ابن عساكر : ذكر أبو الحسين محمد بن أحمد بن الفراس الوراق أن طليحة استشهد بنهاوند سنة إحدى وعشرين مع النعمان بن مقرن ، وعمرو بن معدى كرب رضى الله عنهم .

عمرو بن معدي كرب

ابن عبد الله بن عمرو بن عاصم بن عمرو بن زبيد الأصغر بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة ابن شيبة وهو زبيد الأكبر بن الحارث بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج الزبيدى المذحجى أبو ثور ، أحد الفرسان المشاهير الأبطال ، والشجعان المذاكير ، قدم على رسول الله (ص) سنة تسع ، وقيل عشر ، مع وفد مراد ، وقيل فى وفد زبيد قومه . وقد ارتد مع الأسود العنسى فسار إليه خالد بن سعيد بن العاص ، فقاتله فضربه خالد بن سعيد بالسيف على عاتقه فهرب وقومه ، وقد استلب خالد سيفه الصمصامة ، ثم أسر ودفع إلى أبى بكر فأنبه وعاتبه واستتابه ، فتاب وحسن إسلامه بعد ذلك ، فسيره إلى الشام ، فشهد اليرموك ثم أمره عمر بالمسير إلى سعد وكتب بالوصاة به ، وأن يشاور ولا يولى شيئاً ، فنفع الله به الاسلام وأهله ، وأبلى بلاء حسناً يوم القادسية . وقيل إنه قتل بها ، وقيل بنهاوند ، وقيل مات عطشاً فى بعض القرى يقال لها روذة فالله أعلم . وذلك كله فى إحدى وعشرين فقال بعض من رثاه من قومه :

لقدْ غادرَ الركبانِ يومَ تحملوا * بروذةَ شخصاً لا جباناً ولا غمرا

فقلْ لزبيدٍ بلْ لمذحجَ كلها * رزئتمْ أبا ثورٍ قريع الوغى عمرا

وكان عمرو بن معدى كرب رضى الله عنه من الشعراء المجيدين ، فمن شعره :

أعاذلَ عدتى بدنى ورمحى * وكلُّ مقلصٍ سلس القيادِ

أعاذلَ إنما أفنى شبابى * إجابتى الصريخَ إلى المنادى

معَ الأبطالِ حتى سلَّ جسمى * وأقرعَ عاتقى حمل النجادِ

ويبقى بعدَ حلمِ القومِ حلمى * ويفنى قبلَ زادِ القومِ زادى

تمنى أن يلاقينى قبيسٌ * وددتُ وأينما منى ودادى

فمنْ ذا عاذرى من ذى سفاهٍ * يرودُ بنفسهِ منى المرادى

أريدُ حياتهُ ويريدُ قتلى * عذيركَ منْ خليلكَ منْ مرادى

له حديث واحد فى التلبية رواه شراحيل بن القعقاع عنه ، قال : كنا نقول فى الجاهلية إذا لبينا : لبيك تعظيما إليك عذراً * هذى زبيد قد أتتك قسراً * يعدو بها مضمرات شزراً * يقطعن خبتا وجبالا وعرا * قد تركوا الاوثان خلواً صفراً * قال عمرو : فنحن نقول الآن ولله الحمد كما علمنا رسول الله (ص) : لبيك اللهم لبيك ، لبيكُ لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

العلاء بن الحضرمي

أمير البحرين لرسول الله (ص) وأقره عليها أبو بكر ثم عمر . تقدم أنه توفى سنة أربع عشرة ومنهم من يقول إنه تأخر إلى سنة إحدى وعشرين ، وعزله عمر عن البحرين وولى مكانه أباهريرة . وأمره عمر على الكوفة فمات قبل أن يصل إليها منصرفه من الحج . كما قدمنا ذلك والله أعلم . وقد ذكرنا فى دلائل النبوة قصته فى سيره بجيشه على وجه الماء وماجرى له من خرق العادات ولله الحمد .

النعمان بن مقرن بن عائذ المزني

أمير وقعة نهاوند ، صحابي جليل ، قدم مع قومه من مزينة فى أربعمائة راكب ، ثم سكن البصرة وبعثه الفاروق أميراً على الجنود إلى نهاوند ، ففتح الله على يديه فتحاً عظيما ، ومكن الله له فى تلك البلاد ، ومكنه من رقاب أولئك العباد ، ومكن به للمسلمين هنالك إلى يوم التناد ، ومنحه النصر فى الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، وأتاح له بعدما أراه ما أحب شهادة عظيمة وذلك غاية المراد ، فكان ممن قال الله تعالى فى حقه فى كتابه المبين وهو صراطه المستقيم (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) .

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين

وفيها كانت فتوحات كثيرة منها فتح همدان ثانية ثم الري وما بعدها ثم اذربيجان

قال الواقدى وأبو معشر : كانت فى سنة ثنتين وعشرين . وقال سيف : كانت فى سنة ثمانى عشرة بعد فتح همدان والرى وجرجان . وأبو معشر يقول بأن أذربيجان كانت بعد هذه البلدان ، ولكن عنده أن الجميع كان فى هذه السنة . وعند الواقدى أن فتح همدان والرى فى سنة ثلاث وعشرين ، فهمدان افتتحها المغيرة بعد مقتل عمر بستة أشهر ، قال : ويقال كان فتح الرى قبل وفاة عمر بسنتين ، إلا أن الواقدى وأبا معشر متفقان على أن أذربيجان فى هذه السنة ، وتبعهما ابن جرير وغيره . وكان السبب فى ذلك أن المسلمين لما فرغوا من نهاوند وما وقع من الحرب المتقدم ، فتحوا

حلوان وهمذان بعد ذلك . ثم إن أهل همذان نقضوا عهدهم الذى صالحهم عليه القعقاع بن عمرو ، فكتب عمر إلى نعيم بن مقرن أن يسير إلى همذان ، وأن يجعل على مقدمته أخاه سويد بن مقرن ، وعلى مجنبتيه ربعى بن عامر الطائى ، ومهلهل بن زيد التميمى . فسار حتى نزل على ثنية العسل ، ثم تحدر على همذان ، واستولى على بلادها ، وحاصرها فسألوه الصلح فصالحهم ودخلها ، فبينما هو فيها ومعه اثنى عشر ألفاً من المسلمين اذ تكاتف الروم والديلم وأهل الرى وأهل أذربيجان ، واجتمعوا على حرب نعيم بن مقرن فى جمع كثير ، فعلى الديلم ملكهم واسمه موتا ، وعلى أهل الرى أبو الفرُّخان ، وعلى أذربيجان اسفَنْدياذ أخو رستم ، فخرج إليهم بمن معه من المسلمين حتى التقوا بمكان يقال له واج الروذ ، فاقتتلوا قتالا شديداً وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند ولم تك دونها ، فقتلوا من المشركين جمعاً كثيراً ، وجماً غفيراً لا يحصون كثرة ، وقتل ملك الديلم موتا وتمزق شملهم ، وانهزموا بأجمعهم ، بعد من قتل بالمعركة منهم ، فكان نعيم بن مقرن أول من قاتل الديلم من المسلمين . وقد كان نعيم كتب إلى عمر يعلمه باجتماعهم فهمه ذلك واغتم له فلم يفجأه إلا البريد بالبشارة فحمد الله وأثنى عليه ، وأمر بالكتاب فقرئ على الناس ، ففرحوا وحمدوا الله عز وجل . ثم قدم عليه بالأخماس ثلاثة من الأمراء وهم سماك بن خرشة ، و يعرف بأبى دجانة ، وسماك بن عبيد ، وسماك بن مخرمة . فلما استسماهم عمر قال : اللهم اسمك بهم الاسلام ، وأمد بهم الاسلام ، ثم كتب إلى نعيم بن مقرن بأن يستخلف على همذان و يسير إلى الرى فامتثل نعيم . وقد قال نعيم فى هذه الوقعة :

ولما أتانى أنَّ موتاً ورهطهُ * بنى باسلٍ جروا جنودَ الأعاجمِ
نهضتُ إليهمْ بالجنودِ مسامياً * لأمنعَ منهمْ ذمتى بالقواصمِ
فجئنا إليهم بالحديدِ كأننا * جبالٌ تراءى منْ فروعِ القلاسمِ
فلما لقيناهمْ بها مستفيضةً * وقدْ جعلوا يسمونَ فعلَ المساهمِ
صدمناهمُ فى واجِ روذٍ بجمعنا * غداةَ رميناهمُ باحدى العظائمِ
فما صبروا فى حومةِ الموتِ ساعةً * لحد الرماحِ والسيوفِ الصوارمِ
كأنهمُ عندَ انبثاثِ جموعهمْ * جدارٌ تشظى لبْنُهُ للهادمِ
أصبنا بها موتاً ومنْ لفَّ جمعهُ * وفيها نهابٌ قسمهُ غيرُ عاتمِ
تبعناهم حتى أووا فى شعابهمْ * فنقتلهمْ قتلَ الكلابِ الجواحمِ
كأنهمْ فى واجِ رُوذَ وجومِ * ضئينٌ أصابتها فروجُ المخارمِ

فتح الرّي

استخلف نعيم بن مقرن على همذان يزيد بن قيس الهمدانى وسار بالجيوش حتى لحق بالرى فلقى

هناك جمعاً كثيراً من المشركين فاقتتلوا عند سفح جبل الرى فصبروا صبراً عظيما ثم انهزموا فقتل منهم النعمان بن مقرن مقتلة عظيمة بحيث عدوا بالقصب فيها ، وغنموا منهم غنيمة عظيمة قريباً مما غنم المسلمون من المدائن . وصالح أبو الفرخان على الرى ، وكتب له أماناً بذلك ، ثم كتب نعيم إلى عمر بالفتح ثم بالأخماس ولله الحمد والمنة .

فتح قومس

ولما ورد البشير بفتح الرى وأخماسها كتب عمر إلى نعيم بن مقرن أن يبعث أخاه سويد بن مقرن إلى قومس . فسار إليها سويد ، فلم يقم له شئ حتى أخذها سلماً وعسكر بها وكتب لأهلها كتاب أمان وصلح .

فتح جرجان

لما عسكر سويد بقومس بعث إليه أهل بلدان شتى منها جرجان وطبرستان وغيرها يسألونه الصلح على الجزية ، فصالح الجميع وكتب لأهل كل بلدة كتاب أمان وصلح . وحكى المدائنى أن جرجان فتحت فى سنة ثلاثين أيام عثمان فالله أعلم .

وهذا فتح اذربيجان

لما افتتح نعيم بن مقرن همذان ثم الرى ، وكان قد بعث بين يديه بكير بن عبد الله من همذان إلى أذربيجان ، وأردفه بسماك بن خرشة ، فلقى أسفندياذ بن الفرخزاذ بكيراً وأصحابه ، قبل أن يقدم عليهم سماك ، فاقتتلوا فهزم الله المشركين ، وأسر بكير اسفندياذ ، فقال له اسفندياذ : الصلح أحب إليك أم الحرب ؟ فقال : بل الصلح . قال : فأمسكنى عندك . فأمسكه ثم جعل يفتح بلداً بلداً وعتبة بن فرقد أيضاً يفتح معه بلداً بلداً فى مقابلته من الجانب الآخر ثم جاء كتاب عمر بأن يتقد بكير إلى الباب وجعل سماك موضعه نائباً لعتبة بن فرقد ، وجمع عمر أذربيجان كلها لعتبة بن فرقد ، وسلم إليه بكير اسفندياذ ، وسار كما أمره عمر إلى الباب . قالوا : وقد كان اعترض بهرام بن فرخزاذ لعتبة بن فرقد فهزمه عتبة وهرب بهرام ، فلما بلغ ذلك اسفندياذ وهو فى الأسر عند بكير قال : الآن تم الصلح وطفئت الحرب . فصالحه فأجاب إلى ذلك كلهم . وعادت أذربيجان سلماً ، وكتب بذلك عتبة وبكير إلى عمر ، وبعثوا بالأخماس إليه ، وكتب عتبة حين انتهت إمرة أذربيجان لأهلها كتاب أمان وصلح .

فتح الباب

قال ابن جرير : وزعم سيف أنه كان فى هذه السنة كتب عمر بن الخطاب كتاباً بالامرة على هذه الغزوة لسراقة بن عمرو – الملقب بذى النور – وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة ، ويقال له

ـ ذو النور أيضاً ـ وجعل على إحدى المجنبتين حذيفة بن أسيد ، وعلى الأخرى بكير بن عبد الله الليثى ـ وكان قد تقدمهم إلى الباب ـ وعلى المقاسم سلمان بن ربيعة . فساروا كما أمرهم عمر وعلى تعبئته ، فلما انتهى مقدم العساكر ـ وهو عبد الرحمن بن ربيعة ـ إلى الملك الذى هناك عند الباب وهو شهر براز ملك أرمينية وهو من بيت الملك الذى قتل بنى إسرائيل وغزا الشام فى قديم الزمان ، فكتب شهر براز لعبد الرحمن واستأمنه فأمنه عبد الرحمن بن ربيعة ، فقدم عليه الملك ، فأنهى إليه أن صغوه إلى المسلمين ، وأنه مناصح للمسلمين . فقال له : إن فوقى رجلا فاذهب اليه . فبعثه إلى سراقة ابن عمرو أمير الجيش ، فسأل من سراقة الأمان ، فكتب الى عمر فأجاز ما أعطاه من الأمان واستحسنه ، فكتب له سراقة كتاباً بذلك . ثم بعث سراقة بكيراً ، وحبيب بن مسلمة ، وحذيفة ابن أسيد ، وسلمان بن ربيعة ، إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية جبال اللان وتفليس وموقان ، فافتتح بكير موقان ، وكتب لهم كتاب أمان ومات فى غضون ذلك أمير المسلمين هنالك ، وهو سراقة بن عمرو ، واستخلف بعده عبد الرحمن بن ربيعة ، فلما بلغ عمر ذلك أقره على ذلك وأمره بغزو الترك .

اول غزو الترك

وهو تصديق الحديث المتقدم الثابت فى الصحيح عن أبى هريرة وعمرو بن تغلب ، أن رسول الله (ص) قال : لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً عراض الوجوه ، دلف الأنوف ، حمر الوجوه ، كأن وجوههم المجان المطرقة » وفى رواية « ينتعلون الشعر »

لما جاء كتاب عمر إلى عبد الرحمن بن ربيعة يأمره بأن يغزو الترك ، سار حتى قطع الباب قاصداً لما أمره عمر ، فقال له شهر براز : أين تريد ؟ قال : أريد ملك الترك بلنجر ، فقال له شهر براز : إنا لنرضى منهم بالموادعة ، ونحن من وراء الباب . فقال له عبد الرحمن : إن الله بعث إلينا رسولا ، ووعدنا على لسانه بالنصر والظفر ، ونحن لا نزال منصورين ، فقاتل الترك وسار فى بلاد بلنجر مائتى فرسخ ، وغزا مرات متعددة . ثم كانت له وقائع هائلة فى زمن عثمان كما سنورده فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وقال سيف بن عمر عن الغصن بن القاسم عن رجل عن سلمان بن ربيعة . قال : لما دخل عليهم عبدالرحمن بن ربيعة بلادهم حال الله بين الترك والخروج عليه ، وقالوا : ما اجترأ علينا هذا الرجل إلا ومعهم الملائكة تمنعهم من الموت . فتحصنوا منه وهربوا بالغنم والظفر . ثم إنه غزاهم غزوات فى زمن عثمان فظفر بهم ، كما كان يظفر بغيرهم . فلما ولى عثمان على الكوفة بعض من كان ارتد ، غزاهم فتذامرت الترك وقال بعضهم لبعض : إنهم لا يموتون ، قال : انظروا وفعلوا فاختفوا لهم فى الغياض .

فرمى رجل منهم رجلا من المسلمين على غرة فقتله وهرب عنه أصحابه ، فخرجوا على المسلمين بعد ذلك حتى عرفوا أن المسلمين يموتون ، فاقتتلوا قتالا شديداً ونادى مناد من الجو صبراً آل عبد الرحمن وموعدكم الجنة ، فقاتل عبد الرحمن حتى قتل وانكشف الناس وأخذ الراية سلمان بن ربيعة فقاتل بها ، ونادى المنادى من الجو صبراً آل سلمان بن ربيعة . فقاتل قتالا شديداً ثم تحيز سلمان وأبو هريرة بالمسلمين ، وفروا من كثرة الترك ورميهم الشديد السديد على جيلان فقطعوها إلى جرجان ، واجترأت الترك بعدها ، ومع هذا أخذت الترك عبد الرحمن بن ربيعة فدفنوه فى بلادهم ، فهم يستسقون بقبره إلى اليوم . وسيأتى تفصيل ذلك كله .

قصة السدّ

ذكر ابن جرير بسنده أن شهر براز قال لعبد الرحمن بن ربيعة لما قدم عليه حين وصل إلى الباب وأراه رجلا فقال شهر براز : أيها الأمير إن هذا الرجل كنت بعثته نحو السد ، وزودته مالا جزيلا وكتبت له إلى الملوك الذين يلونى ، وبعثت لهم هدايا ، وسألت منهم أن يكتبوا له إلى من يليهم من الملوك حتى ينتهى إلى سد ذى القرنين ، فينظر إليه ويأتينا بخبره . فسار حتى انتهى إلى الملك الذى السد فى أرضه ، فبعثه إلى عامله مما يلى السد ، فبعث معه بازياره ومعه عقابه ، فلما انتهوا إلى السد إذا جبلان بينهما سد مسدود ، حتى ارتفع على الجبلين ، وإذا دون السد خندق أشد سواداً من الليل لبعده ، فنظر إلى ذلك كله وتفرس فيه ، ثم لما همّ بالانصراف قال له البازيار : على رسلك ، ثم شرح بضعة لحم معه فألقاها فى ذلك الهواء ، وانقض عليها العقاب . فقال : إن أدركتها قبل أن تقع فلا شئ ، وإن لم تدركها حتى تقع فذلك شئ . قال : فلم تدركها حتى وقعت فى أسفله واتبعها العقاب فأخرجها فاذا فيها ياقوتة وهى هذه . ثم ناولها الملك شهر براز لعبد الرحمن بن ربيعة ، فنظر إليها عبد الرحمن ثم ردها إليه ، فلما ردها إليه فرح وقال : والله لهذه خير من مملكة هذه المدينة ـ يعنى مدينة باب الأبواب التى هو فيها ـ ووالله لأنتم أحب إلى اليوم من مملكة آل كسرى ، ولو كنت فى سلطانهم وبلغهم خبرها لانتزعوها منى . وأيم الله لا يقوم لكم شئ ما وفيتم ووفى ملككم الأكبر . ثم أقبل عبد الرحمن بن ربيعة على الرسول الذى ذهب على السد فقال : ما حال هذا الردم ؟ ـ يعنى ما صفته ـ فأشار إلى ثوب فى زرقة وحمرة فقال : مثل هذا . فقال رجل لعبد الرحمن : صدق والله لقد نفذ ورأى . فقال : أجل وصف صفة الحديد والصفر . قال الله تعالى [آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتونى أفرغ عليه قطراً] وقد ذكرت صفة السد فى التفسير ، وفى أوائل هذا الكتاب . وقد ذكر البخارى فى صحيحه تعليقاً أن رجلا قال للنبى (ص) رأيت السد . فقال : « كيف رأيته » ؟ قال : مثل البرد المحبر رأيته .

قالوا : ثم قال عبد الرحمن بن ربيعة لشهر براز : كم كانت هديتك ؟ قال : قيمة مائة ألف فى بلادى وثلاثة آلاف ألف فى تلك البلدان .

بقيه من خبر السد

أورد شيخنا أبو عبد الله الذهبى الحافظ فى هذه السنة ما ذكره صاحب كتاب مسالك الممالك عما أملاه عليه سلام الترجمان ، حين بعثه الواثق بأمر الله بن المعتصم ـ وكان قد رأى فى النوم كأن السد قد فتح ـ فأرسل سلاماً هذا وكتب له إلى الملوك بالوصاة به ، وبعث معه ألفى بغل تحمل طعاماً فساروا بين سامرا إلى إسحق بتفليس ، فكتب لهم إلى صاحب السرير ، وكتب لهم صاحب السرير إلى ملك اللان ، فكتب لهم إلى فيلان شاه ، فكتب لهم إلى ملك الخزر ، فوجه معه خمسة أولاد فساروا ستة وعشرين يوما ، انتهوا إلى أرض سوداء منتنة حتى جعلوا يشمون الخل ، فساروا فيها عشرة أيام ، فانتهوا إلى مدائن خراب مدة سبعة وعشرين يوماً ، وهى التى كانت يأجوج ومأجوج تطرقها فخربت من ذلك الحين ، وإلى الآن ، ثم انتهوا إلى حصن قريب من السد فوجدوا قوماً يعرفون بالعربية وبالفارسية ويحفظون القرآن ، ولهم مكاتب ومساجد ، فجعلوا يعجبون منهم ويسألونهم من أين أقبلوا ، فذكروا لهم أنهم من جهة أمير المؤمنين الواثق فلم يعرفوه بالكلية . ثم انتهوا إلى جبل أملس ليس عليه خضراً وإذا السد هنالك من لبن حديد مغيب فى نحاس ، وهو مرتفع جدا لا يكاد البصر ينتهى إليه ، وله شرفات من حديد ، وفى وسطه باب عظيم بمصراعين مغلقين ، عرضهما مائة ذراع ، فى طول مائة ذراع ، فى ثخانة خمسة أذرع ، وعليه قفل طوله سبعة أذرع فى غلظ باع ـ وذكر أشياء كثيرة ـ وعند ذلك المكان حرس يضربون عند القفل فى كل يوم فيسمعون بعد ذلك صوتاً عظيما مزعجاً : ا ن أن وراء هذا الباب حرس وحفظة ، وقريب من هذا الباب حصنان عظيمان بينهما عين ماء عذبة ، وفى إحداهما بقايا العمارة من مغارف ولبن من حديد وغير ذلك ، وإذا طول اللبنة ذراع ونصف فى مثله ، فى سمك شبر . وذكروا أنهم سألوا أهل تلك البلاد هل رأوا أحداً من يأجوج ومأجوج فأخبروهم أنهم رأوا منهم يوما أشخاصا فوق الشرفات ، فهبت الريح فألقتهم إليهم ، فاذا طول الرجل منهم شبر أو نصف شبر والله أعلم

قال الواقدى : وفى هذه السنة غزا معاوية الصائفة ، من بلاد الروم ، وكان معه حماد والصحابة فسار وغنم ورجع سالما . وفيها ولد يزيد بن معاوية ، وعبد الملك بن مروان . وفيها حج بالناس عمر ابن الخطاب وكان عماله فيها على البلاد ، هم الذين كانوا فى السنة قبلها . وذكر أن عمر عزل عماراً فى هذه السنة عن الكوفة اشتكاه أهلها وقالوا : لايحسن السياسة ، فعزله وولى أباموسى الأشعرى ، فقال أهل الكوفة : لانريده ، وشكوا من غلامه فقال : دعونى حتى أنظر فى أمرى ، وذهب إلى طائفة من

المسجد ليفكر من يولى. فنام من الهم فجاءه المغيرة فجعل يحرسه حتى استيقظ فقال له: إن هذا الأمر عظيم يا أمير المؤمنين، الذى بلغ بك هذا. قال: وكيف وأهل الكوفة مائة ألف لا يرضون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير. ثم جمع الصحابة واستشارهم، هل يولى عليهم قوياً مشدداً أو ضعيفاً مسلماً؟ فقال له المغيرة بن شعبة: يا أمير المؤمنين، إن القوى قوته لك وللمسلمين وتشديده لنفسه، وأما الضعيف المسلم فضعفه عليك وعلى المسلمين وإسلامه لنفسه. فقال عمر للمغيرة ـ واستحسن ما قال له ـ: اذهب فقد وليتك الكوفة. فرده إليها بعد ما كان عزله عنها بسبب ما كان شهد عليه الذين تقدم حدهم بسبب قذفه، والعلم عند الله عز وجل. وبعث أبا موسى الأشعرى إلى البصرة [فقيل لعمار: أساءك العزل؟ فقال: والله ما سرتنى الولاية، ولقد ساءنى العزل. وفى رواية أن الذى سأله عن ذلك عمر رضى الله عنه] (١) ثم أراد عمر أن يبعث سعد بن أبى وقاص على الكوفة بدل المغيرة فعاجلته المنية فى سنة ثلاث وعشرين على ما سيأتى بيانه، ولهذا أوصى لسعد به.

قال الواقدى: وفى هذه السنة غزا الأحنف بن قيس بلاد خراسان، وقصد البلد الذى فيه يزدجرد ملك الفرس. قال ابن جرير: وزعم سيف أن هذا كان فى سنة ثمانى عشرة. قلت: والأول هو المشهور والله أعلم.

قصة يزدجرد بن شهريار بن كسرى

لما استلب سعد من يديه مدينة ملكه، ودار مقره، وإيوان سلطانه، وبساط مشورته وحواصله، تحول من هناك إلى حلوان، ثم جاء المسلمون ليحاصروا حلوان فتحول إلى الرى، وأخذ المسلمون حلوان ثم أخذت الرى، فتحول منها إلى أصبهان، فأخذت أصبهان، فسار إلى كرمان فقصد المسلمون كرمان فافتتحوها، فانتقل إلى خراسان فنزلها. هذا كله والنار التى يعبدها من دون الله يسير بها معه من بلد إلى بلد، ويبنى لها فى كل بلد بيت توقد فيهم على عادتهم، وهو يحمل فى الليل فى مسيره إلى هذه البلدان على بعير عليه هودج ينام فيه. فبينما هو ذات ليلة فى هودجه وهو نائم فيه، إذ مروا به على مخاضة فأرادوا أن ينبهوه قبلها لئلا ينزعج إذا استيقظ فى المخاضة، فلما أيقظوه تغضب عليهم شديداً وشتمهم، وقال: حرمتمونى أن أعلم مدة بقاء هؤلاء فى هذه البلاد وغيرها، إنى رأيت فى منامى هذا أنى ومحمداً عند الله، فقال له: ملككم مائة سنة، فقال: زدنى. فقال: عشراً ومائة. فقال: زدنى. فقال: عشرين ومائة سنة. فقال: زدنى فقال لك، وأنبهتمونى، فلو تركتمونى لعلمت مدة هذه الأمة.

---

(١) سقط من الحلبية

خراسان مع الاحنف بن قيس

وذلك أن الأحنف بن قيس هو الذى أشار على عمر بأن يتوسع المسلمون بالفتوحات فى بلاد العجم ، ويضيقوا على كسرى يزدجرد ، فانه هو الذى يستحث الفرس والجنود على قتال المسلمين . فأذن عمر بن الخطاب فى ذلك عن رأيه ، وأمّر الأحنف ، وأمره بغزو بلاد خراسان . فركب الأحنف فى جيش كثيف إلى خراسان قاصداً حرب يزدجرد ، فدخل خراسان فافتتح هراة عنوة واستخلف عليها صحار بن فلان العبدى ، ثم سار إلى مرو الشاهجان وفيها يزدجرد ، وبعث الأحنف بين يديه مطرف بن عبد الله بن الشخير إلى نيسابور ، والحارث بن حسان إلى سرخس . ولما اقترب الأحنف من مرو الشاهجان ، ترحل منها يزدجرد إلى مرو الروذ [فافتتح الأحنف مرو الشاهجان فنزلها . وكتب يزدجرد حين نزل مرو الروذ] (١) إلى خاقان ملك الترك يستمده ، وكتب إلى ملك الصغد [يستمده ، وكتب إلى ملك الصين] (٢) يستعينه . وقصده الأحنف بن قيس إلى مرو الروذ وقد استخلف على مرو الشاهجان حارثة بن النعمان ، وقد وفدت إلى الأحنف أمداد من أهل الكوفة مع أربعة أمراء ، فلما بلغ مسيره إلى يزدجرد [ترحل إلى بلخ ، فالتقى معه ببلخ يزدجرد] (٣) فهزمه الله عز وجل وهرب هو ومن بقى معه من جيشه فعبر النهر واستوثق ملك خراسان على يدى الأحنف ابن قيس ، واستخلف فى كل بلدة أميراً ، ورجع الأحنف فنزل مرو الروذ ، وكتب إلى عمر بما فتح الله عليه من بلاد خراسان بكمالها . فقال عمر : وددت أنه كان بيننا وبين خراسان بحر من نار . فقال له على : ولم يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إن أهلها سينقضون عهدهم ثلاث مرات فيجتاحون فى الثالثة ، فقال : ياأمير المؤمنين [لأن يكون ذلك بأهلها ، أحب إلى من] (٤) أن يكون ذلك بالمسلمين وكتب عمر إلى الأحنف ينهاه عن العبور إلى ما وراء النهر . وقال : احفظ ما بيدك من بلاد خراسان . ولما وصل رسول يزدجرد إلى اللذين استنجد بهما لم يحتفلا بأمره ، فلما عبر يزدجرد النهر ودخل فى بلادهما تعين عليهما إنجاده فى شرع الملوك ، فسار معه خاقان الأعظم ملك الترك ، ورجع يزدجرد بجنود عظيمة فيهم ملك التتار خاقان ، فوصل إلى بلخ واسترجعها ، وفر عمال الأحنف [إليه إلى مرو الروذ ، وخرج المشركون من بلخ حتى نزلوا على الأحنف] (٥) بمرو الروذ فتبرز الأحنف بمن معه من أهل البصرة وأهل الكوفة والجميع عشرون ألفاً فسمع رجلا يقول لآخر : إن كان الأمير ذا رأى فانه يقف دون هذا الجبل فيجعله وراء ظهره ويبقى هذا النهر خندقاً حوله فلا يأتيه العدو إلا من جهة واحدة . فلما أصبح الأحنف أمر المسلمين فوقفوا فى ذلك الموقف بعينه ،

(١) - (٥) سقط من الحلبية .

وكان أمارة النصر والرشد ، وجاءت الأتراك والفرس فى جمع عظيم هائل مزعج ، فقام الأحنف فى الناس خطيباً فقال : إنكم قليل وعدوكم كثير ، فلا يهولنكم ، [كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين] فكانت الترك يقاتلون بالنهار ولا يدرى الأحنف أين يذهبون فى الليل . فسار ليلة مع طليعة من أصحابه نحو جيش خاقان ، فلما كان قريب الصبح خرج فارس من الترك طليعة وعليه طوق وضرب بطبله فتقدم إليه الأحنف فاختلفا طعنتين فطعنه الأحنف فقتله وهو يرتجز .

إن على كل رئيس حقاً * أن يخضب الصعدة أو يندقا

إنّ لها شيخاً بها ملقّى * بسيفِ أبى حفص الذى تبقّى

قال : ثم استلب التركى طوقه ووقف موضعه ، فخرج آخر عليه طوق ومعه طبل فجعل يضرب بطبله ، فتقدم إليه الأحنف فقتله أيضاً واستلبه طوقه ووقف موضعه فخرج ثالث فقتله وأخذ طوقه ثم أسرع الأحنف الرجوع إلى جيشه ولا يعلم بذلك أحد من الترك بالكلية . وكان من عادتهم أنهم لا يخرجون من صبيتهم حتى تخرج ثلاثة من كهولهم بين أيديهم يضرب الأول بطبله ، ثم الثانى ثم الثالث ، ثم يخرجون بعد الثالث . فلما خرجت الترك ليلتئذ بعد الثالث ، فأتوا على فرسانهم مقتلين ، تشاءم بذلك الملك خاقان وتطير ، وقال لعسكره : قد طال مقامنا وقد أصيب هؤلاء القوم بمكان لم نصب بمثله ، مالنا فى قتال هؤلاء القوم من خير ، فانصرفوا بنا . فرجعوا إلى بلادهم وانتظرهم المسلمون يومهم ذلك ليخرجوا إليهم من شعبهم فلم يروا أحدا منهم ، ثم بلغهم انصرافهم إلى بلادهم راجعين عنهم [وقد كان يزدجرد ـ وخاقان فى مقابلة الأحنف بن قيس ومقاتلته ـ ذهب] (٢) إلى مرو الشاهجان فحاصرها وحارثة بن النعمان بها واستخرج منها خزانته التى كان دفنها بها ، ثم رجع وانتظره خاقان ببلخ حتى رجع إليه .

وقد قال المسلمون للأحنف : ماترى فى اتباعهم ؟ فقال : أقيموا بمكانكم ودعوهم . وقد أصاب الأحنف فى ذلك ، فقد جاء فى الحديث «اتركوا الترك ما تركوكم» وقد [رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً] . ورجع كسرى خاسراً الصفقة لم يشف له غليل ، ولا حصل على خير ، ولا انتصر كما كان فى زعمه ، بل تخلى عنه من كان يرجو النصر منه ، وتنحى عنه وتبرأ منه أحوج ما كان إليه ، وبقى مذبذباً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء [ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا] وتحير فى أمره ماذا يصنع ؟ وإلى أين يذهب ؟ وقد أشار عليه بعض أولى النهى من قومه حين قال : قد عزمت أن أذهب إلى بلاد الصين أو أكون مع خاقان فى بلاده

---

(١) سقط من الحلبية .

فقالوا : إنا نرى أن نصالح هؤلاء القوم فان لهـم ذمة وديناً يرجعون إليه ، فنكون فى بعض هـذه البلاد وهم مجاورينا ، فهم خير لنا من غيرهم . فأبى عليهم كسرى ذلك . ثم بعث إلى ملك الصين يستغيث به ويستنجده فجعل ملك الصين يسأل الرسول عن صفة هؤلاء القوم الذين قد فتحوا البلاد وقهروا رقاب العباد ، فجعل يخبره عن صفتهم ، وكيف يركبون الخيل والابل ، وماذا يصنعون ؟ وكيف يصلون . فكتب معه إلى يزدجرد : إنه لم يمنعنى ان أبعث إليك بجيش أوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق على ؛ ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لى رسولك [صفتهم لو يحاولون الجبال لهدوها ، ولو جئت لنصرك أزالونى ما داموا على ما وصف لى رسولك][1] فسالمهم وارض منهم بالمسالمة . فأقام كسرى وآل كسرى فى بعض البلاد مقهورين . ولم يزل ذلك دأبه حتى قتل بعد سنتين من إمارة عثمان كما سنورده فى موضعه . ولما بعث الأحنف بكتاب الفتح وما أفاء الله عليهم من أموال الترك ومن كان معهم ، وأنهم قتلوا منهم مع ذلك مقتلة عظيمة ، ثم ردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً . فقام عمر على المنبر وقرئ الكتاب بين يديه ، ثم قال عمر : إن الله بعث محمداً بالهدى [ووعد على اتباعه من عاجل الثواب وآجله خير الدنيا والآخرة ، فقال : [هو الذى أرسل رسوله بالهدى][2] ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون] فالحمد لله الذى أنجز وعده ، ونصر جنده . ألا وإن الله قد أهلك ملك المجوسية وفرق شملهم ، فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضير بمسلم ، ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون ، فقوموا فى أمره على وجل ، يوف لكم بعهده ، ويؤتكم وعده ، ولا تغيروا يستبدل قوماً غيركم ، فانى لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلا من قبلكم .

وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبى الحافظ فى تاريخ هذه السنة ـ أعنى سنة ثنتين وعشرين ـ : وفيها فتحت أذربيجان على يدى المغيرة بن شعبة . قاله ابن إسحاق : فيقال ، إنه صالحهم على ثمانمائة ألف درهم . وقال أبو عبيدة : فتحها حبيب بن سلمة الفهرى بأهل الشام عنوة ، ومعه أهل الكوفة فيهم حذيفة فافتتحها بعد قتال شديد والله أعلم . وفيها افتتح حذيفة الدينور عنوة ـ بعد ما كان سعد افتتحها فانتقضوا عهدهم ـ . وفيها افتتح حذيفة ماه سندان عنوة ـ وكانوا نقضوا أيضاً عهد سعد ـ وكان مع حذيفة أهل البصرة فلحقهم أهل الكوفة فاختصموا فى الغنيمة ، فكتب عمر : إن الغنيمة لمن شهد الوقعة . قال : أبو عبيدة ثم غزا حذيفة همذان فافتتحها عنوة ، ولم تكن فتحت قبل ذلك ، وإليها انتهى فتوح حذيفة . قال : ويقال افتتحها جرير بن عبد الله بأمر المغيرة ويقال : افتتحها المغيرة سنة أربع وعشرين . وفيها افتتحت جرجان . قال خليفة : وفيها افتتح عمرو بن العاص

(١) و (٢) سقط من الحلبية .

طرابلس المغرب ، ويقال فى السنة التى بعدها . قلت : وفى هذا كله غرابة لنسبته إلى ما سلف والله أعلم . قال شيخنا : وفيها توفى أبى بن كعب فى قول الواقدى وابن نمير والذهلى والترمذى ، وقد تقدم فى سنة تسع عشرة . ومعضد بن يزيد الشيبانى استشهد بأذربيجان ولا صحبة له .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين

وفيها وفاة عمر بن الخطاب

قال الواقدى وأبو معشر : فيها كان فتح اصطخر وهمذان . وقال سيف : كان فتحها بعد فتح توّج الآخرة . ثم ذكر أن الذى افتتح توّج مجاشع بن مسعود ، بعد ما قتل من الفرس مقتلة عظيمة وغنم منهم غنائم جمة ، ثم ضرب الجزية على أهلها ، وعقد لهم الذمة ، ثم بعث بالفتح وخمس الغنائم إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ثم ذكر أن عثمان بن أبى العاص افتتح جور بعد قتال شديد كان عندها ، ثم افتتح المسلمون اصطخر - وهذه المرة الثانية - ، وكان أهلها قد نقضوا العهد بعد ما كان جند العلاء بن الحضرمى افتتحوها حين جاز فى البحر - من أرض البحرين - والتقوا هم والفرس فى مكان يقال له طاوس ، كما تقدم بسط ذلك فى موضعه . ثم صالحه الهربد على الجزية ، وأن يضرب لهم الذمة . ثم بعث بالأخماس والبشارة إلى عمر . قال ابن جرير : وكانت الرسل لها جوائز ، وتقضى لهم حوائج ، كما كان رسول الله (ص) يعاملهم بذلك . ثم إن شهرك خلع العهد ، ونقض الذمة ، ونشط الفرس ، فنقضوا ، فبعث إليهم عثمان بن أبى العاص ابنه وأخاه الحكم ، فاقتتلوا مع الفرس فهزم الله جيوش المشركين ، وقتل الحكم بن أبى العاص شهرك ، وقتل ابنه معه أيضاً . وقال أبو معشر : كانت فارس الأولى واصطخر الآخرة سنة ثمان وعشرين فى إمارة عثمان ، وكانت فارس الآخرة ووقعة جور فى سنة تسع وعشرين .

فتح فسا ودار أبجرد وقصة سارية بن زنيم

ذكر سيف عن مشايخه أن سارية بن زنيم قصد فسا ودار أبجرد ، فاجتمع له جموع - من الفرس والأكراد - عظيمة ، ودهم المسلمين منهم أمر عظيم وجمع كثير ، فرأى عمر فى تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم فى وقت من النهار ، وأنهم فى صحراء وهناك جبل إن أسندوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد ، فنادى من الغد الصلاة جامعة ، حتى إذا كانت الساعة التى رأى أنهم اجتمعوا فيها ، خرج إلى الناس وصعد المنبر ، فخطب الناس وأخبرهم بصفة ما رأى ، ثم قال : ياسارية الجبل الجبل ، ثم أقبل عليهم وقال : إن لله جنوداً ولعل بعضها أن يبلغهم . قال : ففعلوا ما قال عمر ، فنصرهم الله على عدوهم ، وفتحوا البلد . وذكر سيف فى رواية أخرى عن شيوخه أن عمر بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ قال : ياسارية بن زنيم الجبل الجبل . فلجأ المسلمون إلى جبل هناك فلم يقدر العدو عليهم إلا من جهة واحدة

فأظفرهم الله بهم ، وفتحوا البلد . وغنموا شيئاً كثيراً ، فكان من جملة ذلك سفط من جوهر فاستوهبه سارية من المسلمين لعمر ، فلما وصل إليه مع الأخماس قدم الرسول بالخمس فوجد عمر قائماً فى يده عصا وهو يطعم المسلمين سماطهم ، فلما رآه عمر قال له : اجلس ـ ولم يعرفه ـ ، فجلس الرجل فأكل مع الناس ، فلما فرغوا انطلق عمر إلى منزله واتبعه الرجل ، فاستأذن فأذن له وإذا هو قد وضع له خبز وزيت وملح ، فقال : ادن فكل . قال : فجلست فجعل يقول لامرأته : ألا تخرجين ياهذه فتأكلين ؟ فقالت : إنى أسمع حس رجل عندك . فقال : أجل ، فقالت : لو أردت أن أبرز للرجال اشتريت لى غيرهذه الكسوة . فقال : أوماترضين أن يقال أم كلثوم بنت على وامرأة عمر. فقالت : ما أقل غناء ذلك عنى . ثم قال للرجل : ادن فكل فلوكانت راضية لكان أطيب مما ترى . فأكلا فلما فرغا قال : أنا رسول سارية بن زنيم يا أمير المؤمنين . فقال : مرحباً وأهلا . ثم أدناه حتى مست رُكبتُه ركبته ، ثم سأله عن المسلمين ، ثم سأله عن سارية بن زنيم ، فأخبره ثم ذكر له شأن السفط من الجوهر فأبى أن يقبله وأمر برده إلى الجند . وقد سأل أهل المدينة رسول سارية عن الفتح فأخبرهم ، فسألوه : هل سمعوا صوتاً يوم الوقعة ؟ قال : نعم ، سمعنا قائلايقول : ياسارية الجبل ، وقد كدنا نهلك فلجأنا إليه ففتح الله علينا. ثم رواه سيف عن مجالد عن الشعبى بنحو هذا . وقال عبد الله بن وهب عن يحيى بن أيوب عن ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر أن عمر وجه جيشاً و رأس عليهم رجلا يقال له سارية ، قال : فبينما عمر يخطب فجعل ينادى : ياسارى الجبل ياسارى الجبل ثلاثاً . ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر : فقال : يا أمير المؤمنين هزمنا فبينما نحن كذلك إذ سمعنا منادياً ياسارية الجبل ثلاثاً فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله . قال : فقيل لعمر : إنك كنت تصيح بذلك . وهذا إسناد جيد حسن .

وقال الواقدى : حدثنى نافع بن أبى نعيم عن نافع مولى ابن عمر . أن عمر قال على المنبر : ياسارية ابن زنيم الجبل . فلم يدر الناس ما يقول حتى قدم سارية بن زنيم المدينة على عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين كنا محاصرى العدو فكنا نقيم الأيام لايخرج علينا منهم أحد ، نحن فى خفض من الأرض وهم فى حصن عال ، فسمعت صائحا ينادى بكذا وكذا ياسارية بن زنيم الجبل ، فعلوت بأصحابى الجبل ، فما كان إلا ساعة حتى فتح الله علينا وقد رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائى من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر بنحوه ، وفى صحته من حديث مالك نظر . وقال الواقدى : حدثنى أسامة بن زيد عن أسلم عن أبيه . وأبو سليمان عن يعقوب بن زيد قالا : خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوم الجمعة إلى الصلاة فصعد المنبر ثم صاح : ياسارية بن زنيم الجبل ، ياسارية بن زنيم الجبل ، ظلم من استرعى الذئب الغنم . ثم خطب حتى فرغ ، فجاء كتاب سارية إلى عمر : إن الله قد فتح علينا يوم الجمعة ساعة كذا وكذا ـ لتلك الساعة التى خرج فيها عمر فتكلم على المنبر ـ قال : سارية فسمعت صوتاً

ياسارية بن زنيم الجبل ، ياسارية بن زنيم الجبل ، ظلم من استرعى الذئب الغنم ، فعلوت بأصحابي الجبل ، ونحن قبل ذلك في بطن واد ، ونحن محاصروا العدو ففتح الله علينا . فقيل لعمر بن الخطاب ماذلك الكلام ؟ فقال : والله ما ألقيت له إلا بشيء ألقي على لساني . فهذه طرق يشد بعضها بعضاً .

ثم ذكر ابن جرير من طريق سيف عن شيوخه فتح كرمان على يدى سهيل بن عدى وأمده عبدالله ابن عبد الله بن عتبان ، وقيل على يدى عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى ، وذكر فتح سجستان على يدى عاصم بن عمرو ، بعد قتال شديد ، وكانت ثغورها متسعة ، وبلادها متنائية ، مابين السند إلى نهر بلخ ، وكانوا يقاتلون القندهار والترك من ثغورها وفروجها . وذكر فتح مكران على يدى الحكم بن عمرو ، وأمده بشهاب بن المخارق بن شهاب ، وسهيل بن عدى ، وعبد الله بن عبد الله ، واقتتلوا مع ملك السند فهزم الله جموع السند ، وغنم المسلمون منهم غنيمة كثيرة ، وكتب الحكم ابن عمرو بالفتح وبعث بالأخماس مع صحار العبدى ، فلما قدم على عمر سأله عن أرض مكران فقال : ياأمير المؤمنين أرض سهلها جبل ، وماؤها وشل ، وتمرها دَقَل ، وعدوها بطل ، وخيرها قليل ، وشرها طويل ، والكثير بها قليل ، والقليل بها ضائع ، وما وراءها شر [1] منها . فقال عمر : أسجّاع أنت أم مخبر ؟ فقال : لا ، بل مخبر ، فكتب عمر إلى الحكم بن عمرو أن لايغزو بعد ذلك مكران ، وليقتصروا على مادون النهر . وقد قال الحكم بن عمرو فى ذلك :

لقد شبع الأراملُ غيرَ فخرٍ * بفيءٍ جاءهم من مُكْرانِ
أتاهمْ بعدَ مسغبةٍ وجهدٍ * وقدْ صفرُ الشتاء منَ الدُّخانِ
فانى لا يذم الجيشُ فعلي * ولا سَيفى يُذمُ ولا لسانى
غداةَ أدافعَ الأوباشَ دفعاً * إلى السندِ العريضةِ والمدانى
ومهرانٌ لنا فيما أردنا * مطيعٌ غيرُ مسترخى العنانِ
فلولا ما نهى عنهُ أميرى * قطعناهُ إلى البدرِ الزوانى

غزوة الأكراد

ثم ذكر ابن جرير بسنده عن سيف عن شيوخه : أن جماعة من الأكراد والتف إليهم طائفة من الفرس اجتمعوا فلقيهم أبو موسى بمكان من أرض بيروذ قريب من نهر تيرى ، ثم سار عنهم أبو موسى إلى أصبهان وقد استخلف على حربهم الربيع بن زياد بعد مقتل أخيه المهاجر بن زياد ، فتسلم الحرب وحنق عليهم ، فهزم الله العدو وله الحمد والمنة ، كما هى عادته المستمرة وسنته المستقرة ، فى عباده المؤمنين ، وحزبه المفلحين ، من أتباع سيد المرسلين . ثم خمست الغنيمة وبعث بالفتح والخمس

---

(١) فى المصرية خير منها .

إلى عمر رضى الله عنه ، وقد سار ضبة بن محصن العنزى فاشتكى أبا موسى إلى عمر ، وذكر عنه أموراً لاينقم عليه بسببها ، فاستدعاه عمر فسأله عنها فاعتذر منها بوجوه مقبولة فسمعها عمر و قبلها ، ورده إلى عمله وعذر ضبة فيما تأوله [ومات عمر ، وأبو موسى على صلاة البصرة] (١) .

خبر سلمة بن قيس الأشجعي والأكراد

بعثه عمر على سرية ووصاه بوصايا كثيرة بمضمون حديث بريدة فى صحيح مسلم « اغزوا بسم الله قاتلوا من كفر بالله » الحديث إلى آخره ، فساروا فلقوا جمعاً من المشركين فدعوهم إلى إحدى ثلاث خلال ، فأبوا أن يقبلوا واحدة منها ، فقاتلوهم فقتلوا مقاتلتهم ، وسبوا ذراريهم ، وغنموا أموالهم . ثم بعث سلمة بن قيس رسولا إلى عمر بالفتح و بالغنائم ، فذكروا وروده على عمر وهو يطعم الناس ، وذهابه معه إلى منزله ، كنحو ماتقدم من قصة أم كلثوم بنت على ، وطلبها الكسوة كما يكسى طلحة وغيره أزواجهم ، فقال : ألا يكفيك أن يقال بنت على وامرأة أمير المؤمنين ؟ ثم ذكر طعامه الخشن ، وشرابه من سلت ، ثم شرع يستعلمه عن أخبار المهاجرين ، وكيف طعامهم وأشعارهم ، وهل يأكلون اللحم الذى هو شجرتهم ، ولا بقاء للعرب دون شجرتهم ؟ وذكر عرضه عليه ذلك السفط من الجوهر ، فأبى أن يأخذه وأقسم على ذلك ، وأمره بأن يرده فيقسم بين الغانمين. وقد أورده ابن جرير مطولا جداً .

وقال ابن جرير : وفى هذه السنة حج عمر بأزواج النبى (ص) ، وهى آخر حجة حجها رضى الله عنه . قال : وفى هذه السنة كانت وفاته . ثم ذكر صفة قتله مطولا أيضاً ، وقد ذكرت ذلك مستقصى فى آخر سيرة عمر ، فليكتب من هناك إلى هنا .

وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان القرشى ، أبو حفص العدوى ، الملقب بالفاروق قيل لقبه بذلك أهل الكتاب . [وأمه حنتمة بنت هشام أخت أبى جهل بن هشام . أسلم عمر وعمره سبع وعشرين سنة ، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع النبى (ص) ، وخرج فى عدة سرايا ، وكان أميراً على بعضها ، وهو أول من دعى أمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ ، وجمع الناس على التراويح ، وأول من عس بالمدينة ، وحمل الدرة وأدب بها ، وجلد فى الخمر ثمانين ، وفتح الفتوح ، ومصر الأمصار ، وجند الأجناد . ووضع الخراج ، ودون الدواوين ، وعرض الأعطية ، واستقضى القضاة ، وكور الكور ، مثل السواد والأهواز والجبال وفارس وغيرها ، وفتح الشام كله ، والجزيرة والموصل ،

---

(١) سقط من المصرية .

وميا فارقين ، وآمد ، وأرمينية ، ومصر واسكندرية . ومات وعساكره على بلاد الرى . فتح من الشام اليرموك و بصرى ودمشق والأردن ، و بيسان ، وطبرية ، والجابية، وفلسطين والرملة ، وعسقلان وغزة والسواحل والقدس وفتح مصر واسكندرية وطرابلس الغرب و برقة ، ومن مدن الشام بعلبك وحمص وقنسرين وحلب و إنطاكية وفتح الجزيرة وحران والرها والرقة ونصيبين و رأس عين وشمشاط وعين وردة وديار بكر وديار ربيعة و بلاد الموصل وأرمينية جميعها . و بالعراق القادسية والحيرة ونهرسير وساباط ، ومدائن كسرى وكورة الفرات ودجلة والابلة والبصرة والأهواز وفارس ونهاوند وهمذان والرى وقومس وخراسان واصطخر وأصبهان والسوس ومرو و نيسابور وجرجان وأذربيجان وغير ذلك ، وقطعت جيوشه النهر مراراً ، وكان متواضعاً فى الله ، خشن العيش ، خشن المطعم ، شديداً فى ذات الله ، يرقع الثوب بالأديم ، ويحمل القربة على كتفيه ، مع عظم هيبته ، و يركب الحمار عرياً ، والبعير مخطوماً بالليف ، وكان قليل الضحك لا يمازح أحداً وكان نقش خاتمه كفى بالموت واعظاً ياعمر .

وقال النبى (ص.) « أشد أمتى فى دين الله عمر » وعن ابن عباس أن النبى (ص.) قال « إن لى وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض ، فوزيراى من أهل السماء جبريل وميكائيل ووزيراى من أهل الأرض أبو بكر وعمر ، و إنهما السمع والبصر » وعن عائشة أن النبى (ص.) قال « إن الشيطان يفرق من عمر » وقال « أرحم أمتى أبو بكر ، وأشدها فى دين الله عمر » وقيل لعمر إنك قضاء. فقال : الحمد لله الذى ملأ قلبى لهم رحما وملأ قلوبهم لى رعباً . وقال عمر : لا يحل لى من مال الله إلا حلتان حلة للشتاء وحلة للصيف ، وقوت أهلى كرجل من قريش ليس بأغناهم ، ثم أنا رجل من المسلمين . وكان عمر إذا استعمل عاملا كتب له عهداً وأشهد عليه رهطاً منَ المهاجرين واشترط عليه أن لا يركب برذونا ، ولا يأكل نقياً ، ولا يلبس رقيقاً ، ولا يغلق بابه دون ذوى الحاجات . فان فعل شيئا من ذلك حلت عليه العقوبة . وقيل إنه كان إذا حدثه الرجل بالحديث فيكذب فيه الكلمة والكلمتين فيقول عمر : احبس هذه احبس هذه ، فيقول الرجل : والله كلما حدثتك به حق غير ما أمرتنى أن أحبسه .

وقال معاوية بن أبى سفيان : أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر فأرادته فلم يردها ، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهراً لبطن . وعوتب عمر فقيل له : لو أكلت طعاماً طيباً كان أقوى لك على الحق ؟ فقال : إنى تركت صاحبىّ على جادة ، فان أدركت جادتهما فلم أدركهما فى المنزل . وكان يلبس وهو خليفة جبة صوف مرقوعة بعضها بأدم و يطوف بالأسواق على عاتقه الدرة يؤدب بها الناس ، و إذا مر بالنوى وغيره يلتقطه و يرمى به فى منازل الناس ينتفعون به .

وقال أنس : كان بين كتفى عمر أربع رقاع ، و إزاره مرقوع بأدم . وخطب على المنبر وعليه إزار

فيه اثنى عشر رقعة ، وأنفق فى حجته ستة عشر ديناراً ، وقال لابنه: قد أسرفنا ، وكان لا يستظل بشئ غير أنه كان يلقى كساءه على الشجر و يستظل تحته ، وليس له خيمة ولا فسطاط . ولما قدم الشام لفتح بيت المقدس كان على جمل أورق تلوح صلعته للشمس ، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة قد طبق رجليه بين شعبى الرحل بلا ركاب ، ووطاؤه كبش من صوف ، وهو فراشه إذا نزل ، وحقيبته محشوة ليفاً ، وهى وسادته إذا نام ، وعليه قميص من كرابيس قد رسم وتخرق جيبه ،فلما نزل قال : ادعوا لى رأس القرية ، فدعوه فقال : اغسلوا قميصى وخيطوه وأعيرونى قميصاً ، فأتى بقميص كتان ، فقال : ماهذا ؟ فقيل كتان . فقال : فما الكتان ؟ فأخبروه . فنزع قميصه فغسلوه وخاطوه ثم لبسه ، فقال له : أنت ملك العرب ، وهذه بلاد لايصلح فيها ركوب الابل . فأتى ببرذون فطرح عليه قطيفة بلاسرج ولا رحل ، فلما سار جعل [البرذون] يهملج به فقال لمن معه : احبسوا ، ما كنت أظن الناس يركبون الشياطين ، هاتوا جملى . ثم نزل وركب الجمل .

وعن أنس قال : كنت مع عمرفدخل حائطاً لحاجته فسمعته يقول - و بينى و بينه جدار الحائط - عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ ، والله لتتقين الله بنىّ الخطاب أو ليعذبنك . وقيل : إنه حمل قربة على عاتقه فقيل له فى ذلك فقال : إن نفسى أعجبتنى فأردت أن أذلها ؟ وكان يصلى بالناس العشاء ثم يدخل بيته فلا يزال يصلى إلى الفجر . وما مات حتى سرد الصوم ، وكان فى عام الرمادة لا يأكل إلا الخبز والزيت حتى اسود جلده و يقول : بئس الوالى انا إن شبعت والناس جياع . وكان فى وجهه خطان أسودان من البكاء ، وكان يسمع الآية من القرآن فيغشى عليه فيحمل صريعاً إلى منزله فيعاد أياماً ليس به مرض إلاالخوف . وقال طلحة بن عبد الله : خرج عمر ليلة فى سواد الليل فدخل بيتاً فلما أصبحت ذهبت إلى ذلك البيت فاذا عجوز عمياء مقعدة فقلت لها : ما بال هذا الرجل يأتيكى ؟ فقالت : إنه يتعاهدنى مدة كذا وكذا يأتينى بما يصلحنى و يخرج عنى الأذى . فقلت لنفسى : ثكلتك أمك ياطلحة ، أعثرات عمر تتبع ؟ .

وقال أسلم مولى عمر: قدم المدينة رفقة من تجار، فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن نحرسهم الليلة ؟ قال : نعم ! فباتا يحرسانهم و يصليان ، فسمع عمر بكاء صبى فتوجه نحوه فقال لأمه : اتق الله تعالى وأحسنى إلى صبيك . ثم عاد إلى مكانه ، فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك، ثم عاد إلى مكانه ، فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبى فأتى إلى أمه فقال لها : ويحك ، إنك أم سوء ، مالى أرى ابنك لايقر منذالليلة من البكاء ؟ ! فقالت : ياعبد الله إنى أشغله عن الطعام فيأبى ذلك ، قال : ولم ؟ قالت : لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم . قال : وكم عمر ابنك هذا ؟ قالت : كذا وكذا شهراً ، فقال : ويحك لا تعجليه عن الفطام . فلما صلى الصبح وهو لا يستبين للناس

قراءته من البكاء . قال : بؤساً لعمر . كم قتل من أولاد المسلمين. ثم أمر مناديه فنادى ، لاتعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فانا نفرض لكل مولود فى الاسلام . وكتب بذلك إلى الآفاق .

وقال أسلم : خرجت ليلة مع عمر إلى ظاهر المدينة فلاح لنا بيت شعر فقصدناه فاذا فيه امرأة تمخض وتبكى ، فسألها عمر عن حالها فقالت : أنا امرأة عربية وليس عندى شئ . فبكى عمر وعاد يهرول إلى بيته فقال لامرأته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب : هل لك فى أجر ساقه الله إليك ؟ وأخبرها الخبر ، فقالت : نعم ، فحمل على ظهره دقيقاً وشحما ، وحملت أم كلثوم مايصلح للولادة وجاءا ، فدخلت أم كلثوم على المرأة ، وجلس عمر مع زوجها ـ وهو لايعرفه ـ يتحدث ، فوضعت المرأة غلاماً فقالت أم كلثوم : يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام . فلما سمع الرجل قولها استعظم ذلك وأخذ يعتذر إلى عمر . فقال عمر : لا بأس عليك ، ثم أوصلهم بنفقة وما يصلحهم وانصرف .

وقال أسلم : خرجت ليلة مع عمر إلى حرة واقم ، حتى إذا كنا بصرار إذا بنار فقال : يا أسلم ههنا ركب قد قصر بهم الليل ، انطلق بنا إليهم ، فأتيناهم فاذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون ، فقال عمر: السلام عليكم ياأصحاب الضوء ، قالت : وعليك السلام . قال : أدنو . قالت : ادن أو دع . فدنا فقال : ما بالكم ؟ قالت : قصر بنا الليل والبرد . قال : فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ؟ قالت : من الجوع .فقال : وأى شئ على النار ؟ قالت : ماء أعللهم به حتى يناموا، الله بيننا و بين عمر. فبكى عمر ورجع يهرول إلى دار الدقيق فأخرج عدلا من دقيق وجراب شحم ، وقال : يا أسلم احمله على ظهرى ، فقلت : أنا أحمله عنك. فقال : أنت تحمل وزرى يوم القيامة ؟ . فحمله على ظهره وانطلقنا إلى المرأة فألقى عن ظهره وأخرج من الدقيق فى القدر ، وألقى عليه من الشحم ، وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يتخلل لحيته ساعة ، ثم أنزلها عن النار وقال : إيتينى بصحفة . فأتى بها فغرفها ثم تركها بين يدى الصبيان وقال : كلوا ، فأكلوا حتى شبعوا ـ والمرأة تدعو له وهى لاتعرفه ـ فلم يزل عندهم حتى نام الصغار، ثم أوصلهم بنفقة وانصرف ، ثم أقبل علىّ فقال : يا أسلم الجوع الذى أسهرهم وأبكاهم .

وقيل : إن على بن أبي طالب رضى الله عنه رأى عمر وهو يعدو إلى ظاهر المدينة فقال له : إلى أين ياأمير المؤمنين ؟ فقال : قد ندّ بعير من إبل الصدقة فأنا أطلبه . فقال : قد أتعبت الخلفاء من بعدك . وقيل : إنه رأى جارية تتمايل من الجوع فقال : من هذه ؟ فقالت ابنة عبدالله : هذه ابنتى . قال : فما بالها ؟ فقالت : إنك تحبس عنا مافى يدك فيصيبنا ما ترى . فقال : ياعبد الله ، بينى و بينكم كتاب الله ، والله ما أعطيكم إلا ما فرض الله لكم ، أتريدون منى أن أعطيكم ما ليس لكم ؟

فأعود خائناً ؟](١) . روى ذلك عن الزهرى .

وقال الواقدى : حدثنا أبو حمزة يعقوب بن مجاهد عن محمد بن إبراهيم عن أبى عمرو قال : قلت لعائشة : من سمى عمر الفاروق أمير المؤمنين ؟ قالت : النبى (ص) قال « أمير المؤمنين هو » وأول من حياه بها المغيرة بن شعبة » وقيل غيره فالله أعلم .

وقال ابن جرير : حدثنى أحمد بن عبد الصمد الأنصارى حدثتنى أم عمرو بنت حسان الكوفية ـ وكان قد أتى عليها مائة وثلاثون سنة ـ عن أبيها قال : لما ولى عمر قالوا : ياخليفة خليفة رسول الله . فقال عمر : هذا أمر يطول ، بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم . فسمى أمير المؤمنين .

وملخص ذلك أن عمر رضى الله عنه لما فرغ من الحج سنة ثلاث وعشرين ونزل بالأبطح دعا الله عز وجل وشكا إليه أنه قد كبرت سنه وضعفت قوته ، وانتشرت رعيته ، وخاف من التقصير ، وسأل الله أن يقبضه إليه ، وأن يمن عليه بالشهادة فى بلد النبى (ص) ، كما ثبت عنه فى الصحيح أنه كان يقول : اللهم إنى أسألك شهادة فى سبيلك ، وموتاً فى بلد رسولك ، فاستجاب له الله هذا الدعاء ، وجمع له بين هذين الأمرين الشهادة فى المدينة النبوية وهذا عزيز جداً ، ولكن الله لطيف بما يشاء تبارك وتعالى ، فاتفق له أن ضربه أبو لؤلؤة فيروز المجوسى الأصل ، الرومى الدار ، وهو قائم يصلى فى المحراب ، صلاة الصبح من يوم الأربعاء ، لأربع بقين من ذى الحجة من هذه السنة بخنجر ذات طرفين ، فضربه ثلاث ضربات ، وقيل ست ضربات ، إحداهن تحت سرته قطعت السفاق نخر من قامته ، واستخلف عبد الرحمن بن عوف ، ورجع العلج بخنجره لايمر بأحد إلا ضربه ، حتى ضرب ثلاثة عشر رجلا مات منهم ستة ، فألقى عليه عبد الله بن عوف برنساً فانتحر نفسه لعنه الله ، وحمل عمر إلى منزله والدم يسيل من جرحه ـ وذلك قبل طلوع الشمس ـ فجعل يفيق ثم يغمى عليه ، ثم يذكرونه بالصلاة فيفيق ويقول : نعم ، ولاحظ فى الاسلام لمن تركها . ثم صلى فى الوقت ، ثم سأل عمن قتله من هو ؟ فقالوا له : هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة . فقال : الحمد لله الذى لم يجعل منيتى على يدى رجل يدعى الايمان ولم يسجد لله سجدة . ثم قال : قبحه الله ، لقد كنا أمرنا به معروفاً ـ وكان المغيرة قد ضرب عليه فى كل يوم درهمين ثم سأل من عمر أن يزيد فى خراجه فانه نجار نقاش حداد فزاد فى خراجه إلى مائة فى كل شهر ـ وقال له : لقد بلغنى أنك تحسن أن تعمل رحا تدور بالهواء فقال أبو لؤلؤة : أما والله لأعملن لك رحا يتحدث عنها الناس فى المشارق والمغارب ـ وكان هذا يوم الثلاثاء عشية ـ وطعنه صبيحة الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة . وأوصى عمر أن يكون الأمر شورى بعده فى ستة ممن توفى رسول الله (ص) وهو عنهم راض ، وهم عثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير

---

(١) من أول السطر الخامس عشر من الصحيفة نمرة ١٣٣ إلى هنا سقط من المصرية .

وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، ولم يذكر سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى فيهم ، لكونه من قبيلته ، خشية أن يراعى فى الامارة بسببه ، وأوصى من يستخلف بعده بالناس خيراً على طبقاتهم ومراتبهم ، ومات رضى الله عنه بعد ثلاث ، ودفن فى يوم الأحد مستهل المحرم من سنة أربع وعشرين ، بالحجرة النبوية ، إلى جانب الصديق ، عن إذن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فى ذلك ، وفى ذلك اليوم حكم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه .

قال الواقدى رحمه الله: حدثنى أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد عن أبيه قال : طعن عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين ، فكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وأحداً وعشرين يوماً ، وبويع لعثمان يوم الاثنين لثلاث مضين من المحرم . قال : فذكرت ذلك لعثمان الأخنس فقال : ما أراك إلا وهلت . توفى عمر لأربع ليال بقين من ذى الحجة وبويع لعثمان لليلة بقيت من ذى الحجة فاستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين . وقال أبو معشر : قتل عمر لأربع بقين من ذى الحجة تمام سنة ثلاث وعشرين وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام وبويع عثمان ابن عفان .

وقال ابن جرير : حدثت عن هشام بن محمد قال : قتل عمر لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين فكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام . وقال سيف عن خليد بن وفرة ومجالد قالا : استخلف عثمان لثلاث من المحرم فخرج فصلى بالناس صلاة العصر . وقال على بن محمد المدائنى عن شريك عن الأعمش - أو جابر الجعفى - عن عوف بن مالك الأشجعى وعامر بن أبى محمد عن أشياخ من قومه ، وعثمان بن عبد الرحمن عن الزهرى قال : طعن عمر يوم الأربعاء لسبع بقين من ذى الحجة والقول الأول هو الأشهر والله سبحانه وتعالى أعلم .

صفته رضي الله عنه

كان رجلا طوالا أصلع أعسر أيسر أحور العينين ، آدم اللون ، وقيل كان أبيض شديد البياض تعلوه حمرة ، أشنب الأسنان ، وكان يصفر لحيته ، ويرجل رأسه بالحناء .

واختلف فى مقدار سنه يوم مات رضى الله عنه على أقوال عدتها - عشرة - فقال ابن جرير : حدثنا زيد بن أحزم ثنا أبو قتيبة عن جرير بن حازم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : قتل عمر ابن الخطاب وهو ابن خمس وخمسين سنة ، ورواه الدراوردى عن عبد الله عن نافع عن ابن عمر . وقاله عبد الرزاق عن ابن جريج عن الزهرى ، ورواه أحمد عن هشيم عن على بن زيد عن سالم بن عبدالله ابن عمر ، وعن نافع رواية أخرى ست وخمسون سنة . قال ابن جرير : وقال آخرون : كان عمره

ثلاثا وخمسين سنة ، حدثت بذلك عن هشام بن محمد . ثم روى عن عامر الشعبي أنه توفى وله ثلاث وستون سنة .

قلت : وقد تقدم فى عمر الصديق مثله ، وروى عن قتادة أنه قال : توفى عمر وهو ابن إحدى وستين سنة ، وعن ابن عمر والزهرى خمس وستون . وعن ابن عباس ست وستون ، وروى ابن جرير عن أسلم مولى عمر أنه قال : توفى وهو ابن ستين سنة . قال الواقدى : وهذا أثبت الأقاويل عندنا . وقال المدائني : توفى عمر وهو ابن سبع وخمسين سنة .

ذكر زوجاته وأبنائه وبناته

قال الواقدى وابن الكلبي وغيرهما : تزوج عمر فى الجاهلية زينب بنت مظعون أخت عثمان ابن مظعون فولدت له عبد الله وعبد الرحمن الأكبر، وحفصة رضى الله عنهم . وتزوج مليكة بنت جرول فولدت له عبيد الله فطلقها فى الهدنة ، فخلف عليها أبو الجهم بن حذيفة ، قاله المدائنى .

وقال الواقدى : هى أم كلثوم بنت جرول فولدت له عبيد الله و زيداً الأصغر . قال المدائنى وتزوج قريبة بنت أبى أمية المخزومى ففارقها فى الهدنة ، فتزوجها بعده عبد الرحمن بن أبى بكر . قالوا : وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام بعد زوجها – حين قتل فى الشام – فولدت له فاطمة ثم طلقها . قال المدائنى وقيل لم يطلقها . قالوا : وتزوج جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح من الأوس . وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت قبله عند عبد الله بن أبى مليكة ولما قتل عمر تزوجها بعده الزبير بن العوام رضى الله عنهم ، ويقال هى أم ابنه عياض فالله أعلم . قال المدائنى : وكان قد خطب أم كلثوم ابنة أبى بكر الصديق وهى صغيرة وراسل فيها عائشة فقالت أم كلثوم : لاحاجة لى فيه ، فقالت عائشة : أترغبين عن أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم ، إنه خشن العيش فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فصده عنها ودله على أم كلثوم بنت على بن أبى طالب ، ومن فاطمة بنت رسول الله (ص) ، وقال تعلق منها بسبب من رسول الله (ص) ، فخطبها من على فزوجه إياها ، فأصدقها عمر رضى الله عنه أربعين ألفاً ، فولدت له زيداً ورقية ، قالوا : وتزوج لهية – امرأة من اليمن – فولدت له عبد الرحمن الأصغر ، وقيل الأوسط . وقال الواقدى : هى أم ولد وليست زوجة ، قالوا : وكانت عنده فكيهة أم ولد فولدت له زينب . قال الواقدى وهى أصغر ولده . قال لواقدى : وخطب أم أبان بنت عتبة بن شيبة فكرهته وقالت : يغلق بابه ويمنع خيره ويدخل عابساً ويخرج عابساً .

قلت : فجملة أولاده رضى الله عنه وأرضاه ثلاثة عشر ولداً ، وهم زيد الأكبر ، وزيد الأصغر ، وعاصم ، وعبد الله ، وعبد الرحمن الأكبر ، وعبد الرحمن الأوسط ، قال الزبير بن بكار وهو

أبو شحمة ، وعبد الرحمن الأصغر وعبيد الله ، وعياض ، وحفصة ، ورقية ، وزينب ، وفاطمة ، رضى الله عنهم . ومجموع نسائه اللاتى تزوجهن فى الجاهلية والاسلام ممن طلقهن أو مات عنهن سبع ، وهن جميلة بنت عاصم بن ثابت بن الأفلح ، وزينب بنت مظعون ، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، وقريبة بنت أبى أمية ، ومليكة بنت جرول ، وأم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وأم كلثوم بنت على بن أبى طالب ، وأم كلثوم أخرى وهى مليكة بنت جرول . وكانت له أمتان له منهما أولاد ، هما فكيهة ولهية ، وقد اختلف فى لهية هذه فقال بعضهم : كانت أم ولد ، وقال بعضهم : كان أصلها من اليمن وتزوجها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فالله أعلم .

ذكر بعض ما رُثي به

قال على بن محمد المدائنى : عن ابن داب وسعيد بن خالد ، عن صالح بن كيسان عن المغيرة ابن شعبة قال : لما مات عمر بكته ابنة أبى خيثمة فقالت : واعمراه ، أقام الأود وأبر العهد ، أمات الفتن وأحيا السنن ، خرج نقى الثوب بريأً من العيب .

قال فقال على بن أبى طالب : والله لقد صدقت ، ذهب بخيرها ، ونجا من شرها ، أما والله ما قالت ولكن قولت . قال : وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل فى زوجها عمر .

فجّعنى فيروز لا درَّ درّهُ * بأبيضَ تالٍ للكتابِ منيبِ
رؤفٌ على الأدنى غليظٌ على العدى * أخى ثقةٍ فى النائباتِ نجيبِ
متى ما يقلْ لا يُكذبُ القولَ فعلهُ * سريعٌ إلى الخيراتِ غيرُ قطوبِ

وقالت أيضاً :

عينُ جودى بعبرةٍ ونحيبِ * لا تملّىَّ على الأمامِ النجيبِ
فجّعتنا المنونُ بالفارسِ العيـ * ـلمِ يومَ الهياجِ والتلبيبِ
عصمةِ الناسِ والمعينِ على الدهـ * ـرِ وغيثِ المنتابِ والمحروبِ
قلْ لأهلِ السراءِ والبؤسِ موتوا * قدْ سقتهُ المنونُ كأسَ شعوبِ

[وقالت امرأة من المسلمين تبكيه :

سيبكيكَ نساءُ الحـ * ـيِ يبكينَ شجيات
ويخمشنَ وجوهاً كالـ * ـدنانيرِ نقيات
ويلبسنَ ثيابَ الحز * نِ بعدَ القصبيات] (١)

وقد ذكر ابن جرير ترجمة طويلة لعمر بن الخطاب ، وكذلك أطال ابن الجوزى فى سيرته ،

(١) زيادة من المصرية .

وشيخنا الحافظ أبو عبدالله الذهبي فى تاريخه ، وقد جمعنا متفرقات كلام الناس فى مجلد مفرد ، وأفردنا لما أسنده وروى عنه من الأحكام مجلداً آخر كبيراً مرتباً على أبواب الفقه ولله الحمد .

قال ابن جرير : وفى هذه السنة توفى قتادة بن النعمان ، وفيها غزا معاوية الصائفة حتى بلغ عمورية ومعه من الصحابة عبادة بن الصامت ، وأبو أيوب ، وأبو ذر ، وشداد بن أوس . وفيها فتح معاوية عسقلان صلحاً . قال : وفيها كان على قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة كعب بن سوار ، قال : وأما مصعب الزبيرى فانه ذكر أن مالكا روى عن الزهرى أن أبا بكر وعمر لم يكن لهما قاض وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي فى تاريخه فى سنة ثلاث وعشرين . فيها كانت قصة سارية بن زنيم . وفيها فتحت كرمان وأميرها سهيل بن عدى . وفيها فتحت سجستان ، وأميرها عاصم بن عمرو وفيها فتحت مكران ، وأميرها الحكم بن أبى العاص ، أخو عثمان ، وهى من بلاد الجبل . وفيها رجع أبو موسى الأشعرى من بلاد أصبهان وقد افتتح بلادها ، وفيها غزا معاوية الصائفة حتى بلغ عمورية . ثم ذكر وفاة من مات فيها . فمنهم قتادة بن النعمان الأنصارى الأوسى الظفرى أخو أبى سعيد الخدرى لأمه ، وقتادة أكبر منه ، شهد بدراً وأصيبت عينه فى يوم أحد حتى وقعت على خده فردها رسول الله ص فصارت أحسن عينيه ، وكان من الرماة المذكورين ، وكان على مقدمة عمر حين قدم إلى الشام توفى فى هذه السنة على المشهور عن خمس وستين سنة ، ونزل عمر فى قبره : وقيل إنه توفى فى التى قبلها . ثم ذكر ترجمة عمر بن الخطاب فأطال فيها وأكثر وأطنب ، وأتى بمقاصد كثيرة مهمة ، وفوائد جمة ، وأشياء حسنة ، فأثابه الله الجنة . ثم قال : ذكر من توفى فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

الأقرع بن حابس

ابن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمى المجاشعى . قال ابن دريد : واسمه فراس بن حابس ولقب بالأقرع لقرع فى رأسه ، وكان أحد الرؤساء ، قدم على رسول الله ص مع وفد بنى تميم ، وهو الذى نادى من وراء الحجرات : يامحمد إن مدحى زين ، وذمى شين ، وهو القائل - وقد رأى رسول الله ص يقبل الحسن - أتقبله ؟ والله إن لى عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم . فقال « من لا يرحم لا يرحم » . وفى رواية « ما أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك » وكان ممن تألفه رسول الله ص فأعطاه يوم حنين مائة من الابل ، وكذلك لعيينة بن حصن الفزارى ، وأعطى عباس بن مرداس خمسين (١) من الابل فقال :

أتجعلُ نهبى ونهبَ العبيـ * ـد بينَ عيينة والأقرع

فما كانَ حصنٌ ولا حابسٌ * يفوقانِ مرداسُ فى مجمع

---

(١) كذا فى الحلبية وفى المصرية : خمساً من الابل .

وما كنتُ دونَ امرئٍ منهما * ومن يخفضِ اليومَ لا يرفع

فقال له رسول الله (ص) أنت القائل

أتجعلُ نهبي ونهبَ العبيـ * ـدِ بينَ عيينةَ والأقرع

رواه البخارى قال السهيلى : إنما قدم رسـول الله (ص) ذكر الأقرع قبل عيينة لأن الأقرع كان خيراً من عيينة [ولهذا لم يرتد بعـد النبى (ص) كما ارتد عيينة][(1)] فبايع طليحة وصدقه ثم عاد . والمقصود أن الأقرع كان سيداً مطاعاً ، وشهد مع خالد وقائعه بأرض العراق ، وكان على مقدمته يوم الأنبار . ذكره شيخنا فيمن توفى فى خلافة عمر بن الخطاب . والذى ذكره ابن الأثير فى الغابة أنه استعمله عبـد الله بن عامر على جيش وسيره إلى الجوزجان فقتل وقتلوا جميعاً ، وذلك فى خلافة عثمان كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

حباب بن المنذر

ابن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة أبو عمر ويقال أبو عمرو الأنصارى الخزرجى السلمى ، ويقال له ذو الرأى لأنه أشار يوم بدر أن ينزل رسول الله (ص) على أدنى ماء يكون إلى القوم ، وأن يغور ماوراءهم من القلب فأصاب فى هذا الرأى ، ونزل الملك بتصديقه وأما قوله يوم السقيفة : أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب ، منا أمير ومنكم أمير . فقد رده عليه الصديق والصحابة .

ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب

عتبة بن مسعود الهذلى ، هاجر مع أخيه لأبويه ، عبد الله إلى الحبشة شهد أحداً وما بعـدها . قال الزهرى : ما كان عبد الله بأفقه منـه ، ولكن مات عتبة قبله ، وتوفى زمن عمر على الصحيح ، ويقال فى زمن معاوية سنة أربع وأربعين .

علقمة بن علاثة

ابن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامرى الكلابى ، أسلم عام الفتح وشهد حنيناً وأعطى يومئذ مائة من الابل تأليفاً لقلبه ، وكان يكون بتهامة وكان شريفاً مطاعاً فى قومه ، وقد ارتد أيام الصديق فبعث إليه سرية فانهزم ثم أسلم وحسن إسلامه ، ووفد على عمر فى خلافته ، وقدم دمشق فى طلب ميراث له ثَمَّ ، ويقال استعمله عمر على حوران فمات بها ، وقد كان الحطيئة قصده ليمتدحه فمات قبل مقدمه بليال فقال :

فما كان بينى لو لقيتك سالما * وبين الغنى إلا ليال قلائل

---

(١) زيادة فى المصرية .

علقمة بن مجزز

ابن الأعور بن جعدة بن معاذ بن عتوارة بن عمرو بن مدلج الكناني المدلجي ، أحد أمراء رسول الله (ص) ، على بعض السرايا ، وكانت فيه دعابة ، فأجج ناراً وأمر أصحابه أن يدخلوا فيها فامتنعوا ، فقال النبي (ص) « لو دخلوا فيها ما خرجوا منها » وقال « إنما الطاعة في المعروف » وقد كان علقمة جواداً ممدحاً رثاه جواس العذري فقال :

إنَّ السلامَ وحسنَ كلِ تحيةٍ * تغدو على ابنِ مجززٍ وتروحُ

عويم بن ساعدة

ابن عابس أبو عبد الرحمن الأنصاري الأوسي ، أحد بني عمرو بن عوف شهد العقبة و بدراً وما بعدها له حديث عند أحمد وابن ماجه في الاستنجاء بالماء . قال ابن عبد البر : توفى في حياة النبي (ص) وقيل في خلافة عمر ، وقال وهو واقف على قبره : لا يستطيع أحد أن يقول أنا خير من صاحب هذا القبر مانصبت راية للنبي (ص) إلا وهو واقف تحتها . وقد روى هذا الأثر ابن أبي عاصم كما أورده ابن الأثير من طريقه .

غيلان بن سلمة الثقفي

أسلم عام الفتح على عشر نسوة فأمره رسول الله (ص) أن يختار منهن أربعاً ، وقد وفد قبل الاسلام على كسرى فأمره أن يبني له قصراً بالطائف ، وقد سأله كسرى أي ولدك أحب إليك ؟ قال الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يقدم ، فقال له كسرى أنى لك هذا ؟ هذا كلام الحكماء . قال : فما غذاؤك ؟ قال : البر . قال نعم هذا من البر لا من التمر واللبن .

معمر بن الحارث

ابن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي أخو حاطب وحطاب ، أمهم قيلة بنت مظعون ، أخت عثمان بن مظعون أسلم معمر قبل دخول النبي (ص) دار الأرقم وشهد بدراً وما بعدها وآخى رسول الله (ص) بينه و بين معاذ بن عفراء .

ميسرة بن مسروق العبسي

شيخ صالح قيل إنه صحابي شهد اليرموك ودخل الروم أميراً على جيش ستة آلاف وكانت له همة عالية فقتل وسبي وغنم وذلك في سنة عشرين ، وروى عن أبي عبيدة وعنه أسلم مولى عمر ، لم يذكره ابن الأثير في الغابة .

واقد بن عبد الله

بن عبد مناف بن عرين الحنظلي اليربوعي حليف بني عدي بن كعب ، أسلم قبل دخول النبي

(ص) دار الأرقم وشهد بدراً وما بعدها وآخى رسول الله (ص) بينه و بين بشر بن البراء بن معرور ، وهو أول من قتل فى سبيل الله عز وجل ببطن نخلة ، مع عبد الله بن جحش حين قتل عمرو بن الحضرمى ، توفى فى خلافة عمر رضى الله عنه .

ابو خراش الهذلي الشاعر

واسمه خويلد بن مرة ، كان يسبق الخيل على قدميه ، وكان فتاكا فى الجاهلية ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وتوفى فى زمن عمر ، أتاه حجاج فذهب يأتيهم بماء فنهشته حية فرجع إليهم بالماء وأعطاهم شاة وقدراً ، ولم يعلمهم بما جرى له ، فأصبح فمات فدفنوه . ذكره ابن عبد البر وابن الأثير فى أسماء الصحابة ، والظاهر أنه ليست له وفادة ، وإنما أسلم فى حياة النبى (ص) فهو مخضرم والله أعلم .

ابو ليلى عبد الرحمن بن كعب

ابن عمرو الأنصارى شهد أحداً وما بعدها ، إلا تبوك فانه تخلف لعذر الفقر ، وهو أحد البكائين المذكورين .

سودة بنت زمعة

القرشية العامرية أم المؤمنين ، أول من دخل بها رسول الله (ص) بعد خديجة رضى الله عنها ، وكانت صوامة قوامة ، ويقال كان فى خلقها حدة ، وقد كبرت فأراد رسول الله (ص) أن يفارقها ـ ويقال بل فارقها ـ فقالت : يارسول الله لاتفارقنى وأنا أجعل يومى لعائشة ، فتركها رسول الله (ص) وصالحها على ذلك . وفى ذلك أنزل الله عز وجل (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير) الآية . قالت عائشة : نزلت فى سودة بنت زمعة ، توفيت فى خلافة عمر بن الخطاب .

هند بن عتبة

يقال : ماتت فى خلافة عمر وقيل توفيت قبل ذلك كما تقدم فالله أعلم .

خلافة امير المؤمنين عثمان بن عفّان
ثم استهلت سنة أربع وعشرين

ففى أول يوم منها دفن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وذلك يوم الأحد فى قول وبعد ثلاث أيام بويع أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه .

كان عمر رضى الله عنه قد جعل الأمر بعده شورى بين ستة نفر وهم عثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبدالرحمن بن عوف رضى الله عنهم . وتحرج أن يجعلها لواحد من هؤلاء على التعيين ، وقال لا أتحمل أمرهم حياً وميتاً ،

وإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خير هؤلاء ، كما جمعكم على خيركم بعد نبيكم (ص.)، ومن تمام ورعه لم يذكر فى الشورى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل لأنه ابن عمه خشى أن يراعي فيولى لكونه ابن عمه ، فلذلك تركه . وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، بل جاء فى رواية المدائنى عن شيوخه أنه استثناه من بينهم ، وقال لست مدخله فيهم ، وقال لأهل الشورى يحضركم عبد الله - يعنى ابنه - وليس إليه من الأمر شئ - يعنى بل يحضر الشورى ويشير بالنصح ولا يولى شيئاً - وأوصى أن يصلى بالناس صهيب بن سنان الرومى ثلاثة أيام حتى تنقضى الشورى ، وأن يجتمع أهل الشورى ويوكل بهم أناس حتى ينبرم الأمر ، ووكل بهم خمسين رجلا من المسلمين وجعل عليهم مستحثاً أبا طلحة الأنصارى ، والمقداد بن الأسود الكندى ، وقد قال عمر بن الخطاب : ما أظن الناس يعدلون بعثمان وعلى أحداً ، إنهما كانا يكتبان الوحى بين يدى رسول الله (ص.) بما ينزل به جبريل عليه. قالوا : فلما مات عمر رضى الله عنه وأحضرت جنازته تبادر إليها علي وعثمان أيهما يصلى عليه ، فقال لهما عبد الرحمن بن عوف : لستما من هذا فى شئ ، إنما هذا إلى صهيب الذى أمره عمر أن يصلى بالناس . فتقدم صهيب وصلى عليه ، ونزل فى قبره مع ابنه عبد الله أهل الشورى سوى طلحة فانه كان غائباً ، فلما فرغ من شأن عمر جمعهم المقداد بن الأسود فى بيت المسور بن مخرمة ، وقيل فى حجرة عائشة ، وقيل فى بيت المال ، وقيل فى بيت فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس ، والأول أشبه والله أعلم . فجلسوا فى البيت وقام أبو طلحة يحجبهم ، وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا من وراء الباب فحصبهم سعد بن أبى وقاص وطردهما وقال جئتما لتقولا حضرنا أمر الشورى ؟ رواه المدائنى عن مشايخه والله أعلم بصحته .

والمقصود أن القوم خلصوا من الناس فى بيت يتشاورون فى أمرهم ، فكثر القول ، وعلت الاصوات وقال أبو طلحة : إنى كنت أظن أن تدافعوها ولم أكن أظن أن تنافسوها ، ثم صار الأمر بعد حضور طلحة إلى أن فوض ثلاثة منهم مالهم فى ذلك إلى ثلاثة ، ففوض الزبير ما يستحقه من الامارة إلى على ، وفوض سعد ماله فى ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف ، وترك طلحة حقه إلى عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، فقال عبد الرحمن لعلى وعثمان : أيكما يبرأ من هذا الأمر فنفوض الأمر إليه والله عليه والاسلام ليولين أفضل الرجلين الباقيين فأسكت الشيخان على وعثمان ، فقال عبد الرحمن: إنى أترك حقى من ذلك والله على والاسلام أن أجتهد فأولى أولا كما بالحق ، فقالا نعم ! ثم خاطب كل واحد منهما بما فيه من الفضل ، وأخذ عليه العهد والميثاق لئن ولاه ليعدلن ولئن ولى عليه ليسمعن وليطيعن ، فقال كل منهما نعم ! ثم تفرقوا ، ويروى أن أهل الشورى جعلوا الأمر إلى عبد الرحمن ليجتهد للمسلمين فى أفضلهم ليوليه ، فيذكر أنه سأل من يمكنه سؤاله من أهل الشورى وغيرهم فلا

يشير إلا بعثمان بن عفان ، حتى أنه قال لعلى : أرأيت إن لم أولك بمن تشير به على ؟ قال : [بعثمان. وقال لعثمان : أرأيت إن لم أولك بمن تشير به ؟][(١)] قال : بعلى بن أبى طالب . والظاهر أن هـذا كان قبل أن ينحصر الأمر فى ثلاثة ، وينخلع عبد الرحمن منها لينظر الأفضل والله عليه والاسلام ليجتهدن فى أفضل الرجلين فيوليه . ثم نهض عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه يستشير الناس فيهما ويجمع رأى المسلمين برأى رؤس الناس وأقيادهم جميعا وأشتاتا ، مثنى وفرادى ، ومجتمعين ، سراً وجهراً ، حتى خلص إلى النساء المخدرات فى حجابهن ، وحتى سأل الولدان فى المكاتب ، وحتى سأل من يرد من الركبان والاعراب إلى المدينة ، فى مدة ثلاثة أيام بلياليها ، فلم يجد اثنين يختلفان فى تقدم عثمان بن عفان ، إلا ما ينقل عن عمار والمقداد أنهما أشارا بعلى بن أبى طالب ، ثم بايعا مع الناس على ماسنذكره ، فسعى فى ذلك عبد الرحمن ثلاثة أيام بلياليها لا يغتمض بكثير نوم إلا صلاة ودعاءاً واستخارة ، وسؤالا من ذوى الرأى عنهم ، فلم يجد أحداً يعدل بعثمان بن عفان رضى الله عنه ، فلما كانت الليلة يسفر صباحها عن اليوم الرابع من موت عمر بن الخطاب جاء إلى منزل ابن اخته المسور بن مخرمة فقال : أنائم يامسور ؟ والله لم أغتمض بكثير نوم منذ ثلاث ، اذهب فادع إلى علياً وعثمان قال المسور : فقلت بأيهما أبدأ ؟ فقال بأيهما شئت ، قال فذهبت إلى على فقلت أجب خالى ، فقال أمرك أن تدعو معى أحداً ؟ قلت : نعم ! قال : من ؟ قلت : عثمان بن عفان ، قال : بأينا بدأ ؟ قلت لم يأمرنى بذلك ، بل قال ادعو لى أيهما شئت أولا ، فجئت إليك قال فخرج معى فلما مررنا بدار عثمان بن عفان جلس على حتى دخلت فوجدته يوتر مع الفجر ، فقال لى كما قال لى على سواء ، ثم خرج فدخلت بهما على خالى وهو قائم يصلى ، فلما انصرف أقبل على على وعثمان فقال إنى قد سألت الناس عنكما فلم أجد أحداً يعدل بكما أحداً ، ثم أخذ العهد على كل منهما أيضاً لئن ولاه ليعدلن ، ولئن ولى عليه ليسمعن وليطيعن ، ثم خرج بهما إلى المسجد وقد لبس عبد الرحمن العمامة التى عممه رسول الله (ص) ، وتقلد سيفاً ، و بعث إلى وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ، ونودى فى الناس عامة الصلاة جامعة ، فامتلأ المسجد حتى غص بالناس ، وتراص الناس وتراصوا حتى لم يبق لعثمان موضع مجلس إلا فى أخريات الناس ــ وكان رجلا حيياً رضى الله عنه ــ ثم صعد عبد الرحمن بن عوف منبر رسول الله (ص) ، فوقف وقوفاً طويلا ، ودعا دعاء طويلا ، لم يسمعه الناس ثم تكلم فقال : أيها الناس ، إنى سألتكم سراً وجهراً بأمانيكم فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين إما على و إما عثمان ، فقم إلى ياعلى ، فقام إليه فوقف تحت المنبر فأخذ عبد الرحمن بيده فقال : هل أنت مبايعى على كتاب الله وسنة نبيه (ص) وفعل أبى بكر وعمر ؟ قال : اللهم لا ولكن على جهدى من ذلك وطاقتى ، قال

---

(١) زيادة من المصرية .

فأرسل يده وقال : قم إلى ياعثمان ، فأخذ بيده فقال : هل أنت مبايعى على كتاب الله وسنة نبيه (ص) وفعل أبى بكر وعمر ؟ قال : اللهم نعم ! قال : فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده فى يد عثمان فقال اللهم اسمع واشهد ، اللهم اسمع واشهد ، اللهم اسمع واشهد ، اللهم إنى قد خلعت مافى رقبتى من ذلك فى رقبة عثمان . قال وازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غشوه تحت المنبر ، قال فقعد عبد الرحمن مقعد النبى (ص) وأجلس عثمان تحته على الدرجة الثانية ، وجاء إليه الناس يبايعونه ، وبايعه على بن أبى طالب أولا ، ويقال آخراً . وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره عن رجال لا يعرفون أن علياً قال لعبد الرحمن خدعتنى ، وإنك إنما وليته لأنه صهرك وليشاورك كل يوم فى شأنه ، وأنه تلكأ حتى قال له عبد الرحمن [فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما] إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت فى الصحاح فهى مردودة على قائليها وناقليها والله أعلم .

والمظنون بالصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة وأغبياء القصاص الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها ، ومستقيمها وسقيمها ، ومبادها وقويمها، والله الموفق للصواب . وقد اختلف علماء السير فى اليوم الذى بويع فيه لعثمان بن عفان رضى الله عنه ، فروى الواقدى عن شيوخه أنه بويع يوم الاثنين لليلة بقيت من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، واستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين ، وهذا غريب جداً . وقد روى الواقدى أيضاً عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة قال : بويع لعثمان بن عفان لعشر خلون من المحرم بعد مقتل عمر بثلاث ليال ، وهذا أغرب من الذى قبله ، وكذا روى سيف بن عمر عن عامر الشعبى أنه قال : اجتمع أهل الشورى على عثمان لثلاث خلون من المحرم سنة أربع وعشرين ، وقد دخل وقت العصر وقد أذن مؤذن صهيب ، واجتمع الناس بين الأذان والاقامة فخرج فصلى بهم العصر . وقال سيف عن خليفة بن زفر ومجالد قالا : استخلف عثمان لثلاث خلون من المحرم سنة ثلاث وعشرين فخرج فصلى بالناس العصر ، وزاد الناس - يعنى فى أعطياتهم - مائة ، ووفد أهل الأمصار ، وهو أول من صنع ذلك . قلت : ظاهر ما ذكرناه من سياق بيعته يقتضى أن ذلك كان قبل الزوال ، لكنه لما بايعه الناس فى المسجد ذهب به إلى دار الشورى على ما تقدم فيها من الخلاف ، فبايعه بقية الناس ، وكأنه لم يتم البيعة إلا بعد الظهر وصلى صهيب يومئذ الظهر فى المسجد النبوى وكان أول صلاة صلاها الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان بالمسلمين صلاة العصر ، كما ذكره الشعبى وغيره . وأما أول خطبة خطبها بالمسلمين فروى سيف بن عمر عن بدر بن عثمان عن عمه قال لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدهم كآبة فأتى منبر النبى (ص) فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى (ص) ، وقال : إنكم فى دار قلعة وفى بقية أعمار ،

فبادروا آجالكم بخير ما تمدرون عليـه ، فلقد أتيتم صبحتم أو مسيتم ، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ، واعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا . أين أبناء الدنيا واخوانها الذين أثاروها وعمروها ومتعوا بها طويلا ؟ ألم تلفظهم ؟ ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها ، واطلبوا الآخرة فان الله قـد ضرب لها مثلا ، بالذى هـو خير فقال تعالى [واضرب لهـم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدراً ، المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا] قال : وأقبل الناس يبايعونه .

قلت وهذه الخطبة : إما بعد صلاة العصر يومئذ ، أو قبل الزوال [وعبد الرحمن بن عوف جالس فى رأس المنبر] [١] وهو الأشبه والله أعلم . وما يذكره بعض الناس من أن [عثمان لما خطب أول خطبة ارتج عليـه فلم يدر ما يقول حتى قال : أيها الناس ، إن] [٢] أول مركب صعب ، وإن أعش فستأتيكم الخطبة على وجهها ، فهو شئ يذكره صاحب العقد وغيره ، ممن يذكر طرف الفوائد ، ولكن لم أر هذا باسناد تسكن النفس إليه والله أعلم .

وأما قول الشعبى إنه زاد الناس مائة مائة ـ يعنى فى عطاء كل واحد من جند المسلمين ـ زاده على ما فرض له عمر مائة درهم من بيت المال وكان عمر قد جعل لكل نفس من المسلمين فى كل ليلة من رمضان درهماً من بيت المال يفطر عليـه ، ولأمهات المؤمنين درهمين درهمين ، فلما ولى عثمان أقر ذلك وزاده ، واتخـذ سماطا فى المسجد أيضاً للمتعبدين ، والمعتـكفين ، وأبناء السبيل ، والفقراء ، والمساكين ، رضى الله عنه . وقد كان أبو بكر إذا خطب يقوم على الدرجة التى تحت الدرجة التى كان رسول الله (ص) يقف عليها ، فلما ولى عمر نزل درجة أخرى عن درجة أبى بكر رضى الله عنهما ، فلما ولى عثمان قال إن هذا يطول ، فصعد إلى الدرجة التى كان يخطب عليها رسول الله (ص) وزاد الأذان الأول يوم الجمعة ، قبل الأذان الذى كان يؤذن به بين يدى رسول الله (ص). إذا جلس على المنبر ، وأما أول حكومة حكم فيها فقضية عبيد الله بن عمر ، وذلك أنه غدا على ابنة أبى لؤلؤة قاتل عمر فقتلها ، وضرب رجلا نصرانياً يقال له جفينة بالسيف فقتله ، وضرب الهرمزان الذى كان صاحب تستر فقتله ، وكان قد قيل إنهما مالآ أبا لؤلؤة على قتل عمر فالله أعلم .

وقد كان عمر قد أمر بسجنه ليحكم فيه الخليفة من بعده ، فلما ولى عثمان وجلس للناس كان أول ما تحوكم إليه فى شأن عبيد الله ، فقال على : ما من العدل تركه ، وأمر بقتله ، وقال بعض المهاجرين : أيقتل أبوه بالأمس ويقتل هو اليوم ؟ فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين قد برأك الله من ذلك ،

(١) ـ (٢) زيادة من المصرية .

قضية لم تكن فى أيامك فدعها عنك، فودى عثمان رضى الله عنه أولئك القتلى من ماله، لأن أمرهم إليه، إذ لا وارث لهم إلا بيت المال، والامام يرى الأصلح فى ذلك، وخلى سبيل عبيد الله. قالوا فكان زياد بن لبيد البياضى إذا رأى عبيد الله بن عمر يقول:

أَلا يا عبيدَ اللهِ مالكَ مهربٌ * ولا ملجأٌ من ابن أروى ولا خفرْ
أصبتَ دماً واللهِ فى غيرِ حلهِ * حراماً وقتلُ الهرمزانِ له خطرْ
على غيرِ شئٍ غيرَ أن قالَ قائلٌ * أتتهمونَ الهرمزانَ على عمرْ
فقالَ سفيهٌ والحوادثُ جمةٌ * نعمْ أتهمهُ قدْ أشارَ وقدْ أمرْ
وكانَ سلاحُ العبدِ فى جوفِ بيتهِ * يقلبها والأمرُ بالأمرِ يعتبرْ

قال: فشكا عبيد الله بن عمر زياداً إلى عثمان فاستدعى عثمان زياد بن لبيد فأنشأ زياد يقول فى عثمان:

أبا عمرو عبيد اللهِ رهنٌ * فلا تشككْ بقتلِ الهرمزانِ
[فانكَ إنْ غفرتَ الجرْمَ عنهُ * وأسبابُ الخطا فرسا رهانِ] (١)
أتعفو إذْ عفوتَ بغيرِ حقٍّ * فمالكَ بالذى يخلى يدانِ

قال فنهاه عثمان عن ذلك وزبره فسكت زياد بن لبيد عما يقول. ثم كتب عثمان بن عفان إلى عماله على الأمصار أمراء الحرب، والأئمة على الصلوات، والأمناء على بيوت المال يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحثهم على طاعة الله وطاعة رسوله، ويحرضهم على الاتباع وترك الابتداع، قال ابن جرير: وفى هذه السنة عزل عثمان المغيرة بن شعبة عن الكوفة وولى عليها سعد بن أبى وقاص فكان أول عامل ولاه، لأن عمر قال: فان أصابت الامرة سعداً فذاك، وإلا فليستعن به أيكم ولى، فانى لم أعزله عن عجز ولا خيانة. فاستعمل سعداً عليها سنة وبعض أخرى، ثم رواه ابن جرير من طريق سيف عن مجالد عن الشعبى. وقال الواقدى فيما ذكره عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر أوصى أن تقر عماله سنة، فلما ولى عثمان أقر المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة [ثم عزله، واستعمل سعداً ثم عزله وولى الوليد بن عقبة بن أبى معيط. قال ابن جرير: فعلى ما ذكره الواقدى تكون ولاية سعد على الكوفة سنة] (٢) خمس وعشرين. قال ابن جرير: وفى هذه السنة - أعنى سنة أربع وعشرين - غزا الوليد بن عقبة أذربيجان وأرمينية حين منع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أهل الاسلام فى أيام عمر بن الخطاب، وهذا فى رواية أبى مخنف، وأما فى رواية غيره فان ذلك كان فى سنة ست وعشرين، ثم ذكر ابن جرير: ههنا هذه الوقعة وملخصها أن الوليد بن عقبة سار بجيش

(١) زيادة من الطبرى. وقوله: يخلى فى المصرية وابن جرير وفى الحلبية يحكى
(٢) زيادة من المصرية.

الكوفة نحو أذربيجان وأرمينية ، حين نقضوا العهد فوطئ بلادهم وأغار بأراضى تلك الناحية فغنم وسبى وأخذ أموالا جزيلة فلما أيقنوا بالهلكة صالحهم أهلها على ما كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان ثمانمائة ألف درهم فى كل سنة فقبض منهم جزية سنة ثم رجع سالما غانما الى الكوفة ، فمر بالموصل . وجاءه كتاب عثمان وهو بها يأمره أن يمد أهل الشام على حرب أهل الروم . قال ابن جرير : وفى هذه السنة جاشت الروم حتى خاف أهل الشام و بعثوا إلى عثمان رضى الله عنه يستمدونه فكتب إلى الوليد بن عقبة : أن إذا جاءك كتابى هذا فابعث رجلا أميناً كريماً شجاعاً فى ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إلى إخوانكم بالشام . فقام الوليد بن عقبة فى الناس خطيباً حين وصل إليه كتاب عثمان فأخبرهم بما أمره به أمير المؤمنين وندب الناس وحثهم على الجهاد ومعاونة معاوية وأهل الشام ، وأمّر سلمان بن ربيعة على الناس الذين يخرجون إلى الشام فانتدب فى ثلاثة أيام ثمانية آلاف فبعثهم إلى الشام وعلى جند المسلمين حبيب بن مسلم الفهرى ، فلما اجتمع الجيشان شنوا الغارات على بلاد الروم فغنموا وسبوا شيئاً كثيراً وفتحوا حصوناً كثيرة ولله الحمد .

وزعم الواقدى أن الذى أمد أهل الشام بسلمان بن ربيعة إنما هو سعيد بن العاص عن كتاب عثمان رضى الله عنه فبعث سعيد بن العاص سلمان بن ربيعة بستة آلاف فارس حتى انتهى إلى حبيب ابن مسلمة وقد أقبل إليه الموريان الرومى فى ثمانين ألفاً من الروم والترك ، وكان حبيب بن مسلمة شجاعاً شهماً فعزم على أن يبيت جيش الروم فسمعته امرأته يقول للأمراء ذلك فقالت له : فأين موعدى معك ـ تعنى أين أجتمع بك غداً ـ فقال لها : موعدك سرادق الموريان أو الجنة ، ثم نهض إليهم فى ذلك الليل بمن معه من المسلمين فقتل من أشرف له وسبقته امرأته إلى سرادق الموريان فكانت أول امرأة من العرب ضرب عليها سرادق وقد مات عنها حبيب بن مسلمة بعد ذلك ، فخلف عليها بعده الضحاك بن قيس الفهرى ، فهى أم ولده . قال ابن جرير : واختلف فيمن حج بالناس فى هذه السنة فقال الواقدى وأبو معشر : حج بهم عبد الرحمن بن عوف بأمر عثمان . وقال آخرون : حج بالناس عثمان بن عفان رضى الله عنه . والأول هو الأشهر فان عثمان لم يتمكن من الحج فى هذه السنة لأجل رعاف أصابه مع الناس فى هذه السنة حتى خشى عليه وكان يقال لهذه السنة سنة الرعاف ، وفيها افتتح أبو موسى الأشعرى الرى بعد ما نقضوا العهد الذى كان اتفهم عليه حذيفة ابن اليمان رضى الله عنه ، وفيها توفى سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى ويكنى بأبى سفيان ، كان ينزل قديداً وهو الذى اتبع رسول الله (ص) وأبا بكر وعامر بن فهيرة وعبد الله بن أريقط الديلى حين خرجوا من غار ثور قاصدين المدينة فأراد أن يردهم على أهل مكة لما جعلوا فى كل واحد من النبى (ص) وأبى بكر مائة مائة من الابل ، فطمع أن يفوز بهذا الجعل فلم يسلطه الله عليهم ، بل

لما اقترب منهم وسمع قراءة رسول الله (ص) ساخت قوائم فرسه فى الأرض حتى ناداهم بالأمان ، فأعطوه الأمان ، وكتب له أبو بكر كتاب أمان عن إذن رسول الله (ص) ، [ثم قدم به بعد غزوة الطائف فأسلم وأكرمه النبى (ص)] (١) . وهو القائل : يا رسول الله أعمرتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد ؟ فقال له : « بل لأبد الأبد . دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة » .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين

وفيها نقض أهل الاسكندرية العهد ، وذلك أن ملك الروم بعث إليهم معويل الخصى فى مراكب من البحر فطمعوا فى النصرة ونقضوا ذمتهم ، فغزاهم عمرو بن العاص فى ربيع الأول ، فافتتح الأرض عنوة وافتتح المدينة صلحاً . وفيها حج بالناس عثمان بن عفان رضى الله عنه . وفيها فى قول سيف عزل عثمان سعداً عن الكوفة وولى الوليد بن عقبة بن أبى معيط مكانه ، فكان هذا مما نقم على عثمان . وفيها وجه عمرو بن العاص عبد الله بن سعد بن أبى سرح لغزو بلاد المغرب ، واستأذنه ابن أبى سرح فى غزو إفريقية فأذن له ويقال فيها أيضاً عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وقيل بل كان هذا فى سنة سبع وعشرين كما سيأتى والله أعلم . وفيها فتح معاوية الحصون ، وفيها ولد ابنه يزيد بن معاوية .

ثم دخلت سنة ست وعشرين

قال الواقدى : فيها أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم . وفيها وسع المسجد الحرام . وفيها عزل سعداً عن الكوفة وولاها الوليد بن عقبة ، وكان سبب عزل سعد أنه اقترض من ابن مسعود مالا من بيت المال ، فلما تقاضاه به ابن مسعود ولم يتيسر قضاؤه تقاولا ، وجرت بينهما خصومة شديدة ، فغضب عليهما عثمان فعزل سعداً واستعمل الوليد بن عقبة ـ وكان عاملا لعمر على عرب الجزيرة ـ فلما قدمها أقبل عليه أهلها فأقام بها خمس سنين وليس على داره باب ، وكان فيه رفق برعيته . قال الواقدى : وفيها حج بالناس عثمان بن عفان رضى الله عنه . وقال غيره : وفيها افتتح عثمان بن أبى العاص سابور صلحاً على ثلاثة آلاف ألف وثلثمائة ألف .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين

قال الواقدى وأبو معشر : وفيها عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبى سرح ـ وكان أخا عثمان لأمه ـ وهو الذى شفع له يوم الفتح حين كان أهدر رسول الله (ص) دمه .

غزوة افريقية

أمر عثمان عبد الله بن سعد بن أبى سرح أن يغزو بلاد إفريقية فاذا افتتحها الله عليه فله خمس

---

(١) سقط من الحلبية .

الخمس من الغنيمة نفلا . فسار إليها فى عشرة آلاف فافتتحها سهلها وجبلها ، وقتل خلقاً كثيراً من أهلها ، ثم اجتمعوا على الطاعة والاسلام ، وحسن إسلامهم ، وأخذ عبد الله بن سعد خمس الخمس من الغنيمة و بعث بأربعة أخماسه إلى عثمان ، وقسم أربعة أخماس الغنيمة بين الجيش ، فأصاب الفارس ثلاثة آلاف دينار والراجل ألف دينار . قال الواقدى : وصالحه بطريقها على ألفى ألف دينار وعشرين ألف دينار ، فأطلقها كلها عثمان فى يوم واحد لآل الحكم ويقال لآل مروان .

غزوة الأندلس

لما افتتحت إفريقية بعث عثمان إلى عبد الله بن نافع بن عبد قيس وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين من فورهما إلى الأندلس فأتياها من قبل البحر ، وكتب عثمان إلى الذين خرجوا إليها يقول : إن القسطنطينية إنما تفتح من قبل البحر ، وأنتم إذا فتحتم الأندلس فأنتم شركاء لمن يفتتح قسطنطينية فى الأجر آخر الزمان والسلام ، قال فساروا إليها فافتتحوها ولله الحمد والمنة .

وقعة جرجير والبربر مع المسلمين

لما قصد المسلمون وهم عشرون ألفا إفريقية ، وعليهم عبدالله بن سعد بن أبى سرح ، وفى جيشه عبد الله بن عمر . وعبد الله بن الزبير ، صمد إليهم ملك البربر جرجير فى عشرين ومائة ألف ، وقيل فى مائتى ألف ، فلما تراءى الجمعان أمر جيشه فأحاطوا بالمسلمين هالة ، فوقف المسلمون فى موقف لم ير أشنع منه ولا أخوف عليهم منه ، قال عبدالله بن الزبير : فنظرت إلى الملك جرجير من وراء الصفوف وهو راكب على برذون ، وجاريتان تظلانه بريش الطواويس ، فذهبت إلى عبد الله بن سعد بن أبى سرح فسألته أن يبعث معى من يحمى ظهرى وأقصد الملك ، فجهز معى جماعة من الشجعان ، قال فأمر بهم فحموا ظهرى وذهبت حتى خرقت الصفوف إليه — وهم يظنون أنى فى رسالة إلى الملك — فلما اقتربت منه أحس منى الشر ففر على برذونه ، فلحقته فطعنته برمحى ، وذففت عليه بسيفى ، وأخذت رأسه فنصبته على رأس الرمح وكبرت ، فلما رأى ذلك البربر فرقوا وفروا كفرار القطا ، واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فغنموا غنائم جمة وأموالا كثيرة ، وسبياً عظيما ، وذلك ببلد يقال له سبيطلة — على يومين من القيروان — فكان هذا أول موقف اشتهر فيه أمر عبد الله بن الزبير رضى الله عنه وعن أبيه وأصحابهما أجمعين .

قال الواقدى : وفى هذه السنة افتتحت اصطخر ثانية على يدى عثمان بن أبى العاص ، وفيها غزا معاوية قنسرين ، وفيها حج بالناس عثمان بن عفان . قال ابن جرير قال بعضهم وفى هذه السنة غزا معاوية قبرص ، وقال الواقدى : كان ذلك فى سنة ثمان وعشرين . وقال أبو معشر : غزاها معاوية سنة ثلاث وثلاثين فالله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين

فتح قبرص

ففيها ذكر ابن جرير فتح قبرص تبعاً للواقدى ، وهى جزيرة غربى بلاد الشام فى البحر ، مخلصة وحدها ، ولها ذنب مستطيل إلى نحو الساحل مما يلى دمشق ، وغربيها أعرضها ، وفيها فواكه كثيرة ، ومعادن ، وهى بلد جيد ، وكان فتحها على يدى معاوية بن أبى سفيان ، ركب إليها فى جيش كثيف من المسلمين ومعه عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت ملحان التى تقدم حديثها فى ذلك حين نام رسول الله (ص.) فى بيتها ثم استيقظ يضحك فقالت : ما أضحكك يا رسول الله ؟ فقال : « ناس من أمتى عرضوا على يركبون ثبج هذا البحر مثل الملوك على الأسرة » . فقالت : يارسول ادع الله أن يجعلنى منهم . فقال « أنت منهم » ثم نام فاستيقظ وهو يضحك فقال مثل ذلك فقالت : ادع الله أن يجعلنى منهم فقال : « أنت من الأولين » فكانت فى هذه الغزوة وماتت بها وكانت الثانية عبارة عن غزوة قسطنطينية بعد هذا كما سنذكره . والمقصود أن معاوية ركب البحر فى مراكب فقصد الجزيرة المعروفة بقبرص ومعه جيش عظيم من المسلمين ، وذلك بأمر عثمان بن عفان رضى الله عنه له فى ذلك بعد سؤاله إياه ، وقد كان سأل فى ذلك عمر بن الخطاب فأبى أن يمكنه من حمل المسلمين على هذا الخلق العظيم الذى لو اضطرب لهلكوا عن آخرهم ، فلما كان عثمان لحّ معاوية عليه فى ذلك فأذن له فركب فى المراكب فانتهى إليها ، ووافاه عبد الله بن سعد بن أبى سرح إليها من الجانب الآخر ، فالتقيا على أهلها فقتلوا خلقاً كثيراً وسبوا سبايا كثيرة ، وغنموا مالا جزيلا جيداً ، ولما جئ بالأسارى جعل أبو الدرداء يبكى ، فقال له جبير بن نفير : أتبكى وهذا يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله ؟ فقال : ويحك إن هذه كانت أمة قاهرة لهم ملك ، فلما ضيعوا أمر الله صيرهم إلى ما ترى ، سلط الله عليهم السبى ، وإذا سلط على قوم السبى فليس لله فيهم حاجة ، وقال ما أهون العباد على الله تعالى إذا تركوا أمره ؟ ! ثم صالحهم معاوية على سبعة آلاف دينار فى كل سنة ، وهادنهم ، فلما أرادوا الخروج منها قدمت لأم حرام بغلة لتركبها فسقطت عنها فاندقت عنقها فماتت هناك فقبرها هنالك يعظمونه ويستسقون به ويقولون قبر المرأة الصالحة .

قال الواقدى : وفى هذه السنة غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم . وتزوج عثمان نائلة بنت الفرافصة الكلبية ـ وكانت نصرانية فأسلمت قبل أن يدخل بها ـ وفيها بنى عثمان داره بالمدينة الزوراء . وفيها حج بالناس أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين

ففيها عزل عثمان بن عفان أبا موسى الأشعرى عن البصرة ، بعد عمله ست سنين وقيل ثلاث ،

وامر عليها عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وهو ابن خال عثمان بن عفان ، وجمع له بين جند أبي موسى وجند عثمان بن أبي العاص وله من العمر خمس وعشرون سنة ، فأقام بها ست سنين . وفى هذه السنة افتتح عبد الله بن عامر فارس فى قول الواقدى وأبى معشر . زعم سيف أنه كان قبل هذه السنة فالله أعلم .

وفيها وسع عثمان بن عفان مسجد النبي (ص) ، و بناه بالقصة - وهى الكلس - كان يؤتى به من بطن نخل والحجارة المنقوشة ، وجعل عمده حجارة مرصصة ، وسقفه بالساج ، وجعل طوله ستين ومائة ذراع ، وعرضه خمسين ومائة ذراع ، وجعل أبوابه ستة ، على ما كانت عليه فى زمان عمر بن الخطاب ، ابتدأ بناءه فى ربيع الأول منها .

وفيها حج بالناس عثمان بن عفان ، وضرب له بمنى فسطاطاً فكان أول فسطاط ضرب به عثمان بمنى ، وأتم الصلاة عامه هذا ، فأنكر ذلك عليه غير واحد من الصحابة ، كعلى وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود ، حتى قال ابن مسعود ليت حظى من أربع ركعات ركعتان متقبلتان ، وقد ناظره عبد الرحمن بن عوف فيما فعله ، فروى ابن جرير أنه قال : تأهلت بمكة ، فقال له : ولك أهل بالمدينة و إنك تقوم حيث أهلك بالمدينة . قال : و إن لى مالا بالطائف أريد أن أطلعه بعد الصدر ، قال : إن بينك و بين الطائف مسيرة ثلاث ، فقال : و إن طائفة من أهل اليمن قالوا : إن الصلاة بالحضر ركعتان فربما رأونى أصلى ركعتين فيحتجون بى ، فقال له : قد كان رسول الله (ص) ينزل عليه الوحى والناس يومئذ الاسلام فيهم قليل ، وكان يصلى ههنا ركعتين ، وكان أبو بكر يصلى ههنا ركعتين ، وكذلك عمر بن الخطاب ، وصليت أنت ركعتين صدراً من إمارتك ، قال فسكت عثمان ثم قال : إنما هو رأى رأيته .

سنة ثلاثين من الهجرة النبوية

فيها افتتح سعيد بن العاص طبرستان فى قول الواقدى وأبى معشر والمدائنى ، وقال : هو أول من غزاها . وزعم سيف أنهم كانوا صالحوا سويد بن مقرن قبل ذلك على أن لا يغزوها ، على مال بذله له أصبهبذها فالله أعلم . فذكر المدائنى أن سعيد بن العاص ركب فى جيش فيه الحسن والحسين ، والعبادلة الأربعة ، وحذيفة بن اليمان ، فى خلق من الصحابة فسار بهم فمر على بلدان شتى يصالحونه على أموال جزيلة ، حتى انتهى إلى بلد معاملة جرجان ، فقاتلوه حتى احتاجوا إلى صلاة الخوف ، فسأل حذيفة : كيف صلى رسول الله (ص) ؟ فأخبره فصلى كما أخبره ، ثم سأله اهل ذلك الحصن الأمان ، فأعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلا واحداً ففتحوا الحصن فقتلهم إلا رجلا واحداً ، وحوى ما كان فى الحصن ، فأصاب رجل من بنى نهد سفطاً مقفولا فاستدعى به سعيد ؟ ففتحوه فاذا

فيـه خرقة سوداء مدرجـة فنشروها ، فاذا فيها خرقة حمراء فنشروها، و إذا داخلها خرقه صفراء ، وفيها إبران كميت وورد . فقال شاعر يهجو بهما بنى نهد .

آبَ الكرامُ بالسبايا غنيمة * وفازَ بنو نهد بابرينَ فى سفطِ
كميتٌ وورْدٌ وافرينَ كلاهما * فظنوهما غنماً فناهيكَ منْ غلط

قالوا : ثم نقض أهل جرجان ما كان صالحهم عليه سعيد بن العاص ، وامتنعوا عن أداء المال الذى ضرب عليهم ـ وكان مائة ألف دينار وقيل مائتى ألف دينار وقيل ثلثمائة ألف دينار ـ ثم وجه إليهم يزيد بن المهلب بعد ذلك كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

وفى هذه السنة عزل عثمان بن عفان الوليد بن عقبة عن الكوفة ، وولى عليها سعيد بن العاص وكان سبب عزله أنه صلى بأهل الكوفة الصبح أربعاً ثم التفت فقال أزيدكم ؟ فقال قائل : ما زلنا منك منذ اليوم فى زيارة . ثم إنه تصدى له جماعة يقال كان بينهم و بينه شنآن ، فشكوه إلى عثمان ، وشهد بعضهم عليه أنه شرب الخمر وشهد آخر أنه رآه يتقاياها ، فأمر عثمان باحضاره وأمر بجلده ، فيقال إن عليا نزع عنـه حلته ، وأن سعيد بن العاص جلده بين يدى عثمان بن عفان ، وعزله وأمر مكانه على الكوفة سعيد بن العاص .

وفى هذه السنة سقط خاتم النبى (ص) من يد عثمان فى بئر أريس ، وهى على ميلين من المدينة ، وهى من أقل الآبار ماء ، فلم يدرك خبره بعد بذل مال جزيل ، والاجتهاد فى طلبه ، حتى الساعة ، فاستخلف عثمان بعده خاتماً من فضة ، ونقش عليه محمد رسول الله ، فلما قتل عثمان ذهب الخاتم فلم يدر من أخذه . وقد روى ابن جرير هاهنا حديثاً طويلا فى اتخاذ النبى (ص) ، خاتماً من ذهب ، ثم من فضة ، و بعثـه عمر بن الخطاب إلى كسرى ، ثم دحيـة إلى قيصر ، وأن الخاتم الذى كان فى يد النبى (ص) ، ثم فى يد أبى بكر ثم فى يد عمر ثم فى يد عثمان ست سنين ، ثم إنه وقع فى بئر أريس ، وقد تقدم بعض هـذا فى الصحيح . وفى هـذه السنة وقع بين معاوية وأبى ذر بالشام ، وذلك أن أبا ذر أنكر على معاوية بعض الأمور ، وكان ينكر على من يقتنى مالا من الأغنياء و يمنع أن يدخر فوق القوت ، و يوجب أن يتصدق بالفضل ، و يتأول قول الله سبحانه وتعالى [والذين يكنزون الذهب والفضـة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعـذاب أليم] فينهاه معاوية عن إشاعة ذلك فلا يمتنع ، فبعث يشكوه إلى عثمان ، فكتب عثمان إلى أبى ذر أن يقدم عليـه المدينة ، فقدمها فلامه عثمان على بعض ما صدر منه ، واسترجعه فلم يرجع فأمره بالمقام بالربذة ـ وهى شرق المدينة ـ و يقال إنه سأل عثمان أن يقيم بها وقال : إن رسـول الله (ص) ، قال لى « إذا بلغ البناء سلعاً فاخرج منها » وقد بلغ البناء سلعاً » فأذن له عثمان بالمقام بالربذة وأمره أن يتعاهد المدينة فى بعض الأحيان ، حتى لا يرتد

أعرابياً بعد هجرته ، ففعل فلم يزل مقيماً بها حتى مات على ما سنذكره رضى الله عنه .
وفى هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث يوم الجمعة على الزوراء .

فصل

وممن ذكر شيخنا أبو عبد الله الذهبى أنه توفى فى هذه السنة ـ أعنى سنة ثلاثين ـ . أبى بن كعب فيما صححه الواقدى .

جبار بن صخر

ابن أمية بن خنساء ، أبو عبد الرحمن الأنصارى ، عقبى بدرى ، وقد بعثه رسول الله (ص) إلى خيبر خارصاً ، وقد توفى عن ستين سنة .

حاطب بن بلتعة

ابن عمرو بن عمير اللخمى حليف بنى أسد بن عبد العزى ، شهد بدراً وما بعدها ، وهو الذى كانَ كتب إلى المشركين يعلمهم بعزم رسول الله (ص) [على فتح مكة ، فعذره رسول الله (ص)] (١) بما اعتذر به ، ثم بعثه بعد ذلك برسالة إلى المقوقس ملك الاسكندرية .

الطفيل بن الحارث

ابن المطلب أخو عبيدة ، وحصين ، شهد بدراً . قال سعيد بن عمير : توفى فى هذه السنة .

عبدالله بن كعب

ابن عمرو المازنى أبو الحارث ، وقيل أبو يحيى الأنصارى ، شهد بدراً وكان على الخمس يومئذ .

عبد الله بن مظعون

أخو عثمان بن مظعون هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً .

عياض بن زهير

ابن أبى شداد بن ربيعة بن هلال أبو سعيد القرشى الفهرى ، شهد بدراً وما بعدها .

مسعود بن ربيعة

وقيل ابن الربيع ، أبو عمرو القارّى [شهد بدراً وما بعدها . توفى عن نيف وستين سنة .

معمر بن ابي سرح

ابن ربيعة بن هلال القرشى أبو سعد الفهرى] (٢) ، وقيل اسمه عمرو ، بدرى قديم الصحبة .

من ١ ـ ٢ زيادة من المصرية .

أبو أسيد

مالك بن ربيعة قال الفلاس : مات فى هذه السنة ، والأصح أنه مات سنة أربعين ، وقيل سنة ستين فالله أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين

ففيها كانت غزوة الصوارى ، وغزوة الأساودة فى البحر فيما ذكره الواقدى وقال أبو معشر : كانت غزوة الصوارى سنة أربع وثلاثين . وملخص ذلك فيما ذكره الواقدى وسيف وغيرهما أن الشام كان قد جمعها لمعاوية بن أبى سفيان لسنتين مضتا من خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وقد أحرزه غاية الحفظ وحمى حوزته ، ومع هذا له فى كل سنة غزوة فى بلاد الروم فى زمن الصيف - ولهذا يسمون هذه الغزوة الصائفة - فيقتلون خلقاً ، ويأسرون آخرين ، ويفتحون حصونا ويغنمون أموالا ويرعبون الأعداء ، فلما أصاب عبد الله بن سعد بن أبى سرح من أصاب من الفرنج والبربر ، ببلاد إفريقية والأندلس ، حميت الروم واجتمعت على قسطنطين بن هرقل ، وساروا إلى المسلمين فى جمع لم ير مثله منذ كان الاسلام ، خرجوا فى خمسمائة مركب ، وقصدوا عبد الله بن أبى سرح فى أصحابه من المسلمين الذين ببلاد المغرب ، فلما تراءى الجمعان بات الروم يقسقسون ويصلبون ، وبات المسلمون يقرؤن ويصلون ، فلما أصبحوا صف عبد الله بن سعد أصحابه صفوفاً فى المراكب ، وأمرهم بذكر الله وتلاوة القرآن ، قال بعض من حضر ذلك : فأقبلوا إلينا فى أمر لم ير مثله من كثرة المراكب ، وعقدوا صواريها ، وكانت الريح لهم وعلينا ، فأرسينا ثم سكنت الريح عنا ، فقلنا لهم : إن شئتم خرجنا نحن وأنتم إلى البر فمات الاعجل منا ومنكم ، قال فنخروا نخرة رجل واحد وقالوا : الماء الماء ، قال فدنونا منهم وربطنا سفننا بسفنهم ، ثم اجتلدنا وإياهم بالسيوف ، يثب الرجال على الرجال بالسيوف والخناجر ، وضربت الأمواج فى عيون تلك السفن حتى ألجأتها إلى الساحل وألقت الأمواج جثث الرجال إلى الساحل حتى صارت مثل الجبل العظيم ، وغلب الدم على لون الماء ، وصبر المسلمون يومئذ صبراً لم يعهد مثله قط ، وقتل منهم بشر كثير ، ومن الروم أضعاف ذلك ، ثم أنزل الله نصره على المسلمين فهرب قسطنطين وجيشه - وقد قلوا جداً - وبه جراحات شديدة مكينة مكث حينا يداوى منها بعد ذلك ، وأقام عبد الله بن سعد بذات الصوارى أياماً ، ثم رجع مؤيداً منصوراً مظفراً . قال الواقدى : فحدثنى معمر عن الزهرى قال : كان فى هذه الغزوة محمد بن أبى حذيفة ، ومحمد بن أبى بكر ، فأظهرا عيب عثمان وما غير وما خالف أبا بكر وعمر ، ويقولان دمه حلال لأنه استعمل عبد الله ابن سعد - وكان قد ارتد وكفر بالقرآن العظيم وأباح رسول الله (ص.) دمه ، وأخرج رسول الله (ص.) أقواماً واستعملهم عثمان ، ونزع أصحاب رسول الله (ص.) واستعمل سعيد بن العاص وعبد الله بن

عامر ، فبلغ ذلك عبد الله بن سعد فقال : لا تركبا معنا ، فركبا فى مركب مافيه أحـد من المسلمين ، ولقوا العدو فكانا أنكل المسلمين قتالا ، فقيل لهما فى ذلك فقالا : كيف نقاتل مع رجل لاينبغى لنا أن نحكمه ؟ فأرسل إليهما عبـد الله بن سعد فنهاهما أشـد النهى وقال : والله لولا لا أدرى ما يوافق أمير المؤمنين لعاقبتكما وحبستكما . قال الواقدى و فى هذه السنة فتحت أرمينية على يدى حبيب بن مسلمة . و فى هذه السنة قتل كسرى ملك الفرس .

كيفية قتل كسرى ملك الفرس وهو يزدجرد

قال ابن إسحاق : هرب يزدجرد من كرمان فى جماعة يسيرة إلى مرو ، فسأل من بعض أهلها مالا فمنعوه وخافوه على أنفسهم ، فبعثوا إلى الترك يستفزونهم عليه ، فأتوه فقتلوا أصحابه وهرب هو حتى أتى منزل رجل ينقر الأرحية على شط ، فأوى إليه ليلا ، فلما نام قتله . وقال المدائنى : لما هرب بعد قتل أصحابه انطلق ماشياً عليه تاجه ومنطقته وسيفه ، فانتهى إلى منزل هذا الرجل الذى ينقر الأرحية فجلس عنده فاستغفله وقتله وأخذما كان عليه ، وجاءت الترك فى طلبه فوجدوه قد قتله وأخذ حاصله ، فقتلوا ذلك الرجل وأهل بيته وأخذوا ما كان مع كسرى ، ووضعوا كسرى فى تابوت وحملوه إلى اصطخر ، وقدكان يزدجرد وطئ امرأة من أهل مرو قبل أن يقتل فحملت منه و وضعت بعـد قتله غلاماً ذاهب الشق وسمى ذلك الغلام المخدج ، وكان له نسل وعقب فى خراسان ، وقد سبى قتيبة بن مسلم فى بعض غزواته بتلك البلاد جاريتين من نسله ، فبعث باحداهما إلى الحجاج ، فبعث بها إلى الوليد بن عبد الملك فولدت له ابنـه يزيد بن الوليد الملقب بالناقص . وقال المدائنى فى رواية عن بعض شيوخه : إن يزدجرد لما انهزم عنه أصحابه عقر جواده وذهب ماشياً حتى دخل رحى على شط نهر يقال له المرغاب فمكث فيه ليلتين والعدو فى طلبه فلم يدر أين هو ، ثم جاء صاحب الرحى فرأى كسرى وعليه أبهته ، فقال له : ما أنت ؟ إنسى أم جنى ؟ قال : إنسى ، فهل عندك طعام ؟ قال : نعم ! فأتاه بطعام فقال : إنى مزمزم فأتنى بما أزمزم به ، قال : فذهب الطحان إلى أسوار من الأساورة فطلب منه مايزمزم به ، قال : وما تصنع به ؟ قال : عندى رجل لم أر مثله قط وقد طلب منى هذا ، فذهب به الأسوار إلى ملك البلد ـ مرو واسمه ماهويه بن باباه ـ فأخبره خبره ، فقال هو يزدجرد ، اذهبوا فجيئونى برأسه ، فذهبوا مع الطحان [فلما دنوا من دار الرحى هابوا أن يقتلوه وتدافعوا وقالوا للطحان] (١) ادخل أنت فاقتله ، فدخل فوجده نائماً فأخذ حجراً فشدخ به رأسه ثم احتزه فدفعه إليهم وألقى جسده فى النهر ، فخرجت العامة إلى الطحان فقتلوه ، وخرج أسقف فأخذ جسده من النهر وجعله فى تابوت وحمله إلى اصطخر فوضعه فى ناووس ، ويروى أنه مكث فى منزل ذلك الطحان ثلاثة أيام لا يأكل

(١) زيادة من المصرية .

حتى رق له وقال له : ويحك يامسكين ألا تأكل ؟ وأتاه بطعام فقال : إنى لا أستطيع أن آكل إلا بزمزمة ، فقال له : كل وأنا أزمزم لك ، فسأل أن يأتيه بزمزم ، فلما ذهب يطلب له من بعض الأساورة شموا رائحة المسك من ذلك الرجل ، فأنكروا رائحة المسك منه فسألوه فأخبرهم فقال : إن عندى رجلا من صفته كيت وكيت ، فعرفوه وقصدوه مع الطحان وتقدم الطحان ندخل عليه وهم بالقبض عليه فعرف يزدجرد ذلك فقال له : ويحك خذ خاتمى وسوارى ومنطقتى ودعنى أذهب من ههنا ، فقال لا ، اعطنى أربعة دراهم وأنا أطلقك ، فزاده إحدى قرطيه من أذنه فلم يقبل حتى يعطيه أربعة دراهم أخرى ، فهم فى ذلك إذ دهمهم الجند فلما أحاطوا به وأرادوا قتله قال : ويحكم لا تقتلونى فانا نجد فى كتبنا أن من اجترأ على قتل الملوك عاقبه الله بالحريق فى الدنيا مع ما هو قادم عليه ، فلا تقتلونى واذهبوا بى إلى الملك أو إلى العرب ، فانهم يستحيون من قتل الملوك ، فأبوا عليه ذلك فسلبوه ما كان عليه من الحلى فجعلوه فى جراب وخنقوه بوتر وألقوه فى النهر فتعلق بعود فأخذه أسقف - واسمه إيليا - فحن عليه مما كان من أسلافه من الاحسان إلى النصارى الذين كانوا ببلادهم ، فوضعه فى تابوت ودفنه فى ناووس ، ثم حمل ما كان عليه من الحلى إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، ففقد قرط من حليه فبعث إلى دهقان تلك البلاد فأغرمه ذلك . وكان ملك يزدجرد عشرين سنة ، منها أربع سنين فى دعة ، وباقى ذلك هارباً من بلد إلى بلد ، خوفاً من الاسلام وأهله ، وهو آخر ملوك الفرس فى الدنيا على الاطلاق ، لقول رسول الله (ص) « إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله » رواه البخارى . وثبت فى الحديث الصحيح أنه لما جاء كتاب النبى (ص) مزقه ، فدعا عليه النبى (ص) أن يمزق كل ممزق ، فوقع الأمر كذلك ، وفى هذه السنة فتح ابن عامر فتوحات كثيرة كان قد نقض أهلها ما كان لهم من الصلح ، فمن ذلك ما فتح عنوة ، ومن ذلك ما فتح صلحاً ، فكان فى جملة ما صالح عليه بعض المدائن وهى مرو على ألفى ألف ومائتى ألف ، وقيل على ستة آلاف ألف ومائتى ألف . وفى هذه السنة حج بالناس عثمان بن عفان رضى الله عنه .

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين

وفيها غزا معاوية بلاد الروم حتى بلغ المضيق - مضيق القسطنطينية - ومعه زوجته عاتكة ، ويقال فاطمة بنت قرطة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف . قاله أبو معشر والواقدى : وفيها استعمل سعيد بن العاص سلمان بن ربيعة على جيش وأمره أن يغزو الباب ، وكتب إلى عبد الرحمن بن ربيعة نائب تلك الناحية بمساعدته ، فسار حتى بلغ بلنجر فحصروها ونصبت عليها المجانيق والعرادات . ثم إن أهل بلنجر خرجوا إليهم وعاونهم الترك فاقتتلوا قتالا شديداً - وكانت الترك تهاب

قتال المسلمين ، ويظنون أنهم لا يموتون ـ حتى اجترأوا عليهم بعد ذلك ، فلما كان هذا اليوم التقوا معهم فاقتتلوا ، فقتل يومئذ عبدالرحمن بن ربيعة ـ وكان يقال له ذو النون ـ وانهزم المسلمون فافترقوا فرقتين ، ففرقة ذهبت إلى بلاد الخزر . وفرقة سلكوا ناحية جيلان وجرجان ، وفى هؤلاء أبو هريرة وسلمان الفارسى . وأخذت الترك جسد عبدالرحمن بن ربيعة ـ وكان من سادات المسلمين وشجعانهم ـ فدفنوه فى بلادهم فهم يستسقون عنده إلى اليوم ، ولما قتل عبد الرحمن بن ربيعة استعمل سعيد بن العاص على ذلك الفرع سلمان بن ربيعة ، وأمدهم عثمان بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة ، فتنازع حبيب وسلمان فى الأمرة حتى اختلفا ، فكان أول اختلاف وقع بين أهل الكوفة وأهل الشام ، حتى قال فى ذلك رجل من أهل الكوفة وهو أوس :

فإن تضربوا سلمانَ نضربْ حبيبكمْ * وإنْ ترحلوا نحوَ ابن عفانَ نرحلِ
وإنْ تقسطوا فالثغرُ ثغرُ أميرنا * وهذا أميرٌ فى الكتائب مقبلُ
ونحنُ ولاة الثغرِ كنا حماته * لياليَ نرمى كلَّ ثغرٍ وننكل

وفيها فتح ابن عامر مرو الروذ والطالقان والفارياب والجوزجان وطخارستان . فأما مرو الروذ فبعث إليهم أبو عامر الأحنف بن قيس فحصرها فخرجوا إليه فقاتلهم حتى كسرهم فاضطرهم إلى حصنهم ، ثم صالحوه على مال جزيل وعلى أن يضرب على أراضى الرعية الخراج ، ويدع الأرض التى كان اقتطعها كسرى لوالد المرزبان ، صاحب مرو ، حين قتل الحية التى كانت تقطع الطريق على الناس وتأكلهم ، فصالحهم الأحنف على ذلك ، وكتب لهم كتاب صلح بذلك ، ثم بعث الاحنف الأقرع بن حابس إلى الجوزجان ففتحها بعد قتال وقع بينهم ، قتل فيه خلق من شجعان المسلمين ، ثم نصروا فقال فى ذلك أبو كثير النهشلى قصيدة طويلة فيها :

سقى مزنَ السحابِ إذا استهلتْ * مصارعُ فتيةٍ بالجوزجانِ
إلى القصرينِ منْ رستاقَ حوطٍ * أبادهمُ هناكَ الأقرعانِ

ثم سار الأحنف من مرو الروذ إلى بلخ فحاصرهم حتى صالحوه على أربعمائة ألف ، واستناب ابن عمه أسيد بن المشمس على قبض المال ، ثم ارتحل يريد الجهاد ، وداهمه الشتاء فقال لاصحابه : ما تشاءون ؟ فقالوا : قد قال عمرو بن معد يكرب :

إذا لمْ تستطعْ شيئاً فدعهُ * وجاوزهُ إلى ما تستطيعُ

فأمر الأحنف بالرحيل إلى بلخ فأقام بها مدة الشتاء ، ثم عاد إلى عامر فقيل لابن عامر ما فتح على أحد ما فتح عليك ، فارس وكرمان وسجستان وعامر خراسان ، فقال : لا جرم ، لأجعلن شكرى لله على ذلك أن أحرم بعمرة من موقفى هذا مشمراً فأحرم بعمرة من نيسابور ، فلما قدم على

عثمان لامه على إحرامه من خراسان . وفيها أقبل قارن فى أربعين ألفاً فالتقاه عبد الله بن حازم فى أربعة آلاف ، وجعل لهم مقدمة ستمائة رجل ، وأمر كلا منهم أن يحمل على رأس رمحه ناراً ، وأقبلوا إليهم فى وسط الليل فبيتوهم فثاروا إليهم فناوشتهم المقدمة فاشتغلوا بهم ، وأقبل عبد الله بن حازم بمن معه من المسلمين فالتقوا هم وإياهم ، فولى المشركون مدبرين ، واتبعهم المسلمون يقتلون من شاؤا كيف شاؤا . وغنموا سبيا كثيراً وأموالا جزيلة ، ثم بعث عبد الله بن حازم [بالفتح إلى ابن عامر ، فرضى عنه وأقره على خراسان ـ وكان قد عزله عنها ـ فاستمر بها عبد الله بن حازم] (١) إلى ما بعد ذلك

ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة

العباس بن عبد المطلب

ابن هاشم بن عبد مناف القرشى الهاشمى أبو الفضل المكى عم رسول الله (ص.) ، ووالد الخلفاء العباسيين ، وكان أسن من رسول الله (ص.) بسنتين أو ثلاث ، أسر يوم بدر فافتدى نفسه بمال ، وافتدى ابنى أخويه عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث . وقد ذكرنا أنه لما أسر وشد فى الوثاق وأمسى الناس ، أرق رسول (ص.) فقيل يارسول الله مالك ؟ فقال « إنى أسمع أنين العباس فى وثاقه فلا أنام » فقام رجل من المسلمين فحل من وثاق العباس حتى سكن أنينه فنام رسول الله (ص.) ، ثم أسلم عام الفتح ، وتاقى رسول الله (ص.) إلى الجحفة فرجع معه ، وشهد الفتح ، ويقال إنه أسلم قبل ذلك ولكنه أقام بمكة باذن النبى (ص.) له فى ذلك ، كما ورد به الحديث فالله أعلم . وقد كان رسول الله (ص.) يجله ويعظمه وينزله منزلة الوالد من الولد ، ويقول « هذا بقية آبائى » وكان من أوصل الناس لقريش وأشفقهم عليهم ، وكان ذا رأى وعقل تام واف ، وكان طويلا جميلا أبيض بضا ذا ظفرتين وكان له من الولد عشرة ذكور سوى الاناث ، وهم تمام ـ وكان أصغرهم ـ والحارث ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وعبد الرحمن ، وعون ، والفضل ، وقثم ، وكثير ، ومعبد . وأعتق سبعين مملوكا من غلمانه [وقال الامام أحمد : ثنا على بن عبد الله قال حدثنى محمد بن طلحة التيمى من أهل المدينة حدثنى أبو سهيل نافع بن مالك عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبى وقاص قال : قال رسول الله (ص.) للعباس « هذا العباس بن عبد المطلب أجود قريش كفاً وأوصلها » تفرد به (٢)] وثبت فى الصحيحين أن رسول الله (ص.) قال لعمر حين بعثه على الصدقة فقيل منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس عم رسول الله (ص.) ، فقال له رسول الله (ص.) « ما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيراً فأغناه

---

(١) سقط من الحلبية (٢) سقط من المصرية . الله وقوله تفرد به كذا فى أصل الحلبية ولعله سقط منه لفظ أحمد .

وأما خالد فانـكم تظلمون خالداً وقد احتبس أدراعه وأعتاده فى سبيل الله ، وأما العباس فهى علـى ومثلها » ثم قال : « ياعمر أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه » ؟ وثبت فى صحيح البخارى عن أنس أن عمر خرج يستسقى وخرج بالعباس معه يستسقى به ، وقال اللهم إنا كنا إذا قحطنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ، قال فيسقون ، ويقال إن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كانا إذا مرا بالعباس وهما راكبان ترجلا إكراماً له . قال الواقدى وغير واحد : توفى العباس فى يوم الجمعة لثنتى عشرة ليلة خلت من رجب ، وقيل من رمضان سنة ثنتين وثلاثين ، عن ثمان وثمانين سنة ، وصلى عليه عثمان بن عفان ، ودفن بالبقيع وقيل توفى سنة ثلاث وثلاثين ، وقيل سنة أربع وثلاثين ، وفضائله ومناقبه كثيرة جداً .

عبدالله بن مسعود

ابن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تيم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر الهذلى ، أبو عبد الرحمن حليف بنى زهرة ، أسلم قديماً قبل عمر ، وكان سبب إسـلامه حين مر به رسول الله (ص) وأبو بكر رضى الله عنـه ، وهو يرعى غنما فسألاه لبنا فقال : إنى مؤتمن ، قال فأخذ رسول الله (ص) عناقاً لم ينز عليها الفحل فاعتقلها ثم حلب وشرب وسقى أبا بكر ، ثم قال للضرع « أقلص » فقلص ، فقلت علمنى من هذا الدعاء فقال : إنك غلام معلم الحديث . وروى محمد بن إسحاق عن يحيى بن عروة عن أبيه أن ابن مسعود كان أول من جهر بالقرآن بمكة ، بعد النبى (ص) عند البيت ، وقريش فى أنديتها قرأ سـورة الرحمن علم القرآن ، فقاموا إليه فضربوه ، ولزم رسول الله (ص) ، وكان يحمل نعليه وسواكه ، وقال له إذنك على أن تسمع سوادى[١] ولهذا كان يقال له صاحب السواك والوساد ، وهاجر إلى الحبشة ثم عاد إلى مكة ثم هاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً ، وهو الذى قتل أبا جهل بعد ما أثبته ابنا عفراء ، وشهد بقية المشاهد ، وقال له رسـول الله (ص) يوماً « اقرأ على » فقلت أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال « إنى أحب أن أسمعه من غيرى » فقرأ عليه من أول سورة النساء إلى قوله [فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً] فبكى رسول الله (ص) وقال « حسبك » وقال أبوموسى : قدمت أنا وأخى من اليمن وما كنا نظن إلا أن ابن مسعود وأمه من أهل بيت النبى (ص) ، لكثرة دخولهم بيت النبى (ص) . وقال حذيفة مارأيت أحداً أشبه برسول الله (ص) فى هديه ودله وسمته من ابن مسعود ، ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد (ص) أن ابن أم عبد أقربهم إلى الله زلفى ، وفى الحديث « وتمسكوا بعهد ابن أم عبد » وفى الحديث الآخر الذى رواه أحمد عن محمـد بن فضيل عن مغيرة عن أم حرسى عن على أن ابن

(١) فى النهاية اذنك على أن ترفع الحجاب وتستمع سوادى حتى أنهاك . السواد بالكسر السرار

مسعود صعد شجرة يجتني الكبات فجعل الناس يعجبون من دقة ساقيه ، فقال رسول الله (ص.) « والذى نفسى بيده لهما فى الميزان أثقل من أحد » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ وقد نظر إلى قصره وكان يوازى بقامته الجلوس ـ فجعل يتبعه بصره ثم قال هو كنيف ملئ علماً . وقد شهد ابن مسعود بعد النبي (ص.) مواقف كثيرة ، منها اليرموك وغيرها ، وكان قدم من العراق حاجاً فمر بالربذة فشهد وفاة أبي ذر ودفنه ، ثم قدم إلى المدينة فمرض بها فجاءه عثمان بن عفان عائداً ، فيروى أنه قال له : ماتشتكى ؟ قال ذنوبى ، قال فما تشتهى ؟ قال رحمة ربى ، قال ألا آمر لك بطبيب ؟ فقال : الطبيب أمرضنى ، قال ألا آمر لك بعطائك ؟ ـ وكان قد تركه سنتين ـ فقال : لا حاجة لى فيه . فقال : يكون لبناتك من بعدك ، فقال أتخشى على بناتى الفقر ؟ إنى أمرت بناتى أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة ، و إنى سمعت رسول الله (ص.) يقول « من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً » وأوصى عبد الله بن مسعود إلى الزبير بن العوام ، فيقال إنه هو الذى صلى عليه ليلا ، ثم عاتب عثمان الزبير على ذلك ، وقيل بل صلى عليه عثمان ، وقيل عمار ، فالله أعلم . ودفن بالبقيع عن بضع وستين سنة .

عبد الرحمن بن عوف

ابن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة ، أبو محمد القرشى الزهرى ، أسلم قديماً على يدى أبى بكر ، وهاجر إلى الحبشة و إلى المدينة ، وآخى رسول الله (ص.) بينه و بين سعد ابن الربيع ، وشهد بدراً وما بعدها ، وأمره رسول الله (ص.) حين بعثه إلى بنى كلب وأرخى له عذبة بين كتفيه ، لتكون أمارة عليه للامارة ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الثمانية السابقين إلى الاسلام ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، ثم أحد الثلاثة الذين انتهت إليهم منهم ، كما ذكرنا . ثم كان هو الذى اجتهد فى تقديم عثمان رضى الله عنه ، وقد تقاول هو وخالد بن الوليد فى بعض الغزوات فأغلظ له خالد فى المقال ، فلما بلغ ذلك رسول الله (ص.) قال « لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحُد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وهو فى الصحيح . وقال معمر عن الزهرى : تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد النبى (ص.) بشطر ماله أربعة آلاف ، ثم تصدق بأربعين ألفاً ثم تصدق بأربعين ألف دينار ، ثم حمل على خمسمائة فرس فى سبيل الله ، ثم حمل على خمسمائة راحلة فى سبيل الله ، وكان عامة ماله من التجارة ، فأما الحديث الذى قال عبد بن حميد فى مسنده ثنا يحيى بن إسحق ثنا عمارة بن زاذان عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك أن عبد الرحمن بن عوف لما هاجر آخى رسول الله (ص.) بينه و بين عثمان بن عفان فقال له إن لى حائطين فاختر أيهما شئت ، فقال : بارك الله لك فى حائطيك ، ما لهذا أسلمت ، دلنى على السوق ، قال فدله فكان يشترى السمنة والاقيطة والاهاب ، فجمع فتزوج فأتى النبى (ص.) فقال « بارك الله لك

أو لم ولو بشاة » قال فكثر ماله حتى قدمت له سبعمائة راحلة تحمل البر وتحمل الدقيق والطعام ، قال : فلما دخلت المدينة سمع لأهل المدينة رجة ، فقالت عائشة : ما هذه الرجة ؟ فقيل لها عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف سبعمائة تحمل البر والدقيق والطعام . فقالت عائشة : سمعت رسول الله (ص.) يقول « يدخل عبد الرحمن بن عوف الجنة حبواً » فلما بلغ عبد الرحمن ذلك قال : أشهدك يا أمه أنها بأحمالها وأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله . وقال الامام أحمد : ثنا عبد الصمد بن حسان ثنا عمارة ـ هو ابن زاذان ـ عن ثابت عن أنس قال : بينما عائشة فى بيتها إذ سمعت صوتاً فى المدينة قالت : ماهذا ؟ قالوا عير لعبدالرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل كل شئ ـ قال وكانت سبعمائة بعير ـ قال فارتجت المدينة من الصوت ، فقالت عائشة سمعت رسول الله (ص) يقول : «قد رأيت عبدالرحمن ابن عوف يدخل الجنة حبواً» فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فقال : لئن استطعت لأدخلها قائماً ، فجعلها بأقتابها وأحمالها فى سبيل الله . فقد تفرد به عمارة بن زاذان الصيدلانى وهو ضعيف . وأما قوله فى سياق عبد بن حميد : إنه آخى بينه و بين عثمان بن عفان ، فغلط محض مخالف لما فى صحيح البخارى من أن الذى آخى بينه و بينه إنما هو سعد بن الربيع الأنصارى رضى الله عنهما ، وثبت فى الصحيح أن رسول الله (ص.) صلى وراءه الركعة الثانية من صلاة الفجر فى بعض الأسفار ، وهذه منقبة عظيمة لا تبارى . ولما حضرته الوفاة أوصى لكل رجل ممن بقى من أهل بدر بأربعمائة دينار ـ وكانوا مائة ـ فأخذوها حتى عثمان وعلى ، وقال على : اذهب يا ابن عوف فقد أدركت صفوها ، وسبقت زيفها وأوصى لكل امرأة من أمهات المؤمنين بمبلغ كثير حتى كانت عائشة تقول سقاه الله من السلسبيل . وأعتق خلقا من مماليكه ثم ترك بعد ذلك كله مالا جزيلا ، من ذلك ذهب قطع بالفؤس حتى مجلت أيدى الرجال ، وترك ألف بعير ومائة فرس ، وثلاثة آلاف شاة ترعى بالبقيع ، وكان نساؤه أربعاً فصولحت إحداهن من ربع الثمن بثمانين ألفاً ، ولما مات صلى عليه عثمان بن عفان ، وحمل فى جنازته سعد بن أبى وقاص ، ودفن بالبقيع عن خمس وسبعين سنة . وكان أبيض مشرباً حمرة حسن الوجه ، دقيق البشرة ، أعين أهدب الأشفار ، أقنى ، له جمة ، ضخم الكفين ، غليظ الأصابع ، لايغير شيبه رضى الله عنه .

أبو ذرّ الغفاري

واسمه جندب بن جنادة على المشهور ، أسلم قديماً بمكة فكان رابع أربعة أو خامس خمسة . وقصة إسلامه تقدمت قبل الهجرة ، وهو أول من حيا رسول الله (ص.) بتحية الاسلام ، ثم رجع إلى بلاده وقومه ، فكان هناك حتى هاجر رسول الله (ص.) إلى المدينة فهاجر بعد الخندق ثم لزم رسول الله (ص) حضراً وسفراً ، وروى عنه أحاديث كثيرة ، وجاء فى فضله أحاديث كثيرة ، من

أشهرها ما رواه الأعمش عن أبى اليقظان عثمان بن عمير عن أبى حرب بن أبى الأسود عن عبد الله ابن عمرو أن رسول الله (ص) قال «ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبى ذر» وفيه ضعف . ثم لما مات رسول الله (ص) ومات أبو بكر خرج إلى الشام فكان فيه حتى وقع بينه وبين معاوية فاستقدمه عثمان إلى المدينة ، ثم نزل الربذة فأقام بها حتى مات فى ذى الحجة من هذه السنة ، وليس عنده سوى امرأته وأولاده ، فبينما هم كذلك لا يقدرون على دفنه إذ قدم عبد الله بن مسعود من العراق فى جماعة من أصحابه ، فحضروا موته ، وأوصاهم كيف يفعلون به ، وقيل قدموا بعد وفاته فولوا غسله ودفنه ، وكان قد أمر أهله أن يطبخوا لهم شاة من غنمه ليأكلوه بعد الموت ، وقد أرسل عثمان بن عفان إلى أهله فضمهم مع أهله .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين

فيها كان فتح قبرص فى قول أبى معشر ، وخالفه الجمهور فذكروها قبل ذلك كما تقدم ، وفيها غزا عبد الله بن سعد بن أبى سرح إفريقية ثانية ، حين نقض أهلها العهد . وفيها سيَّر أمير المؤمنين جماعة من قراء أهل الكوفة إلى الشام ، وكان سبب ذلك أنهم تكلموا بكلام قبيح فى مجلس سعيد بن عاص ، فكتب إلى عثمان فى أمرهم ، فكتب إليه عثمان أن يجليهم عن بلده إلى الشام ، وكتب عثمان إلى معاوية أمير الشام أنه قد أخرج إليك قراء من أهل الكوفة فأنزلهم وأكرمهم وتألفهم . فلما قدموا أنزلهم معاوية وأكرمهم واجتمع بهم ووعظهم ونصحهم فيما يعتمدونه من اتباع الجماعة وترك الانفراد والابتعاد ، فأجابه متكلمهم والمترجم عنهم بكلام فيه بشاعة وشناعة ، فاحتملهم معاوية لحلمه ، وأخذ فى مدح قريش – وكانوا قد نالوا منهم – وأخذ فى المدح لرسول الله (ص) ، والثناء عليه ، والصلاة والتسليم . وافتخر معاوية بوالده وشرفه فى قومه ، وقال فيما قال : وأظن أبا سفيان لو ولد الناس كلهم لم يلد إلا حازماً ، فقال له صعصعة بن صوحان : كذبت ، قد ولد الناس كلهم لمن هو خير من أبى سفيان من خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا له ، فكان فيهم البر والفاجر ، والأحمق والكيس . ثم بذل لهم النصح مرة أخرى فاذا هم يتمادون فى غيهم ، ويستمرون على جهالتهم وحماقتهم ، فعند ذلك أخرجهم من بلده ونفاهم عن الشام ، لئلا يشوشوا عقول الطغام ، وذلك أنه كان يشتمل مطاوى كلامهم على القدح فى قريش كونهم فرطوا وضيعوا مايجب عليهم من القيام فيه ، من نصرة الدين وقمع المفسدين . وإنما يريدون بهذا التنقيص والعيب ورجم الغيب ، وكانوا يشتمون عثمان وسعيد بن العاص ، وكانوا عشرة ، وقيل تسعة وهو الأشبه ، منهم كميل بن زياد ، والأشتر النخعى – واسمه مالك بن يزيد – وعلقمة بن قيس النخعيان ، وثابت بن قيس النخعى ، وجندب بن زهير العامرى ، وجندب بن كعب الأزدى ، وعروة بن الجعد

وعمرو بن الحمق الخزاعى [١] . فلما خرجوا من دمشق أووا إلى الجزيرة فاجتمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد - وكان نائباً على الجزيرة . ثم ولى حمص بعد ذلك - فهددهم وتوعدهم ، فاعتذروا إليه وأنابوا إلى الاقلاع عما كانوا عليه ، فدعا لهم وسير مالكا الأشتر النخعى إلى عثمان بن عفان ليعتذر إليه عن أصحابه بين يديه ، فقبل ذلك منهم وكف عنهم وخيرهم أن يقيموا حيث أحبوا ، فاختاروا أن يكونوا فى معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فقدموا عليه حمص ، فأمرهم بالمقام بالساحل ، وأجرى عليهم الرزق . ويقال بل لما مقتهم معاوية كتب فيهم إلى عثمان فجاءه كتاب عثمان أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة ، فردهم إليه ، فلما رجعوا كانوا أزلق ألسنة ، وأكثر شراً ، فضج منهم سعيد بن العاص إلى عثمان ، فأمره أن يسيّرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص ، وأن يلزموا الدروب . وفى هذه السنة سير عثمان بعض أهل البصرة منها إلى الشام ، وإلى مصر بأسباب مسوغة لما فعله رضى الله عنه ، فكان هؤلاء ممن يؤلب عليه ويمالئ الأعداء فى الحط والكلام فيه ، وهم الظالمون فى ذلك ، وهو البارّ الراشد رضى الله عنه . وفى هذه السنة حج بالناس أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وتقبل الله منه .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين

قال أبو معشر : فيها كانت وقعة الصوارى ، والصحيح فى قول غيره أنها كانت قبل ذلك كما تقدم . وفى هذه السنة تكاتب المنحرفون عن طاعة عثمان وكان جمهورهم من أهل الكوفة - وهم فى معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص منفيون عن الكوفة ، وثاروا على سعيد بن العاص أمير الكوفة ، وتألبوا عليه ، ونالوا منه ومن عثمان ، وبعثوا إلى عثمان من يناظره فيما فعل وفيما اعتمد من عزل كثير من الصحابة وتولية جماعة من بنى أمية من أقربائه ، وأغلظوا له فى القول ، وطلبوا منه أن

---

(١) كذا فى الحلبية . والذى فى المصرية

كميل بن زياد ، والأشتر النخعى ، - واسمه مالك بن الحارث - وصعصعة بن صوحان وأخوه زيد بن صوحان ، وكعب بن مالك الأوسى ، والأسود بن زيد بن علقمة بن قيس النخعيان ، وثابت بن قيس النخعى ، وجندب بن زهير الغامدى ، وجندب بن كعب الأزدى ، وعروة بن الجعد ، وعمرو ابن الحمق الخزاعى .

والذى فى الطبرى .

مالك بن الحارث الأشتر ، وثابت بن قيس النخعى ، وكميل بن زياد النخعى ، وزيد بن صوحان العبدى ، وجندب بن زهير الغامدى ، وجندب بن كعب الأزدى ، وعروة بن الجعد ، وعمرو بن الحمق الخزاعى .

يعزل عماله و يستبدل أئمة غيرهم من السابقين ومن الصحابة ، حتى شق ذلك عليه جداً ، و بعث إلى أمراء الأجناد فأحضرهم عنده ليستشيرهم ، فاجتمع إليه معاوية بن أبى سفيان أمير الشام ، وعمرو بن العاص أمير مصر ، وعبدالله ابن سعد بن أبى سرح أمير المغرب ، وسعيد بن العاص أمير الكوفة ، وعبد الله بن عامر أمير البصرة فاستشارهم فيما حدث من الأمر وافتراق الكلمة فأشار ، فأشار عبد الله بن عامر أن يشغلهم بالغزو عما هم فيه من الشر ، فلا يكون هم أحدهم إلا نفسه ، وما هو فيه من دبر دابته وقمل فروته فان غوغاء الناس اذا تفرغوا وبطلوا إشتغلوا بما لا يغني وتكلموا بما لا يرضي واذا تفرقوا نفعوا أنفسهم وغيرهم ، وأشار سعيد بن العاص بأن يستأصل شأفة المفسدين ويقطع دابرهم ، وأشار معاوية بأن يرد عماله إلى أقاليمهم وأن لا يلتفت إلى هؤلاء وما تألبوا عليه من الشر ، فانهم أقل وأضعف جنداً . وأشار عبد الله بن سعد بن أبى سرح بأن يتألفهم بالمال فيعطيهم منه ما يكف به شرهم ، ويأمن غائلتهم ، و يعطف به قلوبهم إليه . وأما عمرو بن العاص فقام فقال : أما بعد يا عثمان فانك قد ركبت الناس ما يكرهون فإما أن تعزل عنهم ما يكرهون ، و إما أن تقدم فتنزل عمالك على ماهم عليه ، وقال له كلاماً فيه غلظة ، ثم اعتذر إليه في السر بأنه إنما قال هذا ليبلغ عنه من كان حاضراً من الناس إليهم ليرضوا من عثمان بهذا ، فعند ذلك قرر عثمان عماله على ما كانوا عليه ، وتألف قلوب أولئك بالمال ، وأمر بأن يبعثوا إلى الغزو إلى الثغور ، فجمع بين المصالح كلها ، ولما رجعت العمال إلى أقاليمها امتنع أهل الكوفة من أن يدخل عليهم سعيد بن العاص ولبسوا السلاح وحلفوا أن لا يمكنوه من الدخول فيها حتى يعزله عثمان و يولى عليهم أبا موسى الأشعرى ، وكان اجتماعهم بمكان يقال له الجرعة ،⁽¹⁾ - [وقد قال يومئذ الأشتر النخعى: والله لا يدخلها علينا ماحملنا سيوفنا ، وتواقف الناس بالجرعة] .⁽²⁾ وأحجم سعيد عن قتالهم وصمموا على منعه ، وقد اجتمع فى مسجد الكوفة فى هذا اليوم حذيفة وأبو مسعود عقبة بن عمرو ، فجعل أبو مسعود يقول : [والله لا يرجع سعيد بن العاص حتى يكون دماء . فجعل حذيفة يقول :]⁽³⁾ والله ليرجعن ولا يكون فيها محجمة من دم ، وما أعلم اليوم شيئاً إلا وقد علمته ومحمد (ص) حي . والمقصود أن سعيد بن العاص كر راجعاً إلى المدينة وكسر الفتنة ، فأعجب ذلك أهل الكوفة ، وكتبوا إلى عثمان ، ان يولي عليهم ابا موسى الأشعري بذلك فأجابهم عثمان إلى ماسألوا إزاحة لعذرهم ، و إزالة لشبههم ، وقطعاً لعللهم.

وذكر سيف بن عمر أن سبب تألب الأحزاب على عثمان أن رجلا يقال له عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأظهر الاسلام وصار إلى مصر ، فأوحى إلى طائفة من الناس كلاماً اخترعه من عند نفسه ، مضمونه أنه يقول للرجل : أليس قد ثبت أن عيسى بن مريم سيعود إلى هذه الدنيا ؟ فيقول الرجل : نعم ! فيقول له فرسول الله (ص) أفضل منه فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا ، وهو أشرف من عيسى ابن مريم عليه السلام ؟ ثم يقول : وقد كان أوصى إلى على بن أبى طالب ، فمحمد خاتم الأنبياء ،

---

(١) الجرعة مكان مشرف قرب القادسية . (٢) - (٣) سقط من الحلبية .

وعلى خاتم الأوصياء ، ثم يقول : فهو أحق بالأمرة من عثمان ، وعثمان معتد فى ولايته ما ليس له . فأنكروا عليه وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . فافتتن به بشر كثير من أهل مصر ، وكتبوا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة ، فتمالؤا على ذلك ، وتكاتبوا فيه ، وتواعدوا أن يجتمعوا فى الأنكار على عثمان ، وأرسلوا إليه من يناظره ويذكر له ما ينقمون عليه من توليته أقرباءه وذوى رحمه وعزله كبار الصحابة . فدخل هذا فى قلوب كثير من الناس ، فجمع عثمان بن عفان نوابه من الأمصار فاستشارهم فأشاروا عليه بما تقدم ذكرنا له فالله أعلم .

وقال الواقدى فيما رواه عن عبد الله بن محمد عن أبيه قال : لما كانت سنة أربع وثلاثين أكثر الناس بالمقالة على عثمان بن عفان ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد ، فكلم الناس على بن أبى طالب أن يدخل على عثمان ، فدخل عليه فقال له : إن الناس ورائى وقد كلمونى فيك ، ووالله ما أدرى ما أقول لك ، وما أعرف شيئاً تجهله ، ولا أدلك على أمر لا تعرفه ، إنك لتعلم ما نعلم ، ما سبقناك إلى شئ فنخبرك عنه ، ولا خلونا بشيء فنبلغكه ، وما خصصنا بأمور خفي عنك ادراكها ، وقد رأيت وسمعت وصحبت رسول الله (ص) ونلت صهره ، وما ابن أبى قحافة بأولى بعمل الحق منك ، ولا ابن الخطاب بأولى بشئ من الخير منك ، وإنك أقرب إلى رسول الله (ص) رحما ، ولقد نلت من صهر رسول الله (ص) ما لم ينالا ، ولا سبقاك إلى شئ ، فالله الله فى نفسك ، فانك والله ما تبصر من عمى ، ولا تعلم من جهل . وإن الطريق لواضح بين ، وإن أعلام الدين لقائمة ، تعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل ، هدى وهدى ، فأقام سنة معلومة ، وأمات بدعة معلومة ، فوالله إن كلا لبين ، وإن السنن لقائمة لها أعلام ، وإن البدع لقائمة لها أعلام ، وإن شر الناس عند الله إمام جائر ضل وأضل به فأمات سنة معلومة وأحيا بدعة متروكة ، وإنى سمعت رسول الله (ص) يقول يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر ، فيلقى فى جهنم فيدور فيها كما تدور الرحا ثم يرتطم فى غمرة جهنم ، وإنى أحذرك الله وأحذرك سطوته ونقمته ، فان عذابه أليم شديد ، واحذر أن تكون إمام هذه الأمة المقتول ، فانه كان يقال يقتل فى هذه الأمة إمام فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة ، وتلبس أمورها عليها ، ويتركون شيعاً لا يبصرون الحق من الباطل ، يموجون فيها موجاً ، ويمرحون فيها مرحاً . فقال عثمان : قد والله علمت لتقولن الذى قلت ، أما والله لو كنت مكانى ما عنفتك ولا أسلمتك ، ولا عبت عليك ، ولا جئت منكراً ، إنى وصلت رحماً ، وسددت خلة ، وآويت ضائعاً ، ووليت شبيها بمن كان عمر يولى ، أنشدك الله ياعلى هل تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك ؟ قال : نعم ! قال : فتعلم أن عمر ولاه ؟ قال : نعم ! قال : فلم تلومونى أن وليت ابن عامر فى رحمه وقرابته ؟ فقال على : سأخبرك ان عمر كان كلما ولى اميراً فانما يطأ على صماخيه وأنه إن بلغه حرف جاء به ، ثم بلغ

به أقصى الغاية في العقوبة، وأنت لا تفعل ضعفت ورفقت على أقربائك . فقال عثمان : هم أقرباؤك أيضاً ، فقال على لعمرى إن رحمهم منى لقريبة ، ولكن الفضل فى غيرهم . قال عثمان : هل تعلم أن عمر ولى معاوية خلافته كلها ، فقد وليته ، فقال على : أنشدك الله هل تعلم أن معاوية كان أخوف من عمر من يرفأ غلام عمر منه ؟ قال : نعم ! قال على : فان معاوية يقتطع الأمور دونك وأنت تعلمها ويقول للناس : هذا أمر عثمان، فليبلغك فلا تنكر ولا تغير على معاوية ثم خرج علىّ من عنده وخرج عثمان على إثره فصعد المنبر فوعظ وحذر وأنذر ، وتهدد وتوعد ، وأبرق وأرعد ، فكان فيما قال : ألا فقد والله عبتم على بما أقررتم به لابن الخطاب ، ولكنه وطئكم برجله ، وضربكم بيده ، وقمعكم بلسانه ، فدنتم له على ما أحببتم أو كرهتم ، ولنت لكم وأوطأت لكم كتفى ، وكففت يدى ولسانى عنكم ، فاجترأتم على ، أما والله لأنا أعز نفراً وأقرب ناصراً وأكثر عدداً وأقمن ، إن قلت : هلمّ إلىّ إلىّ ، ولقد أعددت لكم أقرانكم ، وأفضلت عليكم فضولا ، وكشرت لكم عن نابى ، فأخرجتم منى خلقا لم أكن أحسنه ، ومنطقاً لم أنطق به ، فكفوا ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم فانى قد كففت عنكم من لو كان هو الذى يليكم لرضيتم منه بدون منطقى هذا ، ألا فما تفقدون من حقكم ؟ فوالله ما قصرت فى بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلى . ثم اعتذر عما كان يعطى أقرباءه بأنه من فضل ماله . فقام مروان بن الحكم فقال : إن شئتم والله حكمنا بيننا وبينكم السيف ، نحن والله وأنتم كما قال الشاعر :

فرشنا لكم أعراضنا فنبت بكمْ * مغارسكمْ تبنونَ فى دِمنِ الثرى

فقال عثمان : اسكت لاسكتّ ، دعنى وأصحابى ، ما منطقك فى هذا ، ألم أتقدم إليك أن لا تنطق . فسكت مروان ونزل عثمان رضى الله عنه .

وذكر سيف بن عمر وغيره أن معاوية لما ودعه عثمان حين عزم على الخروج إلى الشام عرض عليه أن يرحل معه إلى الشام فانهم قوم كثيرة طاعتهم للأمراء . فقال : لا أختار بجوار رسول الله (ص) سواه . فقال : أجهز لك جيشاً من الشام يكونون عندك ينصرونك ؟ فقال : إنى أخشى أن أضيق بهم بلد رسول الله (ص) على أصحابه من المهاجرين والأنصار . قال معاوية : فوالله يا أمير المؤمنين لتغتالن ـ أو قال : لتغزين ـ فقال عثمان : حسبى الله ونعم الوكيل . ثم خرج معاوية من عنده وهو متقلد السيف وقوسه فى يده ، فمر على ملأ من المهاجرين والأنصار ، فيهم على بن أبى طالب ، وطلحة ، والزبير ، فوقف عليهم واتكأ على قوسه وتكلم بكلام بليغ يشتمل على الوصاة بعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، والتحذير من إسلامه إلى أعدائه ، ثم انصرف ذاهباً . فقال الزبير : ما رأيته أهيب فى عينى من يومه هذا . وذكر ابن جرير أن معاوية استشعر الأمر لنفسه من قدمته هذه إلى المدينة ، وذلك أنه سمع حادياً يرتجز فى أيام الموسم فى هذا العام وهو يقول :

قد علمت ضوامر المطى * وضمرات عوج القسى . أن الأمير بعده على * وفى الزبير خلف رضى وطلحة الحامى لها ولى .

فلما سمعها معاوية لم يزل ذلك فى نفسه حتى كان ما كان على ما سنذكره فى موضعه إن شاء الله و به الثقة . قال ابن جرير : وفى هذه السنة مات أبو عبس بن جبير بالمدينة وهو بدرى . ومات أيضاً مسطح بن أثاثة . وغافل بن البكير . وحج بالناس فى هذه السنة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ففيها مقتل عثمان .

وكان السبب فى ذلك أن عمرو بن العاص حين عزله عثمان عن مصر ولى عليها عبد الله بن سعد ابن أبى سرح . وكان سبب ذلك أن الخوارج من المصريين كانوا محصورين من عمرو بن العاص ، مقهورين معه لا يستطيعون ان يتكلموا بسوء في خليفة ولا أمير

فما زالوا حتى شكوه إلى عثمان لينزعه عنهم ويولى عليهم من هو ألين منه . فلم يزل ذلك دأبهم حتى عزل عمراً عن الحرب وتركه على الصلاة ، وولى على الحرب والخراج عبد الله بن سعد بن أبى سرح . ثم سعوا فيما بينهما بالنميمة فوقع بينهما ؛ حتى كان بينهما كلام قبيح . فأرسل عثمان فجمع لابن أبى سرح جميع عمالة مصر ، خراجها [وحربها] وصلاتها ؛ وبعث إلى عمرو يقول له : لاخير لك فى المقام عند من يكرهك ، فأقدم إلى ، فانتقل عمرو بن العاص إلى المدينة وفى نفسه من عثمان أمر عظيم وشر كبير فكلمه فيما كان من أمره بنفس ، وتقاولا فى ذلك ، وافتخر عمرو بن العاص بأبيه على عثمان ، وأنه كان أعز منه . فقال له عثمان : دع هذا فانه من أمر الجاهلية . وجعل عمرو بن العاص يؤلب الناس على عثمان . وكان بمصر جماعة يبغضون عثمان ويتكلمون فيه بكلام قبيح على ماقدمنا ، وينقمون عليه فى عزله جماعة من علية الصحابة وتوليته من دونهم ، أو من لا يصلح عندهم للولاية . وكره أهل مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، بعد عمرو بن العاص ، واشتغل عبد الله بن سعد عنهم بقتال أهل المغرب ، وفتحه بلاد البربر والأندلس وإفريقية . ونشأ بمصر طائفة من أبناء الصحابة يؤلبون الناس على حربه والانكار عليه ؛ وكان عظم ذلك مسنداً إلى محمد بن أبى بكر ، ومحمد بن أبى حذيفة ، حتى استنفروا نحواً من ستمائة راكب يذهبون إلى المدينة فى صفة معتمرين فى شهر رجب ، لينكروا على عثمان فساروا إليها تحت أربع رفاق ، وأمر الجميع إلى عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعى ، وعبد الرحمن بن عديس البلوى ، وكنانة بن بشر التجيبى ، وسودان بن حمران السكونى . وأقبل معهم محمد بن أبى بكر ، وأقام بمصر محمد بن أبى حذيفة يؤلب الناس ويدافع عن هؤلاء . وكتب عبد الله بن سعد بن أبى سرح إلى عثمان يعلمه بقدوم هؤلاء القوم إلى المدينة منكرين عليه فى صفة معتمرين . فلما اقتربوا من المدينة أمر عثمان على بن أبى طالب أن يخرج إليهم ليردهم إلى بلادهم قبل أن يدخلوا المدينة . ويقال : بل ندب الناس إليهم ، فانتدب على لذلك فبعثه ،

وخرج معه جماعة الاشراف وأمره أن يأخذ معه عمار بن ياسر . فقال على لعمار فأبى عمار أن يخرج معه . فبعث عثمان سعد بن أبي وقاص أن يذهب إلى عمار ليحرضه على الخروج مع على إليهم ، فأبى عمار كل الاباء ، وامتنع أشد الامتناع ، وكان متعصباً على عثمان بسبب تأديبه له فيما تقدم على أمر وضربه إياه فى ذلك ، وذلك بسبب شتمه عباس بن عتبة بن أبى لهب ، فأدبهما عثمان ، فتآمر عمار عليه لذلك ، وجعل يحرض الناس عليه ، فنهاه سعد بن أبي وقاص عن ذلك ولامه عليه ، فلم يقلع عنه ولم يرجع ولم ينزع ، فانطلق على بن أبى طالب إليهم وهم بالجحفة، وكانوا يعظمونه و يبالغون فى أمره ، فردهم وأنبهم وشتمهم، فرجعوا على أنفسهم بالملامة، وقالوا : هذا الذى تحاربون الأمير بسببه، وتحتجون عليه به . و يقال إنه ناظرهم فى عثمان ، وسألهم ماذا ينقمون عليه ، فذكروا أشياء منها أنه **حمى الحمى وانه حرق المصاحف، وانه أتم الصلاة وانه ولى الأحداث الولايات وترك الصحابة الأكابر وأعطى بني امية أكثر من الناس فأجاب علي عن ذلك:** أما الحمى فانما حماه لابل الصدقة لتسمن ، ولم يحمه لابله ولا لغنمه وقد حماه عمر من قبله . وأما المصاحف فانما حرق ماوقع فيه اختلاف ، وأبقى لهم المتفق عليه ، كما ثبت فى العرضة الأخيرة ، وأما إتمامه الصلاة بمكة ، فانه كان قد تأهل بها ونوى الاقامة فأتمها ، وأما توليته الأحداث فلم يول إلا رجلا سوياً عدلا ، وقد ولى رسول الله (ص) عتاب بن أسيد على مكة وهو ابن عشرين سنة ، وولى أسامة بن زيد بن حارثة، وطعن الناس في إمارته فقال انه لخليق بالامارة وأما ايثاره قومه بني امية، فقد كان رسول الله (ص) يؤثر قريشا على الناس ، و والله لو أن مفتاح الجنة بيدى لأدخلت بنى أمية إليها . و يقال : إنهم عتبوا عليه فى عمار ومحمد بن أبى بكر ، فذكر عثمان عذره فى ذلك ، وأنه أقام فيهما ما كان يجب عليهما . وعتبوا عليه فى إيوائه الحكم بن أبى العاص ، وقد نفاه رسول الله (ص) إلى الطائف ، فذكر أن رسول الله (ص) كان قد نفاه إلى الطائف ثم رده ، ثم نفاه إليها ، قال فقد نفاه رسول الله (ص) ثم رده ، و روى أن عثمان خطب الناس بهذا كله بمحضر من الصحابة ، وجعل يستشهد بهم فيشهدون له فيما فيه شهادة له . و يروى أنهم بعثوا طائفة منهم فشهدوا خطبة عثمان هذه ، فلما تمهدت الأعذار وانزاحت عللهم ولم يبق لهم شبهة ، أشار جماعة من الصحابة على عثمان بتأديبهم فصفح عنهم ، رضى الله عنه . وردهم إلى قومهم فرجعوا خائبين من حيث أتوا ، ولم ينالوا شيئا مما كانوا أملوا و راموا ؛ ورجع على إلى عثمان ، فأخبره برجوعهم عنه ، وسماعهم منه ، وأشار على عثمان أن يخطب الناس خطبة يعتذر إليهم فيها مما كان وقع من الأثرة لبعض أقاربه، ويشهدهم عليه بأنه قد تاب من ذلك ، وأناب إلى الاستمرار على ما كان عليه من سيرة الشيخين قبله ؛ وأنه لا يحيد عنها ، كما كان الأمر أولا فى مدة ست سنين الأول ، فاستمع عثمان هذه النصيحة ، وقابلها بالسمع والطاعة ، ولما كان يوم الجمعة وخطب الناس ، رفع يديه فى أثناء الخطبة ، وقال اللهم إنى أستغفرك

وأتوب إليك ، اللهم إنى أول تائب مما كان منى ، وأرسل عينيه بالبكاء فبكى المسلمون أجمعون ، وحصل للناس رقة شديدة على إمامهم ، وأشهد عثمان الناس على نفسه بذلك ، وأنه قد لزم ما كان عليه الشيخان ، أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، وأنه قد سبل بابه لمن أراد الدخول عليه ، لايمنع أحد من ذلك ، ونزل فصلى بالناس ثم دخل منزله وجعل من أراد الدخول على أمير المؤمنين لحاجة أومسألة أو سؤال ، لايمنع أحد من ذلك مدة . قال الواقدى : فحدثنى على بن عمر عن أبيه قال : ثم إن علياً جاء عثمان بعد انصراف المصريين فقال له : تكلم كلاما تسمعه الناس منك ويشهدون عليك ، ويشهد الله على مافى قلبك من النزوع والانابة ، فان البلاد قد تمخضت عليك ، ولا آمن ركبا آخرين يقدمون من قبل الكوفة ، فتقول ياعلى اركب إليهم ، ويقدم آخرون من البصرة فتقول ياعلى اركب إليهم ، فان لم أفعل قطعت رحمك واستخففت بحقك . قال : فخرج عثمان فخطب الخطبة التى نزع فيها ، وأعلم الناس من نفسه التوبة ، فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أمابعد ، أيها الناس ، فوالله ماعاب من عاب شيئا أجهله ، وماجئت شيئا إلا وأنا أعرفه ، ولكن ضل رشدى ولقد سمعت رسول الله (ص) يقول : « من زل فليتب ، ومن أخطأ فليتب ، ولايتمادى فى الهلكة ، إن من تمادى فى الجور كان أبعد عن الطريق » فأنا أول من اتعظ ، أستغفر الله مما فعلت واتوب ، فمثلى نزع وتاب ، فاذا نزلت فليأتنى أشرافكم ، فوالله لأكونن كالمرقوق إن ملك صبر ، وإن عتق شكر ، وماعن الله مذهب إلا إليه . قال : فرق الناس له وبكى من بكى ، وقام إليه سعيدبن زيد فقال : ياأمير المؤمنين ! الله الله فى نفسك ! فأتم على ما قلت . فلما انصرف عثمان إلى منزله وجد به جماعة من أكابر الناس ، وجاءه مروان بن الحكم فقال : أتكلم ياأمير المؤمنين أم أصمت ؟ فقالت امرأة عثمان ـ نائلة بنت الفرافصة الكلبية ـ من وراء الحجاب : بل اصمت ، فوالله إنهم لقاتلوه ، ولقد قال مقالة لاينبغى النزوع عنها . فقال لها : وما أنت وذاك ! ؟ فوالله لقد مات أبوك ومايحسن أن يتوضأ . فقالت له : دع ذكر الآباء ، ونالت من أبيه الحكم ، فأعرض عنها مروان . وقال لعثمان : ياأمير المؤمنين أتكلم أم أصمت ؟ فقال له عثمان : بل تكلم ؛ فقال مروان : بأبى أنت وأمى ، لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممنع منيع ، فكنت أول من رضى بها وأعان عليها ، ولكنك قلت ماقلت حين جاوز الحزام الطبيين ، وبلغ السيل الزبا ، وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل ، والله لاقامة على خطيئة يستغفر منها ، خير من توبة تخوف عليها ، وإنك لوشئت لعزمت التوبة ولم تقرر لنا بالخطيئة ، وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس . فقال عثمان : قم فاخرج إليهم فكلمهم ، فانى أستحى أن أكلمهم ، قال : فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضا ، فقال : ماشأنكم

كأنكم قد جئتم لنهب ، شاهت الوجوه كل إنسان آخذ باذن صاحبه إلا من أريد (١) جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا ، أخرجوا عنا ، أما والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم أمر يسؤكم ولا تحمدوا غبه ، ارجعوا إلى منازلكم ، فوالله مانحن مغلوبين على ما بأيدنا ، قال فرجع الناس ، وخرج بعضهم حتى اتى عليا فأخبره الخبر ، فجاء على مغضبا حتى دخل على عثمان . فقال : أما رضيت من مروان ولا رضى منك إلا بتحويلك عن دينك وعقلك ؟ ! وإن مثلك مثل جمل الظعينة سار حيث يسار به ، والله ما مروان بذى رأى فى دينه ولا نفسه ، وأيم الله إنى لأراه سيوردك ثم لا يصدرك ، وما أنا بعائد بعد مقامى هذا لمعاتبتك ، أذهبت سوقك ، وغلبت على أمرك . فلما خرج على دخلت نائلة على عثمان فقالت : أتكلم أو أسكت ؟ فقال : تكلمى ، فقالت : سمعت قول على أنه ليس يعاودك ، وقد أطعت مروان حيث شاء ، قال : فما أصنع ؟ قالت : تتقى الله وحده لا شريك له ، وتتبع سنة صاحبيك من قبلك ، فانك متى أطعت مروان قتلك ، ومروان ليس له عند الله قدر ولا هيبة ولا محبة ، فأرسل إلى على فاستصاحه فان له قرابة منك وهو لا يعصى . قال فأرسل عثمان إلى على فأبى أن يأتيه ، وقال : لقد أعلمته أنى لست بعائد . قال : وبلغ مروان قول نائلة فيه فجاء الى عثمان فقال : أتكلم أو سكت ؟ فقال : تكلم ، فقال : إن نائلة بنت الفرافصة ، فقال عثمان لاتذكرها بحرف فأسوء الى وجهك ، فهى والله أنصح لى منك . قال : فكف مروان

ذكر مجيء الأحزاب إلى عثمان للمرة الثانية من مصر

وذلك أن أهل الأمصار لما بلغهم خبر مروان ، وغضب على على عثمان بسببه ، ووجدوا الأمر على ما كان عليه لم يتغير ولم يسلك سيرة صاحبيه كاتب ، تكاتب أهل مصر وأهل الكوفة وأهل البصرة وتراسلوا ، وزورت كتب على لسان الصحابة الذين بالمدينة ، وعلى لسان على وطلحة والزبير ، يدعون الناس إلى قتال عثمان ونصر الدين ، وأنه أكبر الجهاد اليوم . وأذكر سيف بن عمر التميمى عن محمد وطلحة وأبى حارثة وأبى عثمان ، وقاله غيرهم أيضاً ، قالوا : لما كان فى شوال سنة خمس وثلاثين ، خرج أهل مصر فى أربع رفاق على أربعة أمراء ، المقلل لهم يقول ستمائة ، والمكثر يقول : ألف . على الرفاق عبد الرحمن ابن عديس البلوى ، وكنانة بن بشر الليثى ، وسودان بن حمران السكونى ، وقتيرة السكونى وعلى القوم جميعا الغافقى بن حرب العكى ، وخرجوا فيما يظهرون للناس حجاجاً ، ومعهم ابن السوداء ـ وكان أصله ذميا فأظهر الاسلام وأحدث بدعاً قولية وفعلية ، قبحه الله ـ وخرج أهل الكوفة فى عدتهم فى أربع رفاق أيضاً ، وأمراؤهم : زيد بن صوحان ، والأشتر النخعى ، وزياد بن النضر الحارثى ، وعبد الله بن الأصم ، وعلى الجميع عمرو بن الأصم . وخرج أهل البصرة فى عدتهم أيضا فى أربع

(١) كذا بالاصل والطبرى وفى عقد الجمان مهملة من التنقيط و وصلها ابن الاثير بشاهت الوجوه

رايات مع حكيم بن جبلة العبدى ، و بشر بن شريح بن ضبيعة القيسى ، وذريح بن عباد العبدى ، وعليهم كلهم حرقوص بن زهير السعدى ، وأهل مصر مصرون على ولاية على بن أبى طالب ، وأهل الكوفة عازمون على تأمير الزبير ، وأهل البصرة مصممون على تولية طلحة . لا تشك كل فرقة أن أمرها سيتم ، فسار كل طائفة من بلدهم حتى توافوا حول المدينة ، كما تواعدوا فى كتبهم ، فى شهر شوال فنزل طائفة منهم بذى خشب ، وطائفة بالأعوص ، والجمهور بذى المروة ، وهم على وجل من أهل المدينة ، فبعثوا قصاداً وعيوناً بين أيديهم ليخبروا الناس أنهم إنما جاؤا للحج لا لغيره ، وليستعفوا هذا الوالى من بعض عماله ، ماجئنا إلا لذلك ، واستأذنوا للدخول ، فكل الناس أبى دخولهم ونهى عنه ، فتجاسروا واقتربوا من المدينة ، وجاءت طائفة من المصريين إلى على وهو فى عسكر عند أحجار الزيت ، عليه حلة أفواف ، معتم بشقيقة حمراء يمانية ، متقلدا السيف وليس عليه قميص

وقد أرسل ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع اليه ، فسلم عليه المصريون فصاح بهم وطردهم ، وقال : لقد علم الصالحون أن جيش ذى المروة وذى خشب ملعونون على لسان محمد (ص) ، فارجعوا لا صبحكم الله ، قالوا : نعم ! وانصرفوا من عنده على ذلك ، وأتى البصريون طلحة وهو فى جماعة أخرى إلى جنب على ـ وقد أرسل ابنيه إلى عثمان ـ فسلموا عليه فصاح بهم وطردهم وقال لهم كما قال على لأهل مصر ، وكذلك كان رد الزبير على أهل الكوفة . فرجع كل فريق منهم إلى قومهم ، وأظهروا للناس أنهم راجعون إلى بلدانهم ، وساروا أياما راجعين ، ثم كرو عائدين إلى المدينة ، فما كان غير قليل حتى سمع أهل المدينة التكبير ، وإذا القوم قد زحفوا على المدينة وأحاطوا بها ، وجمهورهم عند دار عثمان بن عفان ، وقالوا للناس : من كف يده فهو آمن ، فكف الناس ولزموا بيوتهم ، وأقام الناس على ذلك أياماً . هذا كله ولايدرى الناس ما القوم صانعون ولا على ماهم عازمون ، وفى كل ذلك وأمير المؤمنين عثمان بن عفان يخرج من داره فيصلى بالناس ، فيصلى وراءه أهل المدينة وأولئك الآخرون ، وذهب الصحابة إلى هؤلاء يؤنبونهم و يعذلونهم على رجوعهم ، حتى قال على لأهل مصر : ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم ؟ فقالوا : وجدنا مع بريد كتاباً بقتلنا . وكذلك قال البصريون لطلحة ، والكوفيون للزبير . وقال أهل كل مصر : إنما جئنا لننصر أصحابنا . فقال لهم الصحابة : كيف علمتم بذلك من أصحابكم ، وقد افترقتم وصار بينكم مراحل ؟ إنما هذا أمر اتفقتم عليه ، فقالوا : ضعوه على ما أردتم ، لا حاجة لنا فى هذا الرجل ، ليعتزلنا ونحن نعتزله ـ يعنون أنه إن نزل عن الخلافة تركوه آمنا ـ وكان المصريون فيما ذكر ، لما رجعوا إلى بلادهم وجدوا فى الطريق بريداً يسير ، فأخذوه ففتشوه ، فاذا معه فى إداوة كتاباً على لسان عثمان فيه الأمر بقتل طائفة منهم ، و بصلب آخرين ، و بقطع أيدى آخرين منهم وأرجلهم ، وكان على الكتاب طابع بخاتم عثمان ، والبريد أحد غلمان عثمان وعلى جمله ، فلما رجعوا جاءوا بالكتاب

وداروا به على الناس ، فكلم الناس امير المؤمنين فى ذلك ، فقال : بينة علـى بذلك و إلا فوالله لا كتبت ولا أمليت ، ولادريت بشئ من ذلك ، والخاتم قد يزور على الخاتم ، فصدقه الصادقون فى ذلك ، وكذبه الكاذبون . ويقال : إن أهل مصر كانوا قد سألوا من عثمان أن يعزل عنهم ابن أبى سرح ، و يولى محمد بن أبى بكر ، فأجابهم إلى ذلك ، فلما وجدوا ذلك البريد ومعه الكتاب بقتل محمد ابن أبى بكر ، فأجابهم إلى ذلك ، فلما رجعوا ذلك البريد ومعه الكتاب بقتل محمد بن أبى بكر وآخرين معه ، فرجعوا ، وقد حنقوا عليه حنقا شديداً ، وطافوا بالكتاب على الناس ، فدخل ذلك فى أذهان كثير من الناس . وروى ابن جرير من طريق محمد بن إسحاق عن عمه عبد الرحمن بن يسار ، أن الذى كان معه هذه الرسالة من جهة عثمان إلى مصر أبو الأعور السلمى ، على جمل لعثمان ، وذكر ابن جرير من هذه الطريق أن الصحابة كتبوا إلى الآفاق من المدينة يأمرون الناس بالقدوم على عثمان ليقاتلوه ، وهـذا كذب على الصحابة ، و إنما كتبت كتب مزورة عليهم ، كما كتبوا من جهة على وطلحة والزبير إلى الخوارج كتبا مزورة عليهم أنكروها ، وهكذا زور هذا الكتاب على عثمان أيضا ، فانه لم يأمر به ولم يعلم به أيضاً . واستمر عثمان يصلى بالناس فى تلك الأيام كلها ، وهم أحقر فى عينه من التراب ، فلما كان فى بعض الجمعات وقام على المنبر ، وفى يده العصا التى كان يعتمد عليها رسول الله (ص) فى خطبته ، وكذلك أبو بكر وعمر رضى الله عنهما من بعده ، فقام إليه رجل من أولئك فسبه ونال منه ، وانزله عن المنبر ، فطمع الناس فيه من يومئذ ، كما قال الواقدى : حدثنى أسامة بن زيد عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه قال : بينا أنا أنظر إلى عثمان على عصا النبى (ص) التى كان يخطب عليها وأبو بكر وعمر ، فقال له جهجاه قم يانعثل فانزل عن هذا المنبر وأخذ العصا فكسرها على ركبته اليمنى فدخلت شظية منها فيها فبقى الجرح حتى أصابته الأكلة ، فرأيتها تدود ، فنزل عثمان وحملوه وأمر بالعصا فشدوها ، فكانت مضببة ، فما خرج بعد ذلك اليوم إلا خرجة أو خرجتين ، حتى حصر فقتل .

قال ابن جرير : وحدثنا أحمد بن ابراهيم ثنا عبد الله بن إدريس عن عبيد الله بن عمر عن نافع أن الجهجاه الغفارى أخذ عصا كانت فى يد عثمان فكسرها على ركبته ، فرمى فى ذلك المكان بالأكلة . وقال الواقدى : وحدثنى ابن أبى الزناد عن موسى بن عقبة عن ابن أبى حبيبة قال : خطب عثمان الناس فى بعض أيامه فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين : إنك ركبت بهاتير وركبناها معك ، فتب نتب معك . فاستقبل عثمان القبلة وشمر يديه ، وقال ابن أبى حبيبة : فلم أر يوماً أكثر باكيا ولا باكية من يومئذ . ثم لما كان بعد ذلك خطب الناس فقام إليه جهجاه الغفارى فصاح إليه : يا عثمان ألا إن هذه شارف قد جئنابها عليها عباءة وجامعة ، فانزل فلندرجك فى العباة ولنطرحك فى الجامعة

ولنحملك على الشارف ثم نطرحك فى جبل الدخان . فقال عثمان : قبحك الله وقبح ما جئت به ، ثم نزل عثمان . قال ابن أبى حبيبة : وكان آخر يوم رأيته فيه * وقال الواقدى : حدثنى أبو بكر بن إسماعيل عن أبيه عن عامر بن سعد . قال : كان أول من اجترأ على عثمان بالنطق السيء جبلة بن عمرو الساعدى مر به عثمان وهو فى نادى قومه ، وفى يد جبلة جامعة ، فلما مر عثمان سلم فرد القوم ، فقال جبلة : لم تردون عليه ؟ رجل قال كذا وكذا ، ثم أقبل على عثمان فقال : والله لأطرحن هذه الجامعة فى عنقك أو لتتركن بطانتك هذه ، فقال عثمان : أى بطانة ؟ فوالله لأتخير الناس ، فقال مروان تخيرته ، ومعاوية تخيرته ، وعبد الله بن عامر بن كريز تخيرته ، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح تخيرته ، منهم من نزل القرآن بذمه ، وأباح رسول الله (ص.) دمه ، قال : فانصرف عثمان فما زال الناس مجترئين عليه إلى هذا اليوم . قال الواقدى : وحدثنى محمد بن صالح عن عبيدالله بن رافع بن نقاخة عن عثمان بن الشريد . قال : مر عثمان على جبلة بن عمرو الساعدى وهو بفناء داره ، ومعه جامعة ، فقال : يانعثل! والله لأقتلنك ولأحملنك على قلوص جرباء ، ولأخرجنك إلى حرة النار . ثم جاءه مرة أخرى وعثمان على المنبر فأنزله عنه . وذكر سيف بن عمر أن عثمان بعد أن صلى بالناس يوم الجمعة صعد المنبر فخطبهم أيضاً فقال فى خطبته : ياهؤلاء الغرباء ! الله الله ، فوالله إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد (ص.) ، فامحوا الخطأ بالصواب ، فان الله لا يمحو السيء إلا بالحسن ، فقام محمد بن مسلمة فقال : أنا أشهد بذلك ، فأخذه حكيم بن جبلة فأقعده ، فقام زيد بن ثابت فقال : إنه فى الكتاب . فثار إليه من ناحية أخرى محمد بن أبى مريرة فأقعده وقال يانطع ، وثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد، وحصبوا عثمان حتى صرع من المنبر مغشياً عليه ، فاحتمل وأدخل داره ، وكان المصريون لا يطمعون فى أحد من الناس أن يساعدهم إلا محمد بن أبى بكر ، ومحمد بن جعفر ، وعمار ابن ياسر . وأقبل على وطلحة والزبير إلى عثمان فى أناس يعودونه ويشكون إليه بثهم وماحل بالناس، ثم رجعوا إلى منازلهم ، واستقبل جماعة من الصحابة ، منهم أبو هريرة وابن عمر ، وزيد بن ثابت فى المحاربة عن عثمان ، فبعث إليهم يقسم عليهم لما كفوا أيديهم وسكنوا حتى يقضى الله ما يشاء .

ذكر حصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان

لما وقع ماوقع يوم الجمعة ، وشج أمير المؤمنين عثمان ، وهو فى رأس المنبر ، وسقط مغشيا عليه ، واحتمل إلى داره وتفاقم الأمر ، وطمع فيه أولئك الأجلاف الأخلاط من الناس ، وألجأوه إلى داره وضيقوا عليه ، وأحاطوا بها محاصرين له ، ولزم كثير من الصحابة بيوتهم ، وسار إليه جماعة من أبناء الصحابة ، عن أمر آبائهم ، منهم الحسن والحسين ، وعبد الله بن الزبير ـ وكان أمير الدار ـ وعبد الله ابن عمرو، وصاروا ، يحاجون عنه ، ويناضلون دونه أن يصل إليه أحد منهم ، وأسلمه بعض الناس

رجاء أن يجيب أولئك إلى واحدة مما سألوا ، فإنهم كانوا قدطلبوا منه إما أن يعزل نفسه ،أويسلم إليهم مروان بن الحكم ، ولم يقع فى خلد أحد أن القتل كان فى نفس الخارجين . وانقطع عثمان عن المسجد فكان لايخرج إلا قليلا فى أوائل الأمر ، ثم انقطع بالكلية فى آخره ، وكان يصلى بالناس فى هذه الأيام الغافقى بن حرب . وقد استمر الحصر أكثر من شهر : وقيل أربعين يوما ، حتى كان آخر ذلك أن قتل شهيداً رضى الله عنه ، على ما سنبينه إن شاء الله تعالى . والذى ذكره ابن جرير أن الذى كان يصلى بالناس فى هذه المدة وعثمان محصور ، طلحة بن عبيد الله . وفى صحيح البخارى عن[1] وروى الواقدى أن علياً صلى أيضا ، وصلى أبو أيوب ، وصلى بهم سهل بن حنيف، وكان يجمع بهم على ، وهو الذى صلى بهم بعد ، وقد خاطب الناس فى غبوب ذلك بأشياء ، وجرت أمور سنورد منها ما تيسر وبالله المستعان .

قال الامام أحمد : حدثنا بهز ثنا أبو عوانة ثنا حصين عن عمرو بن جاوان قال : قال الأحنف انطلقنا حجاجا فمررنا بالمدينة ، فبينا نحن فى منزلنا إذ جاءنا آت فقال : الناس فى المسجد ، فانطلقت أنا وصاحبى ، فاذا الناس مجتمعون على نفر فى المسجد ، قال : فتخللتهم حتى قمت عليهم ، فاذا على ابن أبى طالب والزبير وطلحة وسعد بن أبى وقاص ، قال : فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشى ، فقال : ههنا على؟ قالوا : نعم ! قال : ههنا الزبير ؟ قالوا نعم ! قال : ههنا طلحة ؟ قالوا : نعم ! قال : ههنا سعد بن أبى وقاص ؟ قالوا : نعم ! قال : أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو ، تعلمون أن رسول الله (ص) قال : « من يبتاع مربد بنى فلان غفر الله له فابتعته فأتيت رسول الله (ص) فقلت : إنى قد ابتعته ، فقال : « اجعله فى مسجدنا وأجره لك » قالوا : نعم ! قال : أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو تعلمون أن رسول (ص) قال : « من يبتاع بئر رومة » فابتعتها بكذا وكذا ، فأتيت رسول الله (ص) فقلت إنى قد ابتعتها ـ يعنى بئر رومة ـ قال : « اجعلها سقاية للمسلمين ولك أجرها » قالوا : نعم ! قال : أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو تعلمون أن رسول الله (ص) نظر فى وجوه القوم يوم جيش العسرة فقال : « من يجهز هؤلاء غفر الله له » فجهزتهم حتى ما يفقدون خطاماً ولا عقالا ؟ قالوا : اللهم نعم ! فقال : اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، ثم انصرف . ورواه النسائى من حديث حصين وعنده إذ جاء رجل وعليه ملاءة صفراء .

طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد : حدثنى عبد الله بن عمر القواريرى حدثنى القاسم بن الحكم بن أوس

---

(١) بياض بأصل المصرية وفى الرياض النضرة وتاريخ الخميس : وروى عن عبد الله بن سلام أنه قال لما حصر عثمان ولى أبا هريرة على الصلاة .

الأنصارى حدثنى أبو عبادة الدرقى الأنصارى ، من أهل الحديبية ، عن زيد بن أسلم عن أبيه . قال : شهدت عثمان يوم حصر فى موضع الجنائز ، ولو ألقى حجر لم يقع إلا على رأس رجل ، فرأيت عثمان أشرف من الخوخة التى تلى مقام جبريل ، فقال : أيها الناس ! أفيكم طلحة ؟ فسكتوا ، ثم قال : أيها الناس : أفيكم طلحة ؟ فسكتو ، ثم قال أيها الناس ! أفيكم طلحة ؟ فقام طلحة بن عبيد الله ، فقال له عثمان : ألا أراك ههنا ؟ ما كنت أرى أنك تكون فى جماعة قوم تسمع نداى إلى آخر ثلاث مرات ، ثم لا تجيبنى ؟ أنشدك الله ياطلحة تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله (ص.) فى موضع كذا وكذا ، ليس معه أحد من أصحابه غيرى وغيرك ؟ فقال : نعم ! قال : فقال لك رسول الله (ص.) : « ياطلحة إنه ليس من نبى إلا ومعه من أصحابه رفيق من أمته معه فى الجنة ، و إن عثمان بن عفان هذا - يعنى - رفيقى فى الجنة » فقال طلحة : اللهم نعم ! ثم انصرف ، لم يخرجوه .

طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد : حدثنا محمد بن أبى بكر المقدسى ثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ثنا هلال بن إسحاق عن الجريرى عن ثمامة بن جزء القشيرى . قال : شهدت الدار يوم أصيب عثمان ، فاطلع عليه اطلاعة ، فقال ادعولى صاحبيكم اللذين ألباكم على ، فدعيا له ، فقال : أنشدكما الله تعلمان أن رسول الله (ص.) لما قدم المدينة ضاق المسجد بأهله ، فقال : من يشترى هذه البقعة من خالص ماله فيكون فيها كالمسلمين ، وله خير منها فى الجنة » ؟ فاشتريتها من خالص مالى فجعلتها بين المسلمين وأنتم تمنعونى أن أصلى فيه ركعتين . ثم قال : أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله (ص. لما قدم المدينة لم يكن فيها بئر يستعذب منه إلا بئر رومة فقال رسول الله (ص.) : « من يشتريها من خالص ماله فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين ، وله خير منها فى الجنة » ؟ فاشتريتها من خالص مالى ، وأنتم تمنعونى أن أشرب منها . ثم قال : هل تعلمون أنى صاحب جيش العسرة ؟ قالوا : اللهم نعم ! وقد رواه الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى ، وعباس الدورى وغير واحد ، أخرجه النسائى عن زياد بن أيوب كلهم عن سعيد بن عامر عن يحيى بن أبى الحجاج المنقرى عن أبى مسعود الجريرى به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

طريق أخرى

قال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد ثنا القاسم - يعنى ابن المفضل - ثنا عمرو بن مرة عن سالم ابن أبى الجعد . قال : دعا عثمان رجالا من أصحاب رسول الله (ص.) ، فيهم عمار بن ياسر ، فقال : إنى سائلكم و إنى أحب أن تصدقونى ، نشدتكم الله أتعلمون أن رسول الله (ص.) كان يؤثر قريشا على الناس ، و يؤثر بنى هاشم على سائر قريش ؟ فسكت القوم . فقال : لو أن بيدى مفاتيح الجنة لأعطيتها

بنى أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم . فبعث إلى طلحة والزبير فقال عثمان : ألا أحدثكما عنه - يعنى عماراً - أقبلت مع رسول الله (ص.) . أخذ بيدى يمشى فى البطحاء حتى أتى على أبيه وأمه وهم يعذبون » فقال أبو عمار : يارسول الله ، الدهر هكذا ؟ فقال له النبى (ص.) اصبر ، ثم قال : « اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت » تفرد به أحمد ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب .

طريق أخرى

قال الامام أحمد: حدثنا اسحاق بن سليمان سمعت معاوية بن سلم ابن سلمة يذكر عن مطرف عن نافع عن ابن عمر أن عثمان أشرف على أصحابه وهو محصور ، فقال : على م تقتلوننى ؟ فانى سمعت رسول الله (ص.) يقول : « لا يحل دم امرئ إلا باحدى ثلاث ، رجل زنى بعد إحصانه فعليه الرجم . او قتل عمداً فعليه القـ ، او ارتد بعد إسلامه فعليه القتل » ، فوالله ما زنيت فى جاهلية ولا إسلام ، ولا قتلت أحداً فأقيد نفسى منه ، ولا ارتددت منذ أسلمت ، إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . ورواه النسائى عن أحمد بن الأزهر عن إسحاق بن سليمان به .

طريق أخرى

قال الامام أحمد : حدثنا عفان ثنا حماد بن زيد ثنا يحيى بن سعيد عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف قال : كنت مع عثمان فى الدار وهو محصور ، قال : وكنا ندخل مدخلا إذا دخلناه سمعنا كلام من على البلاط ، قال : فدخل عثمان يوما لحاجته فخرج إلينا منتقعا لونه ، فقال . إنهم ليتواعدوننى بالقتل آنفا . قال : قلنا يكفيكهم الله ياأمير المؤمنين ،قال : ولم يقتلوننى ؟ فانى سمعت رسول الله (ص.) يقول : « لايحل دم امرئ مسلم إلا باحدى ثلاث ، رجل كفر بعد إسلامه ، أو زنى بعد إحصانه ، او قتل نفسا بغير نفس » فوالله مازنيت فى جاهلية ولا إسلام قط ، ولا تمنيت بدلا بدينى منذ هدانى الله له ، ولاقتلت نفسا ، فبم يقتلوننى ؟ . وقد رواه اهل السنن الأربعة من حديث حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد حدثنى أبو أسامة . زاد النسائى وعبد الله بن عامر بن ربيعة قالا : كنا مع عثمان ، فذكره . وقال الترمذى : حسن . وقد رواه حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد فرفعه .

طريق أخرى

قال الامام أحمد : حدثنا قطن ثنا يونس - يعنى ابن ابى إسحاق - عن أبيه عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، قال : أشرف عثمان من القصر وهو محصور فقال : أنشد بالله من شهد رسول الله (ص.) يوم حراء إذ اهتز الجبل فركله بقدمه ثم قال : « اسكن حراء ليس عليك إلا نبى أو صديق أوشهيد » وأنا معه ، فانتشد له رجال . ثم قال : أنشد بالله من شهد رسول الله يوم بيعة الرضوان إذ بعثنى إلى المشركين إلى أهل مكة فقال : « هذه يدى وهذه يد عثمان » . ووضع يديه إحداهما على الأخرى فبايع لي فانتشد له رجال . ثم قال :

قال : أنشد بالله من شهد رسول الله قال : من يوسع لنا بهذا البيت فى المسجد بنيت له بيتا فى الجنة » فابتعته من مالى فوسعت به المسجد . فانتشد له رجال . ثم قال : أنشد بالله من شهد رسول الله يوم جيش العسرة قال : « من ينفق اليوم نفقة متقبلة » ؟ فجهزت نصف الجيش من مالى ، فانتشد له رجال . ثم قال : أنشد بالله من شهد رومة يباع ماؤها ابن السبيل فابتعتها من مالى فأبحتها ابن السبيل قال : فانتشد له رجال . ورواه النسائى عن عمران بن بكار عن حطاب بن عثمان عن عيسى بن يونس بن أبى إسحاق عن أبيه عن جده أبى إسحاق السبيعى به .

وقد ذكر ابن جرير أن عثمان رضى الله عنه لما رأى مافعل هؤلاء الخوارج من أهل الأمصار ، من محاصرته فى داره ، ومنعه الخروج إلى المسجد ، كتب إلى معاوية بالشام ، و إلى ابن عامر بالبصرة و إلى أهل الكوفة ، يستنجدهم فى بعث جيش يطردون هؤلاء من المدينة ، فبعث معاوية مسلمة بن ابن حبيب ، وانتدب يزيد بن أسد القشيرى فى جيش ، و بعث أهل الكوفة جيشا ، وأهل البصرة جيشا ، فلما سمع أولئك بخروج الجيوش إليهم صمموا فى الحصار ، فما اقترب الجيوش إلى المدينة حتى جاءهم قتل عثمان رضى الله عنه كما سنذكره . وذكر ابن جرير أن عثمان استدعى الأشتر النخعى و وضعت لعثمان وسادة فى كوة من داره ، فأشرف على الناس ، فقال له عثمان : ياأشتر ماذا يريدون ؟ فقال : إنهم يريدون منك إما أن تعزل نفسك عن الأمرة ، وإما أن تفتدى من نفسك من قدضربته ، أو جلدته ، أوحبسته ، وإما أن يقتلوك . وفى رواية أنهم طلبوا منه أن يعزل نوابه عن الأمصار ويولى عليها من يريدون هم ، وإن لم يعزل نفسه أن يسلم لهم مروان بن الحكم فيعاقبوه كما زوّر على عثمان كتابه إلى مصر ، فخشى عثمان إن سلمه إليهم أن يقتلوه ، فيكون سبباً فى قتل امرئ مسلم وما فعل من الأمر ما يستحق بسببه القتل ، واعتذر عن الاقتصاص مما قالوا بانه رجل ضعيف البدن كبير السن . وأما ما سألوه من خلعه نفسه فانه لايفعل ولاينزع قميصا قمصه الله إياه ، ويترك أمة محمد يعدو بعضها على بعض ويولي السفهاء من الناس من يختاروه هم فيقع الهرج ويفسد الأمر بسبب ذلك ووقع الأمر كما ظنه فسدت الأمة ووقع الهرج ، وقال لهم فيما قال ، وأى شئ إلى من الأمر إن كنت كلما كرهتم أميراً عزلته ، وكلما رضيتم عنه وليته ؟ وقال لهم فيما قال : والله لئن قتلتمونى لا تتحابوا بعدى ولا تصلوا جميعاً أبداً ، ولا تقاتلوا بعدى عدواً جميعاً أبداً ، وقد صدق رضى الله عنه فيما قال .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ثنا معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن أبى قيس حدثنى النعمان بن بشير قال : كتب معى عثمان إلى عائشة كتاباً فدفعت اليها كتابه فحدثتنى أنها سمعت رسول الله (ص) يقول لعثمان : « إن الله لعله يقمصك قميصا . فان أرادك أحد على خلعه فلا تخلعه ، ثلاث مرات » قال النعمان : فقلت ياأم المؤمنين ! فأين كنت عن هذا الحديث ؟ فقالت : يابنى والله أنسيته . وقد رواه الترمذى من حديث الليث عن معاوية بن صالح

عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن عامر عن النعمان عن عائشة به . ثم قال : هذا حديث حسن غريب . ورواه ابن ماجه من حديث الفرج بن فضالة عن ربيعة بن يزيد عن النعمان ، فأسقط عبد الله بن عامر .

قال الامام أحمد : حدثنا يحيي بن إسماعيل ثنا قيس عن أبي سهلة عن عائشة قالت قال رسول الله (ص.) : « ادعو لي بعض أصحابي ، قلت أبو بكر ؟ قال : لا ، قلت عمر ؟ قال : لا ؟ قلت ابن عمك علي ؟ قال : لا ! قالت قلت عثمان ؟ قال : نعم ! فلما جاء قال : تنحى فجعل يساره ولون عثمان يتغير ، فلما كان يوم الدار وحصر فيها ؛ قلنا : يا أمير المؤمنين ألا تقاتل ؟ قال : لا ! إن رسول الله (ص.) عهد إلي عهداً و إني صابر نفسي عليه » تفرد به أحمد . وقال محمد بن عائد الدمشقي : حدثنا الوليد بن مسلم ثنا عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن عمرو و أنه سمع أبا ثور الفقيمي يقول : قدمت على عثمان فبينا أنا عنده فخرجت فاذا بوفد أهل مصر قد رجعوا فدخلت على عثمان فأعلمته ، قال : فكيف رأيتهم ؟ فقلت : رأيت في وجوههم الشر ، وعليهم ابن عديس البلوى ، فصعد ابن عديس منبر رسول الله (ص.) فصلى بهم الجمعة ، وتنقص عثمان في خطبته ، فدخلت على عثمان فأخبرته بما قال فيهم ، فقال : كذب والله ابن عديس ، ولولا ما ذكرما ذكرت ، إني رابع أربعة في الاسلام ، ولقد أنكحني رسول الله (ص. ابنته ثم توفيت فأنكحني ابنته الأخرى ، ولا زنيت ولا سرقت في جاهلية ولا إسلام ، ولا تعنيت ولا تمنيت منذ أسلمت ، ولا مسست فرجي بيميني منذ بايعت بها رسول الله (ص.) ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله (ص.) ولا أتت علي جمعة إلا وأنا أعتق فيها رقبة منذ أسلمت ، إلا أن لا أجدها في تلك الجمعة فأجمعها في الجمعة الثانية . ورواه يعقوب بن سفيان عن عبد الله بن أبي بكر عن ابن لهيعة ، قال : لقد اختبأت عند ربي عشراً ، فذكرهن .

فصل

كان الحصار مستمراً من أواخر ذى القعدة إلى يوم الجمعة الثامن عشر من ذى الحجة ، فلما كان قبل ذلك بيوم ، قال عثمان للذين عنده في الدار من المهاجرين والأنصار ـ وكانوا قريبا من سبعمائة ، فيهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين ومروان وأبو هريرة ، وخلق من مواليه ، ولو تركهم لمنعوه فقال لهم : أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده وأن ينطلق إلى منزله ، وعنده من أعيان الصحابة وأبنائهم جم غفير ، وقال لرقيقه : من أغمد سيفه فهو حر . فبرد القتال من داخل ، وحمي من خارج ، واشتد الأمر ، وكان سبب ذلك أن عثمان رأى في المنام رؤيا دلت على اقتراب أجله فاستسلم لأمر الله رجاء موعوده ، وشوقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليكون خيرا بني آدم حيث

قال حين أراد أخوه قتله : (إني أريد أن تبوء بإثمي و إثمك فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين) وروى أن آخر من خرج من عند عثمان من الدار ، بعد أن عزم عليهم في الخروج ، الحسن بن علي وقد خرج ، وكان أمير الحرب على أهل الدار عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم . وروى موسى بن عقبة عن سالم أو نافع أن ابن عمر لم يلبس سلاحه بعد رسول الله (ص.) إلا يوم الدار ويوم نجدة الحروري . قال أبو جعفر الداري عن أيوب السختياني عن نافع عن ابن عمر: إن عثمان رضي الله عنه أصبح يحدث الناس ، قال : رأيت النبي (ص.) في المنام فقال : ياعثمان افطر عندنا » فأصبح صائما وقتل من يومه ، وقال سيف بن عمر عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن رجل قال دخل عليه كثير بن الصلت فقال : ياأمير المؤمنين اخرج فاجلس بالفناء فيرى الناس وجهك فانك إن فعلت ارتدعوا . فضحك وقال : يا كثير رأيت البارحة وكأني دخلت على نبي الله وعنده أبو بكر وعمر ، فقال : « ارجع فانك مفطر عندي غدا » ثم قال عثمان : ولن تغيب الشمس والله غداً أو كذا وكذا إلا وأنا من أهل الآخرة ، قال : فوضع سعد وأبو هريرة السلاح وأقبلا حتى دخلا على عثمان . وقال موسى بن عقبة : حدثني أبو علقمة ـ مولى لعبد الرحمن بن عوف ـ حدثني ابن الصلت قال : أغفى عثمان بن عفان في اليوم الذي قتل فيه فاستيقظ فقال : لولا أن يقول الناس تمنى عثمان أمنية لحدثتكم . قال : قلنا أصلحك الله ، حدثنا فلسنا نقول ما يقول الناس ، فقال : إني رأيت رسول الله (ص.) في منامي هذا ، « فقال : إنك شاهد معنا الجمعة » . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبوعبد الرحمن القرشي ، ثنا خلف بن تميم ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر البجلي ، ثنا عبد الملك بن عمير حدثني كثير بن الصلت قال : دخلت على عثمان وهو محصور ، فقال لي : يا كثير ما أراني إلا مقتولا يومي هذا . قال : قلت ينصرك الله على عدوك يا أمير المؤمنين ، قال : ثم أعاد علي فقلت وقت لك في هذا اليوم شيء ؟ أو قيل لك شيء ؟ قال : لا ! ولكني سهرت في ليلتي هذه الماضية ، فلما كان وقت السحر أغفيت إغفاءة فرأيت فيما يرى النائم رسول الله (ص.) ، وأبا بكر وعمر ، ورسول الله (ص.) يقول لي : ياعثمان الحقنا لا تحبسنا ، فانا ننتظرك » قال : فقتل من يومه ذلك . وقال [1] ابن أبي الدنيا حدثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا يزيد بن هارون ، عن فرج بن فضالة عن مروان بن أبي أمنية عن عبد الله بن سلام . قال : أتيت عثمان لأسلم عليه وهو محصور ، فدخلت عليه فقال : مرحباً بأخي ، رأيت رسول الله (ص.) الليلة في هذه الخوخة ـ قال : وخوخة في البيت ـ فقال : « ياعثمان حصروك ؟ قلت : نعم ! قال : عطشوك ؟ قلت : نعم ! فأدلى دلواً فيه ماء فشربت حتى رويت حتى إني

(١) كذا بأصل المصرية

لاجد برده بين ثديي و بين كتفى ، وقال لى : إن شئت نصرت عليهم ، و إن شئت أفطرت عندنا ، فاخترت أن أفطر عنده » فقتل ذلك اليوم .

وقال محمد بن سعد : أنا عفان بن مسلم ثنا وهيب ثنا داود عن زياد بن عبد الله عن ام هلال بنت وكيع عن امرأة عثمان ـ قال : وأحسبها بنت الفرافصة ـ قالت : أغفى عثمان فلما استيقظ قال : إن القوم يقتلوننى ، قلت : كلا ياأمير المؤمنين . قال : إنى رأيت رسول الله (ص) وابا بكر وعمر، فقالوا : افطرعندنا الليلة ، أو إنك مفطر عندنا الليلة . وقال الهيثم بن كليب : حدثنا عيسى بن أحمد العسقلانى ثنا شبابة ثنا يحيى بن أبى راشد مولى عمر بن حريث عن محمد بن عبد الرحمن الجرشي . وعقبة بن أسد عن النعمان بن بشير عن نائلة بنت الفرافصة الكلبية ـ امرأة عثمان ـ قالت : لما حصر عثمان ظل اليوم الذى كان فيه قتله صائما ، فلما كان عند إفطاره سألهم الماء العذب فأبوا عليه ، وقالوا : دونك ذلك الركى . وركى فى الدار الذى يلقى فيه النتن ـ قالت : فلم يفطر فرأيت جاراً على أحاجير متواصلة ـ وذلك فى السحر ـ فسألتهم الماء العذب ، فأعطونى كوزاً من ماء ، فأتيته فقلت : هذا ماء عذب أتيتك به ، قالت : فنظر فاذا الفجر قد طلع فقال : إنى أصبحت صائما ، قالت : فقلت ومن اين أكلت؟ ولم ارا احداً اتاك بطعام ولاشراب ؟ فقال : إنى رأيت رسول الله (ص) اطلع علىّ من هذا السقف ومعه دلو من ماء فقال : اشرب ياعثمان ، فشربت حتى رويت ، ثم قال : ازدد فشربت حتى نهلت ، ثم قال : أما ان القوم سينكرون عليك ، فان قاتلتهم ظفرت ، و إن تركتهم أفطرت عندنا ، قالت : فدخلوا عليه من يومه فقتلوه .

وقال أبو يعلى الموصلى وعبد الله بن الامام أحمد : حدثنى عثمان بن أبى شيبة ثنا يونس بن أبى يعفور العبدى عن أبيه عن مسلم أبى سعيد مولى عثمان بن عفان أن عثمان أعتق عشرين مملوكا ودعا بسراويل فشدها ولم يلبسها فى جاهلية ولا إسلام ، وقال : إنى رأيت رسول الله (ص) فى المنام ، وأبا بكر وعمر ، وأنهم قالوا لى : اصبر فانك تفطر عندنا القابلة ، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فقتل وهو بين يديه . قلت : إنما لبس السراويل رضى الله عنه فى هذا اليوم لئلا تبدو عورته إذا قتل فانه كان شديد الحياء ، كانت تستحى منه ملائكة السماء ، كما نطق بذلك النبى (ص) ، ووضع بين يديه المصحف يتلو فيه ، واستسلم لقضاء الله عز وجل ، وكف يده عن القتال ، وأمر الناس وعزم عليهم أن لا يقاتلوا دونه ، ولولا عزيمته عليهم لنصروه من أعدائه ، ولكن كان أمر الله قدراً مقدوراً . وقال هشام بن عروة عن أبيه : إن عثمان رضى الله عنه أوصى إلى الزبير . وقال الأصمعى عن العلاء بن الفضل عن أبيه . قال : لما قتل عثمان فتشوا خزانته فوجدوا فيها صندوقاً مقفلا ففتحوه

فوجدوا فيه حقة فيها ورقة مكتوب فيها : « هذه وصية عثمان . بسم الله الرحمن الرحيم ، عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الله يبعث من فى القبور ، ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد ، عليها يحيى وعليها يموت ، وعليها يبعث إن شاء الله تعالى » .

وروى ابن عساكر أن عثمان رضى الله عنه قال يوم دخلوا عليه فقتلوه :

أرى الموتَ لا يبقى عزيزاً ولم يدعْ * لعادٍ ملاذاً فى البلادِ ومرتعا

وقال أيضا :

يُبيِّتُ أهلَ الحصنِ والحصنُ مغلقٌ * ويأتى الجبالَ الموتُ فى شماريخها العلا

صفة قتله رضي الله عنه

وقال خليفة بن خياط : حدثنا ابن علية ثنا ابن عوف عن الحسن قال أنبأني رباب . قال : بعثني عثمان فدعوت له الأشتر فقال : ما يريد الناس ؟ قال : ثلاث ليس من إحداهن بد ، قال : ما هن ؟ قال : يخيرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول : هذا أمركم فاختاروا من شئتم ، وبين أن تقتص من نفسك ، فان أبيت فان القوم قاتلوك . فقال : أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالا سربلنيه الله ، وأما أن أقتص لهم من نفسى ، فوالله لئن قتلتمونى لا تحابون بعدى ، ولا تصلون بعدى جميعا ، ولا تقاتلون بعدى جميعا عدواً أبداً . قال : وجاء رويجل كأنه ذئب فاطلع من باب ورجع ، وجاء محمد بن أبى بكر فى ثلاثة عشر رجلا ، فأخذ بلحيته فعال بها حتى سمعت وقع أضراسه ، فقال : ما أغنى عنك معاوية ، وما أغنى عنك ابن عامر ، وما أغنت عنك كتبك ، قال : ا سل لحيتى يا ابن أخى ، قال : فأنا رأيته استعدى رجلا من القوم بعينه ـ يعنى أشار إليه ـ فقام إليه بمشقص فوجى به رأسه . قلت : ثم مه ؟ قال : ثم تعاوروا عليه حتى قتلوه .

قال سيف بن عمر التميمى رحمه الله عن العيص بن القاسم عن رجل عن خنساء مولاة أسامة بن زيد ـ وكانت تكون مع نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان ـ أنها كانت فى الدار ودخل محمد بن أبى بكر وأخذ بلحيته وأهوى بمشاقص معه فيجأ بها فى حلقه ، فقال مهلا يا ابن أخى ، فوالله لقد أخذت مأخذاً ما كان أبوك ليأخذ به ، فتركه وانصرف مستحيياً نادماً ، فاستقبله القوم على باب الصفة فردهم طويلا حتى غلبوه ، فدخلوا وخرج محمد راجعاً . فأتاه رجل بيده جريدة يقدمهم حتى قام على عثمان فضرب بها رأسه فشجه ، فقطر دمه على المصحف حتى لطخه ، ثم تعاوروا عليه فأتاه رجل فضربه على الثدى بالسيف ، ووثبت نائلة بنت الفرافصة الكلبية فصاحت وألقت نفسها عليه ، وقالت :

يابنت شيبة أيقتل أمير المؤمنين ؟ وأخذت السيف ، فقطع الرجل يدها ، وانتهبوا متاع [1][الدار] ومر رجل على عثمان ورأسه مع المصحف فضرب رأسه برجله ونحاه عن المصحف وقال : ما رأيت كاليوم وجه كافر أحسن ولا مضجع كافر أكرم . قال : والله ما تركوا فى داره شيئا حتى الأقداح إلا ذهبوا به .

وروى الحافظ ابن عساكر أن عثمان لما عزم على أهل الدار فى الانصراف ولم يبق عنده سوى أهله تسوروا عليه الدار وأحرقوا الباب ودخلوا عليه ، وليس فيهم أحد من الصحابة ولا أبنائهم ، إلا محمد بن أبى بكر ، وسبقه بعضهم ، فضربوه حتى غشى عليه وصاح النسوة فانزعروا وخرجوا ودخل محمد بن أبى بكر وهو يظن أنه قد قتل ، فلما رآه قد أفاق قال : على أى دين أنت يانعثل ؟ قال: على دين الاسلام ، ولست بنعثل ولكنى أمير المؤمنين ، فقال : غيرت كتاب الله ، فقال : كتاب الله بينى وبينكم ، فتقدم إليه وأخذ بلحيته وقال : إنا لايقبل منا يوم القيامة أن نقول : [ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا] وشطحه بيده من البيت إلى باب الدار ، وهو يقول : يا ابن أخى ما كان أبوك ليأخذ بلحيتى . وجاء رجل من كندة من أهل مصر ، يلقب حماراً ، ويكنى بأبى رومان . وقال قتادة: اسمه رومان ، وقال غيره : كان أزرق أشقر ، وقيل كان اسمه سودان بن رومان [المرادى] . وعن ابن عمر قال : كان اسم الذى قتل عثمان أسود بن حمران ضربه بحربة وبيده السيف صلتا قال ثم جاء فضربه به فى صدره حتى أقعصه ، ثم وضع ذباب السيف فى بطنه واتكى عليه وتحامل حتى قتله ، وقامت نائلة دونه فقطع السيف أصابعها رضى الله عنها ، ويروى، أن محمد بن أبى بكر طعنه بمشاقص فى أذنه حتى دخلت فى حلقه . والصحيح أن الذى فعل ذلك غيره ، وأنه استحى ورجع حين قال له عثمان : لقد أخذت بلحية كان أبوك يكرمها . فتذمم من ذلك وغطى وجهه ورجع وحاجز دونه فلم يفد وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، وكان ذلك فى الكتاب مسطوراً .

وروى ابن عساكر عن ابن عون أن كنانة بن بشر ضرب جبينه ومقدم رأسه بعمود حديد فخر لجنبيه ، وضربه سودان بن حمران المرادى بعد ماخر لجنبه فقتله ، وأما عمرو بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره ، وبه رمق ، فطعنه تسع طعنات ، وقال : أما ثلاث منهن فلله ، وست لما كان فى صدرى عليه .

وقال الطبرانى : حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة البغدادى ، وإسحاق بن داود الصواف التسترى قالا : ثنا محمد بن خالد بن خداش ثنا مسلم بن قتيبة ثنا مبارك عن الحسن . قال : « حدثنى سياف عثمان أن رجلا من الأنصار دخل على عثمان فقال : ارجع يا ابن أخى فلست بقاتلى ، قال : وكيف

(١) بياض بأصل المصرية والتصحيح من عقد الجمان للبدر العينى .

علمت ذلك ؟ قال : لأنه أتى بك النبى (ص.) يوم سابعك فحنكك ودعا لك بالبركة . ثم دخل عليه رجل آخر من الأنصار فقال له مثل ذلك سواء. ثم دخل محمد بن أبى بكر فقال : أنت قاتلى . قال : وما يدريك يانعثل؟ قال : لأنه أتى بك رسول الله (ص.) يوم سابعك ليحنكك ويدعو لك بالبركة ، فخريت على رسول الله (ص.) ، قال : فوثب على صدره وقبض على لحيته ، ووجأه بمشاقص كانت فى يده » . هذا حديث غريب جداً وفيه نكارة . وثبت من غير وجه أن أول قطرة من دمه سقطت على قوله تعالى (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم] ويروى أنه كان قد وصل إليها فى التلاوة أيضا حين دخلوا عليه ، وليس ببعيد فانه كان قد وضع المصحف يقرأ فيه القرآن .

وروى ابن عساكر أنه لما طعن قال : بسم الله توكلت على الله ، فلما قطر الدم قال : سبحان الله العظيم . وقد ذكر ابن جرير فى تاريخه بأسانيده أن المصريين لما وجدوا ذلك الكتاب مع البريد إلى أمير مصر ، فيه الأمر بقتل بعضهم ، وصلب بعضهم ، وبقطع أيدى بعضهم وأرجلهم ، وكان قد كتبه مروان بن الحكم على لسان عثمان ، متأولا قوله تعالى [إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم] وعنده أن هؤلاء الذين خرجوا على أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه من جملة المفسدين فى الأرض ، ولا شك أنهم كذلك ، لكن لم يكن له أن يفتات على عثمان ويكتب على لسانه بغير علمه ، ويزور على خطه وخاتمه ، ويبعث غلامه على بعيره ، بعد ما وقع الصلح بين عثمان وبين المصريين ، على تأمير محمد بن أبى بكر على مصر ، بخلاف ذلك كله ، ولهذا لما وجدوا هذا الكتاب على خلاف ما وقع الاتفاق عليه ، وظنوا أنه من عثمان ، أعظموا ذلك ، مع ماهم مشتملون عليه من الشر فرجعوا إلى المدينة فطافوا به على رؤس الصحابة ، وأعانهم على ذلك قوم آخرون ، حتى ظن بعض الصحابة أن هذا عن أمر عثمان رضى الله عنه ، فلما قيل لعثمان رضى الله عنه فى أمر هذا الكتاب بحضرة جماعة من أعيان الصحابة وجمهور المصريين ، حلف بالله العظيم ، وهو الصادق البار الراشد ، أنه لم يكتب هذا الكتاب ولا أملاه على من كتبه ، ولا علم به ، فقالوا له : فان عليه خاتمك . فقال : إن الرجل قد يزور على خطه وخاتمه قالوا : فانه مع غلامك وعلى جملك . فقال : والله لم أشعر بشىء من ذلك . فقالوا له ـ بعد كل مقالة ـ إن كنت قد كتبته فقد خنت ، وإن لم تكن قد كتبته بل كتب على لسانك وأنت لا تعلم فقد عجزت ، ومثلك لايصلح للخلافة ، إما لخيانتك ، وإما لعجزك ، وهذا الذى قالوا باطل على كل تقدير فانه لو فرض أنه كتب الكتاب ، وهو لم يكتبه فى نفس الأمر ، لا يضره ذلك لأنه قد يكون رأى ذلك مصلحة للأمة فى إزالة شوكة هؤلاء البغاة الخارجين على الامام ، وأما إذا لم يكن قد علم به فأى

عجز ينسب إليه إذا لم يكن قد اطلع عليه وزور على لسانه ؟ وليس هو بمعصوم بل الخطأ والغفلة جائزان عليه رضى الله عنه ، وإنما هؤلاء الجهلة البغاة متعنتون خونة ، ظلمة مفترون ، ولهذا صمموا بعد هذا على حصره والتضييق عليه ، حتى منعوه الميرة والماء والخروج إلى المسجد ، وتهددوه بالقتل ، ولهذا خاطبهم بما خاطبهم به من توسعة المسجد وهو أول من منع منه ، ومن وقفه بئر رومة على المسلمين وهو أول من منع ماءها ، ومن أنه سمع رسول الله (ص) يقول : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا باحدى ثلاث ، النفس بالنفس ، والثيب الزانى ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » وذكر أنه لم يقتل نفسا ، ولا ارتد بعد إيمانه ، ولا زنى فى جاهلية ولا إسلام ، بل ولا مس فرجه بيمينه بعد أن بايع بها رسول الله (ص) ، وفى رواية بعد أن كتب بها المفصل . ثم ذكر لهم من فضائله ومناقبه ما لعله ينجع فيهم بالكف عنه والرجوع إلى الطاعة لله ولرسوله ولأولى الأمر منهم ، فأبوا إلا الاستمرار على ماهم عليه من البغى والعدوان ، ومنعوا الناس من الدخول إليه والخروج من عنده ، حتى اشتد عليه الحال ، وضاق المجال ، ونفد ما عنده من الماء ، فاستغاث بالمسلمين فى ذلك فركب على بنفسه وحمل معه قرباً من الماء فبالجهد حتى أوصلها إليه بعد ما ناله من جهلة اولئك كلام غليظ ، وتنفير لدابته ، وإخراق عظيم بليغ ، وكان قد زجرهم أتم الزجر ، حتى قال لهم فيما قال : والله إن فارس والروم لا يفعلون كفعلكم هذا بهذا الرجل ، والله إنهم ليأسرون فيطعمون ويسقون ، فأبوا أن يقبلوا منه حتى رمى بعمامته فى وسط الدار . وجاءت أم حبيبة راكبة بغلة وحولها حشمها وخدمها ، فقالوا ، ما جاء بك ؟ فقالت : إن عنده وصايا بنى أمية ، لأيتام وأرامل ، فأحببت أن أذكره بها ، فكذبوها فى ذلك ونالها منهم شدة عظيمة ، وقطعوا حزام البغلة وندّت بها ، وكادت أو سقطت عنها ، وكادت تقتل لولا تلاحق بها الناس فأمسكوا بدابتها ، ووقع أمر كبير جداً ، ولم يبق يحصل لعثمان وأهله من الماء إلا ما يوصله إليهم آل عمرو بن حزم فى الخفية ليلا ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

ولما وقع هذا أعظمه الناس جداً ، ولزم أكثر الناس بيوتهم ، وجاء وقت الحج فخرجت أم المؤمنين عائشة فى هذه السنة إلى الحج ، فقيل لها : إنك لو أقمت كان أصلح ، لعل هؤلاء القوم يهابونك ، فقالت : إنى أخشى أن أشير عليهم برأى فينالنى منهم من الأذية مانال أم حبيبة ، فعزمت على الخروج . واستخلف عثمان رضى الله عنه فى هذه السنة على الحج عبد الله بن عباس ، فقال له عبدالله ابن عباس : إن مقامى على بابك أحاجف عنك أفضل من الحج . فعزم عليه ، فخرج بالناس إلى الحج واستمر الحصار بالدار حتى مضت أيام التشريق ورجع اليسير من الحج ، فأخبر بسلامة الناس ، وأخبر أولئك بأن أهل الموسم عازمون على الرجوع إلى المدينة ليكفوكم عن أمير المؤمنين . وبلغهم

أيضا أن معاوية قد بعث جيشاً مع حبيب بن مسلمة ، وأن عبد الله بن سعد بن أبي سرح قد نفذ آخر مع معاوية بن خديج وان اهل الكوفة قد بعثوا القعقاع بن عمرو في جيش وأن اهل البصرة بعثوا مجاشعاً في جيش فعند ذلك صمموا على امرهم وبالغوا فيه ، وانتهزوا الفرصة بقلة الناس وغيبتهم فى الحج ، وأحاطوا بالدار ، وجدوا فى الحصار ، وأحرقوا الباب ، وتسوروا من الدار المتاخمة للدار ، كدار عمرو بن حزم وغيرها ، وحاجف الناس عن عثمان أشد المحاجفة ، واقتتلوا على الباب قتالا شديداً ، وتبارزوا وتراجزوا بالشعر فى مبارزتهم ، وجعل أبو هريرة يقول : هذا يوم طاب في الضراب فيه . وقتل طائفة من أهل الدار وآخر من من أولئك الفجار ، وجرح عبد الله بن الزبير جراحات كثيرة ، وكذلك جرح الحسن بن على ومروان ابن الحكم فقطع إحدى علباويه فعاش أوقص حتى مات . ومن أعيان من قتل من أصحاب عثمان ، زياد بن نعيم الفهرى ، والمغيرة بن الأخنس بن شريق ، ونيار بن عبد الله الأسلمى ، فى أناس وقت المعركة ، ويقال إنه انهزم أصحاب عثمان ثم رجعوا . ولما رأى عثمان ذلك عزم على الناس لينصرفوا إلى بيوتهم ، فانصرفوا كما تقدم ، فلم يبق عنده أحد سوى أهله ، فدخلوا عليه من الباب ، ومن الجدران وفزع عثمان إلى الصلاة وافتتح سورة طه ، وكان سريع القراءة — فقرأها والناس فى غلبة عظيمة ، قد احترق الباب والسقيفة التى عنده ، وخافوا أن يصل الحريق إلى بيت المال ، ثم فرغ عثمان من صلاته وجلس وبين يديه المصحف ، وجعل يتلو هذه الآية [الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل] فكان أول من دخل عليه رجل يقال له الموت الأسود فخنقه خنقاً شديداً حتى غشى عليه ، وجعلت نفسه تتردد فى حلقه ، فتركه وهو يظن انه قد قتله ، ودخل ابن ابى بكر فمسك بلحيته ثم ند وخرج ، ثم دخل عليه آخر ومعه سيف فضربه به فاتقاه بيده فقطعها ، فقيل : إنه أبانها : وقيل : بل قطعها ولم يبنها ، إلا أن عثمان قال : والله إنها أول يد كتبت المفصل ، فكان أول قطرة دم منها سقطت على هذه الآية (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) ثم جاء آخر شاهراً سيفه فاستقبلته نائلة بنت الفرافصة لتمنعه منه ، وأخذت السيف فانتزعه منها فقطع أصابعها . ثم إنه تقدم إليه فوضع السيف فى بطنه فتحامل عليه ، رضى الله عن عثمان . وفى رواية أن الغافقى بن حرب تقدم إليه بعد محمد بن أبى بكر فضربه بحديدة فى فيه ، ورفس المصحف الذى بين يديه برجله فاستدار المصحف ثم استقر بين يدى عثمان رضى الله عنه . وسالت عليه الدماء ، ثم تقدم سودان بن حمران بالسيف فما نعته نائلة فقطع أصابعها فولت فضرب عجيزتها بيده وقال : إنها لكبيرة العجيزة . وضرب عثمان فقتله ، فجاء غلام عثمان فضرب سودان فقتله ، فضرب الغلام رجل يقال له قترة فقتله .

وذكر ابن جرير أنهم أرادوا حز رأسه بعد قتله ، فصاح النساء وضربن وجوههن ، فيهن امرأتاه

نائلة وأم البنين ، وبناته ، فقال ابن عديس : اتركوه ، فتركوه . ثم مال هؤلاء الفجرة على مافى البيت فنهبوه ، وذلك أنه نادى مناد منهم : أيحل لنادمه ولايحل لنا ماله ، فانتهبوه ثم خرجوا فأغلقوا الباب على عثمان وقتيلين معه ، فلما خرجوا إلى صحن الدار وثب غلام لعثمان على قترة فقتله ، وجعلوا لايمرون على شئ إلا أخذوه حتى استلب رجل يقال له كلثوم التجيبي ، ملاءة نائلة ، فضربه غلام لعثمان فقتله ، وقتل الغلام أيضا ، ثم تنادى القوم : أن أدركوا بيت المال لاتستبقوا إليه ، فسمعهم حفظة بيت المال فقالوا : يا قوم النجا النجا ، فإن هؤلاء القوم لم يصدقوا فيما قالوا من ان قصدهم قيام الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما ادعوا انهم انما قاموا لاجله وكذبوا انما قصدهم الدنيا ، فانهزموا وجاء الخوارج فاخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جدا .

فصل

ولما وقع هذا الأمر العظيم ، الفظيع الشنيع ، أسقط فى أيدى الناس ، فأعظموه جداً ، وندم أكثر هؤلاء الجهلة الخوارج بما صنعوا ، وأشبهوا من تقدمهم ممن قصّ الله علينا خبرهم فى كتابه العزيز ، من الذين عبدوا العجل . فى قوله تعالى [ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين]

ولما بلغ الزبير مقتل عثمان ـ وكان قد خرج من المدينة ـ قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم ترحم على عثمان ، وبلغه أن الذين قتلوه تندموا فقال : تباً لهم ، ثم تلا قوله تعالى [ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون . فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون] وبلغ عليا قتله فترحم عليه . وسمع بندم الذين قتلوه فتلا قوله تعالى [كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إنى برئ منك إنى أخاف الله رب العالمين] ولما بلغ سعد بن أبى وقاص قتل عثمان استغفر له وترحم عليه ، وتلا فى حق الذين قتلوه [قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا] ثم قال سعد : اللهم اندمهم ثم خذهم . وقد أقسم بعض السلف بالله إنه ما مات أحد من قتلة عثمان إلا مقتولا . رواه ابن جرير .

وهكذا ينبغى أن يكون لوجوه (منها) دعوة سعد المستجابة كما ثبت فى الحديث الصحيح . وقال بعضهم : ما مات أحد منهم حتى جن . وقال الواقدى : حدثنى عبد الرحمن بن أبى الزناد عن عبد الرحمن بن الحارث قال : الذى قتل عثمان كنانة بن بشر بن عتاب التجيبى . وكانت امرأة منظور بن سيار الفزارى تقول : خرجنا إلى الحج وما علمنا لعثمان بقتل ، حتى إذا كنا بالمرج سمعنا رجلا يغنى تحت الليل :

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة * قتيل التجيبى الذى جاء من مصر

ولما رجع الحج وجدوا عثمان رضى الله عنه قد قتل ، وبايع الناس على بن أبى طالب رضى الله عنه . ولما بلغ أمهات المؤمنين فى أثناء الطريق أن عثمان قد قتل ، رجعن إلى مكة فأقمن بها نحواً من أربعة أشهر كما سيأتى

فصل

كانت مدة حصار عثمان رضى الله عنه فى داره أربعين يوماً على المشهور ، وقيل كانت بضعا وأربعين يوماً . وقال الشعبى : كانت ثنتين وعشرين ليلة . ثم كان قتله رضى الله عنه فى يوم الجمعة بلا خلاف . قال سيف بن عمر عن مشايخه : فى آخر ساعة منها ، ونص عليه مصعب بن الزبير وآخرون . وقال آخرون ضحوة نهارها ، وهذا أشبه ، وكان ذلك لثمانى عشر ليلة خلت من ذى الحجة على المشهور ، وقيل فى أيام التشريق ، رواه ابن جرير : حدثنى أحمد بن زهير ثنا أبو خيثمة ثنا وهب بن جرير سمعت يونس عن يزيد عن الزهرى . قال : قتل عثمان فزعم بعض الناس أنه قتل فى أيام التشريق ، وقال بعضهم قتل يوم الجمعة لثلاث خلت من ذى الحجة . وقيل قتل يوم النحر ، حكاه ابن عساكر ويستشهد له بقول الشاعر :

ضحّوا بأشمطَ عنوانُ السجودِ بهِ * يقطعُ الليلَ تسبيحاً وقرآنا

قال : والأول هو الأشهر ، وقيل إنه قتل يوم الجمعة لثمانى عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين على الصحيح المشهور ، وقيل سنة ست وثلاثين ، قال مصعب بن الزبير وطائفة : وهو غريب . فكانت خلافته ثنتى عشرة سنة إلا اثنى عشر يوما ، لأنه بويع له فى مستهل المحرم سنة أربع وعشرين . فأما عمره رضى الله عنه فانه جاوز ثنتين وثمانين سنة ، وقال صالح بن كيسان : توفى عن ثنتين وثمانين سنة وأشهر ، وقيل : أربع وثمانون سنة ، وقال قتادة : توفى عن ثمان وثمانين أو تسعين سنة . وفى رواية عنه توفى عن ست وثمانين سنة . وعن هشام بن الكلبى : توفى عن خمس وسبعين سنة ، وهذا غريب جداً ، وأغرب منه ما رواه سيف بن عمر عن مشايخه ، وهم محمد وطلحة وأبو عثمان وأبو حارثة أنهم قالوا : قتل عثمان رضى الله عنه عن ثلاث وستين سنة .

وأما موضع قبره فلا خلاف أنه دفن بحش كوكب ـ شرقى البقيع ـ وقد بنى عليه زمان بنى أمية قبة عظيمة وهى باقية إلى اليوم . قال الامام مالك رضى الله عنه : بلغنى أن عثمان رضى الله عنه كان يمر بمكان قبره من حش كوكب فيقول : إنه سيدفن ههنا رجل صالح .

وقد ذكر ابن جرير أن عثمان رضى الله عنه بقى بعد أن قتل ثلاثة أيام لا يدفن . قلت : وكأنه

اشتغل الناس عنه بمبايعة على رضى الله عنه حتى تمت ، وقيل إنه مكث ليلتين ، وقيل بل دفن من ليلته ، ثم كان دفنه ما بين المغرب والعشاء خيفة من الخوارج ، وقيل بل استؤذن فى ذلك بعض رؤسائهم . فخرجوا به فى نفر قليل من الصحابة ، فيهم حكيم بن حزام ، وحويطب بن عبد العزى ، وأبو الجهم بن حذيفة ، ونيار بن مكرم الأسلمى ، وجبير بن مطعم ، وزيد بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وطلحة والزبير ، وعلى بن أبى طالب وجماعة من أصحابه ونسائه ، منهن امرأتاه نائلة وأم البنين بنت عتبة بن حصين ، وصبيان . – وهذا مجموع من كلام الواقدى وسيف بن عمر التميمى – وجماعة من خدمه حملوه على باب بعد ما غسلوه وكفنوه . وزعم بعضهم أنه لم يغسل ولم يكفن ، والصحيح الأول . وصلى عليه جبير بن مطعم ، وقيل الزبير بن العوام ، وقيل حكيم بن حزام ، وقيل مروان ابن الحكم . وقيل المسور بن مخرمة وقد عارضه بعض الخوارج وأرادوا رجمه ، و إلقاءه عن سريره ، وعزموا على أن يدفن بمقبرة اليهود بدير سلع ، حتى بعث على رضى الله عنه إليهم من نهاهم عن ذلك وحمل جنازته حكيم بن حزام ، وقيل مروان بن الحكم ، وقيل المسور بن مخرمة ، وأبو جهم بن حذيفة ونيار بن مكرم ، وجبير بن مطعم ، وذكر الواقدى أنه لما وضع ليصلى عليه – عند مصلى الجنائز – أراد بعض الأنصار أن يمنعهم من ذلك ، فقال أبو جهم بن حذيفة : ادفنوه فقد صلى الله عليه وملائكته ثم قالوا : لا يدفن فى البقيع ولكن ادفنوه وراء الحائط ، فدفنوه شرقى البقيع تحت نخلات هناك .

وذكر الواقدى أن عمير بن ضابى نزا على سريره وهو موضوع للصلاة عليه فكسر ضلعاً من أضلاعه وقال : أحبست ضابيا حتى مات فى السجن . وقد قتل الحجاج فيما بعد عمير بن ضابى هذا وقال البخارى فى التاريخ : حدثنا موسى بن إسماعيل عن عيسى بن منهال ثنا غالب عن محمد بن سيرين قال : كنت أطوف بالكعبة و إذا رجل يقول : اللهم اغفرلى ، وما أظن أن تغفر لى ، فقلت : ياعبد الله ماسمعت أحداً يقول ما تقول ، قال : كنت أعطيت لله عهداً إن قدرت أن ألطم وجه عثمان إلا لطمته ، فلما قتل وضع على سريره فى البيت والناس يجيئون يصلون عليه ، فدخلت كأنى أصلى عليه ، فوجدت خلوة فرفعت الثوب عن وجهه ولحيته ولطمته وقد يبست يمينى . قال ابن سيرين : فرأيتها يابسة كأنها عود . ثم أخرجوا بعبدى عثمان اللذين قتلا فى الدار ، وهما صبيح ونجيح ، رضى الله عنهما ، فدفنا إلى جانبه بحش كوكب ، وقيل إن الخوارج لم يمكنوا من دفنهما ، بل جروهما بأرجلهما حتى ألقوهما بالبلاط فأكلتهما الكلاب ، وقد اعتنى معاوية فى أيام إمارته بقبر عثمان ، ورفع الجدار بينه وبين البقيع ، وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حوله حتى اتصلت بمقابر المسلمين .

ذكر صفته رضي الله عنه

كان رضى الله عنه حسن الوجه دقيق البشرة ، كبير اللحية ، معتدل القامة ،عظيم الكراديس، بعيد مابين المنكبين ، كثير شعر الرأس ، حسن الثغر ، فيه سمرة ، وقيل كان فى وجهه شئ من آثار الجدرى ، رضى الله عنه . وعن الزهرى : كان حسن الوجه والثغر ، مربوعاً ، أصلع ،أروح الرجلين . يخضب بالصفرة وكان قد شد أسنانه بالذهب وقد كسى ذراعيه الشعر .

وقال الواقدى : حدثنا ابن أبى سبرة عن سعيد بن أبى زيد عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة . قال : كان لعثمان عند خازنه يوم قتل ، ثلاثون ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم ، ومائة ألف دينار ، فانتهبت وذهبت ، وترك ألف بعير بالربذة ، وترك صدقات كان تصدق بها ، بئر أريس، وخيبر ، ووادى القرى ، فيه مائتا ألف دينار . [وبئر رومة كان اشتراها فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وسبّلها] (١)

فصل

قال الأعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة أنه قال : أول الفتن قتل عثمان ، وآخر الفتن الدجال. وروى الحافظ بن عساكر من طريق شبابة عن حفص بن مورق الباهلى ، عن حجاج بن أبى عمار الصواف عن زيد بن وهب عن حذيفة . قال : أول الفتن قتل عثمان ، وآخر الفتن خروج الدجال ، والذى نفسى بيده لايموت رجل وفى قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان إلا تبع الدجال إن أدركه ، وإن لم يدركه ، آمن به فى قبره . وقال أبو بكر بن أبى الدنيا وغيره : أنا محمد بن سعد أنا عمرو بن عاصم الكلابى ثنا أبو الأشهب حدثنى عوف عن محمد بن سيرين أن حذيفة بن اليمان قال : اللهم إن كان قتل عثمان بن عفان خيراً . فليس لى فيه نصيب ، وإن كان قتله شراً فأنا منه برئ ، والله لئن كان قتله خيراً ليحلبنه لبنا ، وإن كان قتله شراً ليمتص به دماً . وقد ذكره البخارى فى صحيحه.

طريق أخرى عنه

قال محمد بن عائذ : ذكر محمد بن حمزة حدثنى أبو عبد الله الحرانى أن حذيفة بن اليمان فى مرضه الذى هلك فيه كان عنده رجل من إخوانه وهو يناجى امرأته ففتح عينيه فسألهما فقالا خيراً ، فقال : شيئاً تسرانه دونى ماهو بخير ، قال : قتل الرجل - يعنى عثمان - قال:فاسترجع ثم قال : اللهم إنى كنت من هذا الأمر بمعزل ، فإن كان خيراً فهو لمن حضره وأنا منه برئ ، وإن كان شراً فهو لمن حضره وأنا منه برئ ، اليوم تغيرت القلوب ياعثمان ، الحمد لله الذى سبق بى الفتن ، قادتها وعلوجها الخطى ، من تردى بغيره فشبع شحماً وقبل عمله.وقال الحسن بن عرفة : ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن

(١) زيادة من عقد الجمان منسوبة لابن كثير .

علية عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي موسى الأشعري . قال لو كان قتل عثمان هدى لاحتلبت به الأمة لبنا ، ولكنه كان ضلالا فاحتلبت به الأمة دما ، وهذا منقطع . وقال محمد بن سعد : أنا حازم بن الفضل أنا الصعق بن حزن ثنا قتادة عن زهدم الجرمي . قال : خطب ابن عباس فقال : لولم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء . وقد روى من غير هذا الوجه عنه . وقال الأعمش وغيره عن ثابت بن عبيد عن أبي جعفر الأنصاري . قال : لما قتل عثمان جئت علياً وهو جالس في المسجد وعليه عمامة سوداء فقلت له : قتل عثمان ، فقال : تباً لهم آخر الدهر . وفي رواية :خيبة لهم . وقال أبو القاسم البغوي : أنبأنا علي بن الجعد أنا شريك عن عبد الله بن عيسى عن ابن أبي ليلى . قال : سمعت علياً وهو بباب المسجد أوعند أحجار الزيت رافعا صوته يقول : اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان . وقال أبو هلال عن قتادة عن الحسن . قال : قتل عثمان وعلي غائب في أرض له ، فلما بلغه قال : اللهم إني لم أرض ولم أمالئ . وروى الربيع بن بدر عن سيار بن سلامة عن أبي العالية : أن علياً دخل على عثمان فوقع عليه وجعل يبكي حتى ظنوا أنه سيلحق به . وقال الثوري وغيره عن ليث عن طاوس عن ابن عباس قال : قال علي يوم قتل عثمان : والله ماقتلت ولا أمرت ولكني غلبت . ورواه غير ليث عن طاوس عن ابن عباس عن علي نحوه .وقال حبيب بن أبي العالية عن مجاهد عن ابن عباس . قال : قال علي إن شاء الناس حلفت لهم عند مقام إبراهيم بالله ماقتلت عثمان ولا أمرت بقتله ، ولقد نهيتهم فعصوني ، وقد روى من غير وجه عن علي بنحوه . وقال محمد بن يونس الكديمي : ثنا هارون بن إسماعيل ثنا قرة بن خالد عن الحسن عن قيس بن عباد . قال : سمعت علياً يوم الجمل يقول : اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان ، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان ، وأنكرت نفسي ، وجاءوني للبيعة فقلت : والله إني لأستحيي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلا قال فيه رسول الله (ص) : « إني لأستحيي ممن تستحي منه الملائكة » وإني لأستحيي من الله أن أبايع وعثمان قتيل في الأرض لم يدفن بعد ، فانصرفوا ، فلما دفن رجع الناس يسألوني البيعة فقلت : اللهم إني أشفق مما أقدم عليه ، ثم جاءت عزمة فبايعت . فلما قالوا : أمير المؤمنين كان صدع قلبي وأسكت نفرة من ذلك ، وقد اعتنى الحافظ الكبير ابو القاسم بن عساكر بجمع الطرق الواردة عن علي أنه تبرأ من دم عثمان ، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها أنه لم يقتله ولا أمر بقتله ولا مالأ ولا رضي به ، ولقد نهى عنه فلم يسمعوا منه . ثبت ذلك عنه من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث ولله الحمد والمنة . وثبت عنه أيضا من غير وجه أنه قال : إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى فيهم [ونزعنا ما في صدورهم من غلّ إخواناً على سرر متقابلين] وثبت عنه أيضا من غير وجه أنه قال : [كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا]وفي رواية

أنه قال : كان عثمان رضى الله عنـه خيرنا وأوصلنا للرحم ، وأشدنا حياء ، وأحسننا طهوراً ، وأتقانا للرب عز وجل . وروى يعقوب بن سفيان عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن مجالد عن عمير ابن رودى (كذا) أبى كثير . قال : خطب على فقطع الخوارج عليه خطبته فنزل فقال : إن مثلى ومثل عثمان كمثل أثوار ثلاثة ، أحمر وأبيض وأسود ، ومعهم فى أجمة أسـد ، فكان كلما أراد قتل أحدهم منعه الآخران ، فقال للأسود والأحمر : إن هذا الأبيض قد فضحنا فى هـذه الأجمة نخليا عنه حتى آكله ، نخليا عنه فأكله ، ثم كان كلما أراد أحـدهما منعه الآخر فقال للأحمر : إن هـذا الأسود قد فضحنا فى هذه الأجمة ، وإن لونى على لونك فلوخليت عنه أكلته نخلى عنه الأحمر فأكله ، ثم قال للأحمر : إنى آكلك ، فقال : دعنى حتى أصيح ثلاث صيحات ، فقال دونك ، فقال : ألا اني انما اكلت يوم اكل البيض ثلاثاً فلو اني نصرته لما أكلت ثم قال علي : وإنما انا وهنت يوم قتل عثمان ، ولو أني نصرته لما وهنت قالها ثلاثاً .

وروى ابن عساكر من طريق محمد بن هارون الحضرمى عن سويد بن عبد الله القشيرى القاضى عن ابن مهدى عن حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب . قال : كانت المرأة تجيء فى زمان عثمان إلى بيت المال فتحمل وقرها وتقول : اللهـم بدل ، اللهم غـير . فقال حسان بن ثابت حين قتل عثمان رضى الله عنه :

قلتم بدّل فقد بدّلكم * سنة حرّى وحرباً كاللهبْ

مانقمتم من ثياب خلفة * وعبيدٍ وإماءٍ وذهبْ

قال : وقال أبو حميد أخو بنى ساعدة ـ وكان ممن شهد بدراً ، وكان ممن جانب عثمان ـ فلما قتل قال : والله ما أردنا قتله ، ولا كنا نرى أن يبلغ منه القتل ، اللهم إن لك على أن لا أفعل كذا وكذا ولا أضحـك حتى ألقاك ، وقال محمد بن سـعد أنا عبد الله بن إدريس أنا إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . قال : لقد رأيتنى وأن عمر موثقى وأخته على الاسلام ، ولو ارفض أحـد فيما صنعتم بابن عفان لـكان حقيقا . وهكذا رواه البخارى فى صحيحه .

وروى محمد بن عائذ عن إسماعيل بن عباس عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير . قال : سمع عبدالله بن سلام رجلا يقول لآخر : قتل عثمان بن عفان فلم ينتطح فيه عنزان . فقال ابن سلام أجل ! إن البقر والمعز لا تنتطح فى قتل الخليفة ، ولـكن ينتطح فيه الرجال بالسـلاح ، والله لنقتلن به أقوام إنهم لفى أصلاب آبائهم ما ولدوا بعد . وقال ليث عن طاووس . قال : قال ابن سلام : يحكم عثمان يوم القيامة فى القاتل والخاذل . وقال أبو عبد الله المحاملى : ثنا أبو الأشعث ثنا حزم بن أبى حزم سمعت أبا الأسـود يقول سمعت أبا بكرة يقول : لأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إلى من أن أشرك فى قتل عثمان . وقال أبو يعلى : ثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة ثنا محمد بن عبادالهباني ثنا البراء

ابن أبى فضال ثنا الحضرمى عن أبى مريم رضيع الجارود . قال : كنت بالكوفة فقام الحسن بن على خطيباً فقال : أيها الناس ! رأيت البارحة فى منامى عجبا ، رأيت الرب تبارك وتعالى فوق عرشه فجاء رسول الله ﷺ حتى قام عند قائمة من قوائم العرش ، فجاء أبو بكر فوضع يده على منكب النبى ﷺ ثم جاء عمر فوضع يده على منكب أبى بكر ، ثم جاء عثمان فكان بيده - يعنى رأسه - فقال : رب سل عبادك فيم قتلونى ؟ فانبعث من السماء ميزا بان من دم فى الأرض ، قال فقيل لعلى ألا ترى مايحدث به الحسن ؟ ! فقال : حدث بما رأى . ورواه أبو يعلى أيضا عن سفيان بن وكيع عن جميع بن عمير عن عبد الرحمن بن مجالد عن حرب العجلى : سمعت الحسن بن على يقول : ما كنت لأقاتل بعد رؤيا رأيتها ، رأيت العرش ورأيت رسول الله ﷺ متعلق بالعرش ، ورأيت أبا بكر واضعا يده على منكب رسول الله ، وكان عمر واضعا يده على منكب أبى بكر ، ورأيت عثمان واضعا يده على منكب عمر ، ورأيت دماً دونهم ، فقلت : ما هذا ؟ فقيل : دم عثمان يطلب الله به . وقال مسلم بن إبراهيم : ثنا سلام بن مسكين عن وهب بن شبيب عن زيد بن صوحان أنه قال : يوم قتل عثمان نفرت القلوب منافرها ، والذى نفسى بيده لاتتألف إلى يوم القيامة ، وقال محمد بن سيرين : قالت عائشة : مصصتموه مص الاناء ثم قتلتموه ؟ وقال خليفة بن خياط ثنا أبو قتيبة ثنا يونس بن أبى إسحاق عن عون بن عبد الله ابن عتبة . قال : قالت عائشة : غضبت لكم من السوط ولا أغضب لعثمان من السيف ، استعتبتموه حتى إذا تركتموه كالعقب المصفى قتلتموه . وقال أبو معاوية عن الأعمش عن خيثمة عن مسروق . قال : قالت عائشة حين قتل عثمان : تركتموه كالثوب النقى من الدنس ثم قتلتموه . وفى رواية : ثم قربتموه ثم ذبحتموه كما يذبح الكبش ؟ فقال لها مسروق : هذا عملك ، أنت كتبت إلى الناس تأمريهم أن يخرجوا إليه ، فقالت : لا والذى آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ، ما كتبت لهم سوداء فى بيضاء حتى جلست مجلسى هذا . قال الأعمش : فكانوا يرون أنه كتب على لسانها . وهذا إسناد صحيح إليها . وفى هذا وأمثاله دلالة ظاهرة على أن هؤلاء الخوارج قبحهم الله ، زوروا كتبا على لسان الصحابة إلى الآفاق يحرضونهم على قتال عثمان ، كما قدمنا بيانه ولله الحمد والمنة .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا حزم القطعى ثنا أبو الأسود بن سوادة أخبرنى طلق بن حسان قال : قال قتل عثمان فتفرقنا فى أصحاب محمد ﷺ نسألهم عن قتله فسمعت عائشة تقول : قتل مظلوماً لعن الله قتلته . وروى محمد بن عبد الله الأنصارى عن أبيه عن ثمامة عن أنس . قال : قالت أم سليم لما سمعت بقتل عثمان : رحمه الله ، أما إنه لم يحلبوا بعده إلا دما .

وأما كلام أئمة التابعين فى هذا الفصل فكثير جداً يطول ذكرنا له ، فمن ذلك قول أبى مسلم الخولانى حين رأى الوفد الذين قدموا من قتله انكم مثلهم او أعظم جرماً اما مررتم ببلاد ثمود ؟ قالوا : نعم ! قال : فأشهد

أنسكم مثلهم ، لخليفة الله أكرم عليه من ناقته . وقال ابن علية عن يونس بن عبيد عن الحسن . قال : لو كان قتل عثمان هدى لاحتلبت به الأمة لبنا ، ولكنه كان ضلالا فاحتلبت به الأمة دماً . وقال أبوجعفر الباقر : كان قتل عثمان على غير وجه الحق .

وهذا ذكر بعض ما رُثي به رضي الله عنه

قال مجالد عن الشعبي : ما سمعت من مراثي عثمان أحسن من قول كعب بن مالك :

فكفَّ يديه ثم أغلقَ بابهُ * وأيقنَ أنَّ اللهَ ليسَ بغافلِ
وقالَ لأهلِ الدارِ لا تقتلوهمُ * عفا اللهُ عن كلِ امرئٍ لم يقاتلِ
فكيفَ رأيتَ اللهَ صبَّ عليهمُ * العداوةَ والبغضاءَ بعدَ التواصلِ
وكيفَ رأيتَ الخيرَ أدبرَ بعدهُ * عنِ الناسِ إدبارَ النعامِ الجوافلِ

وقد نسب هذه الأبيات سيف بن عمر إلى أبي المغيرة الأخنس بن شريق . وقال سيف بن عمر : وقال حسان بن ثابت :

ماذا أردتم من أخي الدين باركت * يدُ اللهِ في ذاكَ الأديمِ المقددِ
قتلتم وليَّ اللهِ في جوفِ دارهِ * وجئتم بأمرٍ جائرٍ غيرِ مهتدِ
فهلا رعيتم ذمةَ اللهِ بينكم * وأوفيتم بالعهدِ عهدِ محمدِ
ألم يكُ فيكمْ ذا بلاءٍ ومصدقٍ * وأوفاكمُ عهداً لدى كلِ مشهدِ
فلا ظفرتْ أيمانُ قومٍ تبايعوا * على قتلِ عثمانَ الرشيدِ المسددِ

وقال ابن جرير : وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

من سرهُ الموتُ صرفاً لا مزاجَ لهُ * فليأتِ مأسدةً في دارِ عثمانا
مستحقبي حلقَ الماذيِّ قد سفعتْ * فوقَ المخاطمِ بيضٌ زانَ أبدانا
ضحوا بأشمطَ عنوانِ السجودِ بهِ * يقطعُ الليلَ تسبيحاً وقرآنا
صبراً فدى لكمُ أمي وما ولدتْ * قد ينفعُ الصبرُ في المكروهِ أحيانا
فقد رضينا بأرضِ الشامِ نافرةً * وبالأميرِ وبالاخوانِ إخوانا
إني لمنهمْ وإنْ غابوا وإنْ شهدوا * ما دمتُ حياً وما سُميتُ حسانا
لتسمعنَّ وشيكاً في ديارهمُ * اللهُ أكبرُ يا ثاراتِ عثمانا
ياليتَ شعري وليتَ الطيرَ تخبرني * ما كانَ شأنُ عليٍ وابنِ عفانا

[وهو القائل أيضاً

إنْ تمسِ دارُ ابن أروى منهُ خاويةً * بابٌ صريعٌ وبابٌ محرقٌ خربُ
فقدْ يصادفُ باغى العرفِ حاجتهُ * فيها ويأوى إليها الجدُ والحسبُ
يامعشرَ الناسِ ابدوا ذاتَ أنفسكمُ * لايستوى الصدقُ عندَ اللهِ والكذبُ

وقال الفرزدق

إنَّ الخلافةَ لمـا أظعنتْ ظعنتْ * عنْ أهلِ يثربَ إذْ غيرَ الهدى سلكوا
صارتْ إلى أهلها منهمْ ووارثها * لما رأى اللهُ فى عثمانَ ما انتهكوا
السافكى دمهُ ظلماً ومعصيـةً * أي دمٍ لا هدوا منْ غيِّهم سفكوا[(١)]

وقال راعى الابل النميرى فى ذلك :

عشيةَ يدخلونَ بغيرِ إذنٍ * على متوكلٍ أوفى وطابا
خليلُ محمدٍ ووزيرُ صدقٍ * ورابعُ خيرِ مَنْ وطىءَ الترابا

فصل

إن قال قائل كيف وقع قتل عثمان رضى الله عنه بالمدينة وفيها جماعة من كبار الصحابة رضى الله عنهم ؟ فجوابه من وجوه (أحدها) أن كثيراً منهم بل أكثرهم أو كلهم لم يكن يظن أنه يبلغ الأمر إلى قتله ، فان أولئك الأحزاب لم يكونوا يحاولون قتله عينا ، بل طلبوا منه أحد أمور ثلاثة إما أن يعزل نفسه ، أو يسلم إليهم مروان بن الحكم ، أو يقتلوه ، فكانوا يرجون أن يسلم إلى الناس مروان ، أو أن يعزل نفسه ويستريح من هذه الضائقة الشديدة . وأما القتل فما كان يظن أحد أنه يقع ، ولا أن هؤلاء يجترؤن عليه إلى ما هذا حده ، حتى وقع ماوقع والله أعلم . ــ الثانى ــ أن الصحابة مانعوا دونه أشد الممانعة ، ولكن لما وقع التضييق الشديد ، عزم عثمان على الناس أن يكفوا أيديهم ويغمدوا أسلحتهم ففعلوا ، فتمكن أولئك مما أرادوا ، ومع هذا ماظن أحد من الناس أنه يقتل بالكلية ــ الثالث ــ أن هؤلاء الخوارج لما اغتنموا غيبة كثير من أهل المدينة فى أيام الحج ، ولم تقدم الجيوش من الآفاق للنصرة ، بل لما اقترب مجيئهم ، انتهزوا فرصتهم ، قبحهم الله ، وصنعوا ماصنعوا من الأمر العظيم ــ الرابع ــ أن هؤلاء الخوارج كانوا قريبا من ألفى مقاتل من الأبطال ، وربما لم يكن فى أهل المدينة هذه العدة من المقاتلة ، لأن الناس كانوا فى الثغور وفى الأقاليم فى كل جهة ، ومع هذا كان كثير من الصحابة اعتزل هذه الفتنة ولزموا بيوتهم ، ومن كان يحضر منهم المسجد لايجىء إلا ومعه السيف ، يضعه على حبوته إذا احتبى ، والخوارج محدقون بدار عثمان رضى الله عنه ، وربما

(١) زيادة من تاريخ البدر العينى نقلها فى سياق عبارة ابن كثير.

لو أرادوا صرفهم عن الدار لما أمكنهم ذلك ، ولكن كبار الصحابة قد بعثوا أولادهم إلى الدار يحاجفون عن عثمان رضى الله عنه، لكى تقدم الجيوش من الأمصار لنصرته ، فما فجئ الناس إلا وقد ظفر أولئك بالدار من خارجها ، وأحرقوا بابها ، وتسوروا عليه حتى قتلوه ، وأما مايذكره بعض الناس من أن بعض الصحابة أسلمه ورضى بقتله ، فهذا لايصح عن أحد من الصحابة أنه رضى بقتل عثمان رضى الله عنه ، بل كلهم كرهه ، ومقته ، وسب من فعله ، ولكن بعضهم كان يود لو خلع نفسه من الأمر ، كعمار بن ياسر ، ومحمد بن أبى بكر ، وعمرو بن الحمق وغيرهم .

وقد ذكر ابن عساكر فى ترجمة سهم بن خنش أوخنيش أوخنش الأزدى -وكان قد شهد الدار- ورواه محمد بن عائذ عن إسماعيل بن عياش عن محمد بن يزيد الرحبى عنه وكان قد استعاده عمر بن عبدالعزيز إلى دير سمعان فسأله عن مقتل عثمان فذكر ما ملخصه ان وفد السبائية وفد مصر كانوا قد قدموا على عثمان فأجازهم وأرضاهم فانصرفوا راجعين ثم كروا إلى المدينة فوافقوا عثمان قد خرج لصلاة الغداة أو الظهر فحصبوه بالحصا والنعال والخفاف فانصرف إلى الدار ومعه أبو هريرة والزبير وابنه عبد الله وطلحة ومروان والمغيرة بن الأخنس فى ناس ، وأطاف وفد مصر بداره ، فاستشار الناس فقال عبد الله ابن الزبير : يا أمير المؤمنين إنى أشير باحدى ثلاث خصال إما أن تحرم بعمرة فيحرم عليهم دماؤنا وإما أن نركب معك إلى معاوية بالشام ، وإما أن نخرج فنضرب بالسيف إلى أن يحكم الله بيننا وبينهم فأنا على الحق وهم على الباطل . فقال عثمان : أما ما ذكرت من الاحرام بعمرة فتحرم دماؤنا فانهم يرونا ضلالا الآن وحال الأحرام وبعد الأحرام، وأما الذهاب إلى الشام فانى استحيى أن أخرج من بينهم خائفا فيرانى أهل الشام وتسمع الأعداء من الكفار ذلك ، وأما القتال فانى أرجو أن ألقى الله وليس يهراق بسببى محجمة دم . قال : ثم صلينا معه صلاة الصبح ذات يوم فلما فرغ أقبل على الناس فقال : إنى رأيت أبا بكر وعمر أتيانى الليلة فقالا لى : صم يا عثمان فانك تفطر عندنا ، وإنى أشهدكم أنى قد أصبحت صائما وإنى أعزم على من كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخرج من الدار سالما مسلوما منه . فقلنا : ياأمير المؤمنين إن خرجنا لم نأمن منهم علينا فأذن لنا أن نكون معه فى بيت من الدار تكون لنا فيه جماعة ومنعة ، ثم أمر بباب الدار ففتح ودعا بالمصحف فأكب عليه وعنده امرأتاه بنت الفرافصة وابنة شيبة فكان أول من دخل عليه محمد بن أبى بكر فأخذ بلحيته فقال : دعها يا ابن أخى فوالله لقد كان أبوك يتلهف لها بأدنى من هذا، فاستحيى فخرج فقال للقوم : قد أشعرته لكم وأخذ عثمان ما امتعط من لحيته فأعطاه إحدى امرأتيه ثم دخل رومان بن سودان رجل أزرق قصير محدد عداده من مراد معه حرف من حديد فاستقبله فقال : على أى ملة أنت يا نعثل ؟ فقال عثمان : لست بنعثل ولكنى عثمان بن عفان ، وأنا على ملة إبراهيم حنيفا مسلما وما أنا من المشركين فقال : كذبت ، وضربه بالحرف على صدغه الأيسر فقتله فخر فأدخلته نائلة بينها وبين ثيابها -وكانت جسيمة ضليعة- فألقت نفسها عليه وألقت بنت شيبة نفسها على ما بقى من جسده ودخل رجل من أهل مصر بالسيف مصلتا فقال : والله لأقطعن أنفه فعالج المرأة عنه فغلبته فكشف عنها درعها من

خلفها حتى نظر إلى متنها فلما لم يصل إليه أدخل السيف بين قرطها ومنكبها فقبضت على السيف فقطع أناملها، فقالت: يارباح، لغلام عثمان أسود ياغلام ادفع عنى هذا الرجل، فمشى إليه الغلام فضربه فقتله وخرج أهل البيت يقاتلون عن أنفسهم فقتل المغيرة بن الأخنس وجرح مروان قال: فلما أمسينا قلنا: إن تركتم صاحبكم حتى يصبح مثلوا به فاحتملناه إلى بقيع الفرقد فى جوف الليل وغشينا سواد من خلفنا فهبناهم وكدنا أن نتفرق عنه فنادى مناديهم: أن لا روع عليكم اثبتوا إنما جئنا لنشهده معكم ـ وكان أبو حبيش يقول: هم ملائكة الله ـ فدفناه ثم هربنا إلى الشام من ليلتنا فلقينا الجيش بوادى القرى عليه حبيب بن مسلمة قد أتوا فى نصرة عثمان فأخبرناهم بقتله ودفنه.

قال أبو عمر بن عبد البر: دفنوا عثمان رضى الله عنه بحش كوكب ـ وكان قد اشتراه وزاده فى البقيع ـ ولقد أحسن بعض السلف إذ يقول وقد سئل عن عثمان: هو أمير البررة، وقتيل الفجرة، مخذول من خذله، منصور من نصره.

وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبى فى آخر ترجمة عثمان وفضائله ـ بعد حكايته هذا الكلام: الذين قتلوه أو ألبوا عليه قتلوا إلى عفو الله ورحمته، والذين خذلوه خذلوا وتنغص عيشهم، وكان الملك بعده فى نائبه معاوية وبنيه، ثم فى وزيره مروان وثمانية من ذريته، استطالوا حياته وملوه مع فضله وسوابقه، فتملك عليهم من هو من بنى عمه بضعا وثمانين سنة، فالحكم لله العلى الكبير. وهذا لفظه بحروفه

بعض الأحاديث الواردة في فضائل عثمان بن عفان

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. أبو عمرو وأبو عبد الله، القرشى، الأموى، أمير المؤمنين، ذو النورين، وصاحب الهجرتين، وزوج الابنتين. وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس. وأمها أم حكيم وهى البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله (ص)، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثلاثة الذين خلصت لهم الخلافة من الستة، ثم تعينت فيه باجماع المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم، فكان ثالث الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، المأمور باتباعهم والاقتداء بهم.

أسلم عثمان رضى الله عنه قديما على يدى أبى بكر الصديق، وكان سبب إسلامه عجيبا فيما ذكره الحافظ ابن عساكر، وملخص ذلك أنه لما بلغه أن رسول الله (ص) زوج ابنته رقية ـ وكانت ذات جمال ـ من ابن عمها عتبة بن أبى لهب، تأسف إذ لم يكن هو تزوجها، فدخل على أهله مهموما فوجد عندهم خالته سعدى بنت كريز ـ وكانت كاهنة ـ فقالت له: أبشر وحييت ثلاثا تترا، ثم ثلاثا

وثلاثا أخرى ، ثم بأخرى كى تتم عشرا ، أتاك خير ووقيت شراً ، أنكحت والله حصانا زهرا ، وأنت بكر ولقيت بكرا ، وافيتها بنت عظيم قدرا ، بنيت أمراً قد أشاد ذكرا * قال عثمان : فعجبت من أمرها حيث تبشرنى بالمرأة قد تزوجت بغيرى : فقلت : ياخالة ! ماتقولين ؟ فقالت : عثمان لك الجمال ، ولك اللسان ، هذا النبى معه البرهان . أرسله بحقه الديان . وجاءه التنزيل والفرقان ، فاتبعه لاتغتالك الأوثان . قال : فقلت إنك لتذكرين أمراً ما وقع ببلدنا . فقالت : محمد بن عبد الله ، رسول من عند الله ، جاء بتنزيل الله ، يدعو به إلى الله ، ثم قالت : مصباحه مصباح ، ودينه فلاح ، وأمره نجاح ، وقرنه نطاح ، ذلت له البطاح ، ما ينفع الصياح ، لو وقع الذباح ، وسلت الصفاح ومدت الرماح . قال عثمان : فانطلقت مفكراً فلقينى أبو بكر فأخبرته ، فقال : ويحك يا عثمان إنك لرجل حازم ، ما يخفى عليك الحق من الباطل ، ما هذه الأصنام التى يعبدها قومنا ؟ أليست من حجارة صم لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ؟ قال : قلت بلى ! والله إنها لكذلك ، فقال : والله لقد صدقتك خالتك ، هذا رسول الله محمد بن عبد الله ، قد بعثه الله إلى خلقه برسالته ، هل لك أن تأتيه ؟ فاجتمعنا برسول الله فقال : ياعثمان أجب الله إلى حقه ، فانى رسول الله إليك و إلى خلقه قال : فوالله ما تمالكت نفسى منذ سمعت رسول الله (ص.) أن أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ثم لم ألبث أن تزوجت رقية بنت رسول الله (ص.) فكان يقال :

أحسنُ زوج رآه إنسانُ * رقيةٌ وزوجها عثمانْ

فقالت فى ذلك سعدى بنت كريز :

هدى اللهُ عثمانا بقولى إلى الهدى * وأرشدهُ واللهُ يهدى إلى الحقِ
فتابعَ بالرأيِ السديدِ محمداً * وكانَ برأيٍ لا يصدُ عنِ الصدقِ
وأنكحهُ المبعوثُ بالحقِ بنتهُ * فكانا كبدرٍ مازجَ الشمسَ فى الأفقِ
فداؤكَ يا ابنَ الهاشميينَ مهجتى * وأنتَ أمينُ الله أرسلتَ للخلقِ

قال : ثم جاء أبو بكر من الغد بعثمان بن مظعون ، و بأبى عبيدة ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبى سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبى الأرقم ، فأسلموا وكانوا مع من اجتمع مع رسول الله ثمانية وثلاثون رجلا . وهاجر إلى الحبشة أول الناس ومعه زوجته رقية بنت رسول الله (ص.) ، ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة ، فلما كانت وقعة بدر اشتغل بتمريض ابنة رسول الله (ص.) ، وأقام بسببها فى المدينة ، وضرب له رسول الله (ص.) بسهمه منها وأجره فيها ، فهو معدود فيمن شهدها . فلما توفيت زوجه رسول الله (ص.) بأختها أم كلثوم فتوفيت أيضا فى صحبته ، وقال رسول الله (ص.) : « لو كان عندنا أخرى لزوجناها بعثمان » وشهد أحداً وفر يومئذ فيمن تولى ، وقد نص الله على العفو عنهم ، وشهد

الخندق والحديبية ، وبايع عنه رسول الله (ص) يومئذ باحدى يديه ، وشهد خيبر وعمرة القضاء ، وحضر الفتح وهوازن والطائف وغزوة تبوك ، وجهز جيش العسرة. وتقدم عن عبدالرحمن بن خباب أنه جهزهم يومئذ بثلاثمائة بعير بأقتابها وأحلاسها ، وعن عبد الرحمن بن سمرة أنه جاء يومئذ بألف دينار فصبها فى حجر رسول الله (ص) فقال (ص) : ماضر عثمان مافعل بعد هذا اليوم مرتين . وحج مع رسول الله (ص) حجة الوداع ، وتوفى وهو عنه راض ، وصحب أبا بكر فأحسن صحبته ، وتوفى وهو عنه راض ، وصحب عمر فأحسن صحبته وتوفى وهو عنه راض . ونص عليه فى أهل الشورى الستة ، فكان خيرهم كما سيأتى .

فولى الخلافة بعده ففتح الله على يديه كثيراً من الأقاليم والأمصار ، وتوسعت المملكة الاسلامية ، وامتدت الدولة المحمدية ، و بلغت الرسالة المصطفوية فى مشارق الأرض ومغاربها ، وظهر للناس مصداق قوله تعالى : [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً] وقوله تعالى :[هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون] وقوله (ص) : « إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، و إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله » وهذا كله تحقق وقوعه وتأكد وتوطد فى زمان عثمان رضى الله عنه .

وقد كان رضى الله عنه حسن الشكل ، مليح الوجه ، كريم الأخلاق ، ذا حياء كثير ، وكرم غزير ، يؤثر أهله وأقاربه فى الله ، تأليفاً لقلوبهم من متاع الحياة الدنيا الفانى ، لعله يرغبهم فى إيثار ما يبقى على ما يفنى ، كما كان النبى (ص) يعطى أقواماً ويدع آخرين ، يعطى أقواماً خشية أن يكبهم الله على وجوههم فى النار ، و يكل آخرين إلى ما جعل الله فى قلوبهم من الهدى والايمان ، وقد تعنت عليه بسبب هذه الخصلة أقوام ، كما تعنت بعض الخوارج على رسول الله (ص) فى الايثار . وقد قدمنا ذلك فى غزوة حنين حيث قسم غنائمها * وقد وردت أحاديث كثيرة فى فضل عثمان رضى الله عنه نذكر ما تيسر منها إن شاء الله و به الثقة ، وهى قسمان ـ الأول ـ فيما ورد فى فضائله مع غيره .

فمن ذلك الحديث الذى رواه البخارى فى صحيحه : حدثنا مسدد ثنا يحيى بن سعيد عن سعيد عن قتادة أن أنساً حدثهم قال : « صعد النبى (ص) أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف فقال : اسكن أحد ـ أظنه ضربه برجله ـ فليس عليك إلا نبى وصديق وشهيدان » تفرد به دون مسلم وقال الترمذى : ثنا قتيبة ثنا عبد العزيز بن محمد عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) « كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى بن أبى طالب وطلحة والزبير ،

فتحركت الصخرة ، فقال النبي (ص.) : «اهدئي فما عليك إلا نبي أو صديق أو شـهيد » . ثم قال في الباب : عن عثمان بن سـعيد بن زيد وابن عباس ، وسهيل بن سـعد ، وأنس بن مالك ، وبريدة الأسلمي ؛ وهذا حديث صحيح . قلت : ورواه أبو الدرداء ، ورواه الترمذي عن عثمان في خطبته يوم الدار ، وقال : على ثبير .

حديث آخر

وهو عن أبي عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري قال : كنت مع رسول الله (ص.) في حائط ، فأمرني بحفظ الباب ، فجاء رجل يستأذن فقلت : من هذا ؟ قال : أبو بكر ، فقال رسول الله (ص.) : ائذن له وبشره بالجنـة . ثم جاء عمر فقال ائذن له و بشره بالجنـة ، ثم جاء عثمان فقال : ائذن له وبشره بالجنة عـلى بلوى تصيبه ، فدخل وهو يقول : اللهم صبراً وفي رواية ـ الله المستعان » رواه عنه قتادة وأيوب السختياني . وقال البخاري : وقال حماد بن زيد : حدثنا عاصم الأحول وعلى بن الحـكم سمعا أبا عثمان يحدث عن أبي موسى الأشعري بنحوه ، وزاد عاصم أن رسول الله (ص.) كان قاعداً في مكان قد انـكشف عن ركبتيه ، أو ركبته ، فلما دخل عثمان غطاها . وهـو في الصحيحين أيضا من حـديث سعيد بن المسيب عن أبي موسى ، وفيه « أن أبا بكر وعمر دليا أرجلهما مع رسول الله في باب القف وهو في البئر ، وجاء عثمان فلم يجـد له موضعاً » قال سـعيد : فأولت ذلك قبورهم اجتمعت وانفرد عثمان .

وقال الامام أحمد : حدثنا يزيد بن مروان ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة . قال : قال نافع بن الحارث : « خرجت مع رسول الله (ص.) حتى دخـل حائطا فقال : امسك عـلى الباب ، فجاء حتى جلس على القف ودلى رجليه ، فضرب الباب فقلت : من هذا ؟ فقال : أبو بكر ، فقلت يارسول الله هذا أبو بكر ، قال : ائذن له و بشره بالجنة ، فدخل فجلس مع رسول الله (ص.) على القف ودلى رجليه في البئر ، ثم ضرب الباب : فقلت : من هذا ؟ قال : عمر ، قلت : يارسول الله هذا عمر ، قال : ائذن له و بشره بالجنة ، ففعلت ، فجاء فجلس مع رسول الله على القف ودلى رجليه في البئر ، ثم ضرب الباب فقلت : من هذا ؟ قال : عثمان ، قلت : يا رسول الله هـذا عثمان ، قال : ائذن له و بشره بالجنة معها بلاء ، فأذنت له و بشرته بالجنة ، فجلس مع رسول الله (ص) على القف ودلى رجليه في البئر » هكذا وقع في هـذه الرواية ، وقد أخرجه أبو داود والنسائي من حـديث أبي سلمة ، فيحتمل أن أبا موسى ونافع بن عبد الحارث كانا موكلين بالباب ، أو أنها قصة أخرى .

وقد رواه الامام أحمـد عن عفان عن وهيب عن موسى بن عقبة سمعت أبا سلمة ولا أعلمه إلا عن نافع بن عبـد الحارث « أن رسول الله (ص.) دخل حائطا فجلس عـلى قف البئر ، فجاء أبو بكر

فاستأذن فقال لأبي موسى : ائذن له و بشره بالجنة . ثم جاء عمر فقال : ائذن له و بشره بالجنة ، ثم جاء عثمان فقال : ائذن له و بشره بالجنة وسيلقى بلاء » وهذا السياق أشبه من الأول ، على أنه قد رواه النسائي من حديث صالح بن كيسان عن أبي الزناد عن أبي سلمة عن عبد الرحمن بن نافع بن عبد الحارث عن أبي موسى الأشعري فالله أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا يزيد أنا همام عن قتادة عن ابن سيرين ومحمد بن عبيد عن عبدالله ابن عمر و قال : « كنت مع رسول الله (ص.) فجاء أبو بكر فاستأذن فقال : ائذن له و بشره بالجنة ، ثم جاء عمر فقال : ائذن له و بشره بالجنة ، ثم جاء عثمان فاستأذن فقال ئذن له و بشره بالجنة . قال : قلت فأين أنا ؟ قال : أنت مع أبيك » تفرد به أحمد . وقد رواه البزار وأبو يعلى من حديث أنس بن مالك بنحو ما تقدم .

حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا حجاج ثنا ليث حدثني عقيل عن ابن شهاب عن يحيي بن سعيد بن العاص أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة زوج النبي (ص.) وعثمان حدثاه أن أبا بكر استأذن على النبي (ص.) وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة ، فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف ، فاستأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحالة فقضى إليه حاجته ثم انصرف ، قال عثمان : ثم استأذنت عليه فجلس وقال : اجمعي عليك ثيابك فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت ، فقالت عائشة : يارسول الله ! مالي لا أراك فزعت لأبي بكر وعمر كما فزعت لعثمان ؟ فقال رسول الله (ص.) : إن عثمان رجل حيي ، و إني خشيت إن اذنت له على تلك الحالة لا يبلغ إلى حاجته » قال الليث : وقال جماعة الناس : إن رسول الله (ص.) قال لعائشة : « ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة ؟ (١) » ورواه مسلم من حديث محمد بن أبي حرملة عن عطاء وسليمان بن يسار عن أبي سلمة عن عائشة . ورواه أبو يعلى الموصلي من حديث سهيل عن أبيه عن عائشة . ورواه جبير بن نفير وعائشة بنت طلحة عنها .

وقال الامام أحمد : حدثنا مروان ثنا عبد الله بن يسار سمعت عائشة بنت طلحة تذكر عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله (ص.) « كان جالساً كاشفاً عن فخذه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على حاله ، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له وهو على حاله ، ثم استأذن عثمان فأرخى عليه ثيابه ، فلما قاموا قلت : يارسول الله استأذن عليك أبو بكر وعمر فأذنت لهما وأنت على حالك ، فلما استأذن عثمان أرخيت عليك ثيابك : فقال : يا عائشة ألا نستحي من رجل والله إن الملائكة لتستحي منه ؟ » .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

---

(١) كذا في المصرية . وفي الحلبية : ملائكة الرحمن .

طريق أخرى عن حفصة

رواه الحسن بن عرفة وأحمد بن حنبل عن روح بن عبادة عن ابن جريج ، أخبرنى أبو خالد عثمان بن خالد عن عبد الله بن أبى سعيد المدنى حدثتنى حفصة ، فذكر مثل حديث عائشة ، وفيه : فقال « ألا نستحى ممن تستحى منه الملائكة ؟ » .

طريق أخرى عن ابن عبّاس

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا أبو كريب ثنا يونس بن بكير ثنا النضر ـ هو ابن عبد الرحمن أبو عمر الخزاز الكوفى ـ عن عكرمة عن ابن عباس . قال قال رسول الله (ص) « ألا نستحى ممن تستحى منه الملائكة عثمان بن عفان ؟ » ثم قال البزار : لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا بهذ الاسناد قلت هو على شرط الترمذي ولم يخرجوه .

طريق أخرى عن ابن عمر

قال الطبرانى : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا محمد بن أبى بكر المقدمى ثنا أبو معشر حدثنى إبراهيم بن عمر بن أبان حدثنى أبى عمر بن أبان عن أبيه . قال سمعت عبد الله بن عمر يقول : « بينما رسول الله (ص) جالس وعائشة وراءه إذ استأذن أبو بكر فدخل ، ثم استأذن عمر فدخل ، ثم استأذن سعد بن مالك فدخل ، ثم استأذن عثمان بن عفان فدخل و رسول الله (ص) يتحدث كاشفا عن ركبته ، فرد ثوبه على ركبته حين استأذن عثمان ، وقال لامرأته : استأخرى ، فتحدثوا ساعة ثم خرجوا ، فقالت عائشة : يانبى الله ! دخل أبى وأصحابه فلم تصلح ثوبك على ركبتك ولم تؤخرنى عنك ، فقال النبى (ص) : ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة ؟ والذى نفسى بيده إن الملائكة لتستحى من عثمان كما تستحى من الله ورسوله ، ولو دخل وأنت قريب منى لم يتحدث ولم يرفع رأسه حتى يخرج » هذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه زيادة على ما قبله ، وفى سنده ضعف . قلت : وفى الباب عن على وعبد الله بن أبى أوفى ، وزيد بن ثابت : وروى أبو مروان القرشى عن أبيه عن مالك ، عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال : « عثمان حى تستحى منه الملائكة » .

حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن سفيان عن خالد الحذاء عن أبى قلابة عن أنس . قال قال رسول الله (ص) : « أرحم أمتى أبو بكر ، وأشدها فى دين الله عمر ، وأشدها حياء عثمان ، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأقرؤها لكتاب الله أبى . وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت ، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » [وهكذا رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من

حديث خالد الحذاء ، وقال الترمذى : حسن صحيح . وفى صحيح البخارى ومسلم آخره «ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح »][1] وقد روى هشيم عن كريز بن حكيم عن نافع عن ابن عمر مثل حديث أبى قلابة عن أنس أو نحوه .

حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا يزيد بن عبد ربه ثنا محمد بن حرب حدثنى الزبيدى عن ابن شهاب عن عمرو بن أبان بن عثمان عن جابر بن عبد الله . أنه كان يحدث أن رسول الله (ص) قال : «أرى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ، ونيط عمر بأبى بكر ، ونيط عثمان بعمر ، فلما قمنا من عند رسول الله (ص) قلنا : أما الرجل الصالح فرسول الله (ص) ، واما ما ذكره رسول الله (ص) من نوط بعضهم ببعض ، فهؤلاء ولاة هذا الأمر الذى بعث الله به نبيه (ص) » ورواه أبو داود عن عمرو بن عثمان عن محمد بن حرب ، ثم قال : ورواه يونس وشعيب عن الزهرى فلم يذكرا عمراً .

حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا أبو داود ـ عمر بن سعد ـ ثنا بدر بن عثمان عن عبيد الله بن مروان عن أبى عائشة عن ابن عمر قال : خرج علينا رسول الله (ص) ذات غداة بعد طلوع الشمس فقال : « رأيت قبل الفجر كأنى أعطيت المقاليد والموازين ، فأما المقاليد فهذه المفاتيح ، وأما الموازين فهى التى يوزن بها ، فوضعت فى كفة ووضعت أمتى فى كفة فوزنت بهم فرجحت ، ثم جئ بأبى بكر فوزن فوزن بهم ، ثم جئ بعمر فوزن فوزن بهم ، ثم جئ بعثمان فوزن فوزن بهم ، ثم رفعت » تفرد به أحمد * وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا هشام بن عمار ثنا عمرو بن واقد ثنا يونس بن ميسرة عن أبى إدريس عن معاذ بن جبل . قال قال رسول الله (ص) : « إنى رأيت أنى وضعت فى كفة وأمتى فى كفة فعدلتها ، ثم وضع أبو بكر فى كفة وأمتى فى كفة فعدلها ، ثم وضع عمر فى كفة وأمتى فى كفة فعدلها ، ثم وضع عثمان فى كفة وأمتى فى كفة فعدلها » .

حديث آخر

قال أبو يعلى : حدثنا عبد الله بن مطيع ثنا هشيم عن العوام ، عمن حدثه عن عائشة . قالت : لما أسس رسول الله (ص) مسجد المدينة جاء بحجر فوضعه ، وجاء أبو بكر بحجر فوضعه وجاء عمر بحجر فوضعه ، وجاء عثمان بحجر فوضعه ، قالت : فسئل رسول الله (ص) عن ذلك فقال : « هم أمراء الخلافة من بعدى» . وقد تقدم هذا الحديث فى بناء مسجده أول مقدمه المدينة عليه الصلاة والسلام ، وكذلك تقدم فى دلائل النبوة من حديث الزهرى عن رجل عن أبى ذر فى تسبيح الحصا فى يده

---

(١) سقط من الحلبية

عليه السلام ثم فى كف أبى بكر ، ثم فى كف عمر ، ثم فى كف عثمان ، رضى الله عنهم ، وفى بعض الروايات : فقال رسول الله (ص) : « هذه خلافة النبوة » وسيأتى حديث سفينة أن رسول الله (ص) قال : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا » فكانت ولاية عثمان ومدتها ثنتى عشرة سنة ، من جملة هذه الثلاثين بلا خلاف بين العلماء العاملين ، كما أخبر به سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

حديث آخر

وهو ماروى من طرق متعددة عن رسول الله (ص) أنه شهد للعشرة بالجنة ، وهو أحدهم بنص النبي (ص)

حديث آخر

قال البخارى : حدثنا محمد بن حازم بن بزيغ ثنا شاذان ثنا عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر . قال : « كنا فى زمن النبى (ص) [لا نعدل بأبى بكر أحداً ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نذر أصحاب النبى (ص)] لا نفاضل بينهم » تابعه عبد الله بن صالح بن عبد العزيز ، تفرد به البخارى ، ورواه إسماعيل بن عياش ، والفرج بن فضالة ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن نافع عن ابن عمر . ورواه أبو يعلى عن أبى معشر عن يزيد بن هارون عن الليث عن يزيد بن أبى حبيب عن ابن عمر به .

طريق أخرى عن ابن عمر

قال الامام أحمد : حدثنا أبو معاوية ثنا سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن ابن عمر . قال : « كنا نعد رسول الله (ص) وأصحابه متوافرون أبو بكر وعمر وعثمان ثم نسكت » .

طريق أخرى عن ابن عمر بلفظ آخر

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عمرو بن على وعقبة بن مكرم قالا : ثنا أبو عاصم عن عمر بن محمد عن سالم عن أبيه . قال : كنا نقول فى عهد النبى (ص) : أبو بكر وعمر وعثمان ـ يعنى فى الخلافة ـ وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجوه ، لكن قال البزار : وهذا الحديث قد روى عن ابن عمر من وجوه « كنا نقول أبو بكر وعمر وعثمان ، ثم لا نفاضل بعد » وعمر بن محمد لم يكن بالحافظ ، وذلك : يتبين فى حديثه إذا روى عن غير سالم فلم يقل شيئا . وقد رواه غير واحد من الضعفاء عن الزهرى عن سالم عن أبيه به . وقد اعتنى الحافظ بن عساكر بجمع طرقه عن ابن عمر فأفاد وأجاد . فأما الحديث الذى قال الطبرانى : حدثنا سعيد بن عبد ربه الصفار البغدادى حدثنا على بن جميل الرقى أنا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس . قال قال رسول الله (ص) : « فى الجنة شجرة ـ أو مافى الجنة شجرة ـ شك على بن حنبل ، ماعليها ورقة إلا مكتوب عليها لا إله

إلا الله محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق ، عثمان ذو النورين » فانه حديث ضعيف فى إسناده من تكلم فيه ولايخلو من نكارة ، والله أعلم .

القسم الثاني فيما ورد من فضائله وحده

قال البخارى : حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا أبو عوانة ثنا عثمان بن موهب . قال : « جاء رجل من أهل مصر حج البيت ، فرأى قوما جلوساً فقال : من هؤلاء القوم ؟ قالوا : قريش ، قال : فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبد الله بن عمر . قال : يا ابن عمر ! إنى سائلك عن شئ فحدثنى ، هل تعلم أن عثمان فرّ يوم أحد ؟ قال : نعم ! قال : تعلم أنه تغيب يوم بدر ولم يشهدها ؟ قال : نعم ! قال : تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان ولم يشهدها ؟ قال : نعم ! قال : الله أكبر ، قال ابن عمر : تعال ابيِّن لك ، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له ، وأما تغيبه عن بدر فانه كان تحته بنت رسول الله و كانت مريضة ، فقال له رسول الله : إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه ، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه ، فبعث رسول الله (ص) عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد ماذهب عثمان إلى مكة ، فقال النبى (ص) : بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان فقال له ابن عمر : اذهب بها الآن معك » تفرد به دون مسلم .

طريق أخرى

وقال الامام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ثنا زائدة عن عاصم عن سفيان. قال : لقى عبدالرحمن ابن عوف الوليد بن عقبة ، فقال له الوليد : مالى أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان ؟ فقال له عبد الرحمن : أبلغه أنى لم أفر يوم حنين ، قال عاصم : يقول يوم أحد - ولم أتخلف عن يوم بدر ، ولم أترك سنة عمر ، قال : فانطلق فخبر بذلك عثمان فقال : أما قوله : إنى لم أفر يوم حنين ، فكيف يعيرنى بذلك وقد عفا الله عنى فقال : [إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم] وأما قوله : إنى تخلفت يوم بدر ، فانى كنت أمرض رقية بنت رسول الله (ص) وقد ضرب لى رسول الله (ص) ، ومن ضرب له رسول الله (ص) بسهم فقد شهد ، وأما قوله : ولم أترك سنة عمر ، فانى لا أطيقها ولا هو ، فانه يحدثه بذلك .

حديث آخر

قال البخارى : حدثنا أحمد بن شبيب بن سعد ثنا أبى عن يونس قال ابن شهاب : أخبرنى عروة أن عبيد الله بن عدى بن الخيار أخبره أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا : ما يمنعك أن تكلم عثمان لأخيه الوليد فقد أكثر الناس فيه ؟ فقصدت لعثمان حين خرج إلى الصلاة . فقلت : إن لى إليك حاجة ، وهى نصيحة لك ، فقال : يا أيها المرء منك قال

أبو عبد الله قال معمر : أعوذ بالله منك ـ فانصرفت فرجعت إليهم إذ جاء رسول عثمان فأتيته فقال ما نصيحتك ؟ فقلت : إن الله بعث محمداً بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، وكنت ممن استجاب لله ولرسوله ، وهاجرت الهجرتين ، وصحبت رسول الله (ص) ورأيت هديه ، وقد أكثر الناس فى شأن الوليد . فقال : أدركت رسول الله (ص) ؟ فقلت : لا ! ولكن خلص إلى من علمه ما يخلص إلى العذراء فى سترها ، قال : أما بعد ! فان الله بعث محمداً بالحق وكنت ممن استجاب لله ولرسوله فا منت بما بعث به ، وهاجرت الهجرتين كما قلت ، وصحبت رسول الله (ص) وبايعته ، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله عز وجل ، ثم أبو بكر مثله ، ثم عمر مثله ، ثم استخلفت ، أفليس لى من الحق مثل الذى لهم ؟ قلت : بلى ! قال : فما هذه الأحاديث التى تبلغنى عنكم ؟ أما ما ذكرت من شأن الوليد فسآخذ فيه بالحق إن شاء الله . ثم دعا علياً فأمره أن يجلده فجلده ثمانين .

حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ثنا الوليد بن مسلم حدثنى ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن عامر عن النعمان بن بشير عن عائشة رضى الله عنها قالت : « أرسل رسول الله (ص) إلى عثمان بن عفان فجاء فأقبل عليه رسول الله (ص) » فلما رأينا إقبال رسول الله (ص) على عثمان أقبلت إحدانا على الأخرى فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه وقال : يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصا فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى ثلاثا . فقلت لها يا أم المؤمنين ؟ فأين كان هذا عنك ؟ قالت : نسيته والله ما ذكرته ، قال : فأخبرته معاوية بن أبى سفيان فلم يرض بالذى أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين : أن اكتبى إلىّ به ، فكتبت إليه به كتابا » وقد رواه أبو عبد الله الجيري عن عائشة وحفصة بنحو ما تقدم . ورواه قيس بن أبى حازم وأبو سلمة عنها . ورواه أبو سهلة عن عثمان : « إن رسول الله (ص) عهد إلى عهداً فأنا صابر نفسى عليه » ورواه فرج بن فضالة عن محمد بن الوليد الزبيدى عن الزهرى عن عروة عن عائشة فذكره ، قال الدارقطنى : تفرد به الفرج بن فضالة ورواه أبو مروان محمد عن عثمان بن خالد العانى عن أبيه عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه [عن هشام بن عروة عن أبيه][1] عن عائشة . ورواه ابن عساكر من طريق المنهال بن عمر عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عنها . ورواه ابن أسامة عن الجريرى : حدثنى أبو بكر العدوى . قال : سألت عائشة ، وذكر عنها نحو ما تقدم [تفرد به الفرج بن فضالة][2] ورواه حصين عن مجاهد عن عائشة بنحوه .

وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن كنانة الأسدى أبو يحيى ثنا إسحاق بن سعيد عن أبيه . قال:

---

(١) و (٢) زيادة من الحلبية . وفيها : ورواه خصيف .

بلغنى أن عائشة قالت : « ما استمعت رسول الله (ص) إلا مرة ، فان عثمان جاءه فى حر الظهيرة فظننت أنه جاءه فى أمر النساء ، فحملتنى الغيرة على أن أصغيت إليه فسمعته يقول : إن الله ملبسك قميصاً يريدك أمتى على خلعه فلا تخلعه . فلما رأيت عثمان يبذل لهم ما سألوه إلا خلعه علمت أنه عهد من رسول الله (ص) الذى عهد إليه .

طريق أخرى

قال الطبرانى : حدثنا مطلب بن سعيد الأزدى ثنا عبد الله بن صالح ثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن ربيعة بن سيف ، قال : كنا عند شفى الأصبحى فقال : حدثنا عبد الله بن عمر قال : « التفت رسول الله (ص) فقال : ياعثمان إن الله كساك قميصا فأرادك الناس على خلعه فلا تخلعه ، فوالله لئن خلعته لاترى الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط » وقد رواه أبو يعلى من طريق عبد الله بن عمر عن أخته حفصة أم المؤمنين . وفى سياق متنه غرابة والله أعلم .

حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد حدثتنى فاطمة بنت عبد الرحمن قالت : حدثتنى أمى أنها سألت عائشة وأرسلها عمها فقال : قولى إن احد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان بن عفان فان الناس قد شتموه ، فقالت : « لعن الله من لعنه ، فوالله لقد كان قاعداً عند رسول الله (ص) ، وإن رسول الله لمسند ظهره إلى ، وإن جبريل ليوحى إليه القرآن ، و إنه ليقول له : اكتب ياعثيم ، قالت عائشة : فما كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كريما على الله و رسوله » ثم رواه الامام أحمد عن يونس عن عمر بن إبراهيم اليشكرى عن أمه عن أمها أنها سألت عائشة عند الكعبة عن عثمان فذكرت مثله .

حديث آخر

قال البزار : حدثنا عمر بن الخطاب قال : ذكر أبو المغيرة عن صفوان بن عمرو عن ماعز التميمى عن جابر « أن رسول الله (ص) ذكر فتنة فقال أبو بكر : أنا أدركها ؟ فقال : لا ! فقال عمر أنا يارسول الله أدركها ؟ قال : لا ! فقال عثمان : يارسول الله فأنا أدركها ؟ قال : بك يبتلون » قال البزار : وهذا لانعلمه يروى إلا من هذا الوجه .

حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا أسود بن عمر ثنا سنان بن هارون ثنا كليب بن واصل عن ابن عمر . قال : « ذكر رسول الله (ص) فتنة فقال يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوما ، فنظرت فاذا هو عثمان بن عفان » . ورواه الترمذى عن إبراهيم بن سعيد عن شاذان به وقال : حسن غريب .

حديث اخر

قال الامام أحمد : حدثنا عفان ثنا وهيب ثنا موسى بن عقبة حدثنى أبو أمى ابو حنيفة أنه دخل الدار وعثمان محصور فيها ، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان فى الكلام فأذن له ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنى سمعت رسول الله (ص) يقول : « إنكم تلقون بعدى فتنة واختلافاً - أو قال : اختلافا وفتنة - فقال له قائل من الناس : فمن لنا يا رسول الله ؟ قال : عليكم بالأمين وأصحابه وهو يشير إلى عثمان بذلك » تفرد به أحمد و إسناده جيد حسن ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو أسامة ثنا حماد بن أسامة ثنا كهمس بن الحسن عن عبد الله بن شقيق حدثنى هرم بن الحارث وأسامة بن خزيم - وكانا يغازيان - فحدثانى حديثا ولم يشعر كل واحد منهما أن صاحبه حدثنيه عن مرة البهزى قال « بينما نحن مع رسول الله (ص) فى طريق من طرق المدينة فقال : كيف تصنعون فى فتنة تثور فى أقطار الأرض كأنها صياصى بقر ؟ قالوا : نصنع ماذا يارسول الله ؟ قال : عليكم هذا وأصحابه - أو اتبعوا هذا وأصحابه - قال : فأسرعت حتى عييت فأدركت الرجل فقلت : هذا يارسول الله ؟ قال : هذا ، فاذا هو عثمان بن عفان » فقال : هذا وأصحابه فذكره .

طريق أخرى

وقال الترمذى فى جامعه : حدثنا محمد بن بشار ثنا عبد الوهاب الثقفى ثنا أيوب عن أبى قلابة عن أبى الأشعث الصنعانى أن خطبا قامت بالشام وفيهم رجال من أصحاب النبى (ص) رجل يقال له مرة بن كعب ، فقال : لولا حديث سمعته من رسول الله (ص) ماتكلمت ، وذكر الفتن فقربها فمر رجل متقنع فى ثوب ، فقال : هذا يومئذ على الهدى فقمت اليه . فاذا هو عثمان بن عفان ، فأقبلت عليه بوجهه فقلت : هذا ؟ قال نعم! » ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح . وفى الباب عن ابن عمر وعبد الله بن حوالة وكعب بن عجرة . قلت : وقد رواه أسد بن موسى عن معاوية بن صالح حدثنى سليم بن عامر عن جبير بن نفير عن مرة بن كعب البهزى فذكر نحوه ، [وقد رواه الامام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدى عن معاوية عن صالح عن سليم بن عامر عن جبير بن نفير عن كعب بن مرة البهزى](١) ، الصحيح مرة بن كعب كما تقدم ، وأما حديث إبن حوالة ، فقال حماد بن سلمة عن سعيد الجريرى عن عبد الله بن سفيان(٢) عن عبد الله بن شقيق عن عبد الله بن حوالة . قال قال رسول الله (ص) : « كيف أنت وفتنة تكون فى أقطار الأرض ؟ قلت : ماخار الله لى و رسوله ؛ قال اتبع هذا الرجل ، فانه يومئذ ومن اتبعه على الحق قال : فاتبعته فأخذت بمنكبه ففتلته فقلت : هذا

(١) زيادة من الحلبية . (٢) كذا فى المصرية بزيادة عبد الله بن سفيان .

يارسول الله ؟ فقال : نعم ! فاذا هو عثمان بن عفان » وقال حرملة ن ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط عن ابن حوالة . قال قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من نجا منهن فقد نجا ، موتى ، وخروج الدجال وقتل خليفة مصطبر قوام بالحق يعطيه .

وأما حديث كعب بن عجرة . فقال الامام أحمد : حدثنا إسحاق بن سليمان الرازى أخبرنى معاوية بن صلم عن مطر الوراق عن ابن سيرين عن كعب بن عجرة قال : « ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقربها وعظمها قال ثم مر رجل مقنع فى ملحفة فقال : هذا يومئذٍ على الحق قال فانطلقت مسرعا أو محضرا وأخذت بضبعيه فقلت : هـذا يارسول الله ؟ قال : هـذا فاذا هو عثمان بن عفان » ثم رواه أحمد عن يزيد بن هارون عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن كعب بن عجرة فذكر مثله . ورواه أبو يعلى عن هدبة عن همام عن قتادة عن محمد بن سيرين عن كعب بن عجرة . وكذا رواه أبو عون عن ابن سرين عن كعب . وقد تقدم حديث أبى ثور التميمى عنه فى قوله فى الخطبة التى خاطب بها الناس من داره : والله ماتغنيت ولا تمنيت ولازنيت فى جاهلية ولا إسلام ولا مسست فرجى بيمينى منذ بايعت بها رسول الله ﷺ ، وأنه كان يعتق كل يوم جمعة عتيقا فان تعذر عليه أعتق فى الجمعة الأخرى عتيقين . وقال مولاه حمران : كان عثمان يغتسل كل يوم منذ أسلم . رضى الله عنه .

حديث آخر

قال الامام أحمد : حدثنا على بن عباس ثنا الوليد بن مسلم أنبأنا الأوزاعى عن محمد بن عبد الملك ابن مروان أنه حدثه عن المغيرة بن شعبة أنه دخل على عثمان وهو محصور فقال : « إنك إمام العامة وقد نزل بك ما ترى وإنى أعرض عليك خصالا ثلاثا اختر إحداهن ، إما أن تخرج فتقاتلهم فان معك عددا وقوة وأنت على الحق وهم على الباطل ، وإما أن تخرق بابا سوى الباب الذى هم عليه فتقعد على رواحلك فتلحق مكة ، فانهم لن يستحلوك وأنت بها ، وإما أن تلحق بالشام فانهم أهل الشام وفيهم معاوية . فقال عثمان : أما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خلف رسول الله ﷺ فى أمته بسفك الدماء ، وأما أن أخرج إلى مكة فانهم لن يستحلونى بها ، فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم ، ولن أكون أنا ، وأما أن ألحق بالشام فانهم أهل الشام وفيهم معاوية فلن أفارق دار هجرتى ومجاورة رسول الله ﷺ » . وقال الامام أحمد : ثنا أبو المغيرة ثنا أرطاة ـ يعنى ابن المنذر ـ حدثنى أبو عون الأنصارى أن عثمان قال لابن مسعود : « هل أنت منته عما بلغنى عنك ؟ فاعتذر بعض العذر ، فقال عثمان: ويحك ! إنى قد سمعت وحفظت ـ وليس كما سمعت ـ ، أن رسول الله ﷺ قال سيقتل أمير ، وينبرى متبرئ ، وإنى أنا المقتول ، وليس عمر ، إنما قتل عمر واحد ، وأنه يجتمع على » وهذا الذى قاله لابن مسعود قبل مقتله بنحو من أربع سنين فانه مات قبله بنحو ذلك .

حديث اخر

[قال عبد الله بن أحمد : ثنا عبيد الله بن عمر الفريرى : ثنا القاسم بن الحكم بن أوس الأنصارى حدثنى أبو عبادة الزرقى الأنصارى - من أهل المدينة - عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: «شهدت عثمان يوم حصر فى موضع الجنائز ولو ألقى حجر لم يقع إلا على رأس رجل فرأيت عثمان أشرف من الخوخة التى تلى باب مقام جبريل ، فقال : أيها الناس ! أفيكم طلحة ؟ فسكتوا ، ثم قال : أيها الناس ! أفيكم طلحة بن عبيد الله ؟ فسكتوا ، ثم قال : أيها الناس ! أفيكم طلحة ؟ فقام طلحة بن عبيد الله فقال له عثمان : ألا أراك ههنا ؟ ما كنت أرى أنك تكون فى جماعة قوم تسمع نداى آخر ثلاث مرات ، ثم لاتجيبنى ؟ أنشدك الله ياطلحة تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله (ص.) فى موضع كذا وكذا ليس معه أحد من أصحابه غيرى وغيرك ؟ فقال : نعم ! قال : فقال لك رسول الله (ص.) إنه ما من نبى إلا ومعه من أصحابه رفيق فى الجنة ، وإن عثمان بن عفان هذا - يعنى نفسه - رفيقى فى الجنة ؟ فقال طلحة : اللهم نعم ! » تفرد به أحمد] (١)

حديث آخر عن طلحة

قال الترمذى : حدثنا أبو هشام الرفاعى ثنا يحيى بن اليمان عن شريح بن زهرة عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبى وثاب عن طلحة بن عبيد الله قال قال رسول الله (ص.) « لكل نبى رفيق ورفيقى فى الجنة عثمان » ثم قال : هذا حديث غريب وليس إسناده بالقوى ، وإسناده منقطع . ورواه أبو عثمان محمد بن عثمان عن أبيه عن أبى الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبى هريرة ، وقال الترمذى : حدثنا الفضل بن أبى طالب البغدادى وغير واحد قالوا : حدثنا عثمان بن زفر حدثنا محمد بن زياد عن محمد بن عجلان عن أبى الزبير عن جابر قال : « أتى النبى (ص.) بجنازة رجل ليصلى عليه فلم يصل عليه ، فقيل يارسول الله ما رأيناك تركت الصلاة على أحد قبل هذا ؟ فقال : إنه كان يبغض عثمان فأبغضه الله عزوجل » ثم قال الترمذى : هذا حديث غريب ، ومحمد بن زياد هذا صاحب ميمون ابن مهران ضعيف الحديث جداً ، ومحمد بن زياد صاحب أبى هريرة بصرى ثقة ، يكنى أبا الحارث ، ومحمد بن زياد الألهانى صاحب أبى أمامة ثقة شامى يكنى أبا سفيان .

حديث اخر

روى الحافظ بن عساكر من حديث أبى مروان العثمانى ثنا أبى عثمان بن خالد عن عبد الرحمن ابن أبى الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبى هريرة « أن رسول الله (ص.) لقى عثمان بن عفان على

(١) هذا الحديث أعيد هنا ثانيا فى النسخة الحلبية . وقد تقدم ذكره قبل هذا الموضع كما فى المصرية .

باب المسجد فقال : ياعثمان ! هذا جبريل يخبرنى أن الله قد زوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية ، على مثل مصاحبتها » وقد روى ابن عساكر أيضاً من حديث ابن عباس وعائشة وعمارة بن روبية وعصمة بن مالك الخطمى وأنس بن مالك وابن عمر وغيرهم ، وهو غريب ومنكر من جميع طرقه ، وروى باسناد ضعيف عن على أن رسول الله (ص.) قال « لو كان لى أربعون ابنة لزوجتهن بعثمان واحدة بعد واحدة ، حتى لايبقى منهن واحدة » وقال محمد بن سعيد الأموى عن يونس بن أبى إسحاق عن أبيه عن المهلب بن أبى صفرة قال : « سألت أصحاب رسول الله (ص.) لم قلتم فى عثمان : أعلانا فوقا؟ قالوا : لأنه لم يتزوج رجل من الأولين والآخرين ابنتى نبى غيره رواه ابن عساكر .

وقال إسماعيل بن عبد الملك عن عبد الله بن أبى مليكة عن عائشة قالت : ما رأيت رسول الله (ص.) رافعاً يديه حتى يبدو ضبعيه إلا لعثمان بن عفان ، إذا دعا له . وقال مسعر عن عطية عن أبى سعيد قال : رأيت رسول الله (ص.) من أول الليل إلى أن طلع الفجر رافعاً يديه يدعو لعثمان يقول : « اللهم عثمان رضيت عنه فارض عنه » وفى رواية يقول لعثمان : « غفر الله لك ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما كان منك وما هو كائن إلى يوم القيامة » ورواه الحسن بن عرفة عن محمد ابن القاسم الأسدى عن الأوزاعى عن حسان بن عطية عن النبى (ص.) مرسلا . وقال ابن عدى عن أبى يعلى عن عمار بن ياسر المستملى عن إسحاق بن إبراهيم المستملى عن أبى إسحاق عن أبى وائل عن حذيفة : أن رسول الله (ص.) بعث إلى عثمان يستعينه فى غزاة غزاها ، فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار ، فوضعها بين يديه ، فجعل يقلبها بين يديه ويدعو له : « غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما هو كائن إلى يوم القيامة ، ما يبالى عثمان ما فعل بعدها » .

حديث اخر

وقال ليث بن أبى سليم : أول من خبص الخبيص عثمان خلط بين العسل والنقى ثم بعث به إلى رسول الله (ص.) إلى منزل أم سلمة ، فلم يصادفه ، فلما جاء وضعوه بين يديه ، فقال : من بعث هذا ؟ قالوا : عثمان : قالت : فرفع يديه إلى السماء فقال : « اللهم إن عثمان يترضاك فارض عنه » .

حديث آخر

روى أبو يعلى عن سنان بن فروخ عن طلحة بن يزيد عن عبيدة بن حسان عن عطاء الكيخارانى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتنق عثمان وقال : « أنت ولبى فى الدنيا ووليى فى الآخرة » .

حديث اخر

قال أبو داود الطيالسى : حدثنا حماد بن سلمة وحماد بن زيد عن الجريرى عن عبد الله بن

شقيق عن عبـد الله بن حوالة . قال قال رسول (ص) : « تهجمون على رجل معتجر ببردة من أهل الجنة ، يبايع الناس » قال فهجمنا على عثمان بن عفان فرأيناه معتجراً يبايع الناس.

ذكر شيء من سيرته وهي دالة على فضيلته

قال ابن مسعود : لما توفى عمر بايعنا خـيرنا ولم نأل ، وفى رواية بايعوا خـيرهم ولم يألوا ، وقال الأصمعى عن أبى الزناد عن أبيه عن عمرو بن عثمان بن عفان قال : كان نقش خاتم عثمان آمنت بالذى خلق فسوى . وقال محمد بن المبارك بلغنى أنه كان نقش خاتم عثمان آمن عثمان بالله العظيم . وقال البخارى فى التاريخ : ثنا موسى بن إسماعيل ثنا مبارك بن فضالة قال سمعت الحسن يقول : أدركت عثمان على ما نقموا عليه ، قل ما يأتى على الناس يوم إلاوهم يقتسمون فيه خيراً ، يقال لهم : يا معشر المسلمين اغـدوا على أعطياتـكم ، فيأخذونها وافرة ، ثم يقال لهم : اغدوا على أرزاقـكم فيأخذونها وافرة ، ثم يقال لهم اغدوا على السمن والعسل ، الأعطيات جارية ، والأرزاق دارة ، والعدو متق ، وذات البين حسن ، والخير كثير ، وما من مؤمن يخاف مؤمناً ، ومن لقيه فهو أخوه ، قد كان من إلفته ونصيحته ومودته قد عهد إليهم أنها ستـكون أثرة ، فاذا كانت فاصبروا » قال الحسن : فلو أنهم صبروا حين رأوها لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق والخير الـكثير ، بل قالوا لا والله ما نصابرها ، فوالله ما وردوا وما سلموا ، والأخرى كان السيف مغمداً عن أهل الاسلام فسلوه على أنفسهم ، فوالله ما زال مسلولا إلى يوم الناس ، هذا وأيم الله إنى لأراه سيفاً مسلولا إلى يوم القيامة » وقال غير واحد عن الحسن البصرى قال : سمعت عثمان يأمر فى خطبته بذبح الحمام وقتل الـكلاب . وروى سيف ابن عمر أن أهل المدينة اتخذ بعضهم الحمام ورمى بعضهم بالجلاهقات [فوكل عثمان رجلا من بنى ليث يتبع ذلك ، فيقص الحمام ويكسر الجلاهقات] ــ وهى قسى البندق ــ وقال محمد بن سعد : « أنبأنا القعنبى وخالد بن مخلد ثنا محمد بن هلال عن جدته ــ وكانت تدخل على عثمان وهو محصور ــ فولدت هلالا ، ففقدها يوماً فقيل له : إنها قد ولدت هـذه الليلة غلاماً ، قالت : فأرسل إلى بخمسين درهماً وشقيقة سنبلانية ، وقال : هذا عطاء ابنك وكسوته ، فاذا مرت به سنة رفعناه إلى مائة » وروى الزبير ابن أبى بكر عن محمد بن سلام عن ابن بكار قال : قال ابن سعيد بن يربوع بن عنكثة المخزومى : انطلقت وأنا غلام فى الظهيرة ومعى طير أرسله فى المسجد ، والمسجد بيننا ، فاذا شيخ جميل حسن الوجه نائم ، تحت رأسه لبنة أو بعض لبنة ، فقمت أنظر إليه أتعجب من جماله ، ففتح عينيه فقال : من أنت ياغلام ؟ فأخبرته ، فاذا غلام نائم قريباً منه فدعاه فلم يجبه ، فقال لى : ادعه ! فدعوته فأمره بشىء وقال لى : اقعد ! فذهب الغلام فجاء بحلة وجاء بألف درهم ، ونزع ثوبى وألبسنى الحلة ؟ وجعل الألف

درهم فيها ، فرجعت إلى أبى فأخبرته ؟ فقال : يابنى من فعل هذا بك ؟ فقلت : لا أدرى إلا أنه رجل فى المسجد نائم لم أر قط أحسن منه ، قال : ذاك أمير المؤمنين عثمان بن عفان » وقال عبد الرزاق عن ابن جريج : أخبرنى يزيد بن خصيفة عن أبى السائب بن يزيد « أن رجلا سأل عبد الرحمن بن عثمان التيمى آهي صلاة طلحة بن عبيد الله عن صلاة عثمان قال : نعم ! قال : قلت لأغلبن الليلة النفر على الحجر ـ يعنى المقام ـ فلما قمت فاذا رجل يرحمنى مقنعا قال فالتفت فإذا بعثمان يرحمني فتأخرت عنه فصلى فاذا هو يسجد بسجود القرآن ، حتى إذا قلت هـذا هو أذان الفجر أوتر بركعة لم يصل غيرها ثم انطلق » . وقد روى هذا من غير وجه أنه صلى بالقرآن العظيم فى ركعة واحدة عند الحجر الأسود ، أيام الحج ، وقد كان هـذا من دأبه رضى الله عنـه . ولهذا روينا عن ابن عمر أنه قال فى قوله تعالى [أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه] قال : هو عثمان بن عفان . وقال ابن عباس فى قوله تعالى (هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) قال : هو عثمان . وقال حسان :

ضحوا بأشمطَ عنوان السجود به * يقطّع الليـل تسبيحاً وقرآنا

وقال سفيان بن عيينة : ثنا إسرائيل بن موسى سمعت الحسن يقول قال عثمان : لو أن قلوبنا طهرت ماشبعنا من كلام ربنا ، وإنى لأكره أن يأتى علىّ يوم لا أنظر فى المصحف ، وما مات عثمان حتى خرق مصحفه من كثرة ما يديم النظر فيه . وقال أنس ومحمـد بن سيرين : قالت امرأة عثمان يوم الدار : اقتلوه أو دعوه ، فوالله لقد كان يحيى الليل بالقرآن فى ركعة . وقال غير واحد : إنه رضى الله عنه كان لايوقظ أحداً من أهله إذا قام من الليل ليعينه على وضوئه ، إلا أنْ يجده يقظانا ، وكان يصوم الدهر ، وكان يعاتب فيقال : لوأيقظت بعض الخدم ؟ فيقول : لا ! الليل لهم يستريحون فيـه . وكان إذا اغتسل لا يرفع المئزر عنه ، وهو فى بيت مغلق عليه ، ولا يرفع صلبه جيداً من شدة حيائه رضى الله عنه .

شيء من خطبه

قال الواقدى : حدثنى إبراهيم بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عبـد الله بن أبى ربيعة المخزومى عن أبيه أن عثمان لما بويع خرج إلى الناس فخطبهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس أول كل مركب صعب ، وإن بعد اليوم أياماً ، وإن أعش تأتكم الخطب عـلى وجهها ، وما كنا خطباء وسيعلمنا الله . وقال الحسن : خطب عثمان فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ! اتقوا الله فان تقوى الله غنم ، وإن أكيس الناس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، واكتسب من نور الله نوراً لظلمة القبر ، وليخش عبد أن يحشره الله أعمى ، وقد كان بصيراً ، وقد يلقى الحكيم جوامع الكلم ، والأصم ينادى من مكان بعيـد ، واعلموا أن من كان الله له لم يخف شيئاً ، ومن كان الله

عليه فمن يرجو بعده ؟ . وقال مجاهد : خطب عثمان فقال : ابن آدم ! اعلم أن ملك الموت الذى وكل بك لم يزل يخلفك و يتخطى إلى غيرك منذ أنت فى الدنيا ، وكأنه قد تخطى غيرك إليك ، وقصدك ، فخذ حذرك ، واستعدّ له ، ولا تغفل فانه لا يغفل عنك ، واعلم ابن آدم إن غفلت عن نفسك ولم تستعدّ لها لم يستعد لها غيرك ، ولا بد من لقاء الله ، فخذ لنفسك ولا تكلها إلى غيرك والسلام . وقال سيف بن عمر عن بدر بن عثمان عن عمه . قال : آخر خطبة خطبها عثمان فى جماعة « إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركنوا إليها ، إن الدنيا تفنى وإن الآخرة تبقى ، لا تبطرنكم الفانية ، ولا تشغلنكم عن الباقية ، وآثروا ما يبقى على مايفنى ، فان الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله ، اتقوا الله فان تقواه جُنّة من بأسه ، ووسيلة عنده ، واحذروا من الله الغير ، والزموا جماعتكم لا تصيروا أحزابا [واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا] إلى آخر الآيتين *

فصل

قال الامام أحمد : حدثنا هشيم ، ثنا محمد بن قيس الأسدى عن موسى بن طلحة . قال : سمعت عثمان بن عفان وهو على المنبر والمؤذن يقيم الصلاة وهو يستخبر الناس يسألهم عن أخبارهم ، وأسفارهم . وقال أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ثنا يونس - يعنى ابن عبيد - حدثنى عطاء بن فروخ مولى القرشيين أن عثمان اشترى من رجل أرضاً فأبطأ عليه فلقيه فقال : ما منعك من قبض مالك ؟ قال : إنك غبنتنى ، فما ألقى من الناس أحداً إلا وهو يلومنى ، قال : أذلك يمنعك ؟ قال : نعم ! قال : فاختر بين أرضك ومالك ، ثم قال : قال رسول الله (ص) : « أدخل الله الجنة رجلا كان سهلا مشترياً و بائعاً وقاضياً ومقتضياً » . وروى ابن جرير أن طلحة لقى عثمان وهو خارج إلى المسجد فقال له طلحة : إن الخمسين ألفاً التى لك عندى قد حصلت فأرسل من يقبضها ، فقال له عثمان : إنا قد وهبناكها لمروءتك . وقال الأصمعى : استعمل ابن عامر قطن بن عوف الهلالى على كرمان ، فأقبل جيش من المسلمين - أربعة آلاف - وجرى الوادى فقطعهم عن طريقهم ، وخشى قطن الفوت فقال : من جاز الوادى فله ألف درهم ، فحملوا أنفسهم على العوم ، فكان إذا جاز الرجل منهم قال قطن : اعطوه جائزته ، حتى جازوا جميعاً وأعطاهم أربعة آلاف ألف درهم ، فأبى ابن عامر أن يحسبها له ، فكتب بذلك إلى عثمان بن عفان ، فكتب عثمان : أن احسبها له ، فانه إنما أعان المسلمين فى سبيل الله فمن ذلك اليوم سميت الجوائز لاجازة الوادى ، فقال الكنانى فى ذلك :

فدىً للأكرمين بنى هِلالٍ * على علّاتهم أهلي ومالي

هموا سنّوا الجوائز في معدٍ * فعادت سنّة أخرى الليالي
رماحهم تزيد على ثمانٍ * وعشرٍ قبل تركيب النصالِ

فصل

ومن مناقبه الكبار وحسناته العظيمة أنه جمع الناس على قراءة واحدة ، وكتب المصحف على العرضة الأخيرة ، التي درسها جبريل على رسول الله (ص.) في آخر سني حياته ، وكان سبب ذلك أن حذيفة بن اليمان كان في بعض الغزوات ، وقد اجتمع فيها خلق من أهل الشام ، ممن يقرأ على قراءة المقداد بن الأسود ، وأبي الدرداء ، وجماعة من أهل العراق ، ممن يقرأ على قراءة عبدالله بن مسعود ، وأبي موسى ، وجعل من لا يعلم بسوغان القراءة على سبعة أحرف ، يفضل قراءته على قراءة غيره ، وربما خطأ الآخر أو كفره ، فأدى ذلك إلى اختلاف شديد ، وانتشار في الكلام السيء بين الناس ، فركب حذيفة إلى عثمان فقال : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها كاختلاف اليهود والنصارى في كتبهم . وذكر له ماشاهد من اختلاف الناس في القراءة ، فعند ذلك جمع عثمان الصحابة وشاورهم في ذلك ، ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد ، وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به ، دون ما سواه ، لما رأى في ذلك من مصلحة كف المنازعة ، ودفع الاختلاف ، فاستدعى بالصحف التي كان الصديق أمر زيد بن ثابت بجمعها ، فكانت عند الصديق أيام حياته ، ثم كانت عند عمر ، فلما توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين ، فاستدعى بها عثمان وأمر زيد بن ثابت الأنصاري أن يكتب وأن يملي عليه سعيد بن العاص الأموي ، بحضرة عبد الله بن الزبير الاسدي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغة قريش ، فكتب لأهل الشام مصحفاً ، ولأهل مصر آخر ، وبعث إلى البصرة مصحفاً وإلى الكوفة بآخر ، وأرسل إلى مكة مصحفاً وإلى اليمن مثله ، وأقر بالمدينة مصحفاً . ويقال لهذه المصاحف الأئمة ، وليست كلها بخط عثمان ، بل ولا واحد منها ، وإنما هي بخط زيد بن ثابت ، وإنما يقال لها المصاحف العثمانية نسبة إلى أمره وزمانه ، وإمارته ، كما يقال دينار هرقلي ، أي ضرب في زمانه ودولته . قال الواقدي : حدثنا ابن أبي سبرة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة . ورواه غيره من وجه آخر عن أبي هريرة قال : « لما نسخ عثمان المصاحف دخل عليه أبو هريرة فقال : أصبت ووفقت ، أشهد لسمعت رسول الله (ص.) يقول : « إن أشد أمتي حباً لي قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني ، يعملون بما في الورق المعلق » فقلت : أي ورق ؟ حتى رأيت المصاحف ، قال : فأعجب ذلك عثمان وأمر لأبي هريرة بعشرة آلاف ، وقال : والله ما علمت أنك لتحبس علينا حديث نبينا

(ص) » ثم عمد إلى بقية المصاحف التي بأيدي الناس مما يخالف ما كتبه فحرقه ، لئلا يقع بسببه اختلاف ، فقال أبو بكر بن أبي داود ـ في كتاب المصاحف ـ حدثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن قالا : ثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن رجل عن سويد بن غفلة قال : قال لي علي حين حرق عثمان المصاحف : لو لم يصنعه هو لصنعته » وهكذا رواه أبو داود الطيالسي وعمرو بن مرزوق عن شعبة مثله ، وقد رواه البيهقي وغيره من حديث محمد بن أبان ـ زوج أخت حسين ـ عن علقمة بن مرثد قال : سمعت العيزار بن جرول سمعت سويد بن غفلة قال : « قال علي : أيها الناس ! إياكم والغلو في عثمان تقولون حرق المصاحف ، والله ماحرقها إلا عن ملأ من أصحاب محمد (ص) ، ولو وليت مثل ما ولي لفعلت مثل الذي فعل » وقد روي عن ابن مسعود أنه تعتب لما أخذ منه مصحفه فحرق ، وتكلم في تقدم إسلامه على زيد بن ثابت الذي كتب المصاحف ، وأمر أصحابه أن يغلوا مصاحفهم ، وتلا قوله تعالى [ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة] فكتب إليه عثمان رضي الله عنه يدعوه إلى اتباع الصحابة فيما أجمعوا عليه من المصلحة في ذلك ، وجمع الكلمة ، وعدم الاختلاف ، فأناب وأجاب إلى المتابعة وترك المخالفة رضي الله عنهم أجمعين .

وقد قال أبو إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد أن عبد الله بن مسعود دخل مسجد منى فقال : كم صلى أمير المؤمنين الظهر ؟ قالوا : أربعاً ، فصلى ابن مسعود أربعاً فقالوا : ألم تحدثنا أن رسول الله (ص) وأبا بكر وعمر صلوا ركعتين ؟ فقال : نعم ! وأنا أحدثكموه الآن ، ولكني أكره الاختلاف . وفي الصحيح أن ابن مسعود قال : ليت حظي من أربع ركعات ركعتين متقبلتين . وقال الأعمش : حدثني معاوية بن قرة ـ بواسط ـ عن أشياخه قالوا : صلى عثمان الظهر بمنى أربعاً فبلغ ذلك ابن مسعود فعاب عليه ، ثم صلى بأصحابه العصر في رحله أربعاً ، فقيل له : عتبت على عثمان وصليت أربعاً ؟ فقال : إني أكره الخلاف . وفي رواية الخلاف شر فاذا كان هذا متابعة من ابن مسعود إلى عثمان في هذا الفرع فكيف بمتابعته إياه في أصل القرآن ؟ والاقتداء به في التلاوة التي عزم على الناس أن يقرؤا بها لا بغيرها ؟ وقد حكى الزهري وغيره أن عثمان إنما أتم خشية على الأعراب أن يعتقدوا أن فرض الصلاة ركعتان ، وقيل بل قد تأهل بمكة ، فروى يعلى وغيره من حديث عكرمة بن إبراهيم حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن الحارث بن أبي ذباب عن أبيه أن عثمان صلى بهم بمنى أربع ركعات ، ثم أقبل عليهم فقال : إني سمعت رسول الله (ص) يقول : « إذا تزوج الرجل ببلد فهو من أهله » وإني أتممت لأني تزوجت بها منذ قدمتها . وهذا الحديث لا يصح ، وقد تزوج رسول الله (ص) في عمرة القضاء بميمونة بنت الحارث ولم يتم الصلاة ، وقد قيل إن عثمان تأول أنه أمير المؤمنين حيث كان [وهكذا تأولت عائشة فأتمت ، وفي هذا التأويل نظر ، فان رسول الله (ص) هو رسول الله

حيث كان ، ومع هذا ما أتم الصلاة فى فى الأسفار . ومما كان يعتمده عثمان بن عفان أنه كان [(١) يلزم عماله بحضور الموسم كل عام ، ويكتب إلى الرعايا : من كانت له عند أحد منهم مظلمة فليواف إلى الموسم فانى آخذ له حقه من عامله ، وكان عثمان قد سمح لكثير من كبار الصحابة فى المسير حيث شاءوا من البلاد ، وكان عمر يحجر عليهم فى ذلك ، حتى ولا فى الغزو ، ويقول : إنى أخاف أن تروا الدنيا وأن يراكم أبناؤها ، فلما خرجوا فى زمان عثمان اجتمع عليهم الناس ، وصار لكل واحد أصحاب ، وطمع كل قوم فى تولية صاحبهم الامارة العامة بعد عثمان ، فاستعجلوا موته ، واستطالوا حياته ، حتى وقع ما وقع من بعض أهل الأمصار ، كما تقدم ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم ، العلى العظيم .

ذكر زوجاته وبنيه وبناته رضي الله عنهم

تزوج رُقيّة بنت رسول الله (ص) فولد له منها عبد الله ، وبه كان يكنى ، بعد ما كان يكنى فى الجاهلية بأبى عمرو ، ثم لما توفيت تزوج بأختها أم كلثوم ، ثم توفيت فتزوج بفاختة بنت غزوان بن جابر ، فولد له منها عبيد الله الأصغر ، وتزوج بأم عمرو بنت جندب بن عمرو الأزدية ، فولدت له عمراً ، وخالداً ، وأبانا ، وعمر . ومريم ، وتزوج بفاطمة بنت الوليد بن عبد شمس المخزومية ، فولدت له الوليد وسعيداً . وتزوج أم البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية ، فولدت له عبد الملك ، ويقال وعتبة ، وتزوج رملة بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى فولدت له عائشة وأم أبان وأم عمرو ، بنات عثمان . وتزوج نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن حصن ابن ضمضم بن عدى بن حيان بن كليب ، فولدت له مريم ، ويقال وعنبسة . وقتل رضى الله عنه وعنده أربع نائلة ، ورملة ، وأم البنين ، وفاختة . ويقال إنه طلق أم البنين وهو محصور .

فصل

تقدم فى دلائل النبوة الحديث الذى رواه الامام أحمد وأبو داود من حديث سفيان الثورى عن منصور عن ربعى عن البراء بن ناجية الكاهلى ، عن عبدالله بن مسعود ، قال قال رسول الله (ص) . « إن رحا الاسلام ستدور لخمس وثلاثين ، أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين ، فان تهلك فسبيل ما هلك وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاما قال : فقال عمر يارسول الله أبما مضى أم بما بقى ؟ قال : بل بما بقى » وفى لفظ له ولأبى داود « تدور رحا الاسلام لخمس وثلاثين ، أو ست وثلاثين » الحديث . وكأن هذا الشك من الراوى ، والمحفوظ فى نفس الأمر خمس وثلاثين ، فان فيها قتل أمير المؤمنين

(١) سقط من المصرية .

عثمان على الصحيح ، وقيل ست وثلاثين ، والصحيح الأول وكانت أمور شنيعة ولكن الله سلم ووقى بحوله وقوته فلم يكن بأسرع من أن بايع الناس على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وانتظم الأمر ، واجتمع الشمل ، ولكن جرت بعد ذلك أمور فى يوم الجمل وأيام صفين على ماسنبينه إن شاء الله تعالى .

فصل

في ذكر من توفي زمان عثمان ممن لا يعرف وقت وفاته على التعيين

أنس بن معاذ بن أنس بن قيس الأنصارى النجارى ، ويقال له أنيس أيضاً ، شهد المشاهد كلها رضى الله عنه .

أوس بن الصامت ، أخو عبادة بن الصامت الأنصاريان ، شهد بدراً ، وأوس هو زوج المجادلة المذكور فى قوله تعالى [قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير] وامرأته خولة بنت ثعلبة .

أوس بن خولى الأنصارى من بنى الحبلى ، شهد بدراً ، وهو المنفرد من بين الأنصار بحضور غسل النبى (ص) ، والنزول مع أهله فى قبره ، عليه الصلاة والسلام .

الحر بن قيس ، كان سيداً فى الأنصار ، ولكن كان بخيلا ومتهماً بالنفاق ، يقال إنه شهد بيعة الرضوان فلم يبايع ، واستتر ببعير له ، وهو الذى نزل فيه قوله تعالى [ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا] الآية . وقد قيل إنه تاب وأقلع فالله أعلم .

الحطيئة الشاعر المشهور . قيل اسمه جرول ويكنى بأبى مليكة ، من بنى عبس ، أدرك أيام الجاهلية ، وأدرك صدراً من الاسلام ، وكان يطوف فى الآفاق يمتدح الرؤساء من الناس ، ويستجديهم ويقال كان بخيلا مع ذلك ، سافر مرة فودع امرأته فقال لها :

عدّي السنينَ إذا خرجتُ لغيبة * ودعى الشهورَ فانهنّ قصارُ

[وكان مداحاً هجاء ، وله شعر جيد ، ومن شعره ما قاله بين يدى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فاستجاد منه قوله :

منْ يفعلِ الخيرَ لم يعدمْ جوازيهُ * لا يذهبُ العرفُ بينَ الله والناس] (١)

خبيب بن يساف بن عتبة الأنصارى أحد من شهد بدراً * سلمان بن ربيعة الباهلى ، يقال له صحبة ، كان من الشجعان الأبطال المذكورين ، والفرسان المشهورين ، ولاه عمر قضاء الكوفة ، ثم

(١) سقط من الحلبية.

ولى فى زمن عثمان إمرة على قتال الترك ، فقتل ببلنجر ، فقبره هناك فى تابوت يستسقى به الترك إذا قحطوا * عبد الله بن حذافة بن قيس القرشى السهمى ، هاجر هو وأخوه قيس إلى الحبشة ، وكان من سادات الصحابة ، وهوالقائل : يا رسول الله من أبى ؟ — وكان إذا لاحى الرجال دعى لغير أبيه — فقال : أبوك حذافة ، وكان رسول الله (ص) [أرسله إلى كسرى فدفع كتابه إلى عظيم بصرى فبعث معه من يوصله] (١) إلى هرقل كما تقدم ، وقد أسرته الروم فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فى جملة ثمانين من المسلمين ، فأرادوه على الكفر فأبى عليهم ، فقال له الملك : قبِّل رأسى وأنا أطلقك ومن معك من المسلمين ، فقبَّل رأسه [فأطلقهم ، فلما قدم على عمر قال له : حق على كل مسلم أن يقبِّل رأسك ، ثم قام عمر فقبَّل رأسه] (٢) قبل الناس رضى الله عنه * عبدالله بن سراقة بن المعتمر ، العدوى صحابى أحدى ، وزعم الزهرى أنه شهد بدراً فالله أعلم * [عبد الله بن قيس بن خالد الأنصارى ، شهد بدراً *] (٣) عبد الرحمن بن سهل بن زيد الأنصارى الحارثى ، شهد أحداً وما بعدها ، وقال ابن عبد البر شهد بدراً ، استعمله عمر على البصرة بعد موت عتبة بن غزوان ، وقد نهشته حية فرقاه عمارة بن حزم ، وهو القائل لأبى بكر — وقد جاءته جدتان فأعطى السدس أم الأم وترك الأخرى وهى أم الأب — فقال له : أعطيت التى لو ماتت لم يرثها ، وتركت التى لو ماتت لورثها ، فشرَّك بينهما * عمرو بن سراقة بن المعتمر العدوى أخو عبد الله بن سراقة ، وهو بدرى كبير ، روى أنه جاع مرة فربط حجراً على بطنه من شدة الجوع ، ومشى يومه ذلك إلى الليل ، فأضافه قوم من العرب ومن معه ، فلما شبع قال لأصحابه : كنت أحسب الرجلين يحملان البطن ، فاذا البطن يحمل الرجلين .

عمير (٤) بن سعد الأنصارى الأوسى ، صحابى جليل القدر ، كبير المحل كان يقال له نسيج وحده ، لكثرة زهادته وعبادته ، شهد فتح الشام مع أبى عبيدة ، وناب بحمص و بدمشق أيضاً فى زمان عمر ، فلما كانت خلافة عثمان عزله وولى معاوية الشام بكماله ، وله أخبار يطول ذكرها * عروة بن حزام أبو سعيد العدوى كان شاعراً مغرماً فى ابنة عم له ، وهى عفراء بنت مهاجر ، يقول فيها الشعر واشتهر بحبها ، فارتحل أهلها من الحجاز إلى الشام ، فتبعهم عروة فخطبها إلى عمه فامتنع من تزويجه لفقره ، وزوجها بابن عمها الآخر ، فهلك عروة هذا فى محبتها ، وهو مذكور فى كتاب مصارع العشاق ، ومن شعره فيها قوله :

وماهىَ إلاّ أنْ أراها فجاءةً * فأبهت حتى ما أكادُ أجيبُ

وأصرفُ عن رأيى الذى كنتُ أرتأى * وأنسى الذى أعددتُ حينَ تغيبُ

قطبة بن عامر أبو زيد الأنصارى عقبى بدرى * قيس بن مهدى بن قيس بن ثعلبة الأنصارى

---

(١) — (٣) سقط من الحلبية . (٤) كذا فى الحلبية والاصابة وفى المصرية : عمرو بن سعد .

النجاري ، له حديث في الركعتين قبل الفجر ، وزعم ابن ما كولا أنه شهد بدراً ، قال مصعب الزبيري : هو جد يحيي بن سعيد الأنصاري ، وقال الأكثرون : بل هو جد أبي مريم عبد الغفار ابن القاسم الكوفي فالله أعلم * لبيد بن ربيعة أبو عقيل العامري الشاعر المشهور . صح أن رسول الله (ص) قال : « أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد .

ألا كل شيء ما خلا الله باطل » * وتمام البيت : وكل نعيم لا محالة زائل

فقال عثمان بن مظعون : إلا نعيم الجنة ، وقد قيل إنه توفى سنة إحدى وأربعين فالله أعلم * المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي ، شهد بيعة الرضوان وهو والد سعيد بن المسيب سيد التابعين * معاذ بن عمرو بن الجموح الأنصاري شهد بدراً ، وضرب يومئذ أبا جهل بسيفه فقطع رجله ، وحمل عكرمة بن أبي جهل على معاذ هذا فضربه بالسيف فحل يده من كتفه ، فقاتل بقية يومه وهي معلقة يسحبها خلفه ، قال معاذ : فلما انتهيت وضعت قدمي عليها ثم تمطأت عليها حتى طرحتها رضي الله عنه . وعاش بعد ذلك الى هذه السنة سنة خمس وثلاثين *

محمد بن جعفر بن أبي طالب ، القرشي الهاشمي ، ولد لأبيه وهو بالحبشة ، فلما هاجر إلى المدينة سنة خيبر ، وتوفي يوم مؤتة شهيداً ، جاء رسول الله (ص) إلى منزلهم فقال لأمهم أسماء بنت عميس : « إيتيني ببني أخي ، فجيء بهم كأنهم أفرخ فجعل يقبلهم ويشمهم ويبكي ، فبكت أمهم فقال أتخافين عليهم العيلة وأنا وليهم في الدنيا والآخرة ؟ ثم أمر الحلاق فحلق رؤسهم » وقد مات محمد وهو شاب في أيام عثمان كما ذكرنا ، وزعم ابن عبد البر أنه توفي في تستر فالله أعلم * معبد بن العباس بن عبد المطلب بن عم رسول الله (ص) ، قتل شاباً بأفريقية من بلاد المغرب * معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي ، صاحب خاتم النبي (ص) ، قيل توفي في أيام عثمان ، وقيل قبل ذلك ، وقيل سنة أربعين والله أعلم * منقذ بن عمرو الأنصاري ، أحد بني مازن بن النجار . كان قد أصابته آمة في رأسه فكسرت لسانه ، وضعف عقله ، وكان يكثر من البيع والشراء ، فقال له النبي (ص) : « من بايعت فقل لا خلابة ، ثم أنت بالخيار في كل ما تشتريه ثلاثة أيام » قال الشافعي : كان مخصصاً باثبات الخيار ثلاثة في كل بيع ، سواء اشترط الخيار أم لا * نعيم بن مسعود ، أبو سلمة الغطفاني ، وهو الذي خذل بين الأحزاب وبين بني قريظة كما قدمناه ، فله بذلك اليد البيضاء ، والراية العليا * أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي ، الشاعر ، أدرك الجاهلية ، وأسلم بعد موت النبي (ص) ، وشهد يوم السقيفة وصلى على النبي (ص) ، وكان أشعر هذيل ، وهذيل أشعر العرب وهو القائل :

وإذا المنيَّةُ أنشبتْ أظفارَها * ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفع
وتجلُّدي للشامتين أُريهمُ * أني لريْب الدهر لا أتضعضع

توفي غازيا بافريقية في خلافة عثمان * أبو رهم سبرة ابن عبد العزى القرشي الشاعر ذكره

فى هذا الفصل محمد بن سعد وحده * ابو زبيد الطائي، الشاعر، اسمه حرملة بن المنذر كان نصرانيا وكان يجالس الوليد بن عقبة فأدخله على عثمان فاستنشده شيئا من شعره فأنشده قصيدة له فى الاسد بديعة، فقال له عثمان : تفتأ تذكر الأسد ما حييت؟ إنى لأحسبك جباناً نصرانياً * أبو سبرة بن أبى رهم العامرى، أخو أبى سلمة بن عبد الأسد، أمهما برة بنت عبد المطلب، هاجر إلى الحبشة وشهد بدرا وما بعدها، قال الزبير : لا نعلم بدريا سكن مكة بعد النبي (ص.) سواه، قال : وأهله ببدر فى ذلك * أبو لبابة بن عبد المنذر أحد نقباء ليلة العقبة، وقيل إنه توفى فى خلافة على والله أعلم * أبو هاشم بن عتبة تقدم وفاته فى سنة إحدى وعشرين، وقيل فى خلافة عثمان والله أعلم.

خلافة أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه

هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب واسمه شيبة بن هاشم واسمه عمرو ابن عبد مناف، واسمه المغيرة، بن قصى، واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان أبو الحسن والحسين، ويكنى بأبى تراب، وأبى القسم الهاشمى، ابن عم رسول الله (ص.)، وختنه على ابنته فاطمة الزهراء. وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصى، ويقال إنها أول هاشمية ولدت هاشميا. وكان له من الاخوة طالب، وعقيل، وجعفر، وكانوا أكبر منه، بين كل واحد منهم وبين الآخر عشر سنين، وله أختان، أم هانئ وجمانة، وكلهم من فاطمة بنت أسد، وقد أسلمت وهاجرت * كان على أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى، وكان ممن توفى ورسول الله (ص.) راض عنهم وكان رابع الخلفاء الراشدين وكان رجلا آدم شديد الأدمة أشكل العينين عظيمهما، ذو بطن، أصلع، وهو إلى القصر أقرب وكان عظيم اللحية، قد ملأت صدره ومنكبيه، أبيضها، وكان كثير شعر الصدر والكتفين، حسن الوجه، ضحوك السن، خفيف المشى على الأرض * أسلم على قديما، وهو ابن سبع وقيل ابن ثمان، وقيل تسع، وقيل عشر، وقيل أحد عشر، وقيل إثنى عشر، وقيل ثلاثة عشر، وقيل أربع عشرة، وقيل ابن خمس عشرة، أو ست عشرة سنة قاله عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن، ويقال إنه أول من أسلم [والصحيح أنه أول من أسلم من الغلمان، كما أن خديجة أول من أسلمت من النساء، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالى، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار، وكان سبب اسلام على صغيراً أنه كان فى كفالة رسول الله (ص.)، لأنه كان قد أصابتهم سنة مجاعة، فأخذه من أبيه، فكان عنده، فلما

بعثه الله بالحق آمنت خديجة وأهـل البيت ومن جملتهم على ، وكان الايمان النافع المتعدى نفعه إلى الناس إيمان الصديق رضى الله عنه . وقد ورد عن على أنه قال أنا أول من أسلم ولا يصح إسناده إليه . وقد روى فى هذا المعنى أحاديث أوردها ابن عساكر كثيرة منكرة لا يصح شئ منها والله أعلم . وقد روى الامام أحمـد من حديث شعبة عن عمرو بن مرة سمعت أبا حمزة ـ رجلا من موالى الأنصار ـ قال سمعت زيد بن أرقم يقول : أول من أسلم مع رسول الله (ص.) على * وفى رواية أول من صلى . قال عمرو : فذكرت ذلك للنخعى فأنكره ، وقال أبو بكر : أول من أسلم * وقال محمد بن كعب القرظى : أول من آمن من النساء خديجة وأول رجلين آمنا أبو بكر وعلى ولكن كان أبو بكر يظهر إيمانه وعلى يكتم إيمانه ، قلت : يعنى خوفا من أبيه ، ثم أمره أبوه بمتابعة ابن عمه ونصرته ، وهاجر على بعدخروج رسول الله (ص.) من مكة وكان قد أمره بقضاء ديونه ورد ودائعه ، ثم يلحق به ، فامتثل ما أمره به ، ثم هاجر ، وآخى النبى (ص.) بينه وبين سهل بن حنيف ، وذكر ابن إسحاق وغيره من أهل السير والمغازى أن رسول الله (ص.) آخى بينه وبين نفسه ، وقد ورد فى ذلك أحاديث كثيرة لا يصح شئ منها لضعف أسانيدها ، وركة بعض متونها ، فان فى بعضها « أنت أخى ووارثى وخليفتى وخير من أمر بعدى » وهذا الحديث موضوع مخالف لما ثبت فى الصحيحين وغيرهما والله أعلم * وقد شهد على بدراً وكانت له اليد البيضاء فيها ، بارز يومئذ فغلب وظهر وفيه وفى عمه حمزة وابن عمه عبيدة ابن الحارث وخصومهم الثلاثة ـ عتبة وشيبة والوليد بن عتبة ـ نزل قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) الآية . وقال الحكم وغيره عن مقسم عن ابن عباس قال : « دفع النبى (ص.) الراية يوم بدر إلى على وهو ابن عشرين سنة » وقال الحسن بن عرفة : حدثنى عمار بن محمد عن سعيد بن محمد الحنظلى عن أبى جعفر محمد بن على قال : نادى مناد فى السماء يوم بدر يقال له رضوان لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على . قال ابن عساكر وهذا مرسل وإنما تنفل رسول الله (ص.) سيفه ذا الفقار يوم بدر ثم وهبه من على بعد ذلك وقال يونس بن بكير عن مسعر عن أبى عوف عن أبى صالح عن على قال : قيل لى يوم بدر ولأبى بكر قيل لأحدنا معك جبريل ومع الآخر ميكائيل قال وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل ويكون فى الصف . وشهد على أحداً وكان على الميمنة ومعه الراية بعد مصعب ابن عمير ، وعلى الميسرة المنذر بن عمرو الأنصارى ، وحمزة بن عبـد المطلب ، على القلب وعلى الرجالة الزبير بن العوام ، وقيل المقداد بن الأسود ، وقد قاتل على يوم أحد قتالا شديداً ، وقتل خلقاً كثيراً من المشركين ، وغسل عن وجه النبى (ص.) الدم الذى كان أصابه من الجراح حين شج فى وجهه وكسرت رباعيته وشهد يوم الخندق فقتل يومئذ فارس العرب ، وأحد شجعانهم المشاهير ، عمرو ابن عبدود العامرى ، كما قدمنا ذلك فى غزوة الخندق ، وشهد الحديبية وبيعة الرضوان ، وشهد خيبر

وكانت له بها مواقف هائلة ، ومشاهد طائلة ، منها أن رسول الله (ص) قال : « لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله و رسوله ، و يحبه الله و رسوله » فبات الناس يذكرون أيهم يعطاها ، فدعا علياً - وكان أرمد - فدعا له ، و بصق فى عينه فلم يرمد بعدها ، فبرأ وأعطاه الراية ، ففتح الله على يديه ، وقتل مرحبا اليهودى

وذكر محمد بن إسحاق عن عبد الله بن حسن عن بعض أهله عن أبى رافع أن يهودياً ضرب عليا فطرح ترسه ،فتناول بابا عند الحصن فتترس به ، فلم يزل فى يده حتى فتح الله على يديه ثم ألقاه من يده ، قال أبو رافع : فلقد رأيتنى أنا وسبعة معى نجتهد أن نقلب ذلك الباب على ظهره يوم خيبر فلم نستطع . وقال ليث عن أبى جعفر عن جابر أن عليا حمل الباب على ظهره يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها ، فلم يحملوه إلا أربعون رجلا * ومنها أنه قتل مرحبا فارس يهود وشجعانهم * وشهد على عمرة القضاء وفيها قال له النبى (ص) : « أنت منى ، وأنا منك » وما يذكره كثير من القصاص فى مقاتلته الجن فى بئر ذات العلم - وهو بئر قريب من الجحفة - فلا أصل له ، وهو من وضع الجهلة من الأخباريين فلا يغتر به . وشهد الفتح وحنينا والطائف ، وقاتل فى هذه المشاهد قتالا كثيراً ، واعتمر من الجعرانة مع رسول الله (ص) [ولما خرج رسول الله (ص)] (١) إلى تبوك واستخلفه على المدينة ، قال له : يارسول الله أتخلفنى مع النساء والصبيان ؟ فقال : « ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى » و بعثه رسول الله (ص) أميراً وحاكما على اليمن ، ومعه خالد ابن الوليد ، ثم وافى رسول الله (ص) عام حجة الوداع ، إلى مكة ، وساق معه هديا ، وأهل كاهلال النبى (ص) ، فأشركه فى هديه ، واستمر على إحرامه ، [ونحرا هديهما بعد فراغ نسكهما كما تقدم] (٢) ولما مرض رسول الله (ص) قال له العباس : سل رسول الله (ص) فيمن الأمر بعده ؟ فقال : والله لا أسأله فانه إن منعناها لا يعطيناها الناس بعده أبدا ، والأحاديث الصحيحة الصريحة دالة على أن رسول الله (ص) لم يوص إليه ولا إلى غيره بالخلافة ، بل لوح بذكر الصديق ، وأشار إشارة مفهمة ظاهرة جداً إليه ، كما قدمنا ذلك ولله الحمد .

وأما ما يفتريه كثير من جهلة الشيعة والقصاص الاغبياء ، من أنه أوصى إلى على بالخلافة ، فكذب و بهت وافتراء عظيم يلزم منه خطأ كبير ، من تخوين الصحابة وممالأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته و إيصالها إلى من أوصى إليه ، وصرفهم إياها إلى غيره ، لا لمعنى ولا لسبب ، وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الاسلام هو الحق ، يعلم بطلان هذا الافتراء ، لأن الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء ، وهم خير قرون هذه الأمة ، التى هى أشرف الأمم بنص القرآن ، و إجماع

(١) و (٢) سقط من الحلبية .

السلف والخلف ، فى الدنيا والآخرة ، ولله الحمد . وما قد يقصه بعض القصاص من العوام وغيرهم فى الأسواق وغيرها من الوصية لعلى فى الآداب والأخلاق فى المأكل والمشرب والملبس ، مثل مايقولون : ياعلى لا تعتم وأنت قاعد ، يا على لاتلبس سراويلك وأنت قائم ، ياعلى لاتمسك عضادتى الباب ، ولاتجلس على أسكفة الباب ، ولاتخيط ثوبك وهو عليك ، ونحو ذلك ، كل ذلك من الهذيانات فلا أصل لشئ منه ، بل هو اختلاق بعض السفلة الجهلة ، ولا يعول على ذلك و يغتر به إلا غبى عيى . ثم لما مات رسول الله (ص) كان على من جملة من غسله وكفنه و ولى دفنه كما تقدم ذلك مفصلا ولله الحمد والمنة . وسيأتى فى باب فضائله ذكر تزويج رسول الله (ص) له من فاطمة بعد وقعة بدر فولد له منها حسن وحسين ومحسن كما قدمنا . وقد وردت أحاديث فى ذلك لا يصح شئ منها بل أكثرها من وضع الروافض والقصاص . ولما بويع الصديق يوم السقيفة كان على من جملة من بايع بالمسجد كما قدمنا . وكان بين يدى الصديق كغيره من أمراء الصحابة يرى طاعته فرضاً عليه ، وأحب الأشياء إليه ، ولما توفيت فاطمة بعد ستة أشهر ـ وكانت قد تغضبت بعض الشئ على أبى بكر بسبب الميراث الذى فاتها من أبيها عليه السلام ، ولم تكن اطلعت على النص المختص بالأنبياء وأنهم لا يورثون ، فلما بلغها سألت أبا بكر أن يكون زوجها ناظراً على هذه الصدقة ، فأبى ذلك عليها ، فبقى فى نفسها شئ كما قدمنا ، واحتاج على أن يداريها بعض المداراة ـ فلما توفيت جدد البيعة مع الصديق رضى الله عنهما ، فلما توفى أبو بكر وقام عمر فى الخلافة بوصية أبى بكر إليه بذلك ، كان على من جملة من بايعه ، وكان معه يشاورد فى الأمور ، ويقال إنه استقضاه فى أيام خلافته ، وقدم معه من جملة سادات أمراء الصحابة إلى الشام ، وشهد خطبته بالجابية ، فلما طعن عمر وجعل الأمر شورى فى ستة أحدهم على ، ثم خلص منهم بعثمان وعلى كما قدمنا ، فقدم عثمان على على ، فسمع وأطاع ، فلما قتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمسة وثلاثين على المشهور .

عدل الناس إلى على فبايعوه ، قبل أن يدفن عثمان ، وقيل بعد دفنه كما تقدم ، وقد امتنع على من إجابتهم إلى قبول الامارة حتى تكرر قولهم له وفر منهم إلى حائط بنى عمرو بن مبدول ، وأغلق بابه فجاء الناس فطرقوا الباب وولجوا عليه ، وجاؤوا معهم بطلحة والزبير ، فقالوا له : إن هذا الأمر لا يمكن بقاؤه بلا أمير ، ولم يزالوا به حتى أجاب .

ذكر بيعة علي رضي الله عنه بالخلافة

يقال ان أول من بايعه طلحة بيده اليمنى وكانت شلاء من يوم أحد ـ لما وقى بها رسول الله (ص) ـ فقال بعض القوم : والله إن هذا الأمر لا يتم ، وخرج على إلى المسجد فصعد المنبر وعليه إزار وعمامة خز ونعلاه فى يده ، توكأ على قوسه ، فبايعه عامة الناس ، وذلك يوم السبت التاسع عشر

من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ، و يقال إن طلحة والزبير إنما بايعاه بعد أن طلبهما وسألاه أن يؤمرهما على البصرة والكوفة ، فقال لهما : بل تكونا عندى أستأنس بكما ، ومن الناس من يزعم أنه لم يبايعه طائفة من الأنصار ، منهم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ومسلمة بن مخلد ، وأبو سعيد ، ومحمد بن مسلمة ، والنعمان بن بشير ، وزيد بن ثابت ، و رافع بن خديج ، وفضالة بن عبيد ، وكعب بن عجرة ذكره ابن جرير من طريق المدائنى عن شيخ من بنى هاشم عن عبدالله بن الحسن قال المدائنى : حدثنى من سمع الزهرى يقول : هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم بايعوا علياً ، ولم يبايعه قدامة بن مظعون ، وعبد الله بن سلام ، والمغيرة بن شعبة ، قلت : وهرب مروان بن الحكم والوليد بن عقبة وآخرون إلى الشام . وقال الواقدى : بايع الناس علياً بالمدينة ، وتربص سبعة نفر لم يبايعوا ، منهم ابن عمر ، وسعد بن أبى وقاص ، وصهيب ، وزيد بن ثابت ، ومحمد بن أبى مسلمة ، وسلمة بن سلامة بن رقش ، وأسامة بن زيد ، ولم يتخلف أحد من الأنصار إلا بايع فيما نعلم . وذكر سيف بن عمر عن جماعة من شيوخه قالوا : بقيت المدينة خمسة أيام بعد مقتل عثمان وأميرها الغافقى بن حرب ، يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر . والمصريون يلحون على على وهو يهرب منهم إلى الحيطان ، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه ، والبصريون يطلبون طلحة فلا يجيبهم ، فقالوا فيما بينهم لا نولى أحداً من هؤلاء الثلاثة ، فمضوا إلى سعد بن أبى وقاص فقالوا : إنك من أهل الشورى فلم يقبل منهم ، ثم راحوا إلى ابن عمر فأبى عليهم ، فحاروا فى أمرهم ، ثم قالوا : ان نحن رجعنا إلى أمصارنا بقتل عثمان من غير إمرة اختلف الناس فى أمرهم ولم نسلم ، فرجعوا إلى على فألحوا عليه ، وأخذ الأشتر بيده فبايعه وبايعه الناس ، وأهل الكوفة يقولون : أول من بايعه الاشتر النخعى وذلك يوم الخميس الرابع والعشرون من ذى الحجة ، وذلك بعد مراجعة الناس لهم فى ذلك ، وكلهم يقول : لا يصلح لها إلا على ، فلما كان يوم الجمعة وصعد على المنبر بايعه من لم يبايعه بالأمس ، وكان أول من بايعه طلحة بيده الشلاء ، فقال قائل : إنا لله و إنا إليه راجعون ، ثم الزبير ، ثم قال الزبير : إنما بايعت علياً واللج على عنقى والسلام ، ثم راح إلى مكة فأقام أربعة أشهر ، وكانت هذه البيعة يوم الجمعة لخمسة بقين من ذى الحجة ، وكان أول خطبة خطبها أنه حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن الله تعالى أنزل كتاباً هادياً بين فيه الخير والشر ، فخذوا بالخير ودعوا الشر ، إن الله حرم حرما مجهولة ، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها ، وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده إلا بالحق ، لايحل لمسلم أذى مسلم إلا بما يجب ، بادروا أمر العامة ، وخاصة أحدكم الموت ، فان الناس أمامكم ، وإنما خلفكم الساعة تحدو بكم فتخففوا تلحقوا ، فانما ينتظر بالناس أخراهم ، اتقوا الله عباده فى عباده و بلاده ، فانكم مسؤلون حتى عن البقاع والبهائم ، ثم أطيعوا الله ولا تعصوه ،

وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشرّ فدعوه [واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض] الآية ؛ فلما فرغ من خطبته قال المصريون :

خذها إليكَ واحذرنْ أبا الحسنْ * إنا نُمرُّ الأمرَ إمرارَ الرسنْ
صولةَ آساد كآسادِ السفنْ * بمشرفياتٍ كغدرانِ اللبنْ
ونطعنُ الملكَ بلينٍ كالشطنْ * حتى يمرنَّ على غيرِ عننْ

فقال على مجيبا لهم !

ان عجزتُ عجزةً لا أعتذرْ * سوفَ أكيسُ بعدها وأستمرّْ
أرفعُ من ذيلىَ ما كنتُ أجُرّْ * وأجمعُ الأمرَ الشتيتَ المنتشرْ
إن لم يشاغبنى العَجولُ المنتصِرْ * أو يتركونى والسلاحُ يبتدرْ

وكان على الكوفة أبو موسى الأشعرى على الصلاة وعلى الحرب القعقاع بن عمرو وعلى الخراج جابر بن فلان المزنى ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر ، وعلى مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح ؛ وقد تغلب عليه محمد بن أبى حذيفة ؛ وعلى الشام معاوية بن أبى سفيان ، ونوابه على حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وعلى قنسرين حبيب بن سلمة ، وعلى الأردن أبو الأعور ، وعلى فلسطين حكيم بن علقمة ، وعلى أذربيجان الأشعث بن قيس ؛ وعلى قرقيسيا جرير بن عبد الله البجلى ، وعلى حلوان عتيبة بن النهاس ، وعلى قيسارية مالك بن حبيب ، وعلى همذان حبيش . هذا ما ذكره ابن جرير من نواب عثمان الذين توفى وهم نواب الأمصار ، وكان على بيت المال عقبة بن عمرو ، وعلى قضاء المدينة زيد بن ثابت ، ولما قتل عثمان بن عفان خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ بدمه ، ومعه أصابع نائلة التى أصيبت حين حاجفت عنه بيدها ، فقطعت مع بعض الكف فورد به على معاوية بالشام ، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس ، وعلق الأصابع فى كم القميص ، وندب الناس إلى الأخذ بهذا الثأر والدم وصاحبه ، فتباكى الناس حول المنبر ، وجعل القميص يرفع تارة ويوضع تارة ، والناس يتباكون حوله سنة ، وحث بعضهم بعضا على الأخذ بثأره ، واعتزل أكثر الناس النساء فى هذا العام ، وقام فى الناس معاوية وجماعة من الصحابة معه يحرضون الناس على المطالبة بدم عثمان ، ممن قتله من أولئك الخوارج : منهم عبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء ، وأبو أمامة ، وعمرو بن عنبسة وغيرهم من الصحابة ، ومن التابعين : شريك بن حباشة ، وأبو مسلم الخولانى ، وعبد الرحمن بن غنم ، وغيرهم من التابعين . ولما استقر أمر بيعة على دخل عليه طلحة والزبير ورؤس الصحابة رضى الله عنهم ، وطلبوا منه إقامة الحدود ، والأخذ بدم عثمان . فاعتذر إليهم بأن هؤلاء لهم مدد وأعوان ، وأنه لا يمكنه ذلك يومه هذا ، فطلب منه الزبير أن يوليه

إمرة الكوفة ليأتيه بالجنود ، وطلب منه طلحة أن يوليه إمرة البصرة ، ليأتيه منها بالجنود ليقوى بهم على شوكة هؤلاء الخوارج ، وجهلة الأعراب الذين كانوا معهم فى قتل عثمان رضى الله عنه ، فقال لهما : مهلاً على ، حتى أنظر فى هذا الأمر . ودخل عليه المغيرة بن شعبة على إثر ذلك فقال له : إنى أرى أن تقر عمالك على البلاد ، فاذا أتتك طاعتهم استبدلت بعد ذلك بمن شئت وتركت من شئت ، ثم جاءه من الغد فقال له : إنى أرى أن تعزلهم لتعلم من يطيعك ممن يعصيك ، فعرض ذلك علىّ على ابن عباس فقال : لقد نصحك بالأمس وغشك اليوم ، فبلغ ذلك المغيرة فقال : نعم نصحته فلما لم يقبل غششته ثم خرج المغيرة فلحق بمكة ، ولحقه جماعة منهم طلحة والزبير : وكانوا قد استأذنوا عليا فى الاعتمار فأذن لهم ، ثم إن ابن عباس أشار علىّ على باستمرار نوابه فى البلاد ، إلى أن يتمكن الأمر ، وأن يقر معاوية خصوصا على الشام وقال له : إنى أخشى إن عزلته عنها أن يطلبك بدم عثمان ولا آمن طلحة والزبير أن يتكاما عليك بسبب ذلك ، فقال على : إنى لا أرى هذا ولكن اذهب أنت إلى الشام فقد وليتكها ، فقال ابن عباس لعلى : إنى أخشى من معاوية أن يقتلنى بعثمان ، أو يحبسنى لقرابتى منك ولكن اكتب معى إلى معاوية فمنّه وعده ، فقال على : والله إن هذا مالا يكون أبدا ، فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين الحرب خدعة كما قال رسول الله (ص) ، فوالله لئن أطعتنى لأوردنهم بعد صدرهم ونهى ابن عباس عليا فيما أشار عليه أن يقبل من هؤلاء الذين يحسّنون إليه الرحيل إلى العراق ، ومفارقة المدينة ، فأبى عليه ذلك كله ، وطاوع أمر أولئك الأمراء من أولئك الخوارج من أهل الأمصار .

قال ابن جرير : وفى هذه السنة قصد قسطنطين بن هرقل بلاد المسلمين فى ألف مركب ، فأرسل الله عليه قاصفا من الريح فغرقه الله بحوله وقوته ، ومن معه ، ولم ينج منهم أحد إلا الملك فى شرذمة قليلة من قومه ، فلما دخل صقلية عملوا له حماما فدخله فقتلوه فيه ، وقالوا : أنت قتلت رجالنا .

ثم دخلت سنة ستّ وثلاثين من الهجرة

استهلت هذه السنه وقد تولى أمير المؤمنين على بن أبى طالب الخلافة ، وولى على الأمصار نوابا ، فولى عبد الله بن عباس على اليمن ، وولى سمرة بن جندب (١) على البصرة ، وعماوة بن شهاب على الكوفة ، وقيس بن سعد بن عبادة على مصر ، وعلى الشام سهل بن حنيف بدل معاوية ، فسار حتى بلغ تبوك فتلقته خيل معاوية ، فقالوا : من أنت ؟ فقال : أمير ، قالوا : على أى شئ ؟ قال : على الشام ، فقالوا : إن كان عثمان بعثك فحى هلابك ، وإن كان غيره فارجع . فقال : أو ما سمعتم الذى

---

(١) ذكر ابن جرير الطبرى أن علياً ولى عثمان بن حنيف على البصرة وسيأتى أنه عثمان ابن حنيف .

كان ؟ قالوا : بلى ، فرجع إلى علـى . وأما قيس بن سعد فاختلف عليه أهل مصر فبايع له الجمهور ، وقالت طائفة : لا نبايع حتى نقتل قتلة عثمان ، وكذلك أهل البصرة ، وأما عمارة بن شهاب المبعوث أميراً على الكوفة فصده عنها طلحة بن خويلد غضبا لعثمان ، فرجع إلى على فأخبره ، وانتشرت الفتنة وتفاقم الأمر ، واختلفت الكلمة ، وكتب أبو موسى إلى على بطاعة أهل الكوفة ومبايعتهم إلا القليل منهم ، و بعث على إلى معاوية كتبا كثيرة فلم يرد عليه جوابها ، وتكرر ذلك مراراً إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان فى صفر ، ثم بعث معاوية طوماراً مع رجل فدخل به علـى على فقال : ما وراءك ؟ قال جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القود كلهم موتور ، تركت سبعين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان ، وهو على منبر دمشق ، فقال على : اللهم إنى أبرأ إليك من دم عثمان ، ثم خرج رسول معاوية من بين يدى على فهمّ به أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان يريدون قتله ، فما أفلت إلا بعد جهد . وعزم على رضى الله عنه على قتال أهل الشام ، وكتب إلى قيس بن سعد بمصر يستنفر الناس لقتالهم ، وإلى أبى موسى بالكوفة : و بعث إلى عثمان بن حنيف بذلك ، وخطب الناس فحثهم على ذلك . وعزم على التجهز ، وخرج من المدينة ، واستخلف عليها قثم بن العباس ، وهو عازم أن يقاتل بمن أطاعه من عصاه وخرج عن أمره ولم يبايعه مع الناس ، وجاء إليه ابنه الحسن ابن على فقال : ياأبتى دع هذا فان فيه سفك دماء المسلمين ، ووقوع الاختلاف بينهم ، فلم يقبل منه ذلك ، بل صمم على القتال ، ورتب الجيش ، فدفع اللواء إلى محمد بن الحنفية ، وجعل ابن العباس علـى الميمنة ، وعمرو بن أبى سلمة علـى الميسرة ، وقيـل جعل على الميسرة عمرو بن سفيان بن عبد الأسد ، وجعل على مقدمته أبا ليلى بن عمرو بن الجراح ابن أخى أبى عبيدة ، واستخلف على المدينة قثم بن العباس ولم يبق شىء إلا أن يخرج من المدينة قاصداً إلى الشام ، حتى جاءه ما شغله عن ذلك كله وهو ما سنورده .

إبتداء وقعة الجمل

لما وقع قتل عثمان بعد أيام التشريق ، كان أزواج النبى (ص.) أمهات المؤمنين قد خرجن إلى الحج فى هذا العام فرارا من الفتنة ، فلما بلغ الناس أن عثمان قد قتل ، أقمن بمكة بعد ما خرجوا منها ، ورجعوا إليها وأقاموا بها وجعلوا ينتظرون مايصنع الناس و يتجسسون الأخبار فلما بويع لعلى وصار حظ الناس عنده بحكم الحال وغلبة الرأى ، لا عن اختيار منه لذلك رؤس أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان ، مع أن علياً فى نفس الأمر يكرههم ، ولكنه تربص بهم الدوائر ، ويود لو تمكن منهم ليأخذ حق الله منهم ، ولكن لما وقع الأمر هكذا واستحوذوا عليه ، وحجبوا عنه علية الصحابة فرّ جماعة من بنى أمية وغيرهم إلى مكة ، واستأذنه طلحة والزبير فى الاعتمار ، فأذن لهما فخرجا إلى

مكة وتبعهم خلق كثير ، وجم غفير ، وكان على لما عزم على قتال أهل الشام قد ندب أهل المدينة إلى الخروج معه فأبوا عليه ، فطلب عبد الله بن عمر بن الخطاب وحرضه على الخروج معه ، فقال : إنما أنا رجل من أهل المدينة ، إن خرجوا خرجت على السمع والطاعة ، ولكن لا أخرج للقتال فى هذا العام ، ثم تجهز ابن عمر وخرج إلى مكة ، وقدم إلى مكة أيضا فى هذا العام يعلى بن أمية من اليمن ، ـ وكان عاملا عليها لعثمان ـ ، ومعه ستمائة بعير و ستمائة ألف درهم ، وقدم لها عبد الله بن عامر من البصرة ، وكان نائبها لعثمان ، فاجتمع فيها خلق من سادات الصحابة ، وأمهات المؤمنين ، فقامت عائشة رضى الله عنها فى الناس تخطبهم وتحثهم على القيام بطلب دم عثمان ، وذكرت ما افتات به أولئك من قتله فى بلد حرام وشهر حرام ، ولم يراقبوا جوار رسول الله (ص) ، وقد سفكوا الدماء ، وأخذوا الأموال . فاستجاب الناس لها ، وطاوعوها على ما تراه من الأمر بالمصلحة ، وقالوا لها : حيثما سرت سرنا معك ، فقال قائل نذهب إلى الشام ، فقال بعضهم : إن معاوية قد كفاكم أمرها ، [ولو قدموها لغلبوا ، واجتمع الأمر كله لهم ، لأن أكابر الصحابة معهم] (١) وقال آخرون : نذهب إلى المدينة فنطلب من على أن يسلم إلينا قتلة عثمان فيقتلوا ، وقال آخرون : بل نذهب إلى البصرة فنتقوى من هنالك بالخيل والرجال ، ونبدأ بمن هناك من قتلة عثمان . فاتفق الرأى على ذلك وكان بقية أمهات المؤمنين قد وافقن عائشة على المسير إلى المدينة ، فلما اتفق الناس على المسير إلى البصرة رجعن عن ذلك وقلن: لا نسير إلى غير المدينة ، وجهز الناس يعلى بن أمية فأنفق فيهم ستمائة بعير وستمائة ألف درهم وجهزهم ابن عامر أيضا بمال كثير ، وكانت حفصة بنت عمر أم المؤمنين قد وافقت عائشة على المسير إلى البصرة ، فمنعها أخوها عبد الله من ذلك ، وأبى هو أن يسير معهم إلى غير المدينة ، وسار الناس صحبة عائشة فى ألف فارس ، وقيل تسعمائة فارس من أهل المدينة ومكة ، وتلاحق بهم آخرون ، فصاروا فى ثلاثة آلاف ، وأم المؤمنين عائشة تحمل فى هودج على جمل اسمه عسكر، اشتراه يعلى بن أمية من رجل من عرينة بمائتى دينار ، وقيل بثمانين ديناراً ، وقيل غير ذلك ، وسار معها أمهات المؤمنين إلى ذات عرق ففارقنها هنالك و بكين للوداع ، وتباكى الناس ، وكان ذلك اليوم يسمى يوم النحيب ، وسار الناس قاصدين البصرة ، وكان الذى يصلى بالناس عن أمر عائشة ابن أختها عبد الله ابن الزبير ، ومروان بن الحكم يؤذن للناس فى أوقات الصلوات ، وقد مروا فى مسيرهم ليلا بماء يقال له الحوأب ، فنبحتهم كلاب عنده ، فلما سمعت ذلك عائشة قالت : ما اسم هذا المكان ؟ قالوا الحوأب ، فضربت بإحدى يديها على الأخرى وقالت : إنا لله و إنا إليه راجعون ، ما أظننى إلا راجعة، قالوا : ولم ؟ قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول لنسائه : « ليت شعرى أيتكن التى تنبحها كلاب

---

(١) سقط من المصرية .

الحوأب »، ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته ، وقالت : ردونى ردونى ، أنا والله صاحبة ماء الحوأب ، وقد أوردنا هـذا الحديث بطرقه وألفاظه فى دلائل النبوة كما سبق ، فأناخ الناس حولها يوما وليلة ، وقال لها عبد الله بن الزبير : إن الذى أخبرك أن هذا ماء الحوأب قد كذب ، ثم قال الناس : النجا النجا ، هـذا جيش على بن أبى طالب قد أقبل ، فارتحلوا نحو البصرة ، فلما اقتربت من البصرة كتبت إلى الأحنف بن قيس وغـيره من رءوس الناس ، أنها قد قدمت ، فبعث عثمان بن حنيف عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلى إليها ليعلما ماجاءت له ، فلما قدما عليها سلما عليها واستعلما منها ما جاءت له ، فذكرت لهما ماالذى جاءت له من القيام بطلب دم عثمان، لأنه قتـل مظلوماً فى شهر حرام و بلد حرام . وتلت قوله تعالى [لا خـير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما] فخرجا من عندها فجاءا إلى طلحة فقالا له : ما أقدمك ؟ فقال : الطلب بدم عثمان ، فقالا : ما بايعت عليا ؟ قال : بلى والسيف عـلى عنقى ، ولا أستقبله إن هو لم يُخل بيننا و بين قتلة عثمان . فذهبا إلى الزبير فقال مثل ذلك ، قال : فرجع عمران وأبو الأسود إلى عثمان بن حنيف ، فقال أبو الأسود :

يا إبنَ الاحنفِ قد أُتيتَ فانفرِ * وطاعِنِ القوم وجالدْ واصبرِ

* واخرجْ لهم مستلئماً وشمرِ *

فقال عثمان بن حنيف : إنا لله و إنا إليه راجعون ، دارت رحا الاسلام و رب الـكعبة ، فانظروا بأى زيغان نزيف ، فقال عمران إى والله لتعركنكم عركا طويلا ، يشير عثمان بن حنيف إلى حديث ابن مسعود مرفوعا « تدور رحا الاسلام لخمس وثلاثين » الحديث كما تقدم ، ثم قال عثمان بن حنيف لعمران بن حصين : أشر على ، فقال اعتزل فانى قاعد فى منزلى ، أو قال قاعد على بعيرى ، فذهب فقال عثمان : بل أمنعهم حتى يأتى أمير المؤمنين ، فنادى فى الناس يأمرهم بلبس السلاح والاجتماع فى المسجد ، فاجتمعوا فأمرهم بالتجهز ، فقام رجل وعثمان على المنبر فقال : أيها الناس إن كان هؤلاء القوم جاؤا خائفين فقـد جاؤا من بلد يأمن فيه الطير ، و إن كانوا جاؤا يطلبون بدم عثمان فما نحن بقتلته ، فأطيعونى و ردوهم من حيث جاؤا ، فقام الأسود بن سريع السعدى فقال : إنما جاؤا يستعينون بنا على قتلة عثمان منا ومن غـيرنا ، فحصبه الناس ، فعلم عثمان بن حنيف أن لقتلة عثمان بالبصرة أنصاراً ، فـكره ذلك ، وقدمت أم المؤمنين بمن معها من الناس ، فنزلوا المربد من أعـلاه قريبا من البصرة ، وخرج إليها من أهل البصرة من أراد أن يكون معها ، وخرج عثمان بن حنيف بالجيش فاجتمعوا بالمربد، فتكلم طلحة ـ وكان على الميمنة ـ فندب إلى الأخذ بثأر عثمان ، والطلب بدمه ، وتابعه الزبير فتكلم بمثل مقالته فرد عليهما ناس من جيش عثمان بن حنيف ، وتـكلمت أم المؤمنين فحرضت وحثت على

القتال ، فتناوش طوائف من أطراف الجيش فتراموا بالحجارة ، ثم تحاجز الناس ورجع كل فريق إلى حوزته ، وقد صار طائفة من جيش عثمان بن حنيف إلى جيش عائشة ، فكثروا ، وجاء حارثة ابن قدامة السعدى فقال : يا أم المؤمنين ! والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل عرضة للسلاح ، إن كنت أتيتينا طائعة فارجعى من حيث جئت إلى منزلك ، وإن كنت أتيتينا مكرهة فاستعينى بالناس فى الرجوع وأقبل حكيم بن جبلة ـ وكان على خيل عثمان بن حنيف ـ فأنشب القتال وجعل أصحاب أم المؤمنين يكفون أيديهم ويمتنعون من القتال ، وجعل حكيم يقتحم عليهم فاقتتلوا على فم السكة ، وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا إلى مقبرة بنى مازن ، وحجز الليل بينهم ، فلما كان اليوم الثانى قصدوا للقتال ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، إلى أن زال النهار ، وقتل خلق كثير من أصحاب ابن حنيف ، وكثرت الجراح فى الفريقين ، فلما عضتهم الحرب تداعوا إلى الصلح على أن يكتبوا بينهم كتابا ويبعثوا رسولا إلى أهل المدينة يسأل أهلها ، إن كان طلحة والزبير أكرها على البيعة ، خرج عثمان بن حنيف عن البصرة وأخلاها ، وإن لم يكونا أكرها على البيعة خرج طلحة والزبير عنها وأخلوها لهم ، وبعثوا بذلك كعب بن سور القاضى ، فقدم المدينة يوم الجمعة ، فقام فى الناس ، فسألهم : هل بايع طلحة والزبير طائعين أو مكرهين ؟ فسكت الناس فلم يتكلم إلا أسامة بن زيد ، فقال : بل كانا مكرهين ، فثار إليه بعض الناس فأرادوا ضربه ، فحاجف دونه صهيب ، وأبو أيوب ، وجماعة حتى خلصوه ، وقالوا له : ماوسعك ما وسعنا من السكوت ؟ فقال : لا والله ما كنت أرى أن الأمر ينتهى إلى هذا ، وكتب على إلى عثمان بن حنيف يقول له : إنهما لم يكرها على فرقة ، ولقد أكرها على جماعة وفضل فإن كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما ، وإن كانا يريدان غير ذلك نظرا ونظرنا ، وقدم كعب بن سور على عثمان بكتاب على ، فقال عثمان : هذا أمر آخر غير ما كنا فيه ، وبعث طلحة والزبير إلى عثمان بن حنيف أن يخرج إليهما فأبى ، فجمعا الرجال فى ليلة مظلمة وشهدا بهم صلاة العشاء فى المسجد الجامع ، ولم يخرج عثمان بن حنيف تلك الليلة ، فصلى بالناس عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ، ووقع من رعاع الناس من أهل البصرة كلام وضرب ، فقتل منهم نحواً أربعين رجلا ، ودخل الناس على عثمان بن حنيف قصره فأخرجوه إلى طلحة والزبير ، ولم يبق فى وجهه شعرة إلا نتفوها ، فاستعظما ذلك وبعثا إلى عائشة فأعلماها الخبر ، فأمرت أن تخلى سبيله ، فأطلقوه وولوا على بيت المال عبد الرحمن بن أبى بكر ، وقسم طلحة والزبير أموال بيت المال فى الناس وفضلوا أهل الطاعة ، وأكب عليهم الناس يأخذون أرزاقهم ، وأخذوا الحرس ، واستبدوا فى الأمر بالبصرة ، فحمى لذلك جماعة من قوم قتلة عثمان وأنصارهم ، فركبوا فى جيش قريب من ثلثمائة ، ومقدمهم حكيم بن جبلة ، وهو أحد من باشر قتل عثمان ، فبارزوا وقاتلوا ،

فضرب رجل رجل حكيم بن جبلة فقطعها ، فزحف حتى أخذها وضرب بها ضاربه فقتله ثم اتكأ عليه وجعل يقول :

يا ساقُ لن تراعى * إنّ لكِ ذراعى * أحمى بها كراعى

وقال أيضاً :

ليس على أن أموت عار * والعارُ فى الناسِ هو الفرارُ * والمجدُ لا يفضحه الدمار

فمر عليه رجل وهو متكئ برأسه على ذلك الرجل ، فقال له : من قتلك ؟ فقال له وسادتى . ثم مات حكيم قتيلا هو ونحو من سبعين من قتلة عثمان وأنصارهم أهل المدينة ، فضعف جأش من خالف طلحة والزبير من أهل البصرة ، ويقال : إن أهل البصرة بايعوا طلحة والزبير ، وندب الزبير ألف فارس يأخذها معه ويلتقى بها عليا قبل أن يجئ فلم يجبه أحد ، وكتبوا بذلك إلى أهل الشام يبشرونهم بذلك ، وقد كانت هذه الوقعة لخمس ليال بقين من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ، وقد كتبت عائشة إلى زيد بن صوحان تدعوه إلى نصرتها والقيام معها فان لم يجئ فليكف يده وليلزم منزله ، أى لا يكون عليها ولا لها ، فقال : أنا فى نصرتك ما دمت فى منزلك ، وأبى أن يطيعها فى ذلك ، وقال : رحم الله أم المؤمنين أمرها الله أن تلزم بيتها وأمرنا أن نقاتل ، فخرجت من منزلها وأمرتنا بلزوم بيوتنا التى كانت هى أحق بذلك منا ، وكتبت عائشة إلى أهل اليمامة والكوفة بمثل ذلك .

مسير علي بن أبي طالب من المدينة الى البصرة بدلاً من الشام

بعد أن كان قد تجهز قاصداً الشام كما ذكرنا ، فلما بلغه قصد طلحة والزبير البصرة ، خطب الناس وحثهم على المسير إلى البصرة ليمنع أولئك من دخولها ، إن أمكن ، أو يطاردهم عنها إن كانوا قد دخلوها ، فتثاقل عنه أكثر أهل المدينة ، واستجاب له بعضهم ، قال الشعبى : ما نهض معه فى هذا الأمر غير ستة نفر من البدريين ، ليس لهم سابع . وقال غيره أربعة . وذكر ابن جرير وغيره قال كان ممن استجاب له من كبار الصحابة أبو الهيثم بن التيهان ، وأبو قتادة الأنصارى ، وزياد بن حنظلة ، وخزيمة بن ثابت . قالوا : وليس بذى الشهادتين ، ذاك مات فى زمن عثمان رضى الله عنه . وسار على من المدينة نحو البصرة على تعبئته المتقدم ذكرها ، غير أنه استخلف على المدينة تمام بن عباس وعلى مكة قثم بن عباس وذلك فى آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ، وخرج على من المدينة فى نحو من تسعمائة مقاتل ، وقد لقى عبد الله بن سلام رضى الله عنه عليا وهو بالربذة ، فأخذ بعنان فرسه وقال : يا أمير المؤمنين ! لا تخرج منها ، فوالله لئن خرجت منها لا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً ، فسبه بعض الناس ، فقال على : دعوه فنعم الرجل من أصحاب النبى ص ، وجاء الحسن بن على إلى أبيه فى الطريق فقال : لقد نهيتك فعصيتنى تقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك . فقال له على : إنك لا تزال

تحن على حنين الجارية ، وما الذى نهيتنى عنه فعصيتك ؟ فقال : ألم آمرك قبل مقتل عثمان أن تخرج منها لئلا يقتل وأنت بها ، فيقول قائل أو يتحدث متحدث ؟ ألم آمرك أن لاتبايع الناس بعد قتل عثمان حتى يبعث إليك أهل كل مصر ببيعتهم ؟ وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس فى بيتك حتى يصطلحوا فعصيتنى فى ذلك كله ؟ فقال له على : أماقولك أن أخرج قبل مقتل عثمان فلقد أحيط بنا كما أحيط به ، وأما مبايعتى قبل مجئ بيعة الامصار فكرهت أن يضيع هذا الأمر ، وأما أن أجلس وقد ذهب هؤلاء إلى ما ذهبوا إليه . فتريد منى أن أكون كالضبع التى يحاط بها ، و يقال ليست هاهنا ، حتى يشق عرقوبها فتخرج ، فاذا لم أنظر فيما يلزمنى فى هذا الأمر و يعنينى فمن ينظر فيه ؟ فكف عنى يابنى ، ولما انتهى إليه خبر ما صنع القوم بالبصرة من الأمر الذى قدمنا كتب إلى أهل الكوفة مع محمد بن أبى بكر ، ومحمد بن جعفر ، إنى قد اخترتكم على أهل الأمصار ، فرغبت إليكم وفرغت لما حدث ، فكونوا لدين الله أعوانا وأنصارا ، وانهضوا إلينا فالاصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخوانا ، فمضيا ، وأرسل إلى المدينة فأخذ ما أراد من سلاح ودواب ، وقام فى الناس خطيبا فقال : إن الله أعزنا بالاسلام و رفعنا به ، وجعلنا به إخوانا ، بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد ، فجرى الناس على ذلك ماشاء الله ، الاسلام دينهم ، والحق قائم بينهم ، والكتاب إمامهم ، حتى أصيب هذا الرجل بأيدى هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الامة ، ألا و إن هذه الأمة لابد مفترقة كما افترقت الأمم قبلها ، فنعوذ بالله من شر ما هو كائن . ثم عاد ثانية فقال : إنه لابد مما هو كائن أن يكون ، ألا و إن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، شرها فرقة تحبنى ولا تعمل بعملى ، وقد أدركتم و رأيتم ، فالزموا دينكم ، واهتدوا بهديى فانه هدى نبيكم ، واتبعوا سنته ، وأعرضوا عما أشكل عليكم ، حتى تعرضوه على الكتاب ، فما عرفه القرآن فالزموه ، وما أنكره فردوه ، وارضوا بالله ربا ، و بالاسلام دينا ، و بمحمد نبيا ، و بالقرآن حكما و إماما . قال فلما عزم على المسير من الربذة قام إليه ابن أبى رفاعة بن رافع ، فقال : ياأمير المؤمنين أى شئ تريد ؟ وأين تذهب بنا ؟ فقال : أما الذى نريد وننوى فالاصلاح ، إن قبلوا منا وأجابوا إليه ، قال : فان لم يجيبوا إليه ؟ قال : ندعهم بغدرهم ونعطيهم الحق ونصبر . قال : فان لم يرضوا ؟ قال : ندعهم ما تركونا ، قال : فان لم يتركونا ؟ قال : امتنعنا منهم ، قال : فنعم إذاً . فقام إليه الحجاج بن غزية الأنصارى فقال : لأرضينك بالفعل كما أرضيتنى بالقول ، والله لينصرنى الله كما سمانا أنصارا . قال : وأتت جماعة من طئ وعلى بالربذة ، فقيل له : هؤلاء جماعة جاؤا من طئ منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد السلام عليك ، فقال : جزى الله كلا خيرا (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما) قالوا : فسار على من الربذة على تعبئته وهو راكب ناقة حمراء يقود فرسا كميتا فلما كان بفيد جاءه جماعة من أسد

وطئ ، فعرضوا أنفسهم عليه فقال : فيمن معى كفاية ، وجاء رجل من أهل الكوفة يقال له عامر بن مطر الشيبانى ، فقال له على : ما وراءك ؟ فأخبره الخبر ، فسأله عن أبى موسى فقال : إن أردت الصلح فأبو موسى صاحبه ، وإن أردت القتال فليس بصاحبه ، فقال على : والله ما أريد إلا الصلح ممن تمرد علينا . وسار ، فلما اقترب من الكوفة وجاءه الخبر بما وقع من الأمر على جليته ، من قتل ومن إخراج عثمان بن حنيف من البصرة ، وأخذهم أموال بيت المال ، جعل يقول : اللهم عافنى مما ابتليت به طلحة والزبير ، فلما انتهى إلى ذى قار أتاه عثمان بن حنيف مهشما ، وليس فى وجهه شعرة فقال : يا أمير المؤمنين بعثتنى إلى البصرة وأنا ذو لحية ، وقد جئتك أمرداً ، فقال : أصبت خيراً وأجراً . وقال عن طلحة والزبير : اللهم احلل ما عقدا ، ولا تبرم ما أحكما فى أنفسهما ، وأرهما المساءة فيما قد عملا ـ يعنى فى هذا الأمر ـ وأقام على بذى قار ينتظر جواب ما كتب به مع محمد بن أبى بكر وصاحبه محمد بن جعفر ـ وكانا قد قدما بكتابه على أبى موسى وقاما فى الناس بأمره ـ فلم يجابا فى شئ ، فلما أمسوا دخل أناس من ذوى الحجى على أبى موسى يعرضون عليه الطاعة لعلى ، فقال : كان هذا بالأمس فغضب محمد ومحمد فقالا له قولا غليظاً : فقال لهما : والله إن بيعة عثمان لفى عنقى وعنق صاحبكما ، فإن لم يكن بدمن قتال فلا نقاتل أحداً حتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا ومن كانوا ، فانطلقا إلى على فأخبراه الخبر ، وهو بذى قار ، فقال للأشتر : أنت صاحب أبى موسى والمعرض فى كل شئ فاذهب أنت وابن عباس فأصلح ما أفسدت ، فخرجا فقدما الكوفة وكلما أبا موسى واستعانا عليه بنفر من الكوفة فقام فى الناس فقال : أيها الناس ، إن أصحاب محمد ص ، الذين صحبوه أعلم بالله ورسوله ممن لم يصحبه ، وإن لكم علينا حقا وأنا مؤد إليكم نصيحة ، كان الرأى أن لا تستخفوا بسلطان الله وأن لا تجترئوا على أمره ، وهذه فتنة النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم والقائم خير من الراكب ، والراكب خير من الساعى فاغمدوا السيوف وانصلوا الأسنة ، واقطعوا الأوتار ، وأووا المضطهد والمظلوم حتى يلتئم هذا الأمر ، وتنجلى هذه الفتنة ، فرجع ابن عباس والأشتر إلى على فأخبراه الخبر ، فأرسل الحسن وعمار بن ياسر ، وقال لعمار : انطلق فأصلح ما أفسدت ، فانطلقا حتى دخلا المسجد فكان أول من سلم عليهما مسروق بن الأجدع ، فقال لعمار : علام قتلتم عثمان ؟ فقال : على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا ، فقال : والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ، ولو صبرتم لكان خيراً للصابرين . قال : وخرج أبو موسى فلقى الحسن بن على فضمه إليه ، وقال لعمار : يا أبا اليقظان أعدوت على أمير المؤمنين عثمان قتلته ؟ فقال : لم أفعل ، ولم يسؤنى ذلك ، فقطع عليهما الحسن بن على فقال لأبى موسى : لم تثبط الناس عنا ؟ فوالله ما أردنا إلا الاصلاح ، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شئ ، فقال : صدقت

بأبى وامى ، ولكن المستشار مؤتمن ، فمعت من النبى (ص.) يقول « إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشى ، والماشى خير من الراكب » وقد جعلنا الله إخوانا وحرم علينا دماءنا وأموالنا ، فغضب عمار وسبه ، وقال : يا أيها الناس ، إنما قال له رسول الله (ص.) وحده أنت فيها قاعداً خير منك قائماً ، فغضب رجل من بنى تميم لأبى موسى ونال من عمار ، وثار آخرون : وجعل أبو موسى يكفكف الناس ، وكثر اللغط ، وارتفعت الأصوات ، وقال أبو موسى أيها الناس ، أطيعونى وكونوا خير قوم من خير أمم العرب ، يأوى إليهم المظلوم ، ويأمن فيهم الخائف ، وإن الفتنة إذا أقبلت شبهت ، وإذا أدبرت تبينت ثم أمر الناس بكف أيديهم ولزوم بيوتهم ، فقام زيد بن صوحان فقال : أيها الناس سيروا إلى أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، سيروا إليه أجمعون ، فقام القعقاع بن عمرو فقال : إن الحق ما قاله الأمير ، ولكن لابد للناس من أمير يردع الظالم ويعدى المظلوم ، وينتظم به شمل الناس ، وأمير المؤمنين على ملى بما ولى ، وقد أنصف بالدعاء ، وإنما يريد الاصلاح ، فانفروا إليه ، وقام عبد خير فقال : الناس أربع فرق ، على بمن معه فى ظاهر الكوفة ، وطلحة والزبير بالبصرة ، ومعاوية بالشام ، وفرقة بالحجاز لاتقاتل ولاعناء بها ، فقال أبو موسى : أولئك خير الفرق ، وهذه فتنة . ثم تراسل الناس فى الكلام ثم قام عمار والحسن بن على فى الناس على المنبر يدعوان الناس إلى النفير إلى أمير المؤمنين ، فانه إنما يريد الاصلاح بين الناس ، وسمع عمار رجلا يسب عائشة فقال : اسكت مقبوحا منبوحا ، والله إنها لزوجة رسول الله (ص.) فى الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أتطيعوه أو إياها ، رواه البخارى وقام حجر بن عدى فقال : أيها الناس ، سيروا إلى أمير المؤمنين ، [انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون] وجعل الناس كما قام رجل يحرض الناس على النفير يثبطهم أبو موسى من فوق المنبر ، وعمار والحسن معه على المنبر حتى قال له الحسن بن على : ويحك ! اعتزلنا لا أم لك ، ودع منبرنا ، ويقال إن عليا بعث الأشتر فعزل أبا موسى عن الكوفة وأخرجه من قصر الامارة من تلك الليلة ، واستجاب الناس للنفير فخرج مع الحسن تسعة آلاف فى البر وفى دجلة ، ويقال سار معه اثنى عشر ألف رجل ورجل واحد ، وقدموا على أمير المؤمنين فتلقاهم بذى قار إلى أثناء الطريق فى جماعة ، منهم ابن عباس فرحب بهم وقال : يا أهل الكوفة ! أنتم لقيتم ملوك العجم ففضضتم جموعهم ، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة ، فان رجعوا فذاك الذى نريده ، وإن أبوا داويناهم بالرفق حتى يبدؤنا بالظلم ، ولم ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله تعالى . فاجتمعوا عنده بذى قار ، وكان من المشهورين من رؤساء من انضاف إلى على ، القعقاع بن عمرو ، وسعد بن مالك ، وهند بن عمرو ، والهيثم بن شهاب ، وزيد بن صوحان ،

والأشتر ، وعدى بن حاتم ، والمسيب بن نجبة ، ويزيد بن قيس ، وحجر بن عدى وأمثالهم ، وكانت عبد القيس بكمالها بين على و بين البصرة ينتظرونه وهم ألوف ، فبعث على القعقاع رسولا إلى طلحة والزبير بالبصرة يدعوهما إلى الألفة والجماعة ، ويعظم عليهما الفرقة والاختلاف ، فذهب القعقاع إلى البصرة فبدأ بعائشة أم المؤمنين ، فقال : أى أماه ! ما أقدمك هذا البلد ؟ فقالت : أى بنىّ ! الاصلاح بين الناس ، فسألها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها ، فحضرا فقال القعقاع : إنى سألت أم المؤمنين ما أقدمها ؟ فقالت إنما جئت للاصلاح بين الناس ، فقالا : ونحن كذلك قال : فأخبرانى ما وجه هذا الاصلاح ؟ وعلى أى شئ يكون ؟ فوالله لئن عرفناه لنصطلحن ، ولئن أنكرناه لا نصطلحن ، قالا : قتلة عثمان ، فان هذا إن ترك كان تركا للقرآن ، فقال : قتلتما قتلته من أهل البصرة ، وأنتما قبل قتلهم أقرب منكم إلى الاستقامة منكم اليوم ، قتلتم ستمائة رجل ، فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم ، وخرجوا من بين أظهركم ، وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف ، فان تركتموهم وقعتم فيما تقولون ، و إن قاتلتموهم فأديلوا عليكم كان الذى حذرتم وفرقتم من هذا الأمر أعظم مما أراكم تدفعون وتجمعون منه ـ يعنى أن الذى تريدونه من قتل قتلة عثمان مصلحة ، ولكنه يترتب عليه مفسدة هى أربى منها ـ وكما أنكم عجزتم عن الأخذ بثأر عثمان من حرقوص بن زهير ، لقيام ستة آلاف فى منعه ممن يريد قتله ، فعلى أعذر فى تركه الآن قتل قتلة عثمان ، و إنما أخر قتل قتلة عثمان إلى أن يتمكن منهم ، فان الكلمة فى جميع الأمصار مختلفة ، ثم أعلمهم أن خلقا من ربيعة ومضر قد اجتمعوا لحربهم بسبب هذا الأمر الذى وقع . فقالت له عائشة أم المؤمنين : فماذا تقول أنت ؟ قال : أقول إن هذا الأمر الذى وقع دواؤه التسكين ، فاذا سكن اختلجوا ، فان أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ، وإدراك الثأر ، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر وائتنافه كانت علامة شر وذهاب هذا الملك ، فآثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولا ، ولا تعرضونا للبلاء فتتعرضوا له ، فيصرعنا الله و إياكم ، وايم الله إنى لأقول قولى هذا وأدعوكم إليه ، و إنى لخائف أن لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التى قل متاعها ، ونزل بها ما نزل ، فان هذا الأمر الذى قد حدث أمر عظيم ، وليس كقتل الرجل الرجل ، ولا النفر الرجل ، ولا القبيلة القبيلة . فقالوا : قد أصبت وأحسنت فارجع ، فان قدم على وهو على مثل رأيك صلح الأمر ، قال : فرجع إلى على فأخبره فأعجبه ذلك ، وأشرف القوم على الصلح ، كره ذلك من كرهه و رضيه من رضيه ، وأرسلت عائشة إلى على تعلمه أنها إنما جاءت للصلح ، ففرح هؤلاء وهؤلاء ، وقام على فى الناس خطيبا فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها ، وذكر الاسلام وسعادة أهله بالألفة والجماعة ، وأن الله جمعهم بعد نبيه (ص) على الخليفة أبى بكر الصديق ، ثم بعده على عمر بن الخطاب ، ثم على عثمان ثم حدث هذا

الحدث الذى جرى على الأمة ، أقوام طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم الله عليه بها ، وعلى الفضيلة التى منّ الله بها ، وأرادوا رد الاسلام والأشياء على أدبارها ، والله بالغ أمره . ثم قال : ألا إنى مرتحل غدا فارتحلوا ، ولا يرتحل معى أحد أعان على قتل عثمان بشئ من أمور الناس . فلما قال هـذا اجتمع من رؤسهم جماعة كالأشتر النخعى ، وشريح بن أوفى ، وعبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، وسالم بن ثعلبة ، وغلاب بن الهيثم ، وغيرهم فى ألفين وخمسمائة ، وليس فيهم صحابى ولله الحمد ، فقالوا : ماهذا الرأى وعلى والله أعلم بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان ، وأقرب إلى العمل بذلك ، وقد قال ماسمعتم ، غـدا يجمع عليكم الناس ، وإنما يريد القوم كلهم أنتم ، فكيف بكم وعددكم قليل فى كثرتهم ؟ فقال الأشتر : قدعرفنا رأى طلحة والزبير فينا ، وأما رأى على فلم نعرفه إلى اليوم ، فان كان قد اصطلح معهـم فانما اصطلحوا على دمائنا ، فان كان الأمر هكذا ألحقنا عليا بعثمان ، فرضى القوم منا بالسكوت ، فقال ابن السوداء : بئس مارأيت ، لو قتلناه قتلنا ، فانا يامعشر قتلة عثمان فى ألفين وخمسمائة وطلحة والزبير وأصحابهما فى خمسة آلاف ، لاطاقة لكم بهم ، وهم إنما يريدونكم ، فقال غلاب بن الهيثم دعوهم وارجعوا بنا حتى نتعلق ببعض البـلاد فنمتنع بها ، فقال ابن السوداء : بئس ماقلت ، إذاً والله كان يتخطفكم الناس ، ثم قال ابن السوداء قبحه الله : ياقوم إن عيركم فى خلطة لناس فاذا التقى الناس فانشبوا الحرب والقتال بين الناس ولا تدعوهم يجتمعون فمن أنتم معه لايجد بداً من أن يمتنع ، ويشغل الله طلحة والزبير ومن معهما عما يحبون ، ويأتيهم مايكرهون ، فأبصروا الرأى وتفرقوا عليـه ، وأصبح على مرتحلا ومر بعبد القيس فساروا من معه حتى نزلوا بالزاوية ، وسار منها يريد البصرة ، وسار طلحة والزبير ومن معهما للقائه ، فاجتمعوا عند قصر عبيد الله بن زياد ، ونزل الناس كل فى ناحية . وقد سبق على جيشه وهم يتلاحقون به ، فمكثوا ثلاثة أيام والرسل بينهم ، فكان ذلك للنصف من جمادى الآخرة سـنة ست وثلاثين ، فأشار بعض الناس عـلى طلحة والزبير بانتهاز الفرصة ، من قتلة عثمان ، فقالا : إن عليا أشار بتسكين هـذا الأمر ، وقد بعثنا إليه بالمصالحة على ذلك ، وقام على فى الناس خطيباً ، فقام إليـه الأعور بن نيار المنقرى ، فسأله عن إقدامه على أهل البصرة ، فقال : الاصلاح وإطفاء الثائرة ليجتمع الناس على الخير ، ويلتئم شمل هذه الأمة ، قال : فان لم يجيبونا ؟ قال : تركناهم ماتركونا ، قال فان لم يتركونا ؟ قال : دفعناهم عن أنفسنا ، قال فهل لهم فى هذا الأمر مثل الذى لنا ، قال : نعم ! وقام إليه أبو سلام الدالانى فقال هل لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هـذا الدم ، إن كانوا أرادوا الله فى ذلك ؟ قال : نعم ! قال : فهل لك من حجة فى تأخيرك ذلك ؟ قال : نعم ! قال فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غداً ؟ قال : إنى لأرجو أن لا يقتل منا ومنهم أحد نقى قلبـه لله إلا أدخـله الله الجنـة ، وقال فى خطبته : أيها الناس أمسكوا عن هؤلاء القوم أيديكم

وألسنتكم ، وإياكم أن يسبقونا غداً ، فان المخصوم غداً مخصوم اليوم وجاء فى غبون ذلك الأحنف بن قيس فى جماعة فانضاف إلى على - وكان قد منع حرقوص بن زهير من طلحة والزبير وكان قدبايع عليا بالمدينة وذلك أنه قدم المدينة وعثمان محصور فسأل عائشة وطلحة والزبير : إن قتل عثمان من أبايع ؟ فقالوا بايع عليا فلما قتل عثمان بايع عليا قال : ثم رجعت إلى قومى فجاءنى بعد ذلك ما هو أفظع ، حتى قال الناس هذه عائشة جاءت لتأخذ بدم عثمان ، فحرت فى أمرى لمن أتبع ، فمنعنى الله بحديث سمعته من أبى بكر قال : قال رسول الله (ص) وقد بلغه أن الفرس قد ملكوا عليهم ابنة كسرى فقال : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » وأصل هذا الحديث فى صحيح البخارى ، والمقصود أن الأحنف لما انحاز إلى على ومعه ستة آلاف قوس ، فقال لعلى : إن شئت قاتلت معك ، وإن شئت كففت عنك عشرة آلاف سيف ، فقال : اكفف عنا عشرة آلاف سيف ، ثم بعث على إلى طلحة والزبير يقول : إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى ننزل فننظر فى هذا الأمر ، فأرسلا إليه فى جواب رسالته : إنا على مافارقنا القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس ، فاطمأنت النفوس وسكنت ، واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين ، فلما أمسوا بعث على عبد الله بن عباس إليهم ، وبعثوا إليه محمد بن طليحة السجاد وبات الناس بخير ليلة ، وبات قتلة عثمان بشر ليلة ، وباتوا يتشاورون وأجمعوا على أن يثيروا الحرب من الغلس ، فنهضوا من قبل طلوع الفجر وهم قريب من ألفى رجل فانصرف كل فريق إلى قراباتهم فهجموا عليهم بالسيوف ، فثارت كل طائفة إلى قومهم ليمنعوهم ، وقام الناس من منامهم إلى السلاح ، فقالوا طرقتنا أهل الكوفة ليلا ، وبيتونا وغدروا بنا ، وظنوا أن هذا عن ملأ من أصحاب على فبلغ الأمر عليا فقال : ماللناس ؟ فقالوا ، بيتنا أهل البصرة ، فثار كل فريق إلى سلاحه ولبسوا اللأمة وركبوا الخيول ، ولا يشعر أحد منهم بما وقع الأمر عليه فى نفس الأمر ، وكان أمر الله قدرا مقدورا وقامت الحرب على ساق وقدم ، وتبارز الفرسان ، وجالت الشجعان ، فنشبت الحرب ، وتواقف الفريقان وقد اجتمع مع على عشرون ألفاً ، والتف على عائشة ومن معها نحواً من ثلاثين ألفاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، والسابئة أصحاب ابن السوداء قبحه الله لايفترون عن القتل ، ومنادى على ينادى : ألا كفوا ألا كفوا ، فلايسمع أحد ، وجاء كعب بن سوار قاضى البصرة فقال : يا أم المؤمنين أدركى الناس لعل الله أن يصلح بك بين الناس ، فجلست فى هودجها فوق بعيرها وستروا الهودج بالدروع ، وجاءت فوقفت بحيث تنظر إلى الناس عند حركاتهم ، فتصاولوا وتجاولوا ، وكان فى جملة من تبارز الزبير وعمار ، فجعل عمار ينخره بالرمح والزبير كاف عنه ، ويقول له ، أتقتلنى يا أبا اليقظان ؟ فيقول : لا يا أبا عبد الله ، وإنما تركه الزبير لقول رسول الله (ص) : « تقتلك الفئة الباغية » وإلا فالزبير أقدر عليه منه عليه ، فلهذا كف عنه ، وقد كان من سنتهم فى هذا اليوم أنه لا يذفف على

جريح ، ولا يتبع مدبر ، وقد قتل مع هذا خلق كثير جدا ، حتى جعل على يقول لابنه الحسن : يابنى ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عاما فقال له : يا أبت قد كنت أنهاك عن هذا . قال سعيد بن أبى عجرة عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عبادة قال : قال على يوم الجمل : يا حسن ليت أباك مات منذ عشرين سنة ، فقال له : يا أبه قد كنت أنهاك عن هذا ، قال : يابنى إنى لم أر أن الأمر يبلغ هذا . وقال مبارك بن فضالة عن الحسن بن أبى بكرة : لما اشتد القتال يوم الجمل ، و رأى علىٌّ الرؤس تندر أخذ على ابنه الحسن فضمه إلى صدره ثم قال : إنا لله يا حسن ! أى خير يرجى بعد هذا ؟ فلما ركب الجيشان وتراءى الجمعان وطلب على طلحة والزبير ليكلمهما ، فاجتمعوا حتى التفت أعناق خيولهم ، فيقال إنه قال لهما : إنى أراكما قد جمعتما خيلا ورجالا وعدداً ، فهل أعددتما عذراً يوم القيامة ؟ فاتقيا الله ولا تكونا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ، ألم أكن حاكما فى دمكما تحرمان دمى وأحرم دمكما ، فهل من حديث أحل لكما دمى ؟ فقال طلحة : ألبتَ على عثمان . فقال علي [يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق] ، ثم قال : لعن الله قتلة عثمان ، ثم قال : ياطلحة ! أجئت بعرس رسول الله (ص) تقاتل بها ، وخبأت عرسك فى البيت ؟ أما بايعتنى ؟ قال : بايعتك والسيف على عنقى . وقال للزبير : ما أخرجك ؟ قال : أنت ، ولا أراك بهذا الأمر أولى به منى . فقال له على : أما تذكر يوم مررت مع رسول الله (ص) فى بنى غنم فنظر إلى وضحك وضحكت إليه ، فقلت : لايدع ابن أبى طالب زهوه ، فقال لك رسول الله (ص) : « إنه ليس بمتمرد لتقاتلنه وأنت ظالم له » ؟ فقال الزبير : اللهم نعم ! ولو ذكرت ما سرت مسيرى هذا ، ووالله لا أقاتلك . وفى هذا السياق كله نظر ، والمحفوظ منه الحديث ، فقد رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى فقال : حدثنا أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الدورى حدثنا أبو عاصم عن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرقاشى عن جده عبد الملك عن أبى حزم المازنى . قال : شهدت عليا والزبير حين توافقا ، فقال له على : يازبير ! أنشدك الله أسمعت رسول الله (ص) يقول : « إنك تقاتلنى وأنت ظالم » ؟ قال : نعم ! لم أذكره إلا فى موقفى هذا ، ثم انصرف . وقد رواه البيهقى عن الحاكم عن أبى الوليد الفقيه عن الحسن بن سفيان عن قطن بن بشير عن جعفر بن سليمان عن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرقاشى عن جده عن أبى حزم المازنى عن على والزبير به * وقال عبد الرزاق : أنا معمر عن قتادة قال : لما ولى الزبير يوم الجمل بلغ علياً فقال : لو كان ابن صفية يعلم أنه على حق ماولى ، وذلك أن رسول الله (ص) لقيهما فى سقيفة بنى ساعدة فقال : « أتحبه يازبير ؟ فقال : وما يمنعنى ؟ قال : فكيف بك إذا قاتلته وأنت ظالم له ؟ » قال : فيرون أنه إنما ولى لذلك . قال البيهقى : وهذا مرسل وقد روى موصولا من وجه آخر أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن القاضى أنا أبو عامر بن مطر أنا أبو العباس عبد الله بن

محمد بن سوار الهاشمي الكوفي أنا منجاب بن الحارث ثنا عبد الله بن الأجلح ثنا أبي عن مرثد الفقيه عن أبيه . قال : وسمعت فضل بن فضالة يحدث عن حرب بن أبي الأسود الدؤلي ـ دخل حديث أحدهما في حديث صاحبه ـ قال : لما دنا على وأصحابه من طلحة والزبير ، ودنت الصفوف بعضها من بعض ، خرج على وهو على بغلة رسول الله (ص) فنادى : ادعوا لى الزبير بن العوام فاني على ، فدعى له الزبير فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما ، فقال على : يا زبير ! نشدتك الله ، أتذكر يوم مر بك رسول الله (ص) ونحن في مكان كذا وكذا ، فقال : « يا زبير ألا تحب عليا ؟ فقلت : ألا أحب ابن خالي وابن عمي وعلى ديني ؟ فقال يا زبير أما والله لتقاتلنه وأنت ظالم له ؟ » فقال الزبير : بلى ! والله لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله (ص) ، ثم ذكرته الآن ، والله لا أقاتلك . فرجع الزبير على دابته يشق الصفوف ، فعرض له ابنه عبد الله بن الزبير ، فقال : مالك ؟ فقال : ذكرني على حديثاً سمعته من رسول الله (ص) ، سمعته يقول : « لتقاتلنه وأنت ظالم له » فقال : أوللقتال جئت ؟ إنما جئت لتصلح بين الناس ويصلح الله بك هذا الأمر ، قال : قد حلفت أن لا أقاتله ، قال : اعتق غلامك سرجس وقف حتى تصلح بين الناس . فأعتق غلامه ووقف ، فلما اختلف أمر الناس ذهب على فرسه ، قالوا : فرجع الزبير إلى عائشة فذكر أنه قد آلى أن لا يقاتل علياً ، فقال له ابنه عبد الله : إنك جمعت الناس ، فلما تراءى بعضهم لبعض خرجت من بينهم ، كفر عن يمينك واحضر . فأعتق غلاماً ، وقيل غلامه سرجس . وقد قيل إنه إنما رجع عن القتال لما رأى عماراً مع على وقد سمع رسول الله (ص) يقول لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » فخشى أن يقتل عمار في هذا اليوم .

وعندى أن الحديث الذى أوردناه إن كان صحيحا عنه فما رجعه سواه ، ويبعد أن يكفر عن يمينه ثم يحضر بعد ذلك لقتال على والله أعلم .

والمقصود أن الزبير لما رجع يوم الجمل سار فنزل وادياً يقال له وادى السباع ، فاتبعه رجل يقال له عمرو بن جرموز ، فجاءه وهو نائم فقتله غيلة كما سنذكر تفصيله . وأما طلحة فجاءه في المعركة سهم غرب يقال رماه به مروان بن الحكم فالله أعلم ، فانتظم رجله مع فرسه فجمحت به الفرس فجعل يقول: إلىّ عباد الله ، إلىّ عباد الله ، فاتبعه مولى له فأمسكها ، فقال له : ويحك ! اعدل بى إلى البيوت ، وامتلأ خفه دماً فقال لغلامه : اردفنى ، وذلك أنه نزفه الدم وضعف ، فركب وراءه وجاء به إلى بيت في البصرة فمات فيه ، رضى الله عنه .

وتقدمت عائشة رضى الله عنها في هودجها ، وناولت كعب بن سوار قاضى البصرة مصحفاً وقالت : دعهم إليه ـ وذلك أنه حين اشتد الحرب وحمى القتال ، ورجع الزبير ، وقتل طلحة رضى الله عنهما ـ

فلما تقدم كعب بن سوار بالمصحف يدعو إليه استقبله مقدمة جيش الكوفيين ، وكان عبد الله بن سبأ ـ وهو ابن السوداء ـ وأتباعه بين يدى الجيش ، يقتلون من قدروا عليه من أهل البصرة ، لايتوقفون فى أحد ، فلما رأوا كعب بن سوار رافعاً المصحف رشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد فقتلوه ، ووصلت النبال إلى هودج أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، فجعلت تنادى : الله الله ! يابنى اذكروا يوم الحساب ورفعت يديها تدعو على أولئك النفر من قتلة عثمان ، فضج الناس معها بالدعاء حتى بلغت الضجة إلى على فقال : ما هذا ؟ فقالوا : أم المؤمنين تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم . فقال : اللهم العن قتلة عثمان ، وجعل أولئك النفر لا يقلعون عن رشق هودجها بالنبال حتى بقى مثل القنفذ ، وجعلت تحرض الناس على منعهم وكفهم ، فحملت معه الحفيظة فطاردوهم حتى وصلت الحملة إلى الموضع الذى فيه على بن أبى طالب ، فقال لابنه محمد بن الحنفية : ويحك ! تقدم بالراية ، فلم يستطع ، فأخذها على من يده فتقدم بها ، وجعلت الحرب تأخذ وتعطى ، فتارة لأهل البصرة ، وتارة لأهل الكوفة ، وقتل خلق كثير ، وجم غفير ، ولم تر وقعة أكثر من قطع الأيدى والأرجل فيها من هذه الوقعة ، وجعلت عائشة تحرض الناس على أولئك النفر من قتلة عثمان ، ونظرت عن يمينها فقالت : من هؤلاء القوم ؟ فقالوا : نحن بكر بن وائل ، فقالت : لكم يقول القائل :

وجاءوا إلينا بالحديدِ كأنهمْ ● منَ الغرةِ القعساءِ بكرُ بنُ وائلِ

ثم لجأ إليها بنو ناجية ثم بنو ضبة فقتل عنده منهم خلق كثير ، ويقال إنه قطعت يد سبعين رجلا وهى آخذة بخطام الجمل فلما أثخنوا تقدم بنو عدى بن عبد مناف فقاتلوا قتالا شديداً ، ورفعوا رأس الجمل ، وجعل أولئك يقصدون الجمل وقالوا : لايزال الحرب قائماً مادام هذا الجمل واقفاً ، ورأس الجمل فى يد عمرة بن يثربى ، وقيل أخوه عمرو بن يثربى ثم صمد عليه علباء بن الهيثم وكان من الشجعان المذكورين ، فتقدم إليه عمرو الجملى فقتله ابن يثربى وقتل زيد بن صوحان ، وأرتث صعصعة ابن صوحان فدعاه عمار إلى البراز فبرز له ، فتجاولا بين الصفين ـ وعمار ابن تسعين سنة عليه فروة قد ربط وسطه بحبل ليف ـ فقال الناس : إنا لله وإنا إليه راجعون الآن يلحق عماراً بأصحابه ، فضربه ابن يثربى بالسيف فاتقاه عمار بدرقته فغص فيها السيف ونشب ، وضربه عمار فقطع رجليه وأخذ أسيراً الى بين يدى على فقال : استبقنى ياأمير المؤمنين ، فقال : أبعد ثلاثة تقتلهم ؟ ثم أمر به فقتل واستمر زمام الجمل بعده بيد رجل كان قد استنابه فيه من بنى عدى فبرز إليه ربيعة العقيلى فتجاولا حتى قتل كل واحد صاحبه وأخذ الزمام الحارث الضبى فما رأى أشد منه وجعل يقول :

نحن بنو ضبةَ أصحابُ الجملْ ● نبارز القِرنَ إذا القرنُ نزل
ننعى ابن عفانَ بأطرافِ الأسلْ ● الموتُ أحلى عندنا منَ العسل

* ردّوا علينا شيخَنا ثم بجسل *

وقيل إن هذه الأبيات لوسيم بن عمرو الضبى . فكلما قتل واحد ممن يمسك الجمل يقوم غيره حتى قتل منهم أربعون رجلا قالت عائشة : مازال جملى معتدلا حتى فقدت أصوات بنى ضبة ثم أخذ الخطام سبعون رجلا من قريش وكل واحد يقتل بعد صاحبه ، فكان منهم محمد بن طلحة المعروف بالسجاد فقال لعائشة مريني بأمرك يا أمه . فقالت : آمرك أن تكون كخير ابنى آدم فامتنع أن ينصرف وثبت فى مكانه وجعل يقول حم لا ينصرون ، فتقدم إليه نفر فحملوا عليه فقتلوه وصار لكل واحد منهم بعد ذلك يدعى ، قتله وقد طعنه بعضهم بحربة فأنفذه وقال :

وأشعثَ قوامٍ بآياتِ ربهِ * قليلِ الأذى فيما ترى العينُ مسلمِ
هتكتُ له بالرمح جيبَ قميصهِ * فخرَّ صريعاً لليدينِ وللفمِ
يناشدنى حمٓ والرمحُ شاجرٌ * فهلا تلا حمٓ قبلَ التقدمِ
على غير شىءٍ غيرَ أنْ ليسَ تابعاً * علياً ومنْ لا يتبعِ الحقَّ يندمِ

وأخذ الخطام عمرو بن الأشرف فجعل لا يدنو منه أحد إلا حطه بالسيف فأقبل إليه الحارث بن زهير الأزدى وهو يقول :

يا أمنا ياخيرَ أمٍ نعلمُ * أما ترين كم شجاع يكلمُ * وتجتلى هامتهُ والمعصمُ

واختلفا ضربتين فقتل كل واحد صاحبه ، وأحدقَ أهل النجدات والشجاعة بعائشة ، فكان لا يأخذ الراية ولا بخطام الجمل إلا شجاع معروف ، فيقتل من قصده ثم يقتل بعد ذلك ، وقد فقأ بعضهم عين عدى بن حاتم ذلك اليوم ، ثم تقدم عبد الله بن الزبير فاخذ بخطام الجمل وهو لا يتكلم فقيل لعائشة إنه ابنك ابن أختك فقالت : واثكل أسماء ! وجاء مالك بن الحارث الأشتر النخعى فاقتتلا فضربه الأشتر على رأسه فجرحه جرحاً شديداً وضربه عبد الله ضربة خفيفة ثم اعتنقا وسقطا إلى الأرض يعتركان فجعل عبد الله بن الزبير يقول :

اقتلونى ومالكاً * واقتلوا مالكاً معى

فجعل الناس لا يعرفون مالكا من هو وإنما هو معروف بالأشتر فحمل أصحاب على وعائشة فخلصوهما وقد جرح عبد الله بن الزبير يوم الجمل بهذه الجراحة بسبعاً وثلاثين جراحة ، وجرح مروان بن الحكم أيضا ، ثم جاء رجل فضرب الجمل على قوائمه فعقره وسقط إلى الأرض ، فسمع له عجيج ما سمع أشد ولا أنفذ منه ، وآخر من كان الزمام بيده زفر بن الحارث فعقر الجمل وهو فى يده ، ويقال إنه اتفق هو وبجير بن دلجة على عقره ، ويقال إن الذى أشار بعقر الجمل على ، وقيل القعقاع بن عمرو لئلا تصاب أم المؤمنين ، فانها بقيت غرضا للرماة ، ومن يمسك بالزمام برجاساً للرماح ، ولينفصل هذا الموقف الذى

قد تفانى فيه الناس ولما سقط البعير إلى الارض انهزم من حوله من الناس ، وحمل هودج عائشة وانه لكالقنفذ من السهام ، ونادى منادى على فى الناس : إنه لا يتبع مدبر ولا يذفف على جريح ، ولا يدخلوا الدور ، وأمر على نفراً أن يحملوا الهودج من بين القتلى ، وأمر محمد بن أبى بكر وعماراً أن يضربا عليها قبة ، وجاء إليها أخوها محمد فسألها هل وصل إليك شئ من الجراح ؟ فقالت : لا ! وما أنت ذاك يا ابن الخثعمية . وسلم عليها عمار فقال : كيف أنت يا أم ؟ فقالت : لست لك بأم . قال : بلى ! و إن كرهت ، وجاء إليها على بن أبى طالب أمير المؤمنين مسلماً فقال : كيف أنت يا أمه ؟ قالت : بخير فقال : يغفر الله لك . وجاء وجوه الناس من الأمراء والأعيان يسلمون على أم المؤمنين رضى الله عنها ، ويقال إن أعين بن ضبيعة المجاشعى اطلع فى الهودج فقالت : إليك لعنك الله ، فقال : والله ما أرى إلا حميراء ، فقالت : هتك الله سترك وقطع يدك وأبدى عورتك . فقتل بالبصرة وسلب وقطعت يده ورمى عرياناً فى خربة من خرابات الأزد . فلما كان الليل دخلت أم المؤمنين البصرة - ومعها أخوها محمد بن أبى بكر - فنزلت فى دار عبد الله بن خلف الخزاعى - وهى أعظم دار بالبصرة - على صفية بنت الحارث بن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، وهى أم طلحة الطلحات عبد الله بن خلف ، وتسلل الجرحى من بين القتلى فدخلوا البصرة ، وقد طاف على بين القتلى فجعل كلما مر برجل يعرفه ترحم عليه ويقول : يعز على أن أرى قريشاً صرعى . وقد مر على ماذكر على طلحة بن عبيد الله وهو مقتول فقال : لهفى عليك يا أبا محمد ، إنا لله و إنا إليه راجعون والله لقد كنت كما قال الشاعر :

فتىً كانَ يدنيهِ الغنى مِنْ صديقهِ ❊ إذا ما هوَ استغنى ويبعدهُ الفقرُ

وأقام على بظاهر البصرة ثلاثاً ثم صلى على القتلى من الفريقين ، وخص قريشاً بصلاة من بينهم ، ثم جمع ما وجد لأصحاب عائشة فى المعسكر وأمر به أن يحمل إلى مسجد البصرة ، فمن عرف شيئاً هو لأهلهم فليأخذه ، إلا سلاحاً كان فى الخزائن عليه سمة السلطان . وكان مجموع من قتل يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف ، خمسة من هؤلاء وخمسة من هؤلاء ، رحمهم الله و رضى عن الصحابة منهم . وقد سأل بعض أصحاب على علياً أن يقسم فيهم أموال أصحاب طلحة والزبير ، فأبى عليهم فطعن فيه السبائية وقالوا : كيف يحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا أموالهم ؟ فبلغ ذلك علياً فقال : أيكم يحب أن تصير أم المؤمنين فى سهمه ؟ فسكت القوم ، ولهذا لما دخل البصرة فض فى أصحابه أموال بيت المال ، فنال كل رجل منهم خمسمائة ، وقال : لكم مثلها من الشام ، فتكلم فيه السبائية أيضاً ونالوا منه من وراء وراء .

فصل

ولما فرغ على من أمر الجمل أتاه وجوه الناس يسلمون عليه ، فكان ممن جاءه الأحنف بن قيس فى بنى سعد ـ وكانوا قد اعتزلوا القتال ـ فقال له على : تربعت ـ يعنى بنا ـ فقال : ما كنت أرانى إلا قد أحسنت ، و بأمرك كان ما كان يا أمير المؤمنين ، فارفق فان طريقك الذى سلكت بعيد ، وأنت إلى غداً أحوج منك أمس ، فاعرف إحسانى ، واستبق مودتى لغد ، ولا تقل مثل هذا فانى لم أزل لك ناصحاً . قالوا : ثم دخل على البصرة يوم الاثنين فبايعه أهلها على راياتهم ، حتى الجرحى والمستأمنة. وجاءه عبد الرحمن بن أبى بكرة الثقفى فبايعه فقال له على : أين المريض ؟ ـ يعنى أباه ـ فقال : إنه والله مريض يا أمير المؤمنين ، و إنه على مسرتك لحريص . فقال : امش أمامى ، فمضى إليه فعاده ، واعتذر إليه أبو بكرة فعذره ، وعرض عليه البصرة فامتنع وقال : رجل من أهلك يسكن إليه الناس ، وأشار عليه بابن عباس فولاه على البصرة ، وجعل معه زياد بن أبيه على الخراج و بيت المال ، وأمر ابن عباس أن يسمع من زياد ـ وكان زياد معتزلا ـ ثم جاء على إلى الدار التى فيها أم المؤمنين عائشة ، فاستأذن ودخل فسلم عليها و رحبت به ، و إذا النساء فى دار بنى خلف يبكين على من قتل ، منهم عبد الله وعثمان ابنا خلف ، فعبد الله قتل مع عائشة ، وعثمان قتل مع على ، فلما دخل على قالت له صفية امرأة عبد الله ، أم طلحة الطلحات : أيتم الله منك أولادك كما أيتمت أولادى ، فلم يرد عليها على شيئا ، فلما خرج أعادت عليه المقالة أيضاً فسكت ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين أتسكت عن هذه المرأة وهى تقول ما تسمع ؟ فقال : ويحك ! إنا أمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات ، أفلا نكف عنهن وهن مسلمات ؟ فقال له رجل : يا أمير المؤمنين إن على الباب رجلين ينالان من عائشة ، فأمر على القعقاع بن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة وأن يخرجهما من ثيابهما ، وقد سألت عائشة عمن قتل معها من المسلمين ومن قتل من عسكر على ، فجعلت كلما ذكر لها واحد منهم ترحمت عليه ودعت له ، ولما أرادت أم المؤمنين عائشة الخروج من البصرة بعث إليها على رضى الله عنه بكل ما ينبغى من مركب و زاد ومتاع وغير ذلك ، وأذن لمن نجا ممن جاء فى الجيش معها أن يرجع إلا أن يحب المقام ، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات ، وسير معها أخاها محمد بن أبى بكر ، فلما كان اليوم الذى ارتحلت فيه جاء على فوقف على الباب وحضر الناس وخرجت من الدار فى الهودج فودعت الناس ودعت لهم ، وقالت : يابنى لا يعتب بعضنا على بعض ، إنه والله ما كان بينى و بين على فى القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها ، و إنه على معتبتى لمن الأخيار . فقال على : صدقت والله ما كان بينى و بينها إلا ذاك ، و إنها لزوجة نبيكم (ص) فى الدنيا والآخرة. وسار على معها

ودعاً ومشيعاً أميالا ، وسرح بنيه معها بقية ذلك اليوم ـ وكان يوم السبت مستهل رجب سنة ست وثلاثين ـ وقصدت فى مسيرها ذلك إلى مكة فأقامت بها إلى أن حجت عامها ذلك ثم رجعت إلى المدينة رضى الله عنها .

وأما مروان بن الحكم فانه لما فر استجار بمالك بن مسمع فأجاره و وفى له ، ولهذا كان بنو مروان يكرمون مالكا و يشرفونه ، و يقال إنه نزل دار بنى خلف فلما خرجت عائشة خرج معها ، فلما سارت هى إلى مكة سار إلى المدينة قالوا : وقد علم من بين مكة والمدينة والبصرة بالوقعة يوم الوقعة ، وذلك مما كانت النسور تخطفه من الأيدى والأقدام فيسقط منها هنالك ، حتى أن أهل المدينة علموا بذلك يوم الجمل قبل أن تغرب الشمس ، وذلك أن نسراً مر بهم ومعه شئ فسقط فاذا هو كف فيه خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب .

هذا ملخص ماذكره أبو جعفر بن جرير رحمه الله عن أئمة هذا الشأن ، وليس فيما ذكره أهل الأهواء من الشيعة وغيرهم من الأحاديث المختلقة على الصحابة والأخبار الموضوعة التى ينقلونها بما فيها ، و إذا دعوا إلى الحق الواضح أعرضوا عنه وقالوا : لنا أخبارنا ولكم أخباركم ، فنحن حينئذ نقول لهم : سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين .

فصل

فى ذكر أعيان من قتل يوم الجمل من السادة النجباء من الصحابة وغيرهم من الفريقين رضى الله عنهم أجمعين ، وقد قدمنا أن عدة القتلى نحو من عشرة آلاف ، وأما الجرحى فلا يحصون كثرة فممن قتل يوم الجمل فى المعركة

طلحة بن عبيد الله

ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة أبو محمد القرشى التيمى ، و يعرف بطلحة الخير ، وطلحة الفياض لكرمه ولكثرة جوده أسلم قديماً على يدى أبى بكر الصديق ، فكان نوفل بن خويلد بن العدوية يشدهما فى حبل واحد ، ولا تستطيع بنو تيم أن تمنعهما منه ، فلذلك كان يقال لطلحة وأبى بكر القرينان ، وقد هاجر وآخى رسول الله «ص» بينه و بين أبى أيوب الأنصارى ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله «ص» إلا بدراً ـ فانه كان بالشام لتجارة ـ وقيل فى رسالة ، ولهذا ضرب له رسول الله «ص» بسهمه وأجره من بدر ، وكانت له يوم أحد اليد البيضاء وشلت يده يوم أحد ، وقى بها رسول الله «ص» واستمرت كذلك إلى أن مات ، وكان الصديق إذا حدث عن يوم أحد يقول : ذاك يوم كان كله لطلحة ، وقد

قال له رسول الله (ص) يومئذ : « أوجب طلحة » وذلك أنه كان على رسول الله (ص) درعان فأراد أن ينهض وهما عليه ليصعد صخرة هنالك فما استطاع، فطأطأ له طلحة فصعد على ظهره حتى استوى عليها ، وقال : « أوجب طلحة » وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وقد صحب رسول الله (ص) فأحسن صحبته حتى توفى وهو عنه راض ، وكذلك أبو بكر وعمر ، فلما كان قضية عثمان اعتزل عنه فنسبه بعض الناس إلى تحامل فيه ، فلهذا لما حضر يوم الجمل واجتمع به على فوعظه تأخر فوقف فى بعض الصفوف ، فجاءه سهم غرب فوقع فى ركبته وقيل فى رقبته ، والأول أشهر ، وانتظم السهم مع ساقه خاصرة الفرس فجمح به حتى كاد يلقيه ، وجعل يقول : إلىّ عباد الله ، فأدركه مولى له فركب وراءه وأدخله البصرة فمات بدار فيها ، ويقال إنه مات بالمعركة، وإن علياً لما دار بين القتلى رآه فجعل يمسح عن وجهه التراب وقال : رحمة الله عليك أبا محمد ، يعز علىّ أن أراك مجدولا تحت نجوم السماء ، ثم قال : إلى الله أشكو عجرى وبجرى ، والله لوددت أنى كنت مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة . ويقال إن الذى رماه بهذا السهم مروان بن الحكم، وقال لأبان بن عثمان : قد كفيتك رجالا من قتلة عثمان ، وقد قيل إن الذى رماه غيره ، وهذا عندى أقرب ، وإن كان الأول مشهوراً والله أعلم

وكان يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، ودفن طلحة إلى جانب الكلأ وكان عمره ستين سنة ، وقيل بضعاً وستين سنة ، وكان آدم ، وقيل أبيض ، حسن الوجه كثير الشعر إلى القصر أقرب وكانت غلته فى كل يوم ألف درهم .

وروى حماد بن سلمة عن على بن زيد بن جدعان عن أبيه أن رجلا رأى طلحة فى منامه وهو يقول : حولونى عن قبرى فقد أذانى الماء ، ثلاث ليال ، فأتى ابن عباس فأخبره ـ وكان نائباً على البصرة ـ فاشتروا له داراً بالبصرة بعشرة آلاف درهم فحولوه من قبره إليها ، فاذا قد اخضر من جسده مايلى الماء ، وإذا هو كهيئته يوم أصيب ، وقد وردت له فضائل كثيرة . فمن ذلك ما رواه أبو بكر بن أبى عاصم : حدثنا الحسن بن على بن سليمان بن عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله حدثنى أبى عن جده عن موسى بن طلحة عن أبيه قال : سمانى رسول الله (ص) يوم أحد طلحة الخير ، ويوم العسرة طلحة الفياض . ويوم حنين طلحة الجود ، وقال أبو يعلى الموصلى ثنا أبو كريب ثنا يونس عن ابن بكر عن طلحة بن يحيى عن موسى وعيسى ابنى طلحة عن أبيهما أن ناساً من أصحاب رسول الله (ص) قالوا لأعرابى جاء يسأل عمن قضى نحبه فقالوا : سل رسول الله (ص) فسأله فى المسجد فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم اطلعت من باب المسجد وعلى ثياب خضر فقال رسول الله : « أين السائل »؟ قال ها أنا ذا فقال : « هذا ممن قضى نحبه » وقال أبو القاسم البغوى : ثنا داود بن رشيد ثنا مكى ثنا على

ابن إبراهيم ثنا الصلت بن دينار عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (ص): «من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على رجليه فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله» وقال الترمذي: حدثنا أبو سعيد الأشج ثنا أبو عبد الرحمن بن منصور العنزي - اسمه النضر - ثنا عقبة بن علقمة اليشكري، سمعت علي بن أبي طالب يقول: سمعت أذناي رسول الله (ص) يقول: «طلحة والزبير جاراي في الجنة» وقد روى من غير وجه عن علي أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير وعثمان ممن قال الله ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أن رجلا كان يقع في طلحة والزبير وعثمان وعلي رضي الله عنهم فجعل سعد ينهاه ويقول: لا تقع في إخواني فأبى فقام فصلى ركعتين ثم قال: اللهم إن كان سخطاً لك فيما يقول، فأرني فيه اليوم آية واجعله للناس عبرة. فخرج الرجل فاذا ببختي يشق الناس فأخذه بالبلاط فوضعه بين كركرته والبلاط فسحقه حتى قتله. قال سعيد بن المسيب: فأنا رأيت الناس يتبعون سعداً ويقولون: هنيئاً لك أبا إسحاق أجيبت دعوتك.

والزبير بن العوام بن خُويلد

ابن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة أبو عبد الله القرشي الأسدي، وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله (ص) أسلم قديماً وعمره خمس عشرة سنة، وقيل أقل وقيل أكثرها. جر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فآخى رسول الله (ص) بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش، وقد شهد المشاهد كلها وقد قال رسول الله (ص) يوم الأحزاب «من يأتينا بخبر القوم؟ فقال: أنا، ثم ندب الناس فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، فقال رسول الله (ص): إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير» ثبت ذلك من رواية زر عن علي، وثبت عن الزبير أنه قال: «جمع لي رسول الله (ص) أبويه يوم بني قريظة» وروى أنه أول من سل سيفاً في سبيل الله، وذلك بمكة حين بلغ الصحابة أن رسول الله قد قتل فجاء شاهراً سيفه حتى رأى رسول الله (ص) فشام سيفه، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين توفي رسول الله (ص) وهو عنهم راض، وصحب الصديق فأحسن صحبته، وكان ختنه على ابنته أسماء بنت الصديق، وابنه عبد الله منها أول مولود ولد للمسلمين بعد الهجرة، وخرج مع الناس إلى الشام مجاهداً فشهد اليرموك فتشرفوا بحضوره، وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العلياء، اخترق جيوش الروم وصفوفهم مرتين من أولهم إلى آخرهم، وكان من جملة من دافع عن عثمان وحاجف عنه، فلما كان يوم الجمل ذكره علي بما ذكره به فرجع عن القتال وكر راجعاً إلى المدينة، فمر بقوم الأحنف بن قيس - وكانوا قد انعزلوا عن الفريقين - فقال قائل يقال له الأحنف: مابال هذا جمع بين الناس

حتى إذا التقوا كر راجعاً إلى بيته ؟ من رجل يكشف لنا خبره ؟ فاتبعه عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع فى طائفة من غواة بنى تميم فيقال إنهم لما ادركوه تعاونوا عليه حتى قتلوه ويقال بل أدركه عمرو بن جرموز فقال له عمرو : إن لى إليك حاجة فقال : ادن ! فقال مولى الزبير ، واسمه عطية - إن معه سلاحاً فقال : و إن ، فتقدم إليه فجعل يحدثه وكان وقت الصلاة فقال له الزبير : الصلاة فقال : الصلاة فتقدم الزبير ليصلى بهما فطعنه عمرو بن جرموز فقتله و يقال بل أدركه عمرو بواد يقال له وادى السباع وهو نائم فى القائلة فهجم عليه فقتله وهذا القول هو الأشهر ، و يشهد له شعر امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت آخر من تزوجها وكانت قبله تحت عمر بن الخطاب فقتل عنها وكانت قبله تحت عبد الله بن أبى بكر الصديق فقتل عنها فلما قتل الزبير رثته بقصيدة محكمة المعنى فقالت :

غدرَ ابنُ جرموزَ بفارسِ بهمةٍ * يومَ اللقاءِ وكانَ غيرَ معردِ

ياعمرو لو نبهتهُ لوجدتهُ * لا طائشاً رعشَ الجَنانِ ولا اليدِ

ثكلتكَ أمكَ أن ظفرتَ بمثلهِ * ممنْ بقي ممنْ يروحُ ويغتدى

كمْ غمرةٍ قدْ خاضها لم يثنهِ * عنها طرادكَ ياابنَ فقعِ العرددِ

واللهِ ربى إنْ قتلتَ لمسلماً * حلتْ عليكَ عقوبةُ المتعمدِ

ولما قتله عمرو بن جرموز فاحتز رأسه وذهب به إلى على ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده فاستأذن فقال على : لا تأذنوا له و بشروه بالنار ، وفى رواية أن عليا قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : « بشر قاتل ابن صفية بالنار » ودخل ابن جرموز ومعه سيف الزبير فقال على : إن هذا السيف طال ما فرج الكرب عن وجه رسول الله (ص) ، فيقال إن عمرو بن جرموز لما سمع ذلك قتل نفسه ، وقيل بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير ، على العراق فاختفى منه ، فقيل لمصعب : إن عمرو بن جرموز ها هنا وهو مختفٍ ، فهل لك فيه؟ فقال : مروه فليظهر فهو آمن ، والله ما كنت لأقيد للزبير منه فهو أحقر من أن أجعله عدلا للزبير ، وقد كان الزبير ذا مال جزيل وصدقات كثيرة جداً ، لما كان يوم الجمل أوصى إلى ابنه عبد الله فلما قتل وجدوا عليه من الدين ألفى ألف ومائتا ألف فوفوها عنه ، وأخرجوا بعد ذلك ثلث ماله الذى أوصى به ثم قسمت التركة بعد ذلك فأصاب كل واحدة من الزوجات الأربع من ربع الثمن ألف ألف ومائتا ألف درهم ، فعلى هذا يكون مجموع ما قسم بين الورثة ثمانية وثلاثين ألف ألف وأربعمائة ألف والثلث الموصى به تسعة عشر ألف ألف ومائتا ألف فتلك الجملة سبعة وخمسون ألف ألف وستمائة ألف والدين المخرج قبل ذلك ألفا ألف ومائتا ألف فعلى هذا يكون جميع ماتركه من الدين والوصية والميراث تسعة وخمسين ألف ألف وثمانمائة

ألف ، وإنما نبهنا على هذا لأنه وقع فى صحيح البخارى ما فيه نظر ينبغى أن ينبه له والله أعلم .

وقد جمع ماله هذا بعد الصدقات الكثيرة والمآثر الغزيرة مما أفاء الله عليه من الجهاد ومن خمس الخمس ما يخص أمه منه ، ومن التجارة المبرورة من الخلال المشكورة ، وقد قيل إنه كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج ، فربما تصدق فى بعض الأيام بخراجهم كلهم رضى الله عنه وأرضاه ، وكان قتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وقد نيف على الستين بست أو سبع وكان أسمر ربعة من الرجال معتدل اللحم خفيف اللحية رضى الله عنه .

وفي هذه السنة اعني سنة ست وثلاثين

ولى على بن أبى طالب نيابة الديار المصرية لقيس بن سعد بن عبادة ، وكان على نيابتها فى أيام عثمان عبد الله بن سعد بن أبى سرح فلما توجه أولئك الأحزاب من خوارج المصريين إلى عثمان وكان الذى جهزهم إليه مع عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء محمد بن أبى حذيفة بن عتبة ، وكان لما قتل أبوه باليمامة أوصى به إلى عثمان ، فكفله ورباه فى حجره ومنزله وأحسن إليه إحسانا كثيراً ونشأفى عبادة وزهادة ، وسأل من عثمان أن يوليه عملا فقال له : متى ماصرت أهلا لذلك وليتك ، فتعتب فى نفسه على عثمان فسأل من عثمان أن يخرج إلى الغزو فأذن له ، فقصد الديار المصرية وحضر مع أميرها عبد الله بن سعد بن أبى سرح غزوة الصوارى كما قدمنا ، وجعل ينتقص عثمان رضى الله عنه وساعده على ذلك محمد بن أبى بكر ، فكتب بذلك ابن أبى سرح إلى عثمان يشكوهما إليه فلم يعبأ بهما عثمان ولم يزل ذلك دأب محمد بن أبى حذيفة حتى استنفر أولئك إلى عثمان فلما بلغه أنهم قد حصروا عثمان تغلب على الديار المصرية وأخرج منها عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وصلى بالناس فيها ، فلما كان ابن أبى سرح ببعض الطريق جاءه الخبر بقتل أمير المؤمنين عثمان فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وبلغه أن عليا قد بعث على إمرة مصر قيس بن سعد بن عبادة ، فشمت بمحمد بن أبى حذيفة ، إذ لم يمتع بملك الديار المصرية سنة ، وسار عبد الله بن سعد إلى الشام إلى معاوية فأخبره بما كان من أمره بديار مصر ، وأن محمد بن أبى حذيفة قد استحوذ عليها ، فسار معاوية وعمرو بن العاص ليخرجاه منها لأنه من أكبر الأعوان على قتل عثمان مع أنه كان قد رباه وكفله وأحسن إليه ، فعالجا دخول مصر فلم يقدرا فلم يزالا يخدعانه حتى خرج إلى العريش فى ألف رجل فتحصن بها ، وجاء عمرو بن العاص فنصب عليه المنجنيق حتى نزل فى ثلاثين من أصحابه فقتلوا ، ذكره محمد بن جرير . ثم سار إلى مصر قيس ابن سعد بن عبادة بولاية من على ، فدخل مصر فى سبعة نفر ، فرقى المنبر وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين على بن أبى طالب .

بسم الله الرحمن الرحيم ! من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابى هذا من المؤمنين

والمسلمين ، سلام عليكم فانى أحمد الله كثيرا الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فان الله بحسن صنيعه وتقديره وتدبيره اختار الاسلام دينا لنفسه وملائكته و رسله ، و بعث به الرسل إلى عباده وخص به من انتخب من خلقه ، فكان مما أكرم الله به هذه الأمة ، وخصهم به من الفضيلة أن بعث محمداً (ص.) يعلمهم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة ، لكيما يهتدوا ، وجمعهم لكيما يتفرقوا ، و زكاهم لكى يتطهروا ، ووفقهم لكيلا يجوروا . فلما قضى من ذلك ما عليه قبضه الله إليه ، صلوات الله وسلامه عليه و بركاته و رحمته ، ثم إن المسلمين استخلفوا بعده أميرين صالحين ، عملا بالكتاب ، وأحسنا السيرة ولم يعدوا السنة ثم توفاهما الله فرحمهما الله ، ثم ولى بعدهما وال أحدث أحداثا ، فوجدت الأمة عليه مقالا فقالوا ، ثم نقموا عليه فغيروا ، ثم جاءونى فبايعونى فأستهدى الله بهداه وأستعينه على التقوى ، ألا و إن لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسول الله ، والقيام عليكم بحقه والنصح لكم بالغيب والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وقد بعثت إليكم قيس بن سعد بن عبادة فوازروه وكانفوه وأعينوه على الحق ، وقد أمرته بالاحسان إلى محسنكم والشدة على مريبكم والرفق بعوامكم وخواصكم ، وهو ممن أرضى هديه وأرجو صلاحه ونصيحته أسأل الله لنا ولكم عملا زاكياً وثواباً جزيلا ورحمة واسعة والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته .

وكتب عبد الله بن أبى رافع فى صفر سنة ست وثلاثين قال : ثم قام قيس بن سعد فخطب الناس ودعاهم إلى البيعة لعلى ، فقام الناس فبايعوه ، واستقامت له طاعة بلاد مصر سوى قرية منها يقال لها خربتا ، فيها ناس قد أعظموا قتل عثمان ـ وكانوا سادة الناس ووجوههم وكانوا فى نحو من عشرة آلاف وعليهم رجل يقال له يزيد بن الحارث المدلجى ـ و بعثوا الى قيس بن سعد فوادعهم ، وكذلك مسلمة بن مخلد الأنصارى تأخر عن البيعة فتركه قيس بن سعد و وادعه ، ثم كتب معاوية ابن أبى سفيان ـ وقد استوثق له أمر الشام بحذافيره ـ إلى أقصى بلاد الروم والسواحل وجزيرة قبرص أيضاً تحت حكمه و بعض بلاد الجزيرة كالرها وحران وقرقيسيا وغيرها ، وقد ضوى إليها الذين هربوا يوم الجمل من العثمانية ، وقد أراد الأشتر انتزاع هذه البلاد من يد نواب معاوية ، فبعث إليه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ففر منه الأشتر ، واستقر أمر معاوية على تلك البلاد فكتب إلى قيس بن سعد يدعوه إلى القيام بطلب دم عثمان وأن يكون مؤازراً له على ما هو بصدده من القيام فى ذلك ، ووعده أن يكون نائبه على العراقين إذا تم له الأمر ما دام سلطانا فلما بلغه الكتاب ـ وكان قيس رجلا حازماً ـ لم يخالفه ولم يوافقه بل بعث يلاطف معه الأمر وذلك لبعده عن على وقربه من بلاد الشام ومامع معاوية من الجنود ، فسالمه قيس وتاركه ولم يواقعه على ما دعاه إليه ولا وافقه عليه : فكتب إليه معاوية : إنه لا يسعك معى تسويفك بى وخديعتك لى ولا بد أن أعلم أنك سلم أو

عدو ـ وكان معاوية حازماً أيضاً ـ فكتب إليه بما صمم عليه : إني مع علي إذ هو أحق بالأمر منك فلما بلغ ذلك معاوية بن أبي سفيان يئس منه ورجع ثم أشاع بعض أهل الشام أن قيس بن سعد يكاتبهم في الباطن ويمالئهم على أهل العراق ، وروى ابن جرير أنه جاء من جهته كتاب مزور بمبايعته معاوية والله أعلم بصحته . ولما بلغ ذلك علياً اتهمه وكتب له أن يغزو أهل خربتا الذين تخلفوا عن البيعة ، فبعث إليه يعتذر إليه بأنهم عدد كثير ، وهم وجوه الناس . وكتب إليه : إن كنت إنما أمرتني بهذا لتختبرني لأنك اتهمتني ، فابعث على عملك بمصر غيري ، فبعث علي على إمرة مصر الاشتر النخعي ، فسار إليها الأشتر النخعي فلما بلغ القلزم شرب شربة من عسل فكان فيها حتفه فبلغ ذلك أهل الشام فقالوا : إن لله جنداً من عسل ، فلما بلغ علياً مهلك الأشتر بعث محمد بن أبي بكر على إمرة مصر ، وقد قيل وهو الأصح إن علياً ولى محمد بن أبي بكر بعد قيس بن سعد ، فارتحل قيس إلى المدينة ، ثم ركب هو وسهل بن حنيف إلى علي فاعتذر إليه قيس بن سعد فعذره علي ، وشهدا معه صفين كما سنذكره ، فلم يزل محمد بن أبي بكر بمصر قائم الأمر مهيباً بالديار المصرية ، حتى كانت وقعة صفين ، وبلغ أهل مصر خبر معاوية ومن معه من أهل الشام على قتال أهل العراق ، وصاروا إلى التحكيم فطمع أهل مصر في محمد بن أبي بكر واجترأوا عليه وبارزوه بالعداوة فكان من أمره ما سنذكره وكان عمرو بن العاص قد بايع معاوية على القيام بطلب دم عثمان ، وكان قد خرج من المدينة حين أرادوا حصره لئلا يشهد مهلكه ، مع أنه كان متعتباً عليه بسبب عزله له عن ديار مصر وتوليته بدله عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فتسرح عن المدينة على تغضب فنزل قريباً من الأردن ، فلما قتل عثمان صار إلى معاوية فبايعه على ما ذكرنا .

فصل

في وقعة صفين
بين اهل العراق وبين اهل الشام

قد تقدم ما رواه الامام أحمد عن إسماعيل بن علية عن أيوب عن محمد بن سيرين . أنه قال : « هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله (ص) عشرات الألوف فلم يحضرها منهم مائة ، بل لم يبلغوا ثلاثين » وقال الامام أحمد : حدثنا أمية بن خلد قال لشعبة إن أبا شيبة روى عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : « شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلا ، فقال : كذب أبو شيبة ، والله لقد ذاكرنا الحكم في ذلك فما وجدناه شهد صفين من أهل بدر غير خزيمة بن ثابت ؟ وقد قيل انه شهدها من أهل بدر سهل بن حنيف ، وكذا أبو أيوب الأنصاري . قاله شيخنا العلامة ابن تيمية في

كتاب الردّ على الرافضة ـ وروى ابن بطة باسناده عن بكير بن الأشج أنه قال : أما إن رجالا من من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم .

وأما على بن أبى طالب رضى الله عنه فانه لما فرغ من وقعة الجمل ودخل البصرة وشيع أم المؤمنين عائشة لما أرادت الرجوع إلى مكة ، سار من البصرة إلى الكوفة قال أبو الكنود عبد الرحمن بن عبيد فدخلها على يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين فقيل له : انزل بالقصر الأبيض ، فقال : لا ! إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله فأنا أكرهه لذلك ، فنزل فى الرحبة وصلى فى الجامع الأعظم ركعتين ، ثم خطب الناس فحثهم على الخير ونهاهم عن الشر ، ومدح أهل الكوفة فى خطبته هذه ، ثم بعث إلى جرير بن عبد الله ـ وكان على همذان من زمان عثمان ـ وإلى الأشعث بن قيس ـ وهو على نيابة أذربيجان من زمان عثمان ـ أن يأخذا البيعة على من هنالك من الرعايا ثم يقبلا إليه ، ففعلا ذلك . فلما أراد على رضى الله عنه أن يبعث إلى معاوية رضى الله عنه يدعوه إلى بيعته قال جرير بن عبد الله : أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين فان بينى و بينه ودا ، فآخذ لك منه البيعة ، فقال الأشتر : لاتبعثه يا أمير المؤمنين فانى أخشى أن يكون هواه معه . فقال على : دعه ، و بعثه وكتب معه كتابا إلى معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته ، و يخبره بما كان فى وقعة الجمل ، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس . فلما انتهى إليه جرير بن عبد الله أعطاه الكتاب فطلب معاوية عمرو بن العاص ورؤس أهل الشام فاستشارهم فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان ، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان ، و إن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتل قتلة عثمان بن عفان رضى الله عنه . فرجع جرير إلى على فأخبره بما قالوا ، فقال الأشتر : يا أمير المؤمنين ألم أنهك أن تبعث جريراً ؟ فلو كنت بعثتنى لما فتح معاوية باباً إلا أغلقته . فقال له جرير : لو كنت ثم لقتلوك بدم عثمان . فقال الأشتر : والله لو بعثنى لم يعننى جواب معاوية ولأعجلنه عن الفكرة ، ولو أطاعنى قبل لحبسك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمة ، فقام جرير مغضباً وأقام بقرقيسيا ، وكتب إلى معاوية يخبره بما قال وما قيل له ، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه . وخرج أمير المؤمنين على بن أبى طالب من الكوفة عازماً على الدخول إلى الشام فعسكر بالنخيلة واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة ابن عامر البدرى الأنصارى وكان قد أشار عليه جماعة بأن يقيم بالكوفة و يبعث الجنود وأشار آخرون أن يخرج فيهم بنفسه ، و بلغ معاوية أن علياً قد خرج بنفسه فاستشار عمرو بن العاص فقال له : اخرج أنت أيضاً بنفسك ، وقام عمرو بن العاص فى الناس فقال : إن صناديد أهل الكوفة والبصرة قد تفانوا يوم الجمل ، ولم يبق مع على إلا شرذمة قليلة من الناس ، ممن قتل ، وقد قتل

الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، فالله الله فى حقكم أن تضيعوه ، وفى دمكم أن تطلوه ، وكتب إلى أجناد الشام فحضروا ، وعقدت الألوية والرايات للأمراء ، وتهيأ أهل الشام وتأهبوا ، وخرجوا أيضاً إلى نحو الفرات من ناحية صفين ـ حيث يكون مقدم على بن أبى طالب رضى الله عنه ـ وسار علي رضى الله عنه بمن معه من الجنود من النخيلة قاصداً أرض الشام . قال أبو إسرائيل عن الحكم ابن عيينة : وكان فى جيشه ثمانون بدرياً ومائة وخمسون ممن بايع تحت الشجرة . رواه ابن ديزيل .

وقد اجتاز فى طريقه براهب فكان من أمره ما ذكره الحسين بن ديزيل فى كتابه فيما رواه عن يحيى ابن عبد الله الكرابيسى عن نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد حدثنى مسلم الأعور عن حبة العرنى قال : لما أتى على الرقة نزل بمكان يقال له البليخ على جانب الفرات فنزل إليه راهب من صومعته فقال لعلى : إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه أصحاب عيسى بن مريم عليهما السلام ، أعرضه عليك ؟ فقال على : نعم ! فقرأ الراهب الكتاب .

« بسم الله الرحمن الرحيم الذى قضى فيما قضى وسطر فيما سطر ، وكتب فيما كتب أنه باعث فى الأميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويدلهم على سبيل الله ، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أمته الحامدون الذين يحمدون الله على كل شرف ، وفى كل صعود وهبوط ، تذل ألسنتهم بالتهليل والتكبير ، وينصره الله على كل من ناوأه فاذا توفاه الله اختلفت أمته ثم اجتمعت فلبثت بذلك ما شاء الله ثم اختلفت ثم يمر رجل من أمته بشاطئ هذا الفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضى بالحق ولا ينكس الحكم ، الدنيا أهون عليه من الرماد أو قال التراب ـ فى يوم عصفت فيه الريح ـ والموت أهون عليه من شرب الماء ، يخاف الله فى السر ، وينصح فى العلانية ، ولا يخاف فى الله لومة لائم ، فمن أدرك ذلك النبى من أهل البلاد فآمن به كان ثوابه رضوانى والجنة ، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فان القتل معه شهادة » ثم قال لعلى : فأنا أصاحبك فلا أفارقك حتى يصيبنى ما أصابك . فبكى على ثم قال : الحمد لله الذى لم يجعلنى عنده نسياً منسياً ، والحمد لله الذى ذكرنى عنده فى كتب الأبرار . فمضى الراهب معه وأسلم فكان مع على حتى أصيب يوم صفين ، فلما خرج الناس يطلبون قتلاهم قال على : اطلبوا الراهب ، فوجدوه قتيلا ، فلما وجدوه صلى عليه ودفنه واستغفر له . وقد بعث على بين يديه زياد بن النضر الحارثى طليعة فى ثمانية آلاف ، ومعه شريح بن هانى ، فى أربعة آلاف ، فساروا فى طريق بين يديه غير طريقه ، وجاء على فقطع دجلة من جسر منبج وسارت المقدمتان ، فبلغهم أن معاوية قد ركب فى أهل الشام ليلتقى أمير المؤمنين علياً فهموا بلقياه فخافوا من قلة عددهم بالنسبة إليه ، فعدلوا عن طريقهم وجاؤا ليعبروا من عانات فمنعهم أهل عانات فساروا

فعبروا من هيت ثم لحقوا عليا ـ وقد سبقهم ـ فقال على : مقدمتى تأتى من ورائى ؟ فاعتذروا إليه عما جرى لهم ، فعذرهم ثم قدمهم أمامه إلى معاوية بعد أن عبر الفرات فتلقاهم أبو الأعور عمرو بن سفيان السلمى فى مقدمة أهل الشام فتواقفوا ، ودعاهم زياد بن النضر أمير مقدمة أهل العراق ، إلى البيعة فلم يجيبوه بشئ فكتب إلى على بذلك فبعث إليهم علىّ الأشتر النخعى أميراً ، وعلى ميمنته زياد ، وعلى ميسرته شريح ، وأمره أن لا يتقدم إليهم بقتال حتى يبدءوه بالقتال ، ولكن ليدعهم إلى البيعة مرة بعد مرة ، فان امتنعوا فلا يقاتلهم حتى يقاتلوه ولا يقرب منهم قرب من يريد الحرب ، ولا يبتعد منهم ابتعاد من يهاب الرجال ، ولكن صابرهم حتى آتيك فأنا حثيث السير وراءك إن شاء الله ، فتحاجزوا يومهم ذلك ، فلما كان آخر النهار حمل عليهم أبو الأعور السلمى و بعث معه بكتاب الامارة على المقدمة مع الحارث بن جهمان الجعفى ، فلما قدم الأشتر على المقدمة امتثل ما أمره به على ، فتواقف هو ومقدمة معاوية وعليها أبو الأعور السلمى فثبتوا له واصطبروا لهم ساعة ثم انصرف أهل الشام عند المساء ، فلما كان الغد تواقفوا أيضاً وتصابروا فحمل الأشتر فقتل عبد الله بن المنذر التنوخى ـ وكان من فرسان أهل الشام ـ قتله رجل من أهل العراق يقال له ظبيان بن عمارة التميمى ، فعند ذلك حمل عليهم أبو الأعور بمن معه ، فتقدموا إليهم وطلب الأشتر من أبى الأعور أن يبارزه فلم يجبه أبو الأعور إلى ذلك ، وكأنه رآه غير كفء له فى ذلك والله أعلم . وتحاجز القوم عن القتال عند إقبال الليل من اليوم الثانى ، فلما كان صباح اليوم الثالث أقبل على رضى الله عنه فى جيوشه ، وجاء معاوية رضى الله عنه فى جنوده ، فتواجه الفريقان وتقابل الطائفتان فبالله المستعان ، فتواقفوا طويلا . وذلك بمكان يقال له : صفين وذلك فى أوائل ذى الحجة ، ثم عدل على رضى الله عنه فارتاد لجيشه منزلا ، وقد كان معاوية سبق بجيشه فنزلوا على مشرعة الماء فى أسهل موضع وأفسحه ، فلما نزل على نزل بعيداً من الماء ، وجاء سرعان أهل العراق ليردوا من الماء فمنعهم أهل الشام ، فوقع بينهم مقاتلة بسبب ذلك ، وقد كان معاوية وكل على الشريعة أبا الأعور السلمى ، وليس هناك مشرعة سواها ، فعطش أصحاب على عطشاً شديداً فبعث على الأشعث بن قيس الكندى فى جماعة ليصلوا إلى الماء فمنعهم أولئك وقال : موتوا عطشا كما منعتم عثمان الماء ، فتراموا بالنبل ساعة ، ثم تطاعنوا بالرماح أخرى ، ثم تقاتلوا بالسيوف بعد ذلك كله ، وأمد كل طائفة أهلها ، حتى جاء الأشتر النخعى من ناحية العراقيين وعمرو بن العاص من ناحية الشاميين ، واشتدت الحرب بينهم أكثر مما كانت ، وقد قال رجل من أهل العراق ـ وهو عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدى ـ وهو يقاتل .

خلّوا لنا ماءَ الفراتِ الجاري * أو اثبتوا بجحفلٍ جرارِ

لكلِ قومٍ مشربٌ تيار * مطاعنٍ برمحهِ كرارِ

* ضرّاب هامات العدى مغوار *

ثم مازال أهل العراق يكشفون الشاميين عن الماء حتى أزاحوهم عنه وخلوا بينهم و بينه ، ثم اصطلحوا على الورود حتى صاروا يزدحمون فى تلك الشريعة لا يكلم أحد أحداً ، ولا يؤذى إنسان إنساناً . وفى رواية أن معاوية لما أمر أبا الأعور بحفظ الشريعة وقف دونها برماح مشرعة ، وسيوف مسللة ، وسهام مفوقة ، وقسى موترة ، فجاء أصحاب على علياً فشكوا إليه ذلك فبعث صعصعة بن صوحان إلى معاوية يقول له : إنا جئنا كافين عن قتالكم حتى نقيم عليكم الحجة ، فبعثت إلينا مقدمتك فقاتلتنا قبل أن نبدأكم ، ثم هذه أخرى قد منعونا الماء ، فلما بلغه ذلك قال معاوية للقوم : ماذا يريدون ؟ فقال عمرو خلّ بينهم و بينه ، فليس من النصف أن نكون ريانين وهم عطاش ، وقال الوليد : دعهم يذوقوا من العطش ما أذاقوا أمير المؤمنين عثمان حين حصروه فى داره ، ومنعوه طيب الماء والطعام أربعين صباحاً ، وقال عبد الله بن سعد بن أبى سرح : امنعهم الماء إلى الليل فلعلهم يرجعون إلى بلادهم . فسكت معاوية فقال له صعصعة بن صوحان : ماذا جوابك ؟ فقال : سيأتيكم رأيى بعد هذا ، فلما رجع صعصعة فأخبر الخبر ركب الخيل والرجال ، فما زالوا حتى أزاحوهم عن الماء و وردوه قهراً ، ثم اصطلحوا فيما بينهم على ورود الماء ، ولا يمنع أحد أحداً منه . وأقام على يومين لا يكاتب معاوية ولا يكاتبه معاوية ، ثم دعا على بشير بن عمرو الأنصارى وسعيد بن قيس الهمدانى وشبيث بن ربعى السهمى فقال : إيتوا هذا الرجل فادعوه إلى الطاعة والجماعة واسمعوا ما يقول لكم ، فلما دخلوا على معاوية قال له بشير بن عمرو : يامعاوية ! إن الدنيا عنك زائلة ، و إنك راجع إلى الآخرة ، والله محاسبك بعملك ، ومجازيك بما قدمت يداك ، و إنى أنشدك الله أن تفرق جماعة هذه الأمة ، وأن تسفك دماءها بينها . فقال له معاوية هلا أوصيت بذلك صاحبكم ؟ فقال له : إن صاحبى أحق هذه البرية بالأمر فى فضله ودينه وسابقته وقرابته ، و إنه يدعوك إلى مبايعته فانه أسلم لك فى دنياك ، وخير لك فى آخرتك . فقال معاوية : و يطل دم عثمان ؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً ، ثم أراد سعيد بن قيس الهمدانى أن يتكلم فبدره شبيث بن ربعى فتكلم قبله بكلام فيه غلظة وجفاء فى حق معاوية ، فزجره معاوية و زبره فى افتياته على من هو أشرف منه ، وكلامه بما لاعلم له به ، ثم أمر بهم فأخرجوا من بين يديه ، وصمم على القيام بطلب دم عثمان الذى قتل مظلوماً ، فعند ذلك نشبت الحرب بينهم ، وأمر على بالطلائع والأمراء أن تتقدم للحرب ، وجعل على يؤمر على كل قوم من الحرب أميراً ، فمن أمرائه على الحرب الأشتر النخعى ـ وهو أكبر من كان يخرج للحرب ـ وحجر بن عدى ، وشبيث بن ربعى ، وخالد بن المعتمر و زياد بن النضر ، و زياد بن حفصة ، وسعيد بن قيس ، ومعقل بن قيس ، وقيس بن سعد ، وكذلك كان معاوية يبعث على الحرب كل يوم أميراً ،

فمن أمرائه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وأبو الأعور السلمى ، وحبيب بن مسلم ، وذو الكلاع الحميرى ، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وشرحبيل بن السمط ، وحمزة بن مالك الهمدانى ، وربما اقتتل الناس فى اليوم مرتين ، وذلك فى شهر ذى الحجة بكماله ، وحج بالناس فى هذه السنة عبد الله ابن عباس عن أمر على له بذلك ، فلما انسلخ ذو الحجة ودخل المحرم تداعى الناس للمتاركة ، لعل الله أن يصلح بينهم على أمر يكون فيه حقن دمائهم ، فكان ما سنذكره

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين

استهلت هذه السنة وأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه متواقف هو ومعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ، كل منهما فى جنوده بمكان يقال له صفين بالقرب من الفرات شرقى بلاد الشام ، وقد اقتتلوا فى مدة شهر ذى الحجة كل يوم ، وفى بعض الأيام ربما اقتتلوا مرتين ، وجرت بينهم حروب يطول ذكرها ، والمقصود أنه لما دخل شهر المحرم تحاجز القوم رجاء أن يقع بينهم مهادنة وموادعة يؤول أمرها إلى الصلح بين الناس وحقن دمائهم ، فذكر ابن جرير من طريق هشام عن أبى مخنف مالك حدثنى سعيد بن المجاهد الطائى عن محل بن خليفة أن علياً بعث عدى بن حاتم ويزيد ابن قيس الأرحبى ، وشبيث بن ربعى وزياد بن حفصة إلى معاوية ، فلما دخلوا عليه ـ وعمرو بن العاص إلى جانبه ـ قال عدى بعد حمد الله والثناء عليه : أما بعد يامعاوية فانا جئناك ندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمرنا ، ويحقن به الدماء ، ويأمن به السبل ، ويصلح ذات البين ، إن ابن عمك سيد المسلمين أفضلها سابقة ، وأحسنها فى الاسلام أثراً وقد استجمع له الناس وقد أرشدهم الله بالذى رأوا فلم يبق أحد غيرك وغير من معك من شيعتك ، فانته يامعاوية لا يصبك الله وأصحابك مثل يوم الجمل ، فقال له معاوية : كأنك إنما جئت مهدداً ولم تأت مصلحاً ، هيهات والله ياعدى ، كلا والله إنى لابن حرب ، لا يقعقع لى بالشنان ، أما والله إنك لمن المجلبين على ابن عفان ، وإنك لمن قتلته ، وإنى لأرجو أن تكون ممن يقتله الله به ، وتكلم شبيث بن ربعى وزياد بن حفصة فذكرا من فضل على وقالا : اتق الله يامعاوية ولا تخالفه فأنا والله مارأينا رجلا قط أعمل بالتقوى ، ولا أزهد فى الدنيا ، ولا أجمع لخصال الخير كلها منه . فتكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فانكم دعوتمونى إلى الجماعة والطاعة ، فأما الجماعة فمعنا هى ، وأما الطاعة فكيف أطيع رجلا أعان على قتل عثمان وهو يزعم أنه لم يقتله ؟ ونحن لا نرد ذلك عليه ولا نتهمه به ، ولكنه آوى قتلته ، فيدفعهم إلينا حتى نقتلهم ثم نحن مجيبكم إلى الطاعة والجماعة . فقال له شبيث بن ربعى : أنشدك الله يامعاوية ، لو تمكنت من عمار أكنت قاتله بعثمان ؟ قال معاوية : لو تمكنت من ابن سمية ماقتلته بعثمان ، ولكنى كنت قتلته بغلام عثمان . فقال له شبيث بن ربعى : وإله الأرض والسماء لا تصل إلى قتل عمار حتى تندر الرؤس

عن كواهلها، ويضيق فضاء الأرض ورحبها عليك. فقال معاوية: وقد كان ذاك كانت عليك أضيق. وخرج القوم من بين يديه فذهبوا الى على فأخبروه بما قال. وبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهرى، وشرحبيل بن السمط، ومعن بن يزيد بن الاخنس إلى على، فدخلوا عليه فبدأ حبيب فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فان عثمان بن عفان كان خليفة مهدياً عمل بكتاب الله وثبت لأمر الله، فاستثقلتم حياته، واستبطأتم وفاته، فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع إلينا قتلته إن زعمت أنك لم تقتله، ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم، فيولى الناس أمرهم من جمع عليه رأيهم. فقال له على: وما أنت لا أم لك، وهذا الأمر وهذا العزل، فاسكت فانك لست هناك ولا بأهل لذاك. فقال له حبيب: أما والله لتريني حيث تكره، فقال له على: وما أنت ولو أجلبت بخيلك ورجلك لا أبقى الله عليك إن أبقيت، اذهب فصعّد وصوّب ما بدالك. ثم ذكر أهل السير كلاماً طويلا جرى بينهم وبين على، وفى صحة ذلك عنهم وعنه نظر فان فى مطاوى ذلك الكلام من على ما ينتقص فيه معاوية وأباه، وإنهم انما دخلوا فى الاسلام ولم يزالا فى تردد فيه وغير ذلك وإنه قال فى غضون ذلك: لا أقول إن عثمان قتل مظلوماً ولا ظالماً. فقالوا: نحن نبرأ ممن لم يقل إن عثمان قتل مظلوماً، وخرجوا من عنده، فقال على: [إنك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون] ثم قال لأصحابه: لا يكن هؤلاء أولى بالجد فى ضلالتهم منكم بالجد فى حقكم وطاعة نبيكم، وهذا عندى لايصح عن على رضى الله عنه.

وروى ابن ديزيل من طريق عمرو بن سعد باسناده أن قراء أهل العراق وقراء أهل الشام عسكروا ناحية وكانوا قريباً من ثلاثين ألفاً، وأن جماعة من قراء العراق منهم عبيدة السلمانى، وعلقمة بن قيس، وعامر بن عبد قيس، وعبد الله بن عتبة بن مسعود، وغيرهم جاؤا معاوية فقالوا له: ما تطلب؟ قال: أطلب بدم عثمان قالوا: فمن تطالب به؟ قال: عليا، قالوا: أهو قتله؟ قال: نعم! وآوى قتلته. فانصرفوا إلى على فذكروا له ما قال فقال: كذب! لم أقتله وأنتم تعلمون أنى لم أقتله. فرجعوا إلى معاوية فقال: إن لم يكن قتله بيده فقد أمر رجالا. فرجعوا إلى على فقال: والله لا قتلت ولا أمرت ولا ماليت. فرجعوا فقال معاوية فان كان صادقا فليقدنا من قتلة عثمان، فانهم فى عسكره وجنده فرجعوا فقال على: تأول القوم عليه القرآن فى فتنة ووقعت الفرقة لأجلها وقتلوه فى سلطانه وليس لى عليهم سبيل. فرجعوا إلى معاوية فأخبروه فقال: إن كان الأمر على مايقول فماله أنفذ الأمر دوننا من غير مشورة منا ولا ممن ها هنا؟ فرجعوا إلى على فقال على: إنما الناس مع المهاجرين والأنصار، فهم شهود الناس على ولايتهم وأمر دينهم، ورضوا وبايعونى، ولست أستحل

أن أدع مثل معاوية يحكم على الأمة و يشق عصاها ، فرجعوا إلى معاوية فقال : مابال من هاهنا من المهاجرين والأنصار لم يدخلوا فى هذا الأمر ؟ فرجعوا فقال على : إنما هذا للبدريين دون غيرهم ، وليس على وجه الأرض بدرى إلا وهو معى ، وقد بايعنى وقد رضى ، فلا يغرنكم من دينكم وأنفسكم ، قال : فأقاموا يتراسلون فى ذلك شهر ربيع الآخر وجماديين و يقرعون فى غبون ذلك القرعة بعد القرعة و يزحف بعضهم على بعض ، و يحجز بينهم القراء ، فلا يكون قتال قال : فقرعوا فى ثلاثة أشهر خمسة وثمانين قرعة . قال : وخرج أبو الدرداء وأبو أمامة فدخلا على معاوية فقالا له : يامعاوية على م تقاتل هذا الرجل ؟ فوالله إنه أقدم منك ومن أبيك إسلاماً ، وأقرب منك إلى رسول الله (ص) وأحق بهذا الأمر منك . فقال : أقاتله على دم عثمان و إنه آوى قتلته ، فاذهبا إليه فقولا له فليقدنا من قتلة عثمان ثم أنا أول من بايعه من أهل الشام ، فذهبا إلى على فقالا له ذلك فقال : هؤلاء الذين تريان نخرج خلق كثير فقالوا : كلنا قتلة عثمان فمن شاء فليرمنا . قال : فرجع أبو الدرداء وأبو أمامة فلم يشهدا لهم حرباً . قال عمرو بن سعد باسناده حتى إذا كان رجب وخشى معاوية أن تبايع القراء كلهم علياً كتب فى سهم من عبد الله الناصح : يامعشر أهل العراق ! إن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات ليغرقكم فخذوا حذركم ، و رمى به فى جيش أهل العراق . فأخذه الناس فقرؤه وتحدثوا به ، وذكروه لعلى فقال : إن هذا مالا يكون ولا يقع . وشاع ذلك ، و بعث معاوية مائتى فاعل يحفرون فى جنب الفرات و بلغ الناس ذلك فتشوش أهل العراق من ذلك وفزعوا إلى على فقال : ويحكم ! إنه يريد خديعتكم ليزيلكم عن مكانكم هذا و ينزل فيه لأنه خير من مكانه . فقالوا : لابد من أن نخلى عن هذا الموضع فارتحلوا منه ، وجاء معاوية فنزل بجيشه ـ وكان على آخر من ارتحل ـ فنزل بهم وهو يقول :

فلو أنى أطعتُ عصمتُ قومى * إلى ركنِ اليمامةِ أوشآمِ
ولكنى إذا أبرمتُ أمراً * يخالفهُ الطغامُ بنو الطغامِ

قال : فأقاموا إلى شهر ذى الحجة ثم شرعوا فى المقاتلة فجعل على يؤمر على الحرب كل يوم رجلا وأكثر من كان يؤمر الأشتر . وكذلك معاوية يؤمر كل يوم أميراً فاقتتلوا شهر ذى الحجة بكماله ، وربما اقتتلوا فى بعض الأيام مرتين قال ابن جرير رحمه الله : ثم لم تزل الرسل تتردد بين على ومعاوية والناس كافون عن القتال حتى انسلخ المحرم من هذه السنة ولم يقع بينهم صلح ، فأمر على ابن أبى طالب يزيد بن الحارث الجشمى فنادى أهل الشام عند غروب الشمس ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم : إنى قد استأنيتكم لتراجعوا الحق ، وأقمت عليكم الحجة فلم تجيبوا ، و إنى قد نبذت إليكم على سواء إن الله لايحب الخائنين . ففزع أهل الشام إلى أمرائهم فأعلموهم بما سمعوا المنادى

ينادى فنهض عنـد ذلك معاوية وعمرو فعبيا الجيش ميمنة وميسرة ، وبات على يعبى جيشه من ليلته ، فجعل عـلى خيل أهل الـكوفة الأشتر النخعي ، وعلى رجالتهم عمار بن ياسر ، وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حنيف ، وعلى رجالتهم قيس بن سعد وهاشم بن عتبة ، وعلى قرائهم سعد بن فدكى التميمى ، وتقدم على إلى الناس أن لا يبدأوا واحداً بالقتال حتى يبدأ أهل الشام، وأنه لا ينفف على جريح ولا يتبع مـدبر ولا يكشف ستر امرأة ولا تهان ، وإن شتمت أمراء الناس وصلحاءهم وبرز معاوية صبح تلك الليلة وقد جعل على الميمنة ابن ذى الـكلاع الحميرى ، وعلى الميسرة حبيب بن مسلمة الفهرى ، وعلى المقـدمة أبا الأعور السلمى ، وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص ، وعلى رجالتهم الضحاك بن قيس . ذكره ابن جرير

وروى ابن ديزيل من طريق جابر الجعفى عن أبى جعفر الباقر ويزيد بن الحسن بن على وغيرهما. قالوا : لما بلغ معاوية سير على سار معاوية نحو على واستعمل على مقدمته سفيان بن عمرو أبا الأعور السلمى وعلى الساقة بسر بن أبى أرطاة حتى توافوا جميعاً سائرين إلى جانب صفين . وزاد ابن الـكلبى فقال : جعل عـلى المقدمة أبا الأعور السلمى ، وعلى الساقة بسراً ، وعـلى الخيل عبيد الله بن عمر ودفع اللواء إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وجعل على الميمنة حبيب بن مسلمة ، وعلى رجالتها يزيد بن زحر العنسى ، وعلى الميسرة عبد الله بن عمرو بن العاص ، وعلى رجالتها حابس بن سعد الطائى ، وعلى خيل دمشق الضحاك بن قيس وعلى رجالتهم يزيد بن لبيد بن كرز البجلى ، وجعل على أهل حمص ذا الـكلاع وعلى أهـل فلسطين مسلمة بن مخلد وقام معاوية فى الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! والله ما أصبت الشام إلا بالطاعة ولا أضبط حرب أهل العراق إلا بالصبر ولا أكابد أهل الحجاز إلا باللطف ، وقد تهيأتم وسرتم لتمنعوا الشام وتأخـذوا العراق ، وسار القوم ليمنعوا العراق ويأخذوا الشام ولعمرى ما للشام رجال العراق ولا أموالها ، ولا للعراق خبرة أهل الشام ولا بصائرها ، مع أن القوم بعدهم أعدادهم ، وليس بعدكم غيركم فان غلبتموهم لم تغلبوا إلا من أتاكم وإن غلبوكم غلبوا من بعدكم والقوم لا قوكم بكيد أهل العراق ، ورقة أهل اليمن وبصائر أهل الحجاز ، وقسوة أهل مصر ، وإنما ينصر غـداً من ينصر اليوم [استعينوا بالله واصبروا إن الله مع الصابرين] وقد بلغ علياً خطبة معاوية فقام فى أصحابه فحرضهم على الجهاد ومدحهم بالصبر وشجعهم بكثرتهم بالنسبة إلى أهل الشام ، قال جابر الجعفى عن أبى جعفر الباقر وزيد بن أنس وغيرهما قالوا : سار على فى مائة وخمسين ألفاً من أهل العراق وأقبل معاوية فى نحو منهم من أهل الشام . وقال غيرهم : أقبل على فى مائة ألف أو يزيدون ، وأقبل معاوية فى مائة ألف وثلاثين ألفاً ـ رواها ابن ديزيل فى كتابه ـ وقد تعاقد جماعة من أهل الشام على أن لا يفروا فعقلوا أنفسهم بالعمائم ، وكان هؤلاء خمسة

صفوف ومعهم ستة صفوف آخرين وكذلك أهل العراق كانوا أحد عشر صفا أيضاً فتواقفوا على هذه الصفة أول يوم من صفر وكان ذلك يوم الأربعاء ، وكان أمير الحرب يومئذ للعراقيين الأشتر النخعى ، وأمير الحرب يومئذ للشاميين حبيب بن مسلمة ، فاقتتلوا ذلك اليوم قتالا شديداً ثم تراجعوا من آخر يومهم وقد انتصف بعضهم من بعض وتكافئوا فى القتال ثم أصبحوا من الغد يوم الخميس وأمير حرب أهل العراق هاشم بن عتبة ، وأمير الشاميين يومئذ أبا الأعور السلمى فاقتتلوا قتالا شديداً تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال ثم تراجعوا من آخر يومهم وقد صبر كل من الفريقين للآخر وتكافئوا ثم خرج فى اليوم الثالث ـ وهو يوم الجمعة ـ عمار بن ياسر من ناحية أهل العراق وخرج إليه عمرو بن العاص فى الشاميين فاقتتل الناس قتالا شديداً وحمل عمار على عمرو بن العاص فأزاله عن موقفه وبارز زياد بن النضر الحارثى وكان على الخيالة رجلا فلما توافقا تعارفا فاذا هما أخوان من أم ، فانصرف كل واحد منهما إلى قومه وترك صاحبه ، وتراجع الناس من العشى وقد صبر كل فريق لصاحبه ، وخرج فى اليوم الرابع ـ وهو يوم السبت ـ محمد بن على ـ وهو ابن الحنفية ـ ومعه جمع عظيم فخرج إليه فى كثير من جهة الشاميين عبيد الله بن عمر ، فاقتتل الناس قتالا شديداً ، وبرز عبيد الله بن عمر فطلب من ابن الحنفية أن يبرز إليه فبرز إليه ؟ فلما كادا أن يقتربا قال على : من المبارز ؟ قالوا محمد ابنك وعبيد الله ، فيقال إن علياً حرك دابته وأمر ابنه أن يتوقف وتقدم إلى عبيد الله فقال له : تقدم إلى قال له : لا حاجة لى فى مبارزتك ، فقال : بلى ، فقال : لا ! فرجع عنه على وتحاجز الناس يومهم ذلك ثم خرج فى اليوم الخامس ـ وهو يوم الأحد ـ فى العراقيين عبد الله بن عباس وفى الشاميين الوليد بن عقبة ، واقتتل الناس قتالا شديداً ، وجعل الوليد ينال من ابن عباس ، فيما ذكره أبو مخنف ويقول : قتلتم خليفتكم ولم تنالوا ماطلبتم ، ووالله إن الله ناصرنا عليكم . فقال له ابن عباس : فابرز إلى فأبى عليه ويقال إن ابن عباس قاتل يومئذ قتالا شديداً بنفسه رضى الله عنه ، ثم خرج فى اليوم السادس ـ وهو يوم الاثنين ـ وعلى الناس من جهة العراقيين قيس بن سعد ، ومن جهة أهل الشام بن ذى الكلاع فاقتتلوا قتالا شديداً أيضاً وتصابروا ثم تراجعوا ، ثم خرج الأشتر النخعى فى اليوم السابع ـ وهو يوم الثلاثاء وخرج إليه قرنه حبيب بن مسلمة فاقتتلوا قتالا شديداً أيضاً ولم يغلب أحد أحداً فى هذه الأيام كلها . قال أبو مخنف : حدثنى مالك بن أعين الجهنى عن زيد بن وهب أن علياً قال : حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا ؟ ثم قام فى الناس عشية الأربعاء بعد العصر فقال : الحمد لله الذى لايبرم ما نقض وما أبرم لم ينقضه الناقضون ، لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه ، ولا تنازعت الأمة فى شئ من أمره ، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله ، وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار وألقت بيننا فى هذا المكان ، فنحن من ربنا بمرأى ومسمع

فلو شاء لعجل النقمة وكان منــه التغيير حتى يكذب الله الظالم ، ويعلم الحق أين مصيره ، ولـكنه جعــل الدنيا دار الأعمال ، وجعل الآخرة عنــده هي دار القرار (ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) ألا وأنـكم لاقوا القوم غــداً فأطيلوا الليلة القيام ، وأكثروا تلاوة القرآن ، واسألوا الله النصر والصبر والقوة بالجد والحزم وكونوا صادقين . قال : فوثب الناس إلى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها قال : ومر بالناس وهم كذلك كعب بن جعــل التغلبي فرأى ما يصفون فجعل يقول :

أصبحتْ الأمــةُ فى أمرٍ عجبْ * والملكُ مجموعٌ غــداً لمن غلبْ

فقلتُ قولاً صادقاً غيرَ كذبْ * إنّ غداً تهلكُ أعــلامُ العربْ

قال : ثم أصبح على فى جنوده قد عبأهم كما أراد ، وركب معاوية فى جيشه قد عبأهم كما أراده ، وقد أمر على كل قبيلة من أهل العراق أن تـكفيه أختها من أهل الشام فتقاتل الناس قتالا عظيما لا يفر أحد من أحد ولا يغلب أحد أحداً ، ثم تحاجزوا عند العشى ، وأصبح على فصلى الفجر بغلس وباكر القتال ، ثم استقبل أهل الشام فاستقبلوه بوجوههم ، فقال على فيما رواه ابن مخنف عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب : اللهــم رب السقف المحفوظ المكفوف الذى جعلته سقفاً لليل والنهار ، وجعلت فيه مجرى الشمس والقمر ومنازل النجوم ، وجعلت فيه سبطاً من الملائكة لا يسأمون العبادة ، ورب الأرض التى جعلتها قراراً للأنام والهوام والأنعام ، ومالا يحصى مما نرى ومالا نرى من خلقك العظيم ، ورب الفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، ورب السحاب المسخر بين السماء والأرض ، ورب البحر المسجور المحيط بالعالم ، ورب الجبال الرواسى التى جعلتها للأرض أوتاداً وللخلق متاعا ، إن أظهرتنا على عدونا فجنبنا البغى والفساد وسددنا للحق ، وإن أظهرتهم علينا فارزقنى الشهادة وجنب بقية أصحابى من الفتنة . ثم تقدم على وهو فى القلب فى أهل المدينة وعلى ميمنته يومئذ عبــد الله بن بديل ، وعلى الميسرة عبــد الله بن عباس ، وعلى القراء عمار بن ياسر وقيس بن سعد ، والناس على راياتهم فزحف بهم إلى القوم ، وأقبل معاوية ـ وقد بايعه أهل الشام على الموت ـ فتواقف الناس فى موطن مهول وأمر عظيم ، وحمل عبد الله بن بديل أمير ميمنة على على ميسرة أهل الشام وعليها حبيب ابن مسلمة ، فاضطره حتى ألجأه إلى القلب ، وفيــه معاوية ، وقام عبد الله بن بديل خطيباً فى الناس يحرّضهم على القتال ويحثهم على الصبر والجهاد ، وحرض أمير المؤمنين على الناس على الصبر والثبات والجهاد ، وحثهم على قتال أهل الشام ، وقام كل أمير فى أصحابه يحرضهم ، وتلا عليهم آيات القتال من أماكن متفرقة من القرآن ، فمن ذلك قوله تعالى [إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص] ثم قال : قدموا المدارع وأخروا الحاسر وعضوا على الأضراس ، فانه أنبى للسيوف

عن الهام ، وألبوا إلى أطراف الرماح فانه أفوق للأسنة ، وغضوا الأبصار فانه أربط للجأش وأسكن للقلب ، وأميتوا الاصوات فانه أطرد للفشل وأولى بالوقار ، راياتكم لا تميلوها ولاتزيلوها ولاتجعلوها إلا بأيدى شجعانكم . وقد ذكر علماء التاريخ وغيرهم أن علياً رضى الله عنه بارز فى أيام صفين وقاتل وقتل خلقاً حتى ذكر بعضهم أنه قتل خمسمائة ، فمن ذلك أن كريب بن الصباح قتل أربعة من أهل العراق ثم وضعهم تحت قدميه ثم نادى : هل من مبارز ؟ فبرز إليه على فتجاولا ساعة ثم ضربه على فقتله ثم قال على : هل من مبارز ؟ فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميرى فقتله ، ثم برز إليه راود ابن الحارث الكلاعى فقتله ، ثم برز إليه المطاع بن المطلب القيسى فقتله . فتلا على قوله تعالى [والحرمات قصاص] ثم نادى ويحك يا معاوية ! ابرز إلى ولا تفنى العرب بينى وبينك ، فقال له عمرو بن العاص : اغتنمه فانه قد أثخن بقتل هؤلاء الأربعة ، فقال له معاوية : والله لقد علمت أن علياً لم يقهر قط ، وإنما أردت قتلى لتصيب الخلافة من بعدى ، اذهب إليك ! فليس مثلى يخدع

وذكروا أن علياً حمل على عمرو بن العاص يوماً فضربه بالرمح فألقاه إلى الأرض فبدت سوءته فرجع عنه ، فقال له أصحابه : مالك يا أمير المؤمنين رجعت عنه ؟ فقال : أتدرون ما هو ؟ قالوا : لا ! قال : هذا عمرو بن العاص تلقانى بسوءته فذكرنى بالرحم فرجعت عنه ،فلما رجع عمرو إلى معاوية قال له : احمد الله واحمد إستك . وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل : ثنا يحيى ثنا نصر ثنا عمرو بن شمر عن جابر الجعفى عن تميم الأنصارى قال : والله لكأنى أسمع علياً وهو يقول لأصحابه يوم صفين أما تخافون مقت الله حتى متى ، ثم انفتل إلى القبلة يدعو ثم قال :والله ما سمعنا برئيس أصاب بيده ما أصاب على يومئذ إنه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة رجل ، يخرج فيضرب بالسيف حتى ينحنى ثم يجئ فيقول معذرة إلى الله وإليكم والله لقد هممت أن أفلقه ولكن يحجزنى عنه أنى سمعت رسول الله (ص) يقول« لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على » قال : فيأخذه فيصلحه ثم يرجع به . وهذا إسناد ضعيف وحديث منكر وحدثنا يحيى ثنا ابن وهب أخبرنى الليث عن يزيد بن حبيب أنه أخبره من حضر صفين مع على ومعاوية قال ابن وهب : وأخبرنى ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن ربيعة بن لقيط قال : شهدنا صفين مع على ومعاوية قال فطرت السماء علينا دماً عبيطاً قال الليث فى حديثه حتى أن كانوا ليأخذونه بالصحاف والآنية قال ابن لهيعة : فتملى ونهريقها وقد ذكرنا أن عبد الله بن بديل كسر الميسرة التى فيها حبيب بن مسلمة حتى أضافها إلى القلب فأمر معاوية الشجعان أن يعاونوا حبيباً على الكرة وبعث إليه معاوية يأمره بالحملة والكرة على ابن بديل ، فحمل حبيب بمن معه من الشجعان على ميمنة أهل العراق فأزالوهم عن أماكنهم وانكشفوا عن أميرهم حتى لم يبق معه إلا زهاء ثلثمائة وانجفل بقية أهل العراق ، ولم يبق مع على من تلك القبائل إلا أهل

مكة وعليهم سهل بن حنيف ، وثبت ربيعة مع على رضى الله عنه واقترب أهل الشام منه حتى جعلت نبالهم تصل إليه ، وتقدم إليه مولى لبنى أمية فاعترضه مولى لعلى فقتله الأموى وأقبل يريد علياً وحوله بنوه الحسن الحسين ومحمد بن حنفيـة ، فلما وصل إلى على أخذه على بيده فرفعه ثم ألقاه على الأرض فكسر عضده ومنكبه وابتدره الحسين ومحمد بأسيافهما فقتلاه فقال على للحسن ابنه وهو واقف معه : ما منعك أن تصنع كما صنعا فقال : كفيان أمره يا أمير المؤمنين وأسرع إلى على أهل الشام فجعل على لا يزيده قربهم منه سرعة فى مشيته ، بل هو سائر على هينته ، فقال له ابنه الحسن : يا أبة لو سعيت أكثر من مشيتك هذه فقال . يابنى إن لأبيك يوماً لن يعدوه ولا يبطئ به عنه السعى ولا يعجل به إليه المشى إن أباك والله ما يبالى وقع على الموت أو وقع عليه ثم إن علياً أمر الأشتر النخعى أن يلحق المنهزمين فيردهم فسار فأسرع حتى استقبل المنهزمين من العراق فجعل يؤنبهم ويوبخهم ويحرض القبائل والشجعان منهم على الكرة فجعل طائفة تتابعه وآخرون يستمرون فى هزيمتهم فلم يزل ذلك دأبه حتى اجتمع عليه خلق عظيم من الناس فجعل لا يلاقى قبيلة إلا كشفها ولا طائفة إلا ردها حتى انتهى إلى أمير الميمنة وهو عبد الله بن بديل ومعه نحو فى ثلثمائة قد ثبتوا فى مكانهم فسألوا عن أمير المؤمنين فقالوا حى صالح فالتفوا إليه ، فتقدم بهم حتى تراجع كثير من الناس وذلك مابين صلاة العصر إلى الغروب ، وأراد ابن بديل أن يتقدم إلى أهل الشام فأمره الأشتر أن يثبت مكانه فانه خير له فأبى عليه ابن بديل ، وحمل نحو معاوية ، فلما انتهى إليه وجده واقفاً أمام أصحابه وفى يده سيفان وحوله كتائب أمثال الجبال ، فلما اقترب ابن بديل تقدم إليه جماعة منهم فقتلوه وألقوه إلى الأرض قتيلا ، وفر أصحابه منهزمين وأكثرهم مجروح فلما انهزم أصحابه قال معاوية لأصحابه انظروا إلى أميرهم ، فجاؤا إليه فلم يعرفوه فتقدم معاوية إليه فاذا هو عبد الله بن بديل ، فقال معاوية : هذا والله كما قال الشاعر ، وهو حاتم الطائى :

أخو الحربِ إنْ عضّتْ به الحربُ عضّها * وإنْ شمّرتْ يوماً بهِ الحربُ شمرا
ويحمي إذا ما الموتُ كان لقاؤهُ * كذلكُ ذو الأشبالِ يحمي إذا ما تأمرا
كليثٍ هزبرٍ كانَ يحمي ذمارهُ * رمتْهُ المنايا سهمَها فتقطرا

ثم حمل الأشتر النخعى بمن رجع معـه من المنهزمين فصدق الحملة حتى خالط الصفوف الخمسة الذين تعاقدوا أن لا يفروا وهم حول معاوية ، نخرق منهم أربعة وبقى بينه وبين معاوية صف ، قال الأشتر فرأيت هولا عظيما ، وكدت أن أفر فما ثبتنى إلا قول ابن الاطنابة وهى أمه من بلقين وكان هو من الانصار وهو جاهلى :

أبتْ لى عفتى وأبى بلائى * وإقدامى على البطل المشيح

وإعطائى على المكروهِ مالي * وضربى هامةَ الرجلِ السميحِ
وقولي كلما جشأتْ وجاشتْ * مكانكِ تُحمدي أو تستريحى

قال : فهذا الذى ثبتنى فى ذلك الموقف . والعجب أن ابن دُيزيل روى فى كتابه أن أهل العراق حملوا حملة واحـدة ، فلم يبق لأهل الشام صف إلا أزالوه حتى أفضوا إلى معاوية فدعا بفرسه لينجو عليه ، قال معاوية : فلما وضعت رجلى فى الركاب تمثلت بأبيات عمرو بن الاطنابة :

أبتْ لى عفتى وأبى بلائى * وأخذي الحمدَ بالثمنِ الربيحِ
وإعطائي عـلى المكروهِ مالي * وضربي هامةَ البطلِ المشيحِ
وقولى كلما جشأتْ وجاشتْ * مكانكِ تُحمدي أو تستريحى

قال : فثبت ونظر معاوية إلى عمرو بن العاص فقال : اليوم صبر وغدا فخر ، فقال له عمرو : صدقت قال معاوية فأصبت خـير الدنيا وأنا أرجو أن أصيب خير الآخرة . ورواه محمـد بن إسحاق عن عبـد الله بن أبى بكر عن عبد الرحمن بن حاطب عن معاوية ، وبعث معاوية إلى خالد بن المعتمر وهو أمير الخيالة لعلى فقال له : اتبعنى على ما أنت عليه ولك إمرة العراق ، فطمع فيـه ، فلما زلى معاوية ولاه العراق فلم يصل إليها خالد رحمه الله ، ثم إن علياً لما رأى الميمنة قـد لجتمعت رجع إلى الناس فأنب بعضهم وعذر بعضهم وحرض الناس وثبتهم ثم تراجع أهل العراق فاجتمع شملهم ودارت رحى الحرب بينهم وجالوا فى الشاميين وصالوا ، وتبارز الشجعان فقتـل خلق كثير من الأعيان من الفريقين فانا لله و إنا إليـه راجعون . وقيـل ممن قتل فى هذا اليوم عبيد الله بن عمر بن الخطاب من الشاميين ، واختلفوا فيمن قتله من العراقيين ، وقد ذكر إبراهيم بن الحسين بن ديزيل أن عبيد الله لما خرج يومئـذ أميراً عـلى الحرب أحضر امرأتيه أسماء بنت عطارد بن حاجب التميمى و بحرية بنت هانئ بن قبيصة الشيبانى ــ فوقفتا وراءه فى راحلتين لينظرا إلى قتاله وشجاعتـه وقوته ، فواجهته من جيش العراقيين ربيعة الكوفة وعليهم زياد بن حفصة التميمى ، فشدوا عليه شدة رجل واحد فقتلوه بعد ما انهزم عنه أصحابه ، ونزلت ربيعة فضربوا لأميرهم خيمة فبقى طنب منها لم يجدوا له وتداً فشدوه برجل عبيـد الله ، وجاءت امرأتاه يولولان حتى وقفتا عليه و بكتا عنـده ، وشفعت امرأته بحرية إلى الامير فأطلقه لها فاحتملتاه معهما فى هودجهما وقتل معـه أيضاً ذو الـكلاع ، قال الشعبى : ففى مقتل عبيد الله بن عمر يقول كعب بن جعل التغلبى

ألا إنمـا تبكى العيونُ لفارسٍ * بصفينَ ولتْ خيلهُ وهـو واقفُ
تبدلَ من أسماء أسيافِ وائلٍ * وكانَ فتى لو أخطأتهُ المتالفُ
تركنَ عبيـدَ الله بالقاع ثاوياً * تسيلُ دماهُ والعروقُ نوازفُ

ينوءُ ويغشاهُ شآبيب من دم * كالاحُ من جيبِ القميصِ الكفائفُ
وقدْ صبرتْ حولَ ابن عم محمــدٍ * لدى الموتِ أربابُ المناقب شارفُ
فما برحوا حتى رأى اللهُ صــبرهمْ * وحتى رقتْ فوقَ الأكفِ المصاحفُ

وزاد غيره فيها

معاويَ لا تنهضْ بغيرِ وثيقةٍ * فانكَ بعدَ اليوم بالذلِ عارفُ

وقد أجابه أبو جهم الأسدى بقصيدة فيها أنواع من الهجاء تركناها قصداً .

وهذا مقتل عمار بن ياسر رضى الله عنه مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب قتله أهل الشام وبان وظهر بذلك سرُّ ماأخبر به الرسول (ص) من أنه تقتله الفئة الباغية وبان بذلك أن عليا محق وأن معاوية باغ ، ومافى ذلك من دلائل النبوة ، ذكر ابن جرير من طريق أبى مخنف حدثنى مالك بن أعين الجهنى عن زيد بن وهب الجهنى أن عماراً قال يومئذ : من يبتغى رضوان ربه ولا يلوى إلى مال ولا ولد ، قال : فأتتـه عصابة من الناس فقال : أيها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبتغون دم عثمان ويزعمون أنه قتل مظلوماً والله ماقصدهم الأخذ بدمه ولا الأخذ بثأره ، ولـكن القوم ذاقوا الدنيا واستحلوها واستمروا الآخرة فقلوها ، وعلموا أن الحق إذا لزمهـم حال بينهـم و بين مايتمرغون فيه من دنياهم وشهواتهم ، ولم يكن للقوم سابقة فى الاسلام يستحقون بها طاعة الناس لهم ولاالولاية عليهم ولا تمكنت من قلوبهم خشية الله التى تمنع من تمكنت من قلبه عن نيل الشهوات، وتعقله عن إرادة الدنيا وطلب العلو فيها ، وتحمله على اتباع الحق والميل إلى أهله ، فخدعوا أتباعهم بقولهم إمامنا قتل مظلوماً ، ليكونوا بذلك جبابرة ملوكا ، وتلك مكيدة بلغوا بهاماترون ، ولولا ذلك ماتبعهـم من الناس رجلان ولـكانوا أذل وأخس وأقل ، ولـكن قول الباطل له حـلاوة فى أسماع الغافلين ، فسيروا إلى الله سـيراً جميـلا ، واذكروا ذكراً كثيراً ثم تقـدم فلقيه عمرو بن العاص وعبيد الله بن عمر فلامهما وأنبهما ووعظهما ، وذكروه من كلامه لهما مافيه غلظة فالله أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عمرو بن مرة سمعت عبد الله بن سلمة يقول: رأيت عماراً يوم صفين شيخاً كبيراً آدم طوالا أخذ الحربة بيده ويده ترعد ، فقال : والذى نفسى بيـده لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله (ص) ثلاث مرات وهـذه الرابعة ، والذى نفسى بيـده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعرفت أن مصلحينا عـلى الحق ، وأنهم على الضـلالة . وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة وحجاج حدثنى شعبة سمعت قتادة يحدث عن أبى نضرة قال حجاج سمعت أبا نضرة عن قيس بن عباد قال . قلت لعمار بن ياسر أرأيت قتالـكم مع عـلى رأيا

رأيتموه ، فان الرأى يخطئ ويصيب ، أو عهد عهده إليكم رسول الله (ص.)؟ فقال : ما عهد إلينا رسول الله (ص.) شيئا لم يعهده إلى الناس كافة . وقد رواه مسلم من حديث شعبة وله تمام عن عمار عن حذيفة في المنافقين .

وهذا كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما عن جماعة من التابعين ، منهم الحارث بن سويد ، وقيس ابن عبادة ، وأبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائى ، ويزيد بن شريك ، وأبوحسان الأجرد وغيرهم أن كلا منهم قال : قلت لعلى : هل عندكم شئ عهده إليكم رسول الله (ص.) لم يعهده إلى الناس ؟ فقال : لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ، إلا فهماً يؤتيه الله عبداً فى القرآن ، وما فى هذه الصحيفة ، قلت : وما فى هذه الصحيفة ؟ فاذا فيها العقل وفكاك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر ، وأن المدينة حرم ما بين ثبير إلى ثور .

وثبت فى الصحيحين أيضاً من حديث الأعمش عن أبى وائل عن سفيان بن مسلم عن سهل بن حنيف أنه قال يوم صفين : يا أيها الناس ! اتهموا الرأى على الدين ، فلقد رأيتنى يوم أبى جندل ولو أقدر لرددت على رسول الله (ص.) أمره ، ووالله ما حملنا سيوفنا على عواتقنا منذ أسلمنا لأمر يقطعنا إلا أسهل بنا إلى أمر نعرفه ، غير أمرنا هذا ، فانا لا نسد منه خصما إلا انفتح لنا غيره لا ندرى كيف نبالى له

وقال أحمد : حدثنا وكيع ثنا سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى البخترى . قال قام عمار يوم صفين فقال : إيتونى بشربة لبن ، فان رسول الله (ص.) قال « آخر شربة تشربها من الدنيا تشربها يوم تقتل » وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن حبيب عن أبى البخترى أن عماراً أتى بشربة لبن فضحك وقال : إن رسول الله قال لى : « آخر شراب أشربه لبن حين أموت » وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل : ثنا يحيى بن نصر ثنا عمرو بن شمر عن جابر الجعفى قال : سمعت الشعبى عن الأحنف بن قيس : قال ثم حمل عمار بن ياسر عليهم فحمل عليه ابن جوى السكسكى وأبو الغادية الفزارى ، فأما أبو الغادية فطعنه ، وأما ابن جوى فاحتز رأسه . وقد كان ذو الكلاع سمع قول عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله (ص.) لعمار بن ياسر « تقتلك الفئة الباغية ، وآخر شربة تشربها صاع لبن » فكان ذو الكلاع يقول لعمرو : ويحك ! ما هذا ياعمرو ؟ ! فيقول له عمرو : إنه سيرجع إلينا . قال : فلما أصيب عمار بعد ذو الكلاع قال عمرو لمعاوية : ما أدرى بقتل أيهما أنا أشد فرحاً ، بقتل عمار أوذى الكلاع والله لو بقى ذو الكلاع بعد قتل عمار لمال بعامة أهل الشام ولأفسد علينا جندنا . قال : وكان لايزال يجئ رجل فيقول لمعاوية وعمرو : أنا قتلت

عماراً فيقول له عمرو فما سمعته يقول فيخلطون حتى جاء جوى فقال أنا سمعته يقول :

اليومَ ألقى الأحبهْ * محمــداً وحزبه

فقال له عمرو : صدقت أنت إنك لصاحبه ، ثم قال له : رويداً ، أما والله ما ظفرت يداك ولقد أسخطت ربك وقد روى ابن ذيزيل من طريق أبي يوسف عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عبد الرحمن الكندى عن أبيه عن عمرو بن العاص . أن رسول الله (ص.) قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » ورواه أيضاً من حديث جماعة من التابعين أرسلوه منهم عبد الله بن أبي الهذيل ومجاهد وحبيب بن أبي ثابت وحبة العرنى ، وساقه من طريق إبان عن[1] أنس مرفوعا ، ومن حديث عمرو بن شمر عن جابر الجعفى عن أبي الزبير عن حذيفة مرفوعا : « ما خير عمار بين شيئين إلا اختار أرشدهما » ، وبه عن عمرو بن شمر عن السرى عن يعقوب بن راقط قال : اختصم رجلان فى سلب عمار وفى قتله فأتيا عبد الله بن عمرو بن العاص ليتحاكما إليه ، فقال لهما : ويحكما اخرجا عنى ، فان رسول الله (ص.) قال - ولعبت قريش بعمار - : «مالهم ولعمار ؟ عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، قاتله وسالبه فى النار » قال : فبلغنى أن معاوية قال إنما قتله من أخرجه يخدع بذلك أهل الشام . وقال إبراهيم بن الحسين : حدثنا يحيى ثنا عدى بن عمر ثنا هشيم ثنا العوام بن حوشب بن الأسود بن مسعود عن حنظلة بن خويلد - وكان ناس عند على ومعاوية - قال : بينا هو عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان فى قتل عمار ، فقال لهما عبد الله بن عمرو : ليطب كل واحد منكما نفساً لصاحبه بقتل عمار ، فانى سمعت رسول الله (ص.) يقول : « تقتله الفئة الباغية » فقال معاوية لعمرو : « ألا تنهى عنا مجنونك هذا ؟ ! ثم أقبل معاوية على عبد الله فقال له : فلم تقاتل معنا ؟ فقال له إن رسول الله (ص.) أمرني بطاعة والدى ما كان حيا وأنا معكم ولست أقاتل . وحدثنا يحيى بن نصر ثنا حفص بن عمران البرجمى حدثنى نافع بن عمر الجمحى عن ابن أبي مليكة أن عبد الله ابن عمرو قال لأبيه : لولا أن رسول الله (ص.) أمرنى بطاعتك ماسرت معك هذا المسير ، أما سمعت رسول الله (ص.) يقول لعمار بن ياسر « تقتلك الفئة الباغية » وحدثنا يحيى ثنا عبد الرحمن بن زياد ثنا هشيم عن مجالد عن الشعبى قال : جاء قاتل عمار يستأذن على معاوية وعنده عمرو فقال : ائذن له وبشره بالنار . فقال الرجل : أو ماتسمع مايقول عمرو . قال : صدق ؟ إنما قتله الذين جاؤا به اوهذا كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما عن جماعة من التابعين منهم الحارث بن سويد وقيس بن عبادة وأبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائى ويزيد بن شريك وأبو حسان الأجرد وغيرهم أن كلا منهم قال : قلت لعلى هل عندكم شئ عهده إليكم رسول الله (ص.) لم يعهده إلى الناس ، فقال : لا ! والذى فلق

الحبة و برأ النسمة إلا فهما يؤتيه الله عبداً فى القرآن ومافى هذه الصحيفة ، قلت: وما فى هذه الصحيفة ؟ فاذا فيها العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر ، وأن المدينة حرام مابين ثبير إلى نور ، وثبت فى الصحيحين أيضاً من حديث الأعمش عن أبى وائل شقيق بن سلمة عن سهل بن حنيف أنه قال يوم صفين : أيها الناس اتهموا الرأى على الدين فلقد رأيتنى يوم أبى جندل ولو أقدر أن أرد على رسول الله (ص.) أمره لرددته ، والله ماحملنا سيوفنا على عواتقنا منذ أسلمنا لأمر يقطعنا إلا أسهل بنا إلى أمر نعرفه غير أمرنا هذا. وقال ابن جرير : وحدثنا أحمد بن محمد ثنا الوليد بن صالح ثنا عطاء بن مسلم عن الأعمش قال قال أبو عبد الرحمن السلمى : قال كنا مع على بصفين وكنا قد وكلنا بفرسه نفسين يحفظانه ويمنعانه أن يحمل ، فكان إذا حانت منهما غفلة حمل فلا يرجع حتى يخضب سيفه ، و إنه حمل ذات يوم فلم يرجع حتى انثنى سيفه ، فألقاه إليهم وقال : لولا أنه انثنى مارجعت ، قال : ورأيت عماراً لا يأخذ وادياً من أودية صفين إلا اتبعه من كان هناك من أصحاب رسول الله (ص.)، ورأيته جاء إلى هاشم بن عتبة وهو صاحب راية على فقال : يا هاشم تقدم ! الجنة تحت ظلال السيوف ، والموت فى أطراف الأسنة ، وقد فتحت أبواب الجنة وتزينت الحور العين

اليومَ ألقى الأحبهْ * محمداً وحزبهْ

ثم حملا هو وهاشم فقتلا رحمهما الله تعالى، قال : وحمل حينئذ على وأصحابه على أهل الشام حملة رجل واحد كأنهما : كان - يعنى عماراً وهاشما - علما لهم قال : فلما كان الليل قلت لأدخلن الليلة إلى العسكر الشاميين حتى أعلم هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا ؟ - وكنا إذا توادعنا من القتال تحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم - فركبت فرسى وقد هدأت الرجل ، ثم دخلت عسكرهم فاذا أنا بأربعة يتسامرون ، معاوية ، وأبو الأعور السلمى ، وعمرو بن العاص ، وابنه عبد الله بن عمرو وهو خير الأربعة . قال : فادخلت فرسى بينهم مخافة أن يفوتنى ما يقول بعضهم لبعض ، فقال عبد الله لأبيه : يا أبة قتلتم هذا الرجل فى يومكم هذا وقد قال فيه رسول الله ما قال ، قال : وما قال ؟ قال : ألم يكن معنا ونحن نبنى المسجد والناس ينقلون حجراً حجراً، ولبنة لبنة ، وعمار ينقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين ؟ فأتاه رسول الله (ص.) فجعل يمسح التراب عن وجهه و يقول : « ويحك يا ابن سمية الناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة وأنت تنقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين رغبة منك فى الأجر وكنت مع ذلك ويحك تقتلك الفئة الباغية » قال فرجع عمرو صدر فرسه ثم جذب معاوية إليه فقال : يا معاوية أما تسمع ما يقول عبد الله ؟ قال : وما يقول ؟ قال : يقول وأخبره الخبر فقال معاوية إنك شيخ أخرق ولا تزال تحدث بالحديث وأنت تدحض فى بولك ، أو نحن قتلنا عماراً ؟ إنما قتل عماراً من جاء به ؟ قال : فخرج الناس من عند فساطيطهم وأخبيتهم وهم يقولون : إنما قتل عماراً من جاء

به ، فلا أدرى من كان أعجب هو أو هم . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن عبد الرحمن بن أبي زياد قال : إنى لأسير مع معاوية منصرفه من صفين بينه و بين عمرو بن العاص فقال عبد الله بن عمرو : يا أبة أما سمعت رسول الله (ص) يقول لعمار : « ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية قال فقال عمرو لمعاوية : ألا تسمع مايقول عبد الله هذا فقال معاوية لا يزال يأتينا بهنة بعد هنة ، أنحن قتلناه ؟ إنما قتله الذين جاءوا به . ثم رواه أحمد عن أبي نعيم عن سفيان الثورى عن الاعمش به نحوه ، تفرد به أحمد بهذا السياق من هذا الوجه ، وهذا التأويل الذى سلكه معاوية رضى الله عنه بعيد ، ثم لم ينفرد عبد الله بن عمرو بهذا الحديث بل قد روى من وجوه أخر ، قال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن خالد عن عكرمة عن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله (ص) قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » . وقد روى البخارى فى صحيحه من حديث عبد العزيز بن المختار وعبد الوهاب الثقفى عن خالد الحذاء عن عكرمة عن أبي سعيد فى قصة بناء المسجد أن رسول الله (ص) قال لعمار : « ياويح عمار يدعوهم إلى الجنة و يدعونه إلى النار » قال يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن وفى بعض نسخ البخارى ياويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، وقال أحمد : حدثنا سليمان بن داود ثنا شعبة ثنا عمرو بن دينار عن أبي هشام عن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية ، وروى مسلم من حديث شعبة عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال : حدثنى من هو خير منى - يعنى أبا قتادة - أن رسول الله (ص) قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » وروى مسلم أيضاً من حديث شعبة عن خالد الحذاء عن الحسن وسعيد ابنى أبي الحسن عن أمهما خيرة عن أم سلمة أن رسول الله (ص) قال لعمار : تقتلك الفئة الباغية ، ورواه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن ابن علية عن ابن عون عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة به وفى رواية وقاتله فى النار . وروى البيهقى عن الحاكم وغيره عن الاصم عن أبي بكر محمد بن إسحاق الصنعانى عن أبي الجواب عن عمار بن زريق عن عمار الذهبى عن سالم بن أبي الجعد عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله (ص) يقول لعمار : « إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق » وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل - فى سيرة على - ثنا يحيى بن عبيد الله الكرابيسى ثنا أبو كريب ثنا أبو معاوية عن عمار بن زريق عن عمار الذهبى عن سالم بن أبي الجعد قال : جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال : إن الله قد أمننا أن يظلمنا ولم يؤمنا أن يفتننا ، أرأيت إذا نزلت فتنة كيف أصنع ؟ قال: عليك بكتاب الله ، قلت : أرأيت إن جاء قوم كلهم يدعون إلى كتاب الله ؟ فقال سمعت رسول الله (ص) يقول : « إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق » . وروى ابن ديزيل عن عمرو بن لعاص نفسه حديثا فى ذكر عمار وأنه مع فرقة الحق ، وإسناده غريب ، وقال البيهقى : أنا على بن

أحمد بن عبدان أنا أحمد بن عبيد الله الصفار ثنا الأسقاطى ثنا أبو مصعب ثنا يوسف بن الماجشون عن أبيه عن أبي عبيدة عن محمد بن عمار بن ياسر عن مولاة لعمار قالت: «اشتكى عمار شكوى أرق منها فغشى عليه، فأفاق ونحن نبكى حوله، فقال: ماتبكون؟ أتخشون أن أموت على فراشى؟ أخبرنى حبيبى (ص) أنه تقتلنى الفئة الباغية، وأن آخر زادى من الدنيا مذقة من لبن» وقال أحمد: ثنا ابن بى عدى عن داود عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال: «أمرنا رسول الله (ص) ببناء المسجد فجعلنا ننقل لبنة لبنة وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين، فتترب رأسه قال: فحدثنى أصحابى ولم أسمعه من رسول الله أنه جعل ينفض رأسه ويقول: ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية» تفرد به أحمد وما زاده الروافض فى هذا الحديث بعد قوله الباغية «لا أنالها والله شفاعتى يوم القيامة فهو كذب وبهت على رسول الله (ص)، فانه قد ثبتت الأحاديث عنه صلوات الله عليه وسلامه بتسمية الفريقين مسلمين، كما سنورده قريباً إن شاء الله. قال ابن جرير وقد ذكر أن عماراً لما قتل قال على لربيعة وهمدان: أنتم درعى ورمحى، فانتدب له نحو من اثنى عشر ألفاً، وتقدمهم على ببغلته فحمل وحملوا معه حملة رجل واحد، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض وقتلوا كل من انتهوا إليه حتى بلغوا معاوية وعلى يقاتل ويقول:

أضربهم ولا أرى معاويه * الجاحظ العين عظيم الحاويه

قال: ثم دعى على معاوية إلى أن يبارزه فأشار عليه بالخروج إليه عمرو بن العاص فقال له معاوية: إنك لتعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلا قتله، ولكنك طمعت فيها بعدى، ثم قدم على ابنه محمد فى عصابة كثيرة من الناس، فقاتلوه قتالا شديداً ثم تبعه على فى عصابة أخرى، فحمل بهم فقتل فى هذا الموطن خلق كثير من الفريقين لا يعلمهم إلا الله وقتل من العراقيين خلق كثير أيضاً، وطارت أكف ومعاصم ورؤس عن كواهلها، رحمهم الله. ثم حانت صلاة المغرب فما صلى بالناس إلا إيماء صلاتى العشاء واستمر القتال فى هذه الليلة كلها وهى من أعظم الليالى شراً بين المسلمين، وتسمى هذه الليلة ليلة الهرير، وكانت ليلة الجمعة تقصفت الرماح ونفدت النبال، وصار الناس إلى السيوف، وعلى رضى الله عنه يحرض القبائل، ويتقدم إليهم يأمر بالصبر والثبات وهو أمام الناس فى قلب الجيش، وعلى الميمنة الأشتر، تولاها بعد قتل عبد الله بن بديل عشية الخميس ليله الجمعة - وعلى الميسرة ابن عباس، والناس يقتتلون من كل جانب فذكر غير واحد من علمائنا علماء السير - أنهم قتتلوا بالرماح حتى تقصفت، وبالنبال حتى فنيت، وبالسيوف حتى تحطمت ثم صاروا إلى أن تقاتلوا الأيدى والرمى بالحجارة والتراب فى الوجوه، وتعاضوا بالأسنان يقتتل الرجلان حتى يثخنا ثم يجلسان يستريحان، وكل واحد منهما يهمر على الآخر ويهمر عليه ثم يقومان فيقتتلان كما كانا، فانا لله

و إنا إليه راجعون . ولم يزل ذلك دأبهـم حتى أصبح الناس من يوم الجمعـة وهم كذلك وصلى الناس الصبح إيماء وهم فى القتال حتى تضاحى النهار وتوجه النصر لأهل العراق على أهل الشام ، وذلك أن الاشتر النخعى صارت إليه إمرة الميمنة ، فحمل بمن فيها عـلى أهل الشام وتبعه على فتنقضت غالب صفوفهـم وكادوا ينهزمون ، فعنـد ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح : وقالوا ، هـذا بيننا و بينكم قد فنى الناس فمن للثغور ؟ ومن لجهاد المشركين والكفار .

وذكر ابن جرير وغـيره من أهل التاريخ أن الذى أشار بهذا هو عمرو بن العاص ، وذلك لما رأى ، أن أهل العراق قد استظهروا فى ذلك الموقف ، أحب أن ينفصل الحال وأن يتأخر الأمر فان كلا من الفريقين صابر للآخر ، والناس يتفانون . فقال إلى معاوية : إنى قد رأيت أمراً لا يزيدنا هذه الساعة إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة ، أرى أن نرفع المصاحف وندعوهم إليها ، فان أجابوا كلهم إلى ذلك برد القتال ، و إن اختلفوا فيما بينهم فمن قائل نجيبهم ، وقائل لانجيبهم ، فشلوا وذهب ريحهم، وقال الامام أحمـد ، حدثنا يعلى بن عبيد عن عبـد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبى ثابت . قال أتيت أبا وائل فى مسجد أهله أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم على بالنهر وان فيما استجابوا له وفيما فارقوه ، وفيما استحل قتالهـم فقال : كنا بصفين فلما استحر القتال بأهـل الشام اعتصموا بتل فقال عمرو بن العاص لمعاوية : أرسل إلى على بمصحف فأدعه إلى كتاب الله فانه لن يأبى عليك فجاء به رجل فقال : بيننا و بينكم كتاب الله [ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم بعد ذلك وهم معرضون] فقال على : نعم ! أنا أولى بذلك بيننا و بينكم كتاب الله قال فجاءته الخوارج ونحن ندعوهم يومئذ القراء وسيوفهم على عواتقهم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ما ينتظر هؤلاء القوم الذين عـلى التل ألا نمشى إليهم سيوفنا حتى يحكم الله بيننا و بينهم ؟ فتكلم سهل بن حنيف فقال : يأيها الناس اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية - يعنى الصلح الذى كان بين رسول الله وبين المشركين - ولو نرى قتالا لقاتلنا فجاء عمر إلى رسول الله فقال : يارسول الله ألسنا عـلى حق وهم على باطل ؟ وذكر تمام الحديث كما تقدم فى موضعه .

رفع أهل الشام المصاحف

فلما رفعت المصاحف قال أهل العراق : نجيب إلى كتاب الله وننيب إليه . قال أبو مخنف : حدثنى عبـد الرحمن بن جندب الأزدى عن أبيه أن علياً قال : عباد الله أمضوا إلى حقكم وصدقكم وقتال عـدوكم ، فان معاوية وعمرو بن العاص وابن أبى معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبى سرح والضحاك ابن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، أنا أعرف بهـم منكم ، صحبتهم أطفالا ، وصحبتهم رجالا ، فـكانوا شر أطفال وشر رجال ، ويحكم والله إنهم ما رفعوها إنهـم يقرأونها ولا يعملون بمـا فيها وما

رفعوها إلا خديعة ودهاء ومكيدة . فقالوا له : ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله . فقال لهم : إنى إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم الكتاب فانهم قد عصوا الله فيما أمرهم به ، وتركوا عهده ، ونبذوا كتابه . فقال له مسعر بن فدكى التميمى وزيد بن حصين الطائى ثم السبائى فى عصابة معهما من القراء الذين ساروا بعد ذلك خوارج : يا على أجب إلى كتاب الله إذ دعيت إليه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم أو نفعل بك مافعلنا بابن عفان ، إنه غلبنا أن يعمل بكتاب الله فقتلناه ، والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك . قال : فاحفظوا عنى نهيى إياكم واحفظوا مقالتكم لى ، أما أنا فان تطيعونى فقاتلوا ، وإن تعصونى فاصنعوا ما بدالكم ، قالوا : فابعث إلى الأشتر فليأتك ويكف عن القتال ، فبعث إليه على ليكف عن القتال ، وقد ذكر الهيثم بن عدى فى كتابه الذى صنفه فى الخوارج فقال : قال ابن عباس : فحدثنى محمد بن المنتشر الهمدانى عن من شهد صفين وعن ناس من رؤس الخوارج ممن لايتهم على كذب أن عمار بن ياسر كره ذلك وأبى وقال فى على بعض ما أكره ذكره ، ثم قال : من رائح إلى الله قبل أن يبتغى غير الله حكما ؟ فحمل فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه . وكان ممن دعا إلى ذلك سادات الشاميين عبد الله بن عمرو بن العاص قام فى أهل العراق فدعاهم الى الموادعة والكف وترك القتال والائتمار بما فى القرآن ، وذلك عن أمر معاوية له بذلك رضى الله عنهما ، وكان ممن أشار على على بالقبول والدخول فى ذلك الأشعث بن قيس الكندى رضى الله عنه ، فروى أبو مخنف من وجه آخر أن علياً لما بعث إلى الأشتر قال : قل له إنه ليس هذه ساعة ينبغى أن لاتزيلنى عن موقفى فيها ، إنى قد رجوت أن يفتح الله على ، فلا تعجلنى ، فرجع الرسول ـ وهو يزيد بن هانئ ـ إلى على فأخبره عن الأشتر بما قال ، وصمم الأشتر على القتال لينتهز الفرصة ، فارتفع الهرج وعلت الأصوات فقال أولئك القوم لعلى : والله ما نراك إلا أمرته أن يقاتل ، فقال : أرأيتمونى ساررته ؟ ألم أبعث إليه جهرة وأنتم تسمعون ؟ فقالوا : فابعث إليه فليأتك وإلا والله اعتزلناك ، فقال على ليزيد بن هانئ : ويحك ! قل له أقبل إلى فان الفتنة قد وقعت ، فلما رجع إليه يزيد بن هانئ فأبلغه عن أمير المؤمنين أنه ينصرف عن القتال ويقبل إليه ، جعل يتململ ويقول : ويحك ألا ترى إلى ما نحن فيه من النصر ولم يبق إلا القليل ؟ فقلت : أيهما أحب إليك أن تقبل أو يقتل أمير المؤمنين كما قتل عثمان ؟ ثم ماذا يغنى عنك نصرتك هاهنا ؟ قال : فأقبل الأشتر إلى على وترك القتال فقال : يا أهل العراق ! يا أهل الذل والوهن أحين علوتم القوم وظنوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ، وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها ، وسنة من أنزلت عليه ، فلا تجيبوهم ، أمهلونى فانى قد أحسست بالفتح ، قالوا : لا ! قال : أمهلونى عدو الفرس فانى قد طمعت فى النصر ، قالوا إذا ندخل معك فى خطيئتك ، ثم أخذ الأشتر يناظر أولئك القراء الداعين إلى إجابة أهل الشام

بما حاصله : إن كان أول قتالكم هؤلاء حقاً فاستمروا عليه ، وإن كان باطلا فاشهدوا لقتلاكم بالنار ، فقالوا : دعنا منك فانا لا نطيعك ولا صاحبك أبداً ، ونحن قاتلنا هؤلاء فى الله ، وتركنا قتالهم لله ، فقال لهم الأشتر : خدعتم والله فانخدعتم ، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم ، يا أصحاب السوء كنا نظن صلاتكم زهادة فى الدنيا وشوقا إلى لقاء الله ، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت ، يا أشباه النيب الجلالة ما أنتم بربانيين بعدها . فابعدوا كما بعد القوم الظالمون . فسبوه وسبهم فضربوا وجه دابته بسياطهم ، وجرت بينهم أمور طويلة ، ورغب أكثر الناس من العراقين وأهل الشام بكمالهم إلى المصالحة والمسالمة مدة لعله يتفق أمر يكون فيه حقن لدماء المسلمين ، فان الناس تفانوا فى هذه المدة ، ولاسيما فى هذه الثلاثة الأيام المتأخرة التى آخر أمرها ليلة الجمعة وهى ليلة الهرير . كل من الجيشين فيه من الشجاعة والصبر ماليس يوجد فى الدنيا مثله ، ولهذا لم يفر أحد عن أحد ، بل صبروا حتى قتل من الفريقين فيما ذكره غير واحد سبعون ألفاً . خمسة وأربعون ألفاً من أهل الشام ، وخمسة وعشرون ألفاً من أهل العراق . قاله غير واحد منهم ابن سيرين وسيف وغيره . وزاد أبو الحسن ابن البراء ـ وكان فى أهل العراق ـ خمسة وعشرون بدريا ، قال : وكان بينهم فى هذه المدة تسعون زحفاً واختلفا فى مدة المقام بصفين فقال سيف : سبعة أشهر أو تسعة أشهر . وقال أبو الحسن بن البراء مائة وعشرة أيام . قلت : ومقتضى كلام أبى مخنف أنه كان من مستهل ذى الحجة فى يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من صفر وذلك سبعة وسبعون يوما فالله أعلم ، وقال الزهرى : بلغنى أنه كان يدفن فى القبر الواحد خمسون نفساً . هذا كله ملخص من كلام ابن جرير وابن الجوزى فى المنتظم

وقد روى البيهقى من طريق يعقوب بن سفيان عن أبى اليمان عن صفوان بن عمرو وكان أهل الشام ستين ألفاً فقتل منهم عشرون ألفاً ، وكان أهل العراق مائة وعشرين ألفاً فقتل منهم أربعون ألفاً . وحمل البيهقى هذه الوقعة على الحديث الذى أخرجاه فى الصحيحين من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة ورواه البخارى من حديث شعيب عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة ، ومن حديث شعيب عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن رسول الله (ص) أنه قال : «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يقتل بينهما مقتلة عظيمة ودعواهما واحدة» . ورواه مجالد عن أبى الحوارى عن أبى سعيد مرفوعاً مثله ورواه الثورى عن ابن جدعان عن أبى نضرة عن أبى سعيد . قال قال رسول الله (ص) : « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعوتهما واحدة فبينما هم كذلك مرق منهما مارقة تقتلهم أولى الطائفتين بالحق » وقد تقدم ما رواه الامام أحمد عن مهدى و إسحاق عن سفيان عن منصور عن ربعى بن خراش عن البراء بن ناجية الكاهلى عن ابن مسعود . قال قال رسول الله (ص) : « إن رحى الاسلام ستزول لخمس وثلاثين أو ست

وثلاثين ، فان يهلكوا فسبيل من هلك ، و إن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاماً ، فقال عمر : يارسول الله أمما مضى أم مما بقي ؟ قال : بل مما بقي » . وقد رواه إبراهيم بن الحسين بن ديزيل فى كتاب جمعه فى سيرة على عن أبى نعيم الفضل بن دكين عن شريك عن منصور به مثله . وقال أيضاً : حدثنا أبو نعيم ثنا شريك بن عبد الله النخعى عن مجالد عن عامر الشعبى عن مسروق عن عبد الله . قال قال لنا رسول الله (ص) « إن رحى الاسلام ستزول بعد خمس وثلاثين سنة فان يصطلحوا فيما بينهم يأكلوا الدنيا سبعين عاماً رغداً ، و إن يقتتلوا يركبوا سنن من كان قبلهم » وقال ابن ديزيل : حدثنا عبد الله بن عمر ثنا عبد الله بن خراش الشيبانى عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمى . قال قال رسول الله (ص) : « تدور رحى الاسلام عند قتل رجل من بنى أمية » ـ يعنى عثمان رضى الله عنه ـ وقال أيضاً : حدثنا الحكم عن نافع عن صفوان بن عمرو عن الأشياخ أن رسول الله (ص) دعى إلى جنازة رجل من الأنصار فقال ـ وهو قاعد ينتظرها ـ « كيف أنتم إذا راعيتم حمليس [كذا] فى الاسلام؟ قال أبو بكر : أو يكون ذلك فى أمة إلهها واحد ونبيها واحد ؟ قال : نعم ! قال : أفادرك ذلك يارسول الله ؟ قال : لا ! قال عمر : أفادرك ذلك يارسول الله ؟ قال : لا ! قال عثمان : أفادرك ذلك يارسول الله ؟ قال : نعم ! بك يفتنون » وقال أيضاً عمر لابن عباس : كيف يختلفون و إلههم واحد وكتابهم واحد وملتهم واحدة ؟ فقال : إنه سيجئ قوم لا يفهمون القرآن كما نفهمه ، فيختلفون فيه فاذا اختلفوا فيه اقتتلوا . فأقر عمر بن الخطاب بذلك . وقال أيضاً : حدثنا أبو نعيم ثنا سعيد بن عبد الرحمن ـ أخو أبى حمزة ـ ثنا محمد بن سيرين قال : لما قتل عثمان قال عدى بن حاتم : لاينتطح فى قتله عنزان . فلما كان يوم صفين فقئت عينه فقيل : لا ينتطح فى قتله عنزان ، فقال : بلى وتفقأ عيون كثيرة . وروى عن كعب الأحبار أنه مر بصفين فرأى حجارتها فقال : لقد اقتتل فى هذا الموضع بنو إسرائيل تسع مرات ، و إن العرب ستقتتل فيها العاشرة ، حتى يتقاذفوا بالحجارة التى تقاذف فيها بنو إسرائيل و يتفانوا كما تفانوا . وقد ثبت فى الحديث أن رسول الله (ص) قال : « سألت ربى أن لا يهلك أمتى بسنة عامة فأعطانيها ، وسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من سوا [هم] فيستبيح بيضتهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يسلط بعضهم على بعض فمنعنيها » ذكرنا ذلك عند تفسير قوله تعالى [أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض] قال رسول الله : هذا أهون .

قصة التحكيم

ثم تراوض الفريقان بعد مكاتبات ومراجعات يطول ذكرها على التحكيم ، وهو أن يحكم كل واحد من الأميرين ـ على ومعاوية ـ رجلا من جهته . ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة للمسلمين . فوكّل معاوية عمرو بن العاص ، وأراد علىّ أن يوكل عبد الله بن عباس ـ وليته فعل ـ

ولكنه منعه القراء ممن ذكرنا وقالوا : لا نرضى إلا بأبي موسى الأشعرى . وذكر الهيثم بن عدى فى كتاب الخوارج له أن أول من أشار بأبي موسى الأشعرى الأشعث بن قيس ، وتابعه أهل اليمن ، ووصفوه أنه كان ينهى الناس عن الفتنة والقتال ، وكان أبو موسى قد اعتزل فى بعض أرض الحجاز. قال على : فانى أجعل الأشتر حكما ، فقالوا : وهل سعر الحرب وشعر الأرض إلا الأشتر؟ قال : فاصنعوا ما شئتم ، فقال الأحنف لعلى : والله لقد رميت بحجر إنه لا يصلح هؤلاء القوم إلا رجل منهم ، يدنو منهم حتى يصير فى أكفهم ، ويبتعد حتى يصير بمنزلة النجم ، فان أبيت أن تجعلنى حكما فاجعلنى ثانياً وثالثاً ، فانه لن يعقد عقدة إلا أحلها ، ولا يحل عقدة عقدتها إلا عقدت لك أخرى مثلها أو أحكم منها . قال : فأبوا إلا أباموسى الأشعرى فذهبت الرسل إلى أبى موسى الأشعرى ـ وكان قد اعتزل ـ فلما قيل له إن الناس قد اصطلحوا قال : الحمد لله، قيل له : وقد جعلت حكما ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم أخذوه حتى أحضروه إلى على رضى الله عنه وكتبوا بينهم كتاباً هذه صورته .

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه على بن أبى طالب أمير المؤمنين ، فقال عمرو بن العاص : اكتب اسمه واسم أبيه ، هو أميركم وليس بأميرنا ، فقال الأحنف : لاتكتب إلا أمير المؤمنين ، فقال على : امح أمير المؤمنين واكتب هذا ما قاضى عليه على بن أبى طالب ثم استشهد على بقصة الحديبيه حين امتنع أهل مكة هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فامتنع المشركون من ذلك وقالوا : اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ، فكتب الكاتب : هذا ماتقاضى عليه على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان ، قاضى علىّ على أهل العراق ومن معهم من شيعتهم والمسلمين : وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معه من المؤمنين والمسلمين إنا ننزل عند حكم الله وكتابه ونحيى ما أحيى الله ، ونميت ما أمات الله فما وجد الحكمان فى كتاب الله ـ وهما أبو موسى الأشعرى وعمرو بن العاص ـ ، عملا به وما لم يجدا فى كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المتفرقة

ثم أخذ الحكمان من على ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما ، والأمة لهما أنصار على الذى يتقاضيان عليه ، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كلهما عهد الله وميثاقه أنهما على ما فى هذه الصحيفة ، وأجلا القضاء إلى رمضان وإن أحبا أن يوخرا ذلك على تراض منهما ، وكتب فى يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين ، على أن يوافى على ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل فى رمضان ، ومع كل واحد من الحكمين أربعمائة من أصحابه ، فان لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح ، وقد ذكر الهيثم فى كتابه فى الخوارج أن الأشعث بن قيس لما ذهب إلى معاوية بالكتاب وفيه : « هذا ماقاضى عبد الله على

أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان » قال معاوية : لو كان أمير المؤمنين لم أقاتله ، ولكن ليكتب اسمه وليبدأ به قبل اسمى لفضله وسابقته ، فرجع إلى على فكتب كما قال معاوية . وذكر الهيثم أن أهل الشام أبوا أن يبدأ باسم على قبل معاوية ، وباسم أهل العراق قبلهم ، حتى كتب كتابان كتاب لهؤلاء فيه تقديم معاوية على على وكتاب آخر لأهل العراق بتقديم اسم على وأهل العراق على معاوية وأهل الشام وهذه تسمية من شهد على هذا التحكيم من جيش على : عبد الله بن عباس ، والأشعث ابن قيس الكندى ، وسعيد بن قيس الهمدانى ، وعبد الله بن الطفيل المعافرى ، وحجر بن يزيد الكندى ، وورقاء بن سمى العجلى ، وعبد الله بن بلال العجلى ، وعقبة بن زياد الأنصارى ، ويزيد ابن جحفة التيمى ، ومالك بن كعب الهمدانى . فهؤلاء عشرة . وأما من الشاميين فعشرة آخرون ، وهم أبو الأعور السلمى ، وحبيب بن مسلمة ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، ومخارق بن الحارث الزبيدى ، ووائل بن علقمة العدوى ، وعلقمة بن يزيد الحضرمى ، وحمزة بن مالك الهمدانى ، وسبيع بن يزيد الحضرمى ، وعتبة بن أبى سفيان أخو معاوية ، ويزيد بن الحر العبسى . وخرج الأشعث بن قيس بذلك الكتاب يقرؤه على الناس ويعرضه على الطائفتين . ثم شرع الناس فى دفن قتلاهم قال الزهرى : بلغنى أنه دفن فى كل قبر خمسون نفساً ، وكان على قد أسر جماعة من أهل الشام ، فلما أراد الانصراف أطلقهم ، وكان مثلهم أو قريب منهم فى يد معاوية وكان قد عزم على قتلهم لظنه أنه قد قتل أسراهم ، فلما جاءه أولئك الذين أطلقهم أطلق معاوية الذين فى يده ، ويقال إن رجلا يقال له عمرو بن أوس - من الأزد - كان من الأسارى فأراد معاوية قتله فقال : امنن على فانك خالى ، فقال : ويحك ! من أين أنا خالك ؟ فقال : إن أم حبيبة زوجة رسول الله (ص.) وهى أم المؤمنين وأنا ابنها وأنت أخوها وأنت خالى ، فأعجب ذلك معاوية وأطلقه . وقال عبد الرحمن بن زياد بن أنعم - وذكر أهل صفين - فقال : كانوا عربا يعرف بعضهم بعضاً فى الجاهلية فالتقوا فى الاسلام معهم على الحمية وسنة الاسلام ، فتصابروا واستحيوا من الفرار ، وكانوا إذا تحاجزوا دخل هؤلاء فى عسكر هؤلاء ، وهؤلاء فى عسكر هؤلاء ، فيستخرجون قتلاهم فيدفنوهم . قال الشعبى : هم أهل الجنة ، التى بعضهم بعضا فلم يفر أحد من أحد .

خروج الخوارج

وذلك أن الأشعث بن قيس مر على ملأ من بنى تميم فقرأ عليهم الكتاب فقام إليه عروة بن أذينة وهى أمه وهو عروة بن جرير من بنى ربيعة بن حنظلة وهو أخو أبى بلال بن مرداس بن جرير فقال : أتحكمون فى دين الله الرجال ؟ ثم ضرب بسيفه عجز دابة الأشعث بن قيس ، فغضب الأشعث وقومه ، وجاء الأحنف بن قيس وجماعة من رؤسائهم يعتذرون إلى الأشعث بن قيس من ذلك ،

قال الهيثم بن عدى : والخوارج يزعمون أن أول من حكم عبد الله بن وهب الراسبى . قلت : والصحيح الأول وقد أخذ هذه الكلمة من هذا الرجل طوائف من أصحاب على من القراء وقالوا : لا حكم إلا لله، فسموا المحكمية . وتفرق الناس إلى بلادهم من صفين ، وخرج معاوية إلى دمشق بأصحابه ، ورجع على إلى الكوفة على طريق هيت فلما دخل الكوفة سمع رجلا يقول : ذهب على ورجع فى غير شئ . فقال على : للذين فارقناهم خير من هؤلاء وأنشأ يقول :

أخوكَ الذى إنْ أحرجتكَ ملمةٌ * مِنَ الدهرِ لم يبرحْ لبثك راحما

وليسَ أخوكَ بالذي إن تشعبتْ * عليكَ أمورٌ ظلَّ يلحاكَ لائما

ثم مضى فجعل يذكر الله حتى دخل قصر الامارة من الكوفة ، ولما كان قد قارب دخول الكوفة اعتزل من جيشه قريب من ـ اثنى عشر ألفا ـ وهم الخوارج ، وأبوا أن يساكنوه فى بلده ، ونزلوا بمكان يقال له حروراء وأنكروا عليه أشياء فيما يزعمون أنه ارتكبها ، فبعث إليهم على رضى الله عنه عبد الله بن عباس فناظرهم فرجع أكثرهم و بقى بقيتهم ، فقاتلهم على بن أبى طالب وأصحابه كما سيأتى بيانه وتفصيله قريبا إن شاء الله تعالى . والمقصود أن هؤلاء الخوارج هم المشار إليهم فى الحديث المتفق على صحته أن رسول الله (ص) : « قال تمرق مارقة على حين فرقة من الناس ـ وفى رواية من المسلمين ، وفى رواية من أمتى ـ فيقتلها أولى الطائفتين ». وهذا الحديث له طرق متعددة وألفاظ كثيرة

قال الامام أحمد : حدثنا وكيع وعفان بن القاسم بن الفضل عن أبى نضرة عن أبى سعيد .. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق.» رواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن القاسم بن محمد به . وقال أحمد : حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله (ص) « تكون أمتى فرقتين تخرج بينهما مارقة تلى قتلها أولاهما » ورواه مسلم من حديث قتادة وداود بن أبى هند عن أبى نضرة به . وقال أحمد : حدثنا ابن أبى عدى عن سليمان عن أبى نضرة عن أبى سعيد أن رسول الله (ص) « ذكر قوماً يكونون فى أمته يخرجون فى فرقة من الناس ، سيماهم التحليق هم شر الخلق ـ أو من شر الخلق ـ يقتلهم أدنى الطائفتين من الحق » قال أبو سعيد : فأنتم قتلتموهم يا أهل العراق . وقال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا عوف عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى . قال قال رسول الله (ص) : « تفترق أمتى فرقتين فتمرق بينهما مارقة فيقتلها أولى الطائفتين بالحق » ورواه عن يحيى القطان عن عوف وهو الأعرابى به مثله فهذه طرق متعددة عن أبى نضرة المنذر بن مالك بن قطعة العبدى ، وهو أحد الثقات الرفعاء ورواه مسلم أيضا من حديث سفيان الثورى عن حبيب بن أبى ثابت عن الضحاك المشرقى عن أبى سعيد بنحوه .

فهذا الحديث من دلائل النبوة إذ قد وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام ، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين أهل الشام وأهل العراق ، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجهلة الطغام ، من تكفيرهم أهل الشام ، وفيه أن أصحاب على أدنى الطائفتين إلى الحق ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن علياً هو المصيب وإن كان معاوية مجتهداً ، وهو مأجور إن شاء الله ، ولكن على هو الامام فله أجران كما ثبت فى صحيح البخارى من حديث عمرو بن العاص أن رسول الله (ص) قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » وسيأتى بيان كيفية قتال على رضى الله عنه للخوارج ، وصفة المخدج الذى أخبر عنه عليه السلام فوجد كما أخبر ففرح بذلك على رضى الله عنه وسجد للشكر .

فصل

قد تقدم أن علياً رضى الله عنه لما رجع من الشام بعد وقعة صفين ، ذهب إلى الكوفة ، فلما دخلها انعزل عنه طائفة من جيشه ، قيل ستة عشر ألفاً وقيل اثنى عشر ألفاً ، وقيل أقل من ذلك ، فباينوه وخرجوا عليه وأنكروا أشياء ، فبعث إليهم عبد الله بن عباس فناظرهم فيها ورد عليهم ماتوهموه شبهة ، ولم يكن له حقيقة فى نفس الأمر ، فرجع بعضهم واستمر بعضهم على ضلالهم حتى كان منهم ما سنورده قريباً ، ويقال إن علياً رضى الله عنه ذهب إليهم فناظرهم فيما نقموا عليه حتى استرجعهم عما كانوا عليه ، ودخلوا معه الكوفة ، ثم إنهم عاهدوا فنكثوا ما عاهدوا عليه وتعاهدوا فيما بينهم على القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والقيام على الناس فى ذلك ثم تحيزوا إلى موضع يقال له النهروان ، وهناك قاتلهم على كما سيأتى . قال الامام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى الطباع حدثنى يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبد الله بن عياض بن عمرو القارىء قال : جاء عبد الله بن شداد فدخل على عائشة ونحن عندها مرجعه من العراق ليالى قتل على ، فقالت له : ياعبد الله بن شداد هل أنت صادقى عما أسألك عنه ؟ تحدثنى عن هؤلاء القوم الذين قتلهم على ، فقال: ومالى لا أصدقك ؟ قالت : فحدثنى عن قصتهم ، قال : فان عليا لما كاتب معاوية وحكم الحكمين خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس فنزلوا بأرض يقال لها حروراء من جانب الكوفة ، وأنهم عتبوا عليه فقالوا : انسلخت من قميص ألبسكه الله ، واسم سماك به الله ثم انطلقت فحكمت فى دين الله ولا حكم إلا لله ، فلما أن بلغ عليا ماعتبوا عليه وفارقوه عليه ، أمر فأذن مؤذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين رجل إلا رجلا قد حمل القرآن ، فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده ويقول : أيها المصحف ! حدث الناس فناداه الناس فقالوا :

يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه إنما هو مداد فى ورق ، ونحن نتكلم بما روينا منه ، فماذا تريد ؟ قال : أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بينى و بينهم كتاب الله يقول الله تعالى فى كتابه فى امرأة ورجل : [وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما] فأمة محمد (ص.) أعظم دماً وحرمة من امرأة و رجل ، ونقموا على أن كاتبت معاوية كتبت على بن أبى طالب ، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله (ص.) بالحديبية حين صالح قومه قريشا فكتب رسول الله (ص.) بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : كيف تكتب ؟ « قال أكتب باسمك اللهم ! فقال رسول الله (ص.) اكتب فكتب ، فقال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، فقال : لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك ، فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشا ، يقول الله تعالى فى كتابه [لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر] فبعث إليهم عبد الله بن عباس فخرجت معه حتى إذا توسطت عسكرهم فقام ابن الكوا فخطب الناس فقال يا حملة القرآن هذا عبد الله بن عباس فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه ممن يخاصم فى كتاب الله بمالا يعرفه ، هذا ممن نزل فيه و فى قومه [بل هم قوم خصمون] فردوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله ، فقال بعضهم : والله لنواضعنه فان جاء بحق نعرفه لنتبعنه و إن جاء بباطل لنكبتنه بباطله ، فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام ، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب ، فيهم ابن الكوا ، حتى أدخلهم على على الكوفة ، فبعث على إلى بقيتهم فقال : قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم ، فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد (ص.) بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دماً حراماً أو تقطعوا سبيلا أو تظلموا ذمة فانكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء [إن الله لا يحب الخائنين] فقالت له عائشة : يا ابن شداد فقتلهم فقالوا والله مابعثت إليهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدماء واستحلوا أهل الذمة، فقالت الله ، قال : الله لا إله إلا هو قد كان ذلك ، قالت : فما شئ بلغنى عن أهل العراق يقولون ذو الثدى وذو الثدية ؟ قال : قد رأيته وكنت مع على فى القتلى فدعا الناس فقال : أتعرفون هذا ؟ فما أكثر من جاء يقول : قد رأيته فى مسجد بنى فلان ، ورأيته فى مسجد بنى فلان يصلى ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك . قالت : فما قول على حيث قام عليه كما يزعم أهل العراق ؟ قال سمعته يقول صدق الله و رسوله قالت : هل سمعت منه أنه قال غير ذلك ؟ قال : اللهم لا ! قالت أجل ! صدق الله و رسوله، يرحم الله علياً إنه كان لا يرى شيئاً يعجبه إلا قال صدق الله ورسوله ، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه و يزيدون عليه فى الحديث تفرد به أحمد و إسناده صحيح واختاره الضياء ففى هذا السياق ما يقتضى أن عدتهم كانوا ثمانية آلاف ، لكن من القراء ، وقد يكون واطأهم على مذهبهم آخرون من غيرهم حتى بلغوا

اثنى عشر ألفاً ، أو ستة عشر ألفاً . ولما ناظرهم ابن عباس رجع منهم أربعة آلاف و بقى بقيتهم على ماهم عليه ، وقد رواه يعقوب بن سفيان عن موسى بن مسعود عن عكرمة بن عمار عن سماك أبى زميل عن ابن عباس فذكر القصة وأنهم عتبوا عليه فى كونه حكم الرجال ، وأنه محى اسمه من الأمرة ، وأنه غزا يوم الجمل فقتل الأنفس الحرام ولم يقسم الأموال والسبى ، فأجاب عن الأولين بما تقدم ، وعن الثالث بما قال : قد كان فى السبى أم المؤمنين فان قلتم ليست لـكم بأم فقد كفرتم ، و إن استحللتم سبى أمهاتكم فقـد كفرتم . قال : فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فتقاتلوا . وذكر غـيره أن ابن عباس لبس حلة لما دخل عليهـم ، فناظروه فى لبسه إياها ، فاحتج بقوله تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق] الآية . وذكر ابن جرير أن علياً خرج بنفسه إلى بقيتهم فلم يزل يناظرهم حتى رجعوا معه إلى الكوفة وذلك يوم عيد الفطر أو الأضحى شك الراوى فى ذلك ، ثم جعلوا يعرضون له فى الكلام و يسمعونه شتما و يتأولون بتأويل فى قوله . قال الشافعى رحمـه الله : قال رجل من الخوارج لعلى وهو فى الصلاة [لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين] فقرأ على [فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون] .

وقـد ذكر ابن جرير أن هـذا كان وعلى فى الخطبة . وذكر ابن جرير أيضاً أن علياً بينما هو يخطب يوماً إذ قام إليه رجل من الخوارج فقال : يا على أشركت فى دين الله الرجال ولا حكم إلا لله ، فتنادوا من كل جانب لاحكم إلا لله ، لاحكم إلا لله ، فجعل على يقول : هذه كلمة حق يراد بها باطل ، ثم قال : إن لكم علينا أن لا نمنعكم فيئا ما دامت أيديكم معنا ، وأن لا نمنعكم مساجـد الله ، وأن لا نبدأكم بالقتال حتى تبدؤنا . ثم إنهم خرجوا بالكلية عن الكوفة وتحيزوا إلى النهر وان علـى ماسنذكره بعد حكم الحـكمين .

اجتماع الحكمين أبي موسى وعمرو بن العاص بدومة الجندل

وذلك فى شهر رمضان كما تشارطوا عليه وقت التحكيم بصفين ، وقال الواقدى اجتمعوا فى شعبان. وذلك أن علياً رضى الله عنـه لما كان مجئ رمضان بعث أربعمائة فارس مع شريح بن هانئ ، ومعهم أبو موسى ، وعبد الله بن عباس ، و إليه الصلاة و بعث معاوية عمرو بن العاص فى أربعمائة فارس من أهل الشام ومنهم عبدالله بن عمر ، فتوافوا بدومة الجندل بأذرح ـ وهى نصف [المسافة] بين الكوفة والشام ، بينها و بين كل من البلدين تسع مراحل ـ وشهد معهـم جماعة من رؤس الناس ، كعبد الله ابن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ، وعبـد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى .

وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهرى وأبى جهم بن حديفة . وزعم بعض الناس أن سعد بن أبى وقاص شهدهم أيضاً ، وأنكر حضوره آخرون . وقد ذكر ابن جرير أن عمر بن سعد خرج إلى أبيه وهو على ماء لبنى سليم بالبادية معتزل : فقال يا أبة : قد بلغك ما كان من الناس بصفين ، وقد حكم الناس أبا موسى الأشعرى وعمرو بن العاص ، وقد شهدهم نفر من قريش ، فاشهدهم فانك صاحب رسول الله (ص) وأحد أصحاب الشورى ولم تدخل فى شئ كرهته هذه الأمة فاحضر إنك أحق الناس بالخلافة . فقال : لا أفعل ! إنى سمعت رسول الله (ص) يقول : « إنه ستكون فتنة خير الناس فيها الخفى البقى » والله لا أشهد شيئاً من هذا الأمر أبداً . وقد قال الامام أحمد - حدثنا أبو بكر الحنفى عبد الكبير بن عبد المجيد ثنا بكر بن سمار عن عامر بن سعد أن أخاه عمر انطلق إلى سعد فى غنم له خارجاً من المدينة فلما رآه سعد قال : أعوذ بالله من شر هذا الراكب ، فلما أتاه قال : يا أبة أرضيت أن تكون أعرابياً فى غنمك والناس يتنازعون فى الملك بالمدينة ؟ فضرب سعد صدر عمر وقال : اسكت فانى سمعت رسول الله (ص) يقول : « إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى » وهكذا رواه مسلم فى صحيحه . وقال أحمد أيضاً : حدثنا عبد الملك بن عمرو ثنا كثير بن زيد الأسلمى عن المطلب عن عمر بن سعد عن أبيه أنه جاءه ابنه عامر فقال : يا أبة : الناس يقاتلون على الدنيا وأنت ههنا ؟ فقال : يابنى أفى الفتنة تأمرنى أن أكون رأساً ؟ لا والله حتى أعطى سيفاً إن ضربت به مؤمنا نبا عنه وإن ضربت به كافراً قتلته ، سمعت رسول الله (ص) يقول : « إن الله يحب الغنى الخفى التقى » وهذا السياق كان عكس الأول ، والظاهر أن عمر بن سعد استعان بأخيه عامر على أبيه ليشير عليه أن يحضر أمر التحكيم لعلهم يعدلون عن معاوية وعلى ويولونه فامتنع سعد من ذلك وأباه أشد الأباء وقنع بما هو فيه من الكفاية والخفاء كما ثبت فى صحيح مسلم أن رسول الله (ص) قال : قد « أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه » وكان عمر بن سعد هذا يحب الامارة ، فلم يزل ذلك دأبه حتى كان هو أمير السرية التى قتلت الحسين بن على رضى الله عنه كما سيأتى بيانه فى موضعه ، ولو قنع بما كان أبوه عليه لم يكن شئ من ذلك . والمقصود أن سعداً لم يحضر أمر التحكيم ولا أراد ذلك ولاهم به ، وإنما حضره من ذكرنا . فلما اجتمع الحكمان تراوضا على المصلحة للمسلمين ، ونظرا فى تقدير أمور ثم اتفقا على أن يعزلا عليا ومعاوية ثم يجعلا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على الأصلح لهم منهما أو من غيرهما ، وقد أشار أبو موسى بتولية عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فقال له عمرو : فول ابنى عبد الله فانه يقاربه فى العلم والعمل والزهد . فقال له أبو موسى : إنك قد غمست ابنك فى الفتن معك ، وهو مع ذلك رجل صدق .

قال أبو مخنف : فحدثنى محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر قال قال عمرو بن العاص : إن هذا

الأمر لايصلحه إلارجل له ضرس يأكل ويطعم. وكان ابن عمر فيه غفلة، فقال له ابن الزبير: افطن وانتبه، فقال ابن عمر: لا والله لا أرشو عليها شيئاً أبداً، ثم قال: يا ابن العاص إن العرب قد أسندت إليك أمرها بعد ماتقارعت بالسيوف وتشاكت بالرماح، فلاتردنهم فى فتنة مثلها أو أشد منها ثم إن عمرو بن العاص حاول أبا موسى على أن يقر معاوية وحده على الناس فأبى عليه، ثم حاوله ليكون ابنه عبد الله بن عمرو هو الخليفة، فأبى أيضاً، وطلب أبو موسى من عمرو أن يوليا عبد الله بن عمر فامتنع عمرو أيضاً، ثم اصطلحا على أن يخلعا معاوية وعليا ويتركا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على من يختاروه لأنفسهم، ثم جاءا إلى المجمع الذى فيه الناس ـ وكان عمرو لا يتقدم بين يدى أبى موسى بل يقدمه فى كل الأمور أدباً وإجلالا ـ، فقال له: يا أبا موسى قم فأعلم الناس بما اتفقنا عليه، فخطب أبو موسى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على رسول الله (ص.) ثم قال: أيها الناس إنا قد نظرنا فى أمر هذه الأمة فلم نر أمراً أصلح لها ولا ألم لشعثها من رأى اتفقت أنا وعمرو عليه، وهو أنا نخلع عليا ومعاوية ونترك الأمر شورى، وتستقبل الأمة هذا الأمر فيولوا عليهم من أحبوه، وإنى قد خلعت عليا ومعاوية. ثم تنحى وجاء عمرو فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هذا قدقال ماسمعتم، وإنه قد خلع صاحبه، وإنى قد خلعته كما خلعه وأثبت صاحبى معاوية فانه ولى عثمان بن عفان، والطالب بدمه، وهو أحق الناس بمقامه ـ وكان عمرو بن العاص رأى أن ترك الناس بلا إمام والحالة هذه يؤدى إلى مفسدة طويلة عريضة أربى مما الناس فيه من الاختلاف، فأقر معاوية لما رأى ذلك من المصلحة، والاجتهاد يخطئ ويصيب. ويقال إن أبا موسى تكلم معه بكلام فيه غلظة ورد عليه عمرو بن العاص مثله.

وذكر ابن جرير أن شريح بن هانئ ـ مقدم جيش على ـ وثب على عمرو بن العاص فضربه بالسوط وقام إليه ابن لعمرو فضربه بالسوط، وتفرق الناس فى كل وجه إلى بلادهم، فأما عمرو وأصحابه فدخلوا على معاوية فسلموا عليه بتحية الخلافة، وأما أبو موسى فاستحيى من على فذهب إلى مكة، ورجع ابن عباس وشريح بن هانئ إلى على فأخبراه بما فعل أبو موسى وعمرو، فاستضعفوا رأى أبى موسى وعرفوا أنه لايوازن عمرو بن العاص. فذكر أبو مخنف عن أبى حباب الكلبى أن عليا لما بلغه مافعل عمرو كان يلعن فى قنوته معاوية، وعمرو بن العاص، وأبا الأعور السلمى، وحبيب ابن مسلمة، والضحاك بن قيس، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والوليد بن عتبة، فلما بلغ ذلك معاوية كان يلعن فى قنوته عليا وحسنا وحسينا وابن عباس والأشتر النخعى، ولا يصح هذا والله أعلم. فأما الحديث الذى قال البيهقى فى الدلائل: أخبرنا على بن أحمد بن عبدان أنا أحمد بن عبيد الصفار ثنا إسماعيل بن الفضل ثنا قتيبة بن سعيد عن جرير عن زكريا بن يحيى عن عبد الله

ابن يزيد وحبيب بن يسار عن سويد بن غفلة قال : إنى لامشى مع علي بشط الفرات فقال : قال رسول الله (ص) : « إن بنى إسرائيل اختلفوا فلم يزل اختلافهم بينهم حتى بعثوا حكمين فضلا وأضلا ، و إن هذه الأمة ستختلف فلا يزال اختلافهم بينهم حتى يبعثوا حكمين فيضلان و يضلان من اتبعهما » فانه حديث منكر و رفعه موضوع والله أعلم . إذ لو كان هذا معلوماً عند على لم يوافق على تحكيم الحكمين حتى لا يكون سبباً لا ضلال الناس ، كما نطق به هذا الحديث . وآفة هذا الحديث هو زكريا بن يحيى وهو الكندى الحميرى الأعمى قال ابن معين ليس بشئ .

خروج الخوارج من الكوفة ومبارزتهم علياً

لما بعث على أباموسى ومن معه من الجيش إلى دومة الجندل اشتد أمر الخوارج و بالغوا فى النكير على على وصرحوا بكفره ، فجاء إليه رجلان منهم ، وهما زرعة بن البرج الطائى ، وحرقوص بن زهير السعدى فقالا : لا حكم إلا لله ، فقال على : لا حكم إلا لله ، فقال له حرقوص : تب من خطيئتك واذهب بنا إلى عدونا حتى نقاتلهم حتى نلقى ربنا . فقال على : قد أردتكم على ذلك فأبيتم ، وقد كتبنا بيننا و بين القوم عهوداً وقد قال الله تعالى : [وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم] الآية فقال له حرقوص : ذلك ذنب ينبغى أن تتوب منه ، فقال على : ما هو بذنب ولكنه عجز من الرأى ، وقد تقدمت إليكم فيما كان منه ، ونهيتكم عنه ، فقال له زرعة بن البرج : أما والله ياعلى لئن لم تدع تحكيم الرجال فى كتاب الله لأقاتلنك أطلب بذلك رحمة الله و رضوانه ، فقال على : تباً لك ما أشقاك ! كأنى بك قتيلا تسفى عليك الريح ، فقال : وددت أن قد كان ذلك ، فقال له على : إنك لو كنت محقاً كان فى الموت تعزية عن الدنيا ، ولكن الشيطان قد استهواكم . فخرجا من عنده يحكمان وفشى فيهم ذلك ، وجاهروا به الناس ، وتعرضوا لعلى فى خطبه وأسمعوه السب والشتم والتعريض بآيات من القرآن ، وذلك أن علياً قام خطيباً فى بعض الجمع فذكر أمر الخوارج فذمه وعابه . فقام جماعة منهم كل يقول لا حكم إلا لله ، وقام رجل منهم وهو واضع إصبعه فى أذنيه يقول : [ولقد أوحى إليك و إلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين] فجعل على يقلب يديه هكذا وهكذا وهو على المنبر ويقول : حكم الله ننتظر فيكم . ثم قال : إن لكم علينا أن لا نمنعكم مساجدنا مالم تخرجوا علينا ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفئ ما دامت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا . وقال أبو مخنف عن عبد الملك عن أبى حرة أن علياً لما بعث أبا موسى لأنفاذ الحكومة اجتمع الخوارج فى منزل عبد الله بن وهب الراسبى فخطبهم خطبة بليغة زهدهم فى هذه الدنيا و رغبهم فى الآخرة والجنة ،

وحثهم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ثم قال : فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها ، إلى جانب هذا السواد إلى بعض كور الجبال ، أو بعض هذه المدائن ، منكرين لهذه الأحكام الجائرة . ثم قام حرقوص بن زهير فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إن المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها وشيك ، فلا يدعونكم زينتها أو بهجتها إلى المقام بها ، ولا تلتفت بكم عن طلب الحق وإنكار الظلم [إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون] فقال سنان بن حمزة الأسدى : ياقوم إن الرأى ما رأيتم ، وإن الحق ما ذكرتم ، فولوا أمركم رجلا منكم ، فانه لابد لكم من عماد وسناد ، ومن راية تحفون بها وترجعون إليها ، فبعثوا إلى زيد بن حصن الطائى ـ وكان من رؤسهم ـ فعرضوا عليه الأمارة فأبى ، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى ، وعرضوها على حمزة بن سنان فأبى ، وعرضوها على شريح بن أبى أوفى العبسى فأبى وعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبى فقبلها وقال : أما والله لا أقبلها رغبة فى الدنيا ولا أدعها فرقاً من الموت . واجتمعوا أيضاً فى بيت زيد بن حصن الطائى السنبسى فخطبهم وحثهم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتلا عليهم آيات من القرآن منها قوله تعالى [ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله] الآية ، وقوله تعالى : [ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون] وكذا التى بعدها وبعدها الظالمون الفاسقون ثم قال : فأشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا أنهم قد اتبعوا الهوى ، ونبذوا حكم الكتاب ، وجاروا فى القول والأعمال ، وأن جهادهم حق على المؤمنين ، فبكى رجل منهم يقال له عبد الله بن سخبرة السلمى ، ثم حرض أولئك على الخروج على الناس ، وقال فى كلامه : اضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم ، فان أنتم ظفرتم وأطيع الله كما أردتم أثابكم ثواب المطيعين له العاملين بأمره ، وإن قتلتم فأى شئ أفضل من المصير إلى رضوان الله وجنته ؟

قلت : وهذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بنى آدم ، فسبحان من نوع خلقه كما أراد ، وسبق فى قدره العظيم . وما أحسن ما قال بعض السلف فى الخوارج إنهم المذكورون فى قوله تعالى : [قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا] والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال ، والأشقياء فى الأقوال والأفعال ، اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين ، وتواطئوا على المسير إلى المدائن ليملكوها على الناس ويتحصنوا بها ويبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم ـ ممن هو على رأيهم ومذهبهم ، من أهل البصرة وغيرها ـ فيوافوهم إليها . ويكون اجتماعهم عليها . فقال لهم زيد بن حصن الطائى : إن المدائن لاتقدرون عليها ، فان بها جيشاً لا تطيقونه وسيمنعوها منكم ، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوخى ، ولا تخرجوا من الكوفة جماعات ،

ولكن اخرجوا وحدانا لئلا يفطن بكم ، فكتبوا كتابا عاماً إلى من هو على مذهبهم ومسلكهم من أهل البصرة وغيرها وبعثوا به إليهم ليوافوهم إلى النهر ليكونوا يداً واحدة على الناس ، ثم خرجوا يتسللون وحدانا لئلا يعلم أحد بهم فيمنعوهم من الخروج فخرجوا من بين الآباء والأمهات والأخوال والخالات وفارقوا سائر القرابات ، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضى رب الأرض والسموات ، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر الموبقات ، والعظائم والخطيئات ، وأنه مما زينه لهم إبليس الشيطان الرجيم المطرود عن السموات الذى نصب العداوة لأبينا آدم ثم لذريته مادامت أرواحهم فى أجسادهم مترددات ، والله المسئول أن يعصمنا منه بحوله وقوته إنه مجيب الدعوات ، وقد تدارك جماعة من الناس بعض أولادهم و إخوانهم فردوهم وأنبوهم ووبخوهم فمنهم من استمر على الاستقامة ، ومنهم من فر بعد ذلك فلحق بالخوارج فخسر إلى يوم القيامة ، وذهب الباقون إلى ذلك الموضع ووافى إليهم من كانوا كتبوا إليه من أهل البصرة وغيرها ، واجتمع الجميع بالنهروان وصارت لهم شوكة ومنعة ، وهم جند مستقلون وفيهم شجاعة وعندهم أنهم متقربون بذلك . فهم لا يصطلى لهم بنار ، ولا يطمع فى أن يؤخذ منهم بثأر ، وبالله المستعان . وقال أبو مخنف عن أبى روق عن الشعبى أن علياً لما خرجت الخوارج إلى النهروان وهرب أبو موسى إلى مكة ، ورد ابن عباس إلى البصرة ، قام فى الناس بالكوفة خطيباً فقال : الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ، والحدثان الجليل الكادح ، وأشهد أن لا إله غيره وأن محمداً رسول الله ، أما بعد فان المعصية تشين وتسوء وتورث الحسرة ، وتعقب الندم ، وقد كنت أمرتكم فى هذين الرجلين وفى هذه الحكومة بأمرى ، ونحلتكم رأيى ، فأبيتم إلا ما أردتم ، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن :

بذلتُ لهم نصحى بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشدَ إلا ضحى الغدِ

ثم تكلم فيما فعله الحكمان فرد عليهما ماحكما به وأنبهما ، وقال مافيه حط عليهما ، ثم ندب الناس إلى الخروج إلى الجهاد فى أهل الشام ، وعين لهم يوم الاثنين يخرجون فيه ، وكتب إلى ابن عباس والى البصرة يستنفر له الناس إلى الخروج إلى أهل الشام ، وكتب إلى الخوارج يعلمهم أن الذى حكم به الحكمان مردود عليهما ، وأنه قد عزم على الذهاب إلى الشام ، فهلموا حتى نجتمع على قتالهم . فكتبوا إليه : أما بعد فانك لم تغضب لربك ، وإنما غضبت لنفسك وإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلا فقد نابذناك على سواء [إن الله لا يحب الخائنين] ، فلما قرأ على كتابهم يئس منهم وعزم على الذهاب إلى أهل الشام ليناجزهم ، وخرج من الكوفة إلى النخيلة فى عسكر كثيف - خمسة وستين ألفا - وبعث إليه ابن عباس بثلاثة آلاف ومائتى فارس من أهل البصرة مع جارية بن قدامة ألف وخمسمائة ، ومع أبى الأسود

الدؤلى ألف وسبعمائة ، فكمل جيش على فى ثمانية وستين ألف فارس ومائتى فارس وقام على أمير المؤمنين خطيباً فحثهم على الجهاد والصبر عند لقاء العدو ، وهو عازم على الشام ، فبينما هو كذلك إذ بلغه أن الخوارج قد عاثوا فى الأرض فساداً وسفكوا الدماء وقطعوا السبل واستحلوا المحارم ، وكان من جملة من قتلوه عبد الله بن خباب صاحب رسول الله (ص) ، أسروه وامرأته معه وهى حامل فقالوا : من أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله (ص) وانكم قد روعتمونى فقالوا : لابأس عليك ، حدثنا ماسمعت من أبيك فقال : سمعت أبى يقول : سمعت رسول الله (ص) يقول : « ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشى ، والماشى خير من الساعى » فاقتادوه بيده فبينما هو يسير معهم إذ لقى بعضهم خنزيراً لبعض أهل الذمة فضربه بعضهم فشق جلده فقال له آخر : لم فعلت هذا وهو لذمى ؟ فذهب إلى ذلك الذمى فاستحله وأرضاه وبينا هو معهم إذ سقطت تمرة من نخلة فأخذها أحدهم فألقاها فى فيه ، فقال له آخر : بغير إذن ولا ثمن ؟ فألقاها ذاك من فيه ، ومع هذا قدموا عبد الله بن خباب فذبحوه ، وجاؤا إلى امرأته فقالت : إنى امرأة حبلى ، ألا تتقون الله ، فذبحوها وبقروا بطنها عن ولدها ، فلما بلغ الناس هذا من صنيعهم خافوا إن هم ذهبوا إلى الشام واشتغلوا بقتال أهله أن يخلفهم هؤلاء فى ذراريهم وديارهم بهذا الصنع ، فخافوا غائلتهم ، وأشاروا على علىّ بأن يبدأ بهؤلاء ، ثم إذا فرغ منهم ذهب إلى أهل الشام بعد ذلك والناس آمنون من شر هؤلاء فاجتمع الرأى على هذا وفيه خيرة عظيمة لهم ولأهل الشام أيضاً فأرسل على إلى الخوارج رسولا من جهته وهو الحرب بن مرة العبدى ، فقال : اخبر لى خبرهم ، واعلم لى أمرهم واكتب إلى به على الجلية ، فلما قدم عليهم قتلوه ولم ينظروه ، فلما بلغ ذلك عليا عزم على الذهاب إليهم أولا قبل أهل الشام .

مسير أمير المؤمنين علي إلى الخوارج

لما عزم على ومن معه من الجيش على البداءة بالخوارج ، نادى مناديه فى الناس بالرحيل فعبر الجسر فصلى ركعتين عنده ثم سلك على دير عبد الرحمن ، ثم دير أبى موسى ، ثم على شاطئ الفرات ، فلقيه هنالك منجم فأشار عليه بوقت من النهار يسير فيه ولا يسير فى غيره ، فانه يخشى عليه ، فخالفه على فسار على خلاف ما قال فأظفره الله ، وقال على : إنما أردت أن أبين للناس خطأه وخشيت أن يقول جاهل ، إنما ظفر لكونه وافقه ، وسلك على ناحية الأنبار وبعث بين يديه قيس ابن سعد ، وأمره أن يأتى المدائن وأن يتلقاه بنائبها سعد بن مسعود ، وهو أخو عبد الله بن مسعود الثقفى - فى جيش المدائن فاجتمع الناس هنالك على على ، وبعث إلى الخوارج : أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم حتى أقتلهم ثم أنا تاركم وذاهب إلى العرب - يعنى أهل الشام - ثم لعل الله أن يقبل بقلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه . فبعثوا إلى على يقولون : كلنا قتل إخوانكم ونحن

مستحلون دماءهم ودماءكم . فتقدم إليهم قيس بن سعد بن عبادة فوعظهم فيما ارتكبوه من الأمر العظيم ، والخطب الجسيم ، فلم ينفع وكذلك أبو أيوب الأنصارى أنبهم ووبخهم فلم ينجع ، وتقدم أمير المؤمنين على بن أبى طالب إليهم فوعظهم وخوفهم وحذرهم وأنذرهم وتوعدهم وقال : إنكم أنكرتم على أمراً أنتم دعوتمونى إليه فنهيتكم عنه فلم تقبلوا وها أنا وأنتم فارجعوا إلى ما خرجتم منه ولا ترتكبوا محارم الله فإنكم قد سولت لكم أنفسكم أمراً تقتلون عليه المسلمين ، والله لو قتلتم عليه دجاجة لكان عظيما عند الله ، فكيف بدماء المسلمين ؟ فلم يكن لهم جواب إلا أن تنادوا فيما بينهم أن لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيئوا للقاء الرب عز وجل ، الرواح الرواح إلى الجنة . وتقدموا فاصطفوا للقتال وتأهبوا للنزال فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حصن الطائى السنبسى ، وعلى الميسرة شريح بن أوفى ، وعلى خيالتهم حمزة بن سنان ، وعلى الرجالة حرقوص بن زهير السعدى . ووقفوا مقاتلين لعلى وأصحابه . وجعل على على ميمنته حجر بن عدى ، وعلى الميسرة شبيث بن ربعى ومعقل بن قيس الرياحى ، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصارى ، وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصارى ، وعلى أهل المدينة - وكانوا فى سبعمائة - قيس بن سعد بن عبادة ، وأمر علىٌّ أبا أيوب الأنصارى أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم : من جاء إلى هذه الراية فهو آمن ، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن ، إنه لا حاجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا ، فانصرف منهم طوائف كثيرون - وكانوا فى أربعة آلاف - فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبى ، فزحفوا إلى على فقدّم على بين يديه الخيل وقدم منهم الرماة وصف الرجالة وراء الخيالة ، وقال لأصحابه : كفوا عنهم حتى يبدؤكم ، وأقبلت الخوارج يقولون : لا حكم إلا لله ، الرواح الرواح إلى الجنة ، فحملوا على الخيالة الذين قدمهم على ، ففرقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة ، وأخرى إلى الميسرة ، فاستقبلتهم الرماة بالنبل ، فرموا وجوههم ، وعطفت عليهم الخيالة من الميمنة والميسرة ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف فأناموا الخوارج فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول ، وقتل أمراؤهم عبد الله بن وهب ، وحرقوص بن زهير ، وشريح بن أوفى ، وعبد الله بن سخبرة السلمى ، قبحهم الله . قال أبو أيوب : وطعنت رجلا من الخوارج بالرمح فأنفذته من ظهره وقلت له : أبشر يا عدو الله بالنار ، فقال : ستعلم أينا أولى بها صلياً . قالوا : ولم يقتل من أصحاب على إلا سبعة نفر وجعل على يمشى بين القتلى منهم ويقول : بؤساً لكم ! لقد ضركم من غركم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ومن غرهم ؟ قال : الشيطان وأنفس بالسوء أمارة ، غرتهم بالأمانى وزينت لهم المعاصى ، ونبأتهم أنهم ظاهرون ثم أمر بالجرحى من بينهم فإذا هم أربعمائة ، فسلمهم إلى قبائلهم ليداووهم ، وقسم ما وجد من سلاح ومتاع لهم . وقال الهيثم بن عدى فى كتاب الخوارج : وحدثنا محمد بن قيس الأسدى ومنصور بن دينار عن عبد الملك

ابن ميسرة عن النزال بن سبرة أن علياً لم يخمس ما أصاب من الخوارج يوم النهروان ولكن رده إلى أهله كله حتى كان آخر ذلك مرجل أتى به فرده . وقال أبو مخنف : حدثنى عبد الملك بن أبى حرة أن علياً خرج فى طلب ذى الثدية ومعه سليمان بن ثمامة الحنفى أبو حرة والريان بن صبرة بن هوذة فوجده الريانى فى حفرة على جانب النهر فى أربعين أو خمسين قتيلا ، قال : فلما استخرج نظر إلى عضده فاذا لحم مجتمع على منكبه كثدى المرأة له حلمة عليها شعرات سود ، فاذا مدت امتدت حتى تحاذى يده الأخرى ثم تترك فتعود إلى منكبه كثدى المرأة ، فلما رآه على قال : أما والله ما كذبت لولا أن تتكلوا على العمل لأخبرتكم بما قضى الله فى قتالهم عارفاً للحق . وقال الهيثم بن عدى فى كتابه فى الخوارج : وحدثنى محمد بن ربيعة الأخنسى عن نافع بن مسلمة الأخنسى قال كان ذو الثدية رجلا من عرنة من بجيلة ، وكان أسود شديد السواد ، له ريح منتنة معروف فى العسكر ، وكان يرافقنا قبل ذلك وينازلنا وننازله . وحدثنى أبو إسماعيل الحنفى عن الريان بن صبرة الحنفى . قال : شهدنا النهروان مع على ؛ فلما وجد المخدج سجد سجدة طويلة . وحدثنى سفيان الثورى عن محمد بن قيس الهمدانى عن رجل من قومه يكنى أبا موسى أن علياً لما وجد المخدج سجد سجدة طويلة . وحدثنى يونس بن أبى إسحاق حدثنى إسماعيل عن حبة العرنى . قال : لما أقبل أهل النهروان جعل الناس يقولون : الحمد لله يا أمير المؤمنين الذى قطع دابرهم . فقال على : كلا والله إنهم لفى أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فاذا خرجوا من بين الشرايين فقل مايلقون أحداً إلا ألبوا أن يظهروا عليه ، قال : وكان عبد الله بن وهب الراسبى قد قحلت مواضع السجود منه من شدة اجتهاده وكثرة السجود ، وكان يقال له : ذو البينات . وروى الهيثم عن بعض الخوارج أنه قال : ما كان عبد الله بن وهب من بغضه علياً يسميه إلا الجاحد . وقال الهيثم بن عدى : ثنا إسماعيل عن خالد عن علقمة بن عامر قال : سئل على عن أهل النهروان أمشركون هم ؟ فقال : من الشرك فروا ، قيل أفمنافقون ؟ قال : إن المنافقين لايذكرون الله إلا قليلا : فقيل فماهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم ببغيهم علينا . فهذا ما أورده ابن جرير وغيره فى هذا المقام .

ما ورد فيهم من الأحاديث الشريفة

الحديث الأول : عن على رضى الله عنه ، ورواه عنه زيد بن وهب ، وسويد بن غفلة ، وطارق ابن زياد ، وعبد الله بن شداد ، وعبيد الله بن أبى رافع ، وعبيدة بن عمرو السلمانى ، وكليب أبو عاصم ، وأبو كثير وأبو مريم ، وأبو موسى ، وأبو وائل الوضى فهذه اثنتا عشرة طريقا إليه سترها بأسانيدها وألفاظها ومثل هذا يبلغ حد التواتر .

الطريق الاولى

قال مسلم بن الحجاج فى صحيحه : حدثنا عبد بن حميد ثنا عبد الرزاق عن همام ثنا عبد الملك ابن أبى سليمان ثنا سلمة بن كهيل حدثنى زيد بن وهب الجهنى أنه كان فى الجيش الذين كانوا مع الذين ساروا إلى الخوارج فقال على : يا أيها الناس إنى سمعت رسول الله (ص) يقول : « يخرج قوم من أمتى يقرؤن القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشئ ، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشئ ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشئ ، يقرؤن القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم (ص) لاتكلوا على العمل ، وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد ليس لها ذراع ، على رأس عضده مثل حلمة الثدى ، عليه شعرات بيض ، فيذهبون إلى معاوية وأهل الشام ويتركون هؤلاء يخلفونكم فى ذراريكم وأموالكم ، و إنى لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم ، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا فى سرح الناس ، فسيروا على اسم الله . قال سلمة : فذكر زيد بن وهب منزلا منزلا حتى مروا على قنطرة فلما التقينا ـ وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبى ـ فقال لهم : ألقوا الرماح وسلوا سيوفكم وكسروا جفونها فانى أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء ، فرجعوا فوحشوا برماحهم وسلوا السيوف فشجرهم الناس برماحهم . قال : وقتل بعضهم على بعض وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان ، قال على : التمسوا فيهم المخدج ، فالتمسوه فلم يجدوه ، فقام على بنفسه حتى أتى ناساً بعضهم إلى بعض ، فقال : أخروه فوجدوه مما يلى الأرض فقال : أخروهم فوجدوهم مما يلى الأرض فكبر ثم قال : صدق الله و بلغ رسوله قال : فقام إليه عبيدة السلمانى فقال : يا أمير المؤمنين والله الذى لا إله إلا هو لسمعت هذا من رسول الله (ص) إنى والله الذى لا إله إلا هو ، فاستحلفه ثلاثا وهو يحلف له أنه سمعه من رسول الله (ص) » ، هذا لفظ مسلم .

وقد رواه أبو داود عن الحسن بن على الخلال عن عبد الرزاق بنحوه .

طريق أخرى عن علي

قال الامام أحمد : حدثنا وكيع ثنا الأعمش وعبد الرحمن عن سفيان عن الأعمش بن خيثمة عن سويد بن غفلة قال قال على : إذا حدثتكم عن رسول الله (ص) فلأن أخر من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه وإذا حدثتكم فيما بينى و بينكم فان الحرب خدعة ، سمعت رسول الله (ص) يقول : « يخرج قوم من أمتى فى آخر الزمان أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من قول خير البرية يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم ـ قال عبد الرحمن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ـ يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فاذا لقيتموهم فاقتلوهم فان فى قتلهم أجراً لمن قاتلهم عند الله يوم القيامة » وأخرجاه فى الصحيحين من طرق عن الأعمش به .

طريق أخرى

قال الامام أحمد : حدثنا أبو نعيم ثنا الوليد بن القاسم الهمدانى ثنا إسرائيل عن إبراهيم بن عبد الأعلى عن طارق بن زياد قال : سار على إلى النهروان قال الوليد فى روايته : وخرجنا معه فقتل الخوارج فقال اطلبوا المخدج فان رسول الله (ص) قال : « سيجيئ قوم يتكلمون بكلمة الحق لايجاوز حلوقهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية سيماهم أو فيهم رجل أسود مخدج اليد فى يده شعرات سود ، إن كان فيهم فقد قتلتم شر الناس ، وإن لم يكن فيهم فقد قتلتم خير الناس . قال الوليد ، فى روايته : فبكينا قال : إنا وجدنا المخدج فخررنا سجوداً وخر على ساجداً معنا » تفرد به أحمد من هذا الوجه .

طريق أخرى

رواه عبد الله بن شداد عن على كما تقدم قريبا إيراده بطوله .

طريق أخرى عن علي

قال مسلم : حدثنى أبو الطاهر و يونس بن عبد الأعلى ثنا عبد الله بن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن بكير بن الأشج عن بشر بن سعيد عن عبيد الله بن أبى رافع مولى رسول الله أن الحرورية لما خرجت ـ وهو مع على بن أبى طالب ـ قالوا : لاحكم إلا لله ، قال على : كلمة حق أريد بها باطل ، إن رسول الله (ص) وصف ناساً إنى لأعرف صفتهم فى هؤلاء ، يقولون : الحق بألسنتهم لايجاوز هذا منهم ـ وأشار إلى حلقه ـ من أبغض خلق الله منهم أسود إحدى يديه طبى شاة أو حلمة ثدى » فلما قتلهم على بن أبى طالب قال : انظروا فنظروا فلم يجدوا شيئاً فقال : ارجعوا فانظروا ، فوالله ما كذبت ولا كذبت ـ مرتين أو ثلاثا ـ فوجدوه فى خربة فأتوا به علياً حتى وضعوه بين يديه ، قال عبيد الله : وأنا حاضر ذلك من أمرهم ، وقول على فيهم ، زاد يونس فى روايته قال بكير : وحدثنى رجل عن ابن حنين أنه قال : رأيت ذلك الأسود . تفرد به مسلم .

طريق أخرى

قال أحمد : حدثنا إسماعيل ثنا أيوب عن محمد عن عبيدة عن على قال : ذكرت الخوارج عند على فقال : فيهم مخدج اليد أو مثدون اليد ؟ ـ أو قال مودن اليد ـ ولولا أن تبطروا لحدثتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد (ص) ، قال قلت : أنت سمعته من محمد ؟ قال : إى ورب الكعبة إى ورب الكعبة ، إى ورب الكعبة ، وقال أحمد : ثنا وكيع ثنا جرير بن حازم وأبو عمرو بن العلاء عن ابن سيرين سمعاه عن عبيدة عن على قال قال رسول الله (ص) : « يخرج قوم فيهم رجل مودن اليد أو مثدون اليد أو مخدج اليد ولولا أن تبطروا لأنبأتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان

نبيه (ص) ، قال عبيدة قلت لعلى : أنت سمعته من رسول الله (ص) ؟ قال : إى ورب الكعبة إى ورب الكعبة وقال أحمد : ثنا يزيد ثنا هشام عن محمد عن عبيدة قال قال على لأهل النهروان : فيهم رجل مثدون اليد أو مخدوج اليد ، ولولا أن تبطروا لأخبرتكم بماقضى الله على لسان نبيه (ص) لمن قتلهم ، قال عبيدة : فقلت لعلى : أنت سمعته ؟ قال : إى ورب الكعبة ، يحلف عليها ثلاثا . وقال أحمد : ثنا ابن أبى عدى عن أبى بن عون عن محمد قال قال عبيدة : لا أحدثك إلا ما سمعت منه ، قال محمد : فحلف لنا عبيدة ثلاث مرات ، وحلف له على قال قال : لولا أن تبطروا لأنبأتكم ما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد (ص) قال : قلت أنت سمعته ؟ قال : إى ورب الكعبة ، إى ورب الكعبة ، إى ورب الكعبة ، فيهم رجل مخدج اليد أو مثدون اليد أحسبه قال : أو مودن اليد . وقد رواه مسلم من حديث إسماعيل بن علية وحماد بن زيد كلاهما عن أيوب وعن محمد بن المثنى عن ابن أبى عدى عن ابن عون كلاهما عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن على . وقد ذكرناه من طرق متعددة تفيد القطع عند كثيرين عن محمد بن سيرين . وقد حلف على أنه سمعه من عبيدة وحلف عبيدة أنه سمعه من على أنه سمعه من رسول الله (ص) ، وقد قال على : لأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إلى من أن أكذب على رسول الله (ص)

طريق أخرى

قال عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل : حدثنى إسماعيل أبو معمر ثنا عبد الله بن إدريس ثنا عاصم بن كليب عن أبيه قال : كنت جالساً عند على إذ دخل رجل عليه ثياب السفر فاستأذن على على وهو يكلم الناس فشغل عنه فقال على : إنى دخلت على رسول الله ص وعنده عائشة فقال : « كيف أنت ويوم كذا وكذا ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم . قال : فقال قوم يخرجون من قبل المشرق يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فيهم رجل مخدج اليد كأن يديه يدى حبشية ، أنشدكم بالله هل أخبرتكم أنه فيهم » فذكر الحديث بطوله ، ثم رواه عبد الله ابن أحمد عن أبى خيثمة زهير بن حرب عن القاسم بن مالك عن عاصم بن كليب عن أبيه عن على . فذكر نحوه إسناده جيد .

طريق أخرى

قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى : أخبرنا أبو القاسم الأزهرى أنا على بن عبد الرحمن الكنانى أنا محمد بن عبد الله بن عطاء عن سليمان الحضرمى أنا يحيى بن عبد الحميد الحمانى أنا خا بن عبيد الله عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال قال أبو جحيفة : قال على حين فرغنا من الح إن فيهم رجلا ليس فى عضده عظم ثم عضده كحلمة الثدى عليها شعرات طوال عقف ، فالتمسوه ثم

يجـدوه قال : فما رأيت عليا جزع جزعاً أشـد من جزعه يومئذ ، فقالوا : ما نجده يا أمير المؤمنين . فقال : ويلكم ما اسم هذا المكان ؟ قالوا : النهروان ، قال : كذبتم إنه لفيهم ، فثورنا القتلى فلم نجده فعدنا إليه فقلنا : يا أمير المؤمنين ما نجده ، قال : ما اسم هذا المكان ؟ قلنا : النهروان ، قال : صدق الله ورسوله وكذبتم ، إنه لفيهم فالتمسوه ، فالتمسناه فوجدناه فى ساقية فجئنا به فنظرت إلى عضده ليس فيها عظم وعليها كحلمة ثدى المرأة عليها شعرات طوال عقف .

طريق أخرى

قال الامام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ثنا إسماعيل بن مسلم العبدى ثنا أبو كثير مولى الانصار قال : كنت مع سيدى مع على بن أبى طالب حيث قتل أهـل النهروان ، فـكأن الناس وجدوا فى أنفسهم من قتلهم ، فقال على : ياأيها الناس إن رسول الله (ص) « قد حدثنا بأقوام يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون فيه أبداً حتى يرجع السهم على فوقه ، وإن آية ذلك أن فيهم رجلا أسود مخدج اليد إحـدى يديه كثدى المرأة ،لها حلمة كحلمة ثدى المرأة ، حوله سبع هلبات فالتمسوه فانى أراه فيهـم ، فالتمسوه فوجدوه إلى شفير النهر تحت القتلى فأخرجوه فكبر على ، فقال : الله أكبر ! صدق الله ورسوله ، وإنه لمتقلد قوساً له عربية فأخـذها بيده فجعل يطعن بها فى مخدجتـه ويقول : صـدق الله ورسوله . وكبر الناس حين رأوه واستبشروا وذهب عنهـم ما كانوا يجدون » تفرد به أحمد .

طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد : حدثنا أبو خيثمة ثنا شبابة بن سوار حدثنى نعيم بن حكيم حدثنى أبو مريم ثنا على بن أبى طالب أن رسول الله (ص) قال : « إن قوماً يمرقون من الاسـلام كما يمرق السهم من الرمية يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ، طوبى لمن قتلهم وقتلوه ، علامتهـم رجل مخدج » وقال أبو داود فى سننه : حدثنا بشر بن خالد ثنا شبابة بن سوار عن نعيم بن حكيم عن أبى مريم قال : إن كان ذاك المخدج لمعنا يومئذ فى المسجد نجالسه الليل والنهار ، وكان فقيراً ، ورأيتـه مع المساكين يشهد طعام على مع الناس ، وقـد كسوته برنساً لى ، قال أبو مريم : وكان المخدج يسمى نافعاً ذا الثـدية ، ودان فى يده مثل ثدى المرأة ، على رأسه حلمة مثل حلمة الثدى عليه شعرات مثل سبالة السنور .

طريق أخرى

قال الحافظ أبو بكر البيهقى فى الدلائل : أخبرنا أبو على الروزبارى أنا ابو محمد عبد الله بن عمرو ابن شوذب المقرى الواسطى بها ثنا شعيب بن أيوب ثنا أبو الفضـل بن دكين عن سفيان ـ هو الثورى ـ عن محمد بن قيس عن أبى موسى رجل من قومه قال : كنت مع على فجعل يقول : التمسوا المخدج فالتمسوه فلم يجدوه ، قال : فأخذ يعرق ويقول : والله ما كذبت ولا كذبت ، فوجدوه فى نهر

أود إلية فسجد .

طريق أخرى

قال أبو بكر البزار : حدثنى محمد بن مثنى ومحمد بن معمر ثنا عبد الصمد ثنا سويد بن عبيد العجلى ثنا أبو مؤمن . قال : شهدت على بن أبى طالب يوم قتل الحرورية وأنا مع مولاى فقال : أنظروا فان فيهم رجلا إحدى يديه مثل ثدى المرأة ، وأخبرنى النبى (ص) أنى صاحبه ، فقلبوا القتلى فلم يجدوه ، وقالوا : سبعة نفر تحت النخلة لم نقلبهم بعد ، قال : ويلكم انظروا ، قال أبو مؤمن : فرأيت فى رجليه حبلين يجرونه بهما حتى ألقوه بين يديه فخر على ساجداً وقال : أبشروا قتلاكم فى الجنة وقتلاهم فى النار ، ثم قال البزار : لا نعلم روى أبو موسى عن على غير هذا الحديث .

طريق أخرى

قال البزار : حدثنا يوسف بن موسى ثنا إسحاق بن سليمان الرازى سمعت أبا سفيان عن حبيب ابن أبى ثابت قال : قلت لشقيق بن سلمة ـ يعنى أبا وائل ـ حدثنى عن ذى الثدية ، قال : لما قاتلناهم قال على : اطلبوا رجلا علامته كذا وكذا ، فطلبناه فلم نجده ، فبكى وقال : اطلبوه ، فوالله ما كذبت ولا كذبت ، قال : فطلبناه فلم نجده فبكى وقال : اطلبوه فوالله ما كذبت ولا كذبت ، قال : فطلبناه فلم نجده قال : وركب بغلته الشهباء فطلبناه فوجدناه تحت بردى فلما رآه سجد . ثم قال البزار : لا نعلم روى حبيب عن شقيق عن على إلا هذا الحديث .

طريق أخرى

قال عبدالله بن أحمد : حدثنى عبيد الله بن عمر و القواريرى ثنا حماد بن زيد ثنا جميل بن مرة عن أبى الوضى قال : شهدت علياً حين قتل أهل النهروان قال : التمسوا المخدج : فطلبوه فى القتلى فقالوا ليس نجده فقال : ارجعوا فالتمسوه فوالله ما كذبت ولا كذبت ، فرجعوا فطلبوه فردد ذلك مراراً ، كل ذلك يحلف بالله ما كذبت ولا كذبت ، فانطلقوا فوجدوه تحت القتلى فى طين فاستخرجوه فجىء به ، قال أبو الوضى : فكأنى أنظر إليه حبشى عليه ثدى قد طبق ، إحدى يديه مثل ثدى المرأة ، عليها شعرات مثل شعرات تكون على ذنب اليربوع » وقد رواه أبو داود عن محمد بن عبيد بن حساب عن حماد بن زيد ثنا جميل بن مرة ثنا أبو الوضى ـ واسمه عباد بن نسيب ـ ولكنه اختصره وقال عبد الله بن أحمد أيضاً : حدثنا حجاج بن يوسف الشاعر حدثنى عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا يزيد بن أبى صالح أن أبا الوضى عباداً حدثه أنه قال : كنا عائدين إلى الكوفة مع على بن أبى طالب . فلما بلغنا مسيرة ليلتين أو ثلاثاً من حروراء شذ منا ناس كثيرون فذكرنا ذلك لعلى فقال : لا يهولنكم أمرهم فانهم سيرجعون فذكر الحديث بطوله قال : فحمد الله على بن أبى طالب وقال : إن خليلى أخبرنى أن قائد هؤلاء رجل مخدج اليد على حلمة ثديه شعرات كأنهن ذنب اليربوع ، فالتمسوه فلم يجدوه فأتيناه

فقلنا : إنا لم نجده ، فجعل يقول : اقلبوا ذا ، اقلبوا ذا ؟ حتى جاء رجل من أهل الكوفة فقال : هو هذا ؟ فقال علي : الله أكبر ، لا يأتيكم أحد يخبركم من أبوه ، فجعل الناس يقولون : هذا مالك ، هذا مالك ، فقال علي : ابن من ؟ وقال عبد الله بن أحمد أيضاً : حدثني حجاج بن الشاعر حدثني عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا يزيد بن أبي صالح أن أبا الوضي عباداً حدثه قال : كنا عائدين إلى الكوفة مع علي فذكر حديث المخدج قال علي : « فوالله ما كذبت ولا كذبت ثلاثا ، ثم قال علي : أما أن خليلي أخبرني بثلاثة إخوة من الجن هذا أكبرهم والثاني له جمع كثير ، والثالث فيه ضعف » وهذا السياق فيه غرابة جداً . وقد يمكن أن يكون ذو الثدية من الجن ؟ بل هو من الشياطين إما شياطين الانس أو شياطين الجن ، إن صح هذا السياق والله تعالى أعلم . والمقصود أن هذه طرق متواترة عن علي إذ قد روى من طرق متعددة عن جماعة متباينة لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، فأصل القصة محفوظ وإن كان بعض الألفاظ وقع فيها اختلاف بين الرواة ولكن معناها وأصلها الذي تواطأت الروايات عليه صحيح لا يشك فيه عن علي أنه رواه عن رسول الله (ص) أنه أخبر عن صفة الخوارج وذي الثدية الذي هو علامة عليهم . وقد روى ذلك من طريق جماعة من الصحابة غير علي كما تراها بأسانيدها وألفاظها وبالله المستعان . وقد رواه جماعة من الصحابة منهم أنس بن مالك ، وجابر بن عبد الله ، ورافع بن عمرو الغفاري ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الأنصاري ، وسهل بن حنيف ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وعبد الله ابن مسعود ، وعلي ، وأبو ذر ، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين .

وقد قدمنا حديث علي بطرقه لأنه أحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة وصاحب القصة . ولنذكر بعده حديث ابن مسعود لتقدم وفاته على وقعة الخوارج .

الحديث الثاني عن ابن مسعود رضي الله عنه

قال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن أبي بكير ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن ذر عن عبد الله قال قال رسول الله (ص) « يخرج قوم في آخر الزمان سفهاء الأحلام ، أحداث – أو حدثاء – الأسنان ، يقولون من خير قول الناس يقرؤن القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، فمن أدركهم فليقتلهم فان في قتلهم أجراً عظيماً عند الله لمن قتلهم » وقد رواه الترمذي عن أبي كريب وأخرجه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة وعبد الله بن عامر بن زرارة ثلاثتهم عن أبي بكر بن عياش به ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ابن مسعود مات قبل ظهور الخوارج بنحو من خمس سنين فخبره في ذلك من أقوى الأسانيد .

الحديث الثالث عن أنس بن مالك

قال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل ثنا سليمان التيمى ثنا أنس قال : ذكر لى أن نبى الله (ص) قال – ولم أسمعه منه – : « إن فيكم فرقة يتعبدون و يدينون حتى يعجبوا الناس وتعجبهم أنفسهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » .

طريق أخرى

قال الامام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ثنا الأوزاعى حدثنى قتادة عن أنس بن مالك وأبى سعيد قال أحمد وقد حدثنا أبو المغيرة فقال عن أنس عن أبى سعيد ، ثم رجع أن النبى (ص) قال : « سيكون فى أمتى اختلاف وفرقة قوم يحسنون القيل و يسيئون الفعل ، يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم ، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، صيامه مع ، وصيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ثم لايرجعون حتى يرتد السهم على فوقه ، هم شر الخلق والخليقة ، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه ، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه فى شئ ، من قاتلهم كان أولى بالله منهم ، قالوا : يارسول الله ما سيماهم ؟ قال : التحليق » . وقد رواه أبو داود فى سننه عن نصر بن عاصم الانطاكى عن الوليد بن مسلم وقيس بن إسماعيل الحلبى كلاهما عن الأوزاعى عن قتادة وأبى سعيد عن أنس به . وأخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس وحده . وقد روى البزار من طريق أبى سفيان وأبو يعلى من طريق يزيد الرقاشى كلاهما عن أنس بن مالك حديثا فى الخوارج قريباً من حديث أبى سعيد كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

الحديث الرابع عن جابر بن عبدالله

قال الامام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ثنا ابن شهاب عن يحيى بن سعيد عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله قال : كنت مع رسول الله (ص) عام الجعرانة وهو يقسم فضة فى ثوب بلال للناس فقال رجل : يا رسول الله اعدل ، فقال : « و يلك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ لقد خبت إن لم أكن أعدل ، فقال عمر : يارسول الله دعنى أقتل هذا المنافق ، فقال : معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى ، إن هذا وأصحابه يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم ، أو تراقيهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية » وقال أحمد : حدثنا على بن عياش ثنا إسماعيل بن عياش حدثنى يحيى بن سعيد أخبرنى أبو الزبير قال : سمعت جابراً يقول : بصر عينى وسمع أذنى رسول الله (ص) بالجعرانة وفى ثوب بلال فضة و رسول الله (ص) يقبضها للناس يعطيهم ، فقال رجل : اعدل فقال : « و يلك من يعدل إذا لم أكن أعدل ؟ فقال عمر بن الخطاب : دعنى أقتل هذا المنافق الخبيث ، فقال رسول الله (ص) : معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى ، هذا وأصحابه يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم ،

يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » . ثم رواه أحمد عن أبي المغيرة عن معاذ بن رفاعة ثنا أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال : لما قسم رسول الله (ص) غنائم هوازن بالجعرانة قام رجل من بنى تميم فقال : اعدل يا محمد فقال : « ويلك ومن يعدل إن لم أعدل ؟ لقد خبت وخسرت إن لم أعدل قال : فقال عمر : يا رسول الله ألا أقوم فأقتل هذا المنافق ؟ قال : معاذ الله أن يتسامع الامم أن محمداً يقتل أصحابه ، ثم قال رسول الله (ص) : إن هذا وأصحاباً له يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » قال معاذ : فقال لى أبو الزبير : فعرضت هذا الحديث على الزهرى فما خالفنى فيه إلا أنه قال النضو وقلت القدح قال : ألست رجلا عربياً ؟ . وقد رواه مسلم عن محمد بن رمح عن الليث وعن محمد بن مثنى عن عبد الوهاب الثقفى واخرجه النسائى من حديث الليث ومالك بن أنس كلهم عن يحيى بن سعيد الأنصارى به بنحوه حديث رافع بن عمرو الأنصارى مع حديث أبى ذر رضى الله عنهما .

الحديث الخامس عن سعد بن أبي وقاص

قال يعقوب بن سفيان : حدثنا الحميدى ثنا سفيان ـ هو ابن عيينة ـ حدثنى العلاء بن أبى عياش أنه سمع أبا الطفيل يحدث عن بكر بن قرواش عن سعد بن أبى وقاص قال : « ذكر رسول الله (ص) ذا الثدية فقال : شيطان الردهة كراعى الخيل يحتذره رجل من بجيلة يقال له الأشهب أو ابن الأشهب عِلاَمة في قوم ظلمة » قال سفيان : فأخبرنى عمار الدهنى أنه جاء رجل يقال له : الأشهب وقد روى هذا الحديث الامام أحمد عن سفيان بن عيينة به مختصراً ولفظه « شيطان الردهة يحتذره رجل من بجيلة » تفرد به أحمد وحكى البخارى عن على بن المدينى قال : لم أسمع بذكر بكر بن قرواش إلا فى هذا الحديث . وروى يعقوب بن سفيان عن عبد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة عن أبى إسحاق عن حامد الهمدانى قال : سمعت سعيد بن أبى وقاص يقول : « قتل على شيطان الردهة » قال الحافظ أبو بكر البيهقى : يريد والله أعلم قتله أصحاب على بأمره . وقال الهيثم بن عدى : حدثنا إسرائيل بن يونس عن جده أبى إسحاق السبيعى عن رجل قال : بلغ سعد بن أبى وقاص أن علياً بن أبى طالب قتل الخوارج فقال : قتل على بن أبى طالب شيطان الردهة .

الحديث السادس عن ابي سعيد سعد بن مالك بن سنان الأنصاري

وله طرق عنه الاولى منها

قال الامام أحمد : حدثنا بكر بن عيسى ثنا جامع بن قطر الحبطى ثنا أبو روبة شداد بن عمر

المقسى عن أبي سعيد الخدري أن أبا بكر جاء إلى رسول الله (ص) فقال يارسول الله إني مررت بوادى كذا وكذا فاذا رجل متخشع حسن الهيئة يصلى، فقال له رسول الله (ص): «اذهب إليه فاقتله» قال فذهب إليـه أبو بكر فلما رآه على تلك الحالة كره أن يقتله. فجاء إلى رسول الله (ص) فقال النبي (ص) لعمر: «اذهب إليه فاقتله» قال: فذهب عمر فرآه على تلك الحال التى رآه أبو بكر فكره أن يقتله فرجع فقال: يا رسول الله إني رأيته متخشعاً فكرهت أن أقتله. قال: «يا على اذهب فاقتله» فذهب على فلم يره فرجع، فقال: يا رسول الله إني لم أره فقال رسول الله (ص) «هذا وأصحابه يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لايعودون فيه حتى يعود السهم فى فوقه فاقتلوهم هم شر البرية» تفرد به أحمد. وقد روى البزار فى مسنده من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن أنس بن مالك وأبو يعلى عن أبي خيثمة عن عمر بن يونس عن عكرمة بن عمار وعن يزيد الرقاشى عن أنس من هذه القصة وأطول منها وفيها زيادات اخرى.

الطريق الثاني

قال الامام أحمد: حدثنا أبو أحمد ثنا سفيان عن حبيب بن ابى ثابت عن الضحاك المشرق عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ص) فى حديث «ذكر قوماً يخرجون على فرقة من الناس مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق» أخرجاه فى الصحيحين كما سيأتى فى ترجمة أبي سلمة عن أبي سعيد.

الطريق الثالث

قال الامام أحمد: ثنا وكيع ثنا عكرمة بن عمار ثنا عاصم بن شميخ عن أبي سعيد الخدرى قال: كان رسول الله (ص) إذا حلف فاجتهد فى اليمين قال «والذى نفس أبي القاسم بيده ليخرجن قوم من أمتى تحقرون أعمالكم عند أعمالهم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرميـة. قالوا: فهل من علامة يعرفون بها؟ قال: فيهم رجل ذو يدية أو ثدية محلق رؤسهم» قال أبو سعيد فحدثني عشرون أو بضع وعشرون من أصحاب النبي (ص) ان عليا ولى قتلهم قال فرأيت أبا سعيد بعد ما كبر ويديه ترتعش ويقول: قتالهم عندى أحل من قتال عدتهم من الترك. وقد رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل به.

الطريق الرابع

قال الامام أحمد: حدثنا عبد الرزاق أنا سفيان عن أبيه عن ابن أبي نعيم عن أبي سعيد الخدرى قال: «بعث على وهو باليمن إلى رسول الله (ص) بذهيبة فى تربتها فقسمها رسول الله (ص) بين الأقرع ابن حابس الحنظلى ثم أحد بنى مجاشع، وبين عيينة بن بدر الفزارى وبين علقمة بن علاثة أو عامر ابن الطفيل أحد بنى كلاب، وبين زيد الخيل الطائى، ثم أحد بنى نبهان. قال: فغضبت قريش

والأنصار قالوا تعطى صناديد أهل نجد وتدعنا ؟ قال : إنما أتألفهم . قال : فأقبل رجل غائر العينين ناتئ الجبين كث اللحية مشرف الوجنتين محلوق الرأس فقال : يا محمد اتق الله فقال : من يطيع الله إذا عصيته ؟ يأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني ، قال : فسأل رجل من القوم قتله النبي (ص.) - أراه خالد بن الوليد - فمنعه ، فلما ولى قال : إن من ضئضئ هذا قوم يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان ، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد . رواه البخارى من حديث عبد الرزاق به ، ثم رواه أحمد عن محمد ابن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن عبد الرحمن بن أبى نعم عن أبى سعيد وفيه الجزم بأن خالداً سأل أن يقتل ذلك الرجل ، ولاينافى سؤال عمر بن الخطاب . وهو فى الصحيحين من حديث عمارة بن القعقاع من سيرته : وقال فيه إنه سيخرج من صلبه ونسله ، لأن الخوارج الذين ذكرنا لم يكونوا من سلالة هذا ، بل ولا أعلم أحداً منهم من نسله وإنما أراد من ضئضئ هذا أى من شكله وعلى صفته فالله أعلم . وهذا لرجل هو ذو الخويصرة التميمى وسماه بعضهم حرقوصاً فالله أعلم .

الطريق الخامس

قال الامام أحمد : ثنا عفان ثنا مهدى بن ميمون ثنا محمد بن سيرين عن معبد بن سيرين عن أبى سعيد عن النبى (ص.) قال : « يخرج أناس من قبل المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لايعودون فيه حتى يعود السهم على فوقه ، قيل : ماسيماهم؟ قال : سيماهم التحليق أو التسبيد » ورواه البخارى عن أبى النعمان محمد بن الفضل عن مهدى بن ميمون به .

الطريق السادس

قال الامام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد ثنا سويد بن نجيح عن يزيد الفقير قال : قلت لأبى سعيد : إن منا رجالا هم أقرؤنا للقرآن ، وأكثرنا صلاة وأوصلنا للرحم ، وأكثرنا صوما ، خرجوا علينا بأسيافهم . فقال أبو سعيد : سمعت النبى (ص.) يقول : « يخرج قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » تفرد به أحمد ولم يخرجوه فى الكتب الستة ولا واحد منهم ، وإسناده لا بأس به رجاله كلهم ثقات وسويد بن نجيح هذا مستور .

الطريق السابع

قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى سعيد قال بينا رسول الله (ص.) يقسم قسما إذ جاءه ابن ذى الخويصرة التميمى فقال : اعدل يا رسول الله . فقال : « ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله أتأذن لى فيه فأضرب عنقه ؟ فقال : دعه فان له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم يمرقون

من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر فى قذذه فلا يوجد فيه شئ ، ثم ينظر فى نضيه فلا يوجد فيه شئ ، ثم ينظر فى رضافه فلا يوجد فيه شئ ، ثم ينظر فى نصله فلا يوجد فيه شئ ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل أسود إحدى يديه مثل ثدى المرأة ، أو مثل البضعة تدردر ، يخرجون على حين فترة من الناس ، فنزلت فيه [ومنهم من يلمزك فى الصدقات] الآية » قال أبو سعيد : فأشهد أنى سمعت هذا من رسول الله (ص) وأشهد أن عليا حين قتلهم وأنا معه جئ بالرجل على النعت الذى نعت رسول الله (ص) . ورواه البخارى عن أبى بكر بن أبى شيبة عن هشام بن يوسف عن معمر ، ورواه البخارى من حديث شعبة ، ومسلم من حديث يونس بن يزيد عن الزهرى به ، لكن فى رواية مسلم عن حرملة وأحمد بن عبد الرحمن كلاهما عن ابن وهب عن يونس عن الزهرى عن أبى سلمة ، والضحاك الهمدانى عن أبى سعيد به . ثم رواه أحمد عن محمد بن مصعب عن الأوزاعى عن الزهرى عن أبى سلمة والضحاك المشرقى عن أبى سعيد فذكر نحو ما تقدم من هذا السياق ، وفيه أن عمر هو استأذن فى قتله ، وفيه « يخرجون على حين فرقة من الناس يقتلهم أولى الطائفتين بالله » قال أبو سعيد : فأشهد أنى سمعت هذا من رسول الله (ص) ، وأنى شهدت عليا حين قتلهم ، فالتمس فى القتلى فوجد على النعت الذى نعته رسول الله (ص) . ورواه البخارى عن دحيم عن الوليد عن الأوزاعى كذلك . وقال أحمد : قرأت على عبد الرحمن بن مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى سعيد أنه قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : « يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وأعمالكم مع أعمالهم ، يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر فى النصل فلا يرى شيئاً ، ثم ينظر فى القدح فلا يرى شيئاً ، ثم ينظر فى الريش فلا يرى شيئاً ويتمارى فى الفوق » قال عبد الرحمن : حدثنا به مالك - يعنى هذا الحديث - ورواه البخارى عن عبد الله بن يوسف عن مالك به . ورواه البخارى ومسلم عن محمد بن المثنى عن عبد الوهاب عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم عن أبى سلمة وعطاء بن يسار عن أبى سعيد به وقال أحمد : حدثنا يزيد أنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة قال : جاء رجل إلى أبى سعيد فقال : هل سمعت رسول الله (ص) يذكر فى الحرورية شيئاً ؟ فقال : سمعته يذكر قوماً يتعمقون فى الدين يحقر أحدكم صلاته عند صلاتهم ، وصومه عند صومهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، أخذ سهمه فينظر فى نصله فلم ير شيئاً ثم ينظر فى رضافه فلم ير شيئاً ، ثم ينظر فى القذذ فيمارى هل يرى شيئاً أم لا » ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يزيد بن هارون به .

الطريق الثامن

قال الامام أحمد : حدثنا ابن أبى عدى عن سليمان عن أبى نضرة عن أبى سعيد أن رسول الله (ص.) « ذكر قوماً يكونون فى أمته يخرجون فى فرقة من الناس سيماهم التحليق ، ثم هم شر الخلق ، ومن شر الخلق ، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق ، قال : فضرب النبى (ص.) لهم مثلا - أو قال قولا - الرجل يرمى الرمية - أو قال الغرض - فينظر فى النصل فلا يرى بصيرة ، وينظر فى النضى فلا يرى بصيرة ، وينظر فى الفوق فلا يرى بصيرة » فقال أبو سعيد : وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق . وقد رواه عن محمد بن المثنى عن محمد بن أبى عدى عن سليمان - وهو ابن طرخان التيمى عن أبى نضرة واسمه المنذر بن مالك بن قطعة عن أبى سعيد الخدرى بنحوه

الحديث الثامن

عن سلمان الفارسي

قال الهيثم بن عدى ثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال : جاء رجل إلى قوم فقال : لمن هذه الخباء ؟ قالوا : لسلمان الفارسى ، قال أفلا تنطلقون معى فيحدثنا ونسمع منه ، فانطلق معه بعض القوم فقال : يا أبا عبد الله لو أدنيت خباك وكنت منا قريباً فحدثتنا وسمعنا منك ؟ فقال : ومن أنت ؟ قال : فلان بن فلان . قال سلمان : قد بلغنى عنك معروف . بلغنى أنك تخف فى سبيل الله ، يتقاتل العدو ، وتخدم أصحاب رسول الله (ص.) ، فان اخطأتك واحدة أن تكون من هؤلاء القوم الذين ذكرهم لنا رسول الله (ص.). قالوا : فوجد ذلك الرجل قتيلا فى أصحاب النهروان .

الحديث التاسع

عن سهل بن حنيف الأنصاري

قال الامام أحمد ! حدثنا أبو النضر ثنا حزام بن إسماعيل العامرى عن أبى إسحاق الشيبانى عن بسر بن عمرو قال : دخلت على سهل بن حنيف فقلت حدثنى ما سمعت من رسول الله (ص.) قال فى الحرورية ، قال : أحدثك ماسمعت من النبى (ص.) لا أزيدك عليه شيئاً ، سمعت رسول الله (ص.) « يذكر قوما يخرجون من هاهنا - وأشار بيده نحو العراق - يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » قال : قلت هل ذكرلهم علامة ؟ قال : هذا ما سمعت لا أزيدك عليه . وقد أخرجاه فى الصحيحين من حديث عبد الواحد بن زياد ومسلم من حديث على ابن مسهر والعوام بن حوشب والنسائى من حديث محمد بن فضيل كلهم عن أبى إسحاق الشيبانى به وقد رواه مسلم ثنا أبو بكر بن أبى شيبة ثنا على بن مسهر عن الشيبانى عن بسر بن عمرو قال : سألت سهل بن حنيف سمعت رسول الله (ص.) يذكر الخوارج ؟ فقال : سمعته - وأشار بيده نحو المشرق -

قوم يقرؤن القرآن بألسنتهم لايعدو تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية حدثناه أبو كامل ثنا عبد الواحد ثنا سليمان الشيباني بهذا الاسناد وقال : « يخرج منه أقوام » حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق جميعاً عن يزيد قال أبو بكر : حدثنا يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب ثنا أبو إسحاق الشيباني عن بسر بن عمرو عن سهل بن حنيف عن النبي (ص) قال : فتنة قوم قبل المشرق محلقة رؤسهم .

الحديث العاشر عن ابن عباس

قال الحافظ أبو بكر البزار : ثنا يوسف بن موسى ثنا الحسن بن الربيع ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) : « يقرأ القرآن أقوام من أمتي يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » . ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة وسويد بن سعيد كلاهما عن أبي الأحوص باسناده مثله .

الحديث الحادي عشر عن ابن عمر

قال الامام أحمد : حدثنا يزيد ثنا أبو حساب يحيى بن أبي حبة عن شهر بن حوشب قال : سمعت عبد الله بن عمر يقول : لقد سمعت رسول الله (ص) يقول : « يخرج من أمتي قوم يسيئون الأعمال يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم » قال يزيد : لا أعلمه إلا قال : « يحقر أحدكم عمله مع عملهم يقتلون أهل الاسلام فاذا خرجوا فاقتلوهم فطوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه ، كلما طلع منهم قرن قطعه الله كلما طلع منهم قرن قطعه الله ، كلما طلع منهم قرن قطعه الله » فردد ذلك رسول الله (ص) عشرين مرة أو أكثر وأنا أسمع . تفرد به أحمد من هذا الوجه . وقد ثبت من حديث سالم ونافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال : « الفتنة من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان ـ وأشار بيده نحو المشرق ـ » .

الحديث الثاني عشر عن عبدالله بن عمرو

قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب قال : لما جاءتنا بيعة يزيد بن معاوية ، قدمت الشام فأخبرت بمقام يقومه نوف البكالي ، فجئته فجاء رجل فانتبذ الناس عليه خميصة فاذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص فلما رآه نوف أمسك عن الحديث فقال عبد الله : سمعت رسول الله (ص) يقول : « إنها ستكون هجرة بعد هجرة ، ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم ، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها ، تلفظهم أرضهم ، تقذرهم نفس الرحمن ، تحشرهم النار مع القردة والخنازير ، تبيت معهم إذا باتوا ، وتقيل معهم إذا قالوا ، وتأكل من تخلف ـ » قال : وسمعت رسول الله (ص) يقول : « سيخرج ناس من أمتي قبل المشرق يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم كلما خرج منهم قرن قطع حتى عدها زيادة على عشر مرات ، كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال في

بقيتهم » وقد روى أبو داود أوله فى كتاب الجهاد من سننه عن القواريرى عن معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة . وقد تقدم حديث عبد الله بن مسعود وحديث أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنهما .

الحديث الثالث عشر عن ابي ذر

قال مسلم بن الحجاج : حدثنا شيبان بن فروخ ثنا سليمان بن المغيرة ثنا حبيب بن هلال عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر . قال قال رسول الله (ص) : « إن بعدى من أمتى - أو سيكون بعدى من أمتى - قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حلاقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية لا يعودون فيه شر الخلق والخليقة قال ابن الصامت : فلقيت زلفع بن عمرو الغفارى أخا الحاكم الغفارى قال : ماحدث سمعت من أبى ذر كذا كذا ؟ فقال : وأنا سمعته من رسول الله (ص) . لم يروه البخارى.

الحديث الرابع عشر عن أم المؤمنين عائشة

قال الحافظ البيهقى : أنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبى عمرو ثنا أبو العباس الأصم ثنا السرى عن يحيى ثنا أحمد بن يونس ثنا على بن عباس عن حبيب بن مسلمة . قال قال على : « لقد علمت عائشة أن جيش المردة وأهل النهروان ملعونون على لسان محمد (ص) » قال ابن عباس : جيش المشرق قتلة عثمان رضى الله عنه وقال الهيثم بن عدى : حدثنى إسرائيل عن يونس عن جده أبى إسحاق السبيعى عن رجل عن عائشة قال : بلغها قتل على الخوارج فقالت : قتل على بن أبى طالب شيطان الردهة - تعنى المخدج - وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن عمارة بن صبيح ثنا سهل بن عامر البجلى ثنا أبو خالد عن مجالد عن الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت : ذكر رسول الله (ص) الخوارج فقال : « شرار أمتى يقتلهم خيار أمتى » قال : وحدثناه إبراهيم بن سعيد ثنا حسين بن محمد ثنا سليمان بن قرم ثنا عطاء ابن السائب عن أبى الضحى عن مسروق عن عائشة عن النبى (ص) فذكر نحوه قال : فرأيت علياً قتلهم وهم أصحاب النهروان . ثم قال البزار : لا نعلم روى عن عطاء عن أبى الضحى عن مسروق إلا هذا الحديث ، ولا نعلم رواه عن عطاء إلا سليمان بن قرم وسليمان بن قرم قد تكلموا فيه لكن الاسناد الأول يشهد لهذا كما أن هذا يشهد للأول فهما متعاضدان ، وهو غريب من حديث أم المؤمنين ، وقد تقدم فى حديث عبد الله بن شداد عن على مايدل على أن عائشة استغربت حديث الخوارج ولاسيما خبر ذى الثدية كما تقدم ، وإنما أوردنا هذه الطرق كلها ليعلم الواقف عليها أن ذلك حق وصدق وهو من أكبر دلالات النبوة ، كما ذكره غير واحد من الأئمة فيها والله تعالى أعلم . وقال : سألت عائشة رضى الله عنها بعد ذلك عن خبر ذى الثدية فتيقنته من طرق متعددة . وقال الحافظ أبو بكر البيهقى فى الدلائل : أنا أبو عبد الله أنا الحسين بن الحسن بن عامر الكندى بالكوفة من أصل سماعه ثنا محمد بن صدقة الكاتب حدثنى

أحمد بن أبان قرأت فيه حدثنى الحسن بن عيينة ، وعبد الله بن أبى السفر بن عامر الشعبى عن مسروق قالت عائشة : عندك علم عن ذى الثدية الذى أصابه على فى الحرورية : قلت ! لا قالت : فاكتب لى بشهادة من شهدهم ، فرجعت إلى الكوفة وبها يومئذ أسباع فكتبت شهادة عشرة من كل سبع ثم أتيتها بشهادتهم فقرأتها عليها ، قالت : أكل هؤلاء عاينوه ؟ قلت . لقد سألتهم فأخبرونى بأن كلهم قد عاينوه ، فقالت : لعن الله فلانا فانه كتب إلى انه أصابهم بنيل مصر ثم أرخت عينيها فبكت فلما سكنت عبرتها قالت : رحم الله عليا لقد كان على الحق ، وما كان بينى وبينه إلا كما يكون بين المرأة وأحمائها .

حديث آخر عن رجلين من الصحابة

قال الهيثم بن عدى فى كتاب الخوارج : حدثنى سليمان بن المغيرة عن حبيب بن هلال قال أقبل رجلان من أهل الحجاز حتى قدما العراق فقيل لهما : ما أقدمكما العراق ؟ قالا : رجونا أن ندرك هؤلاء القوم الذين ذكرهم لنا رسول الله (ص) ، فوجدنا على بن أبى طالب قد سبقنا إليهم - يعنيان أهل النهروان -

حديث في مدح علي رضي الله عنه على قتال الخوارج

قال الامام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ثنا مطر عن إسماعيل بن رجاء بن ربيعة الزبيدى عن أبيه قال : سمعت أبا سعيد يقول : « كنا جلوساً ننتظر رسول الله (ص) فخرج علينا من بيوت بعض نسائه قال فقمنا معه ، فانقطعت نعله فتخلف عليها على يخصفها فمضى رسول الله (ص) ومضينا معه ثم قام ينتظره وقمنا معه ، فقال إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فاستشرف لها وفيهم أبو بكر ، وعمر فقال : لا ولكنه خاصف النعل ، قال : فجئنا نبشره قال : فكأنه قد سمعه » ورواه أحمد عن وكيع وأبى أسامة عن قطر بن خليفة فأما الحديث الذى قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا إسماعيل بن موسى ثنا الربيع بن سهل عن سعيد بن عبيد عن على بن ربيعة قال : سمعت عليا على منبركم هذا يقول : « عهد إلى النبى (ص) أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين » وقد رواه أبو بكر بن المقرئ عن الجد بن عبادة البصرى عن يعقوب بن عباد عن الربيع بن سهل الفزارى به ، فانه حديث غريب ومنكر ، على أنه قد روى من طرق عن على وعن غيره ولا تخلو واحدة منها عن ضعف والمراد بالناكثين يعنى أهل الجمل وبالقاسطين أهل الشام وأما المارقون فالخوارج لأنهم مرقوا من الدين وقد رواه الحافظ أبو أحمد بن عدى فى كامله عن أحمد بن حفص البغدادى عن سليمان بن يوسف عن عبيد الله بن موسى عن قطر عن حكيم بن جبير عن إبراهيم عن علقمة عن على قال : أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين . وقال الحافظ : أبو بكر الخطيب

البغدادى : أخبرنى الأزهرى ثنا محمد بن المظفر ثنا محمد بن أحمد بن ثابت قال : وجدت فى كتاب جدى محمد بن ثابت ثنا شعيب بن الحسن السلمى عن جعفر الأحمر عن يونس بن الارقم عن أبان عن خليد المصرى قال : سمعت عليا أمير المؤمنين يقول يوم النهروان : « أمرنى رسول الله (ص.) بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين » وقد رواه الحافظ أبو القاسم بن عساكر من حديث محمد بن فرج الجنديسابورى أنا هارون بن إسحاق ثنا أبو غسان عن جعفر ـ أحسبه الأحمر ـ عن عبد الجبار الهمدانى عن أنس بن عمرو عن أبيه عن على . قال : « أمرت بقتال ثلاثة المارقين والقاسطين والناكثين » وقال الحاكم أبو عبد الله أنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن غنم الحنظلى بقنطرة بردان ثنا محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفى حدثنى أبى حدثنى عمى عن عمرو بن عطية بن سعد عن أخيه الحسن بن عطية حدثنى جدى سعد بن جنادة عن على رضى الله عنه قال : أمرت بقتال ثلاثة ، القاسطين ، والناكثين ، والمارقين . فأما القاسطون فأهل الشام ، وأما الناكثون فذكرهم ، وأما المارقون فأهل النهروان ـ يعنى الحرورية ـ وقال الحافظ ابن عساكر : أنا أبو القسم زاهر بن طاهر أنا أبو سعد الأديب أنا السيد أبو الحسن محمد بن على بن الحسين ثنا محمد بن أحمد الصوفى ثنا محمد بن عمرو الباهلى ثنا كثير بن يحيى ثنا أبو عوانة عن أبى الجارود عن زيد بن على بن الحسين بن على عن أبيه عن جده عن على قال : أمرنى رسول الله (ص.) بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين .

حديث ابن مسعود في ذلك

قال الحافظ : حدثنا الامام أبو بكر أحمد بن الحسن الفقيه أنا الحسن بن على ثنا زكريا بن يحيى الخراز المقرئ ثنا إسماعيل بن عباد المقرئ ثنا شريك عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عن عبد الله قال : خرج رسول الله (ص.) فأتى منزل أم سلمة فجاء على فقال رسول الله ص.) : « يا أم سلمة هذا والله قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين من بعدى » .

حديث ابي سعيد في ذلك

قال الحاكم : حدثنا أبو جعفر محمد بن على بن دحيم الشيبانى ثنا الحسين بن الحكم الحيرى ثنا إسماعيل بن أبان ثنا إسحاق بن إبراهيم الأزدى عن أبى هارون العبدى عن أبى سعيد الخدرى قال : « أمرنا رسول الله (ص.) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فقلت : يارسول الله ! أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من ؟ فقال : مع على بن أبى طالب معه يقتل عمار بن ياسر » .

حديث ابي ايوب في ذلك

قال الحاكم : أنا أبو الحسن على بن حماد المعدل ثنا إبراهيم بن الحسين بن ديزيل ثنا عبد العزيز

ابن الخطاب ثنا محمد بن كثير عن الحرث بن خضيرة عن أبي صادق عن مخنف بن سليمان . قال : أتينا أبا أيوب فقلنا : قاتلت بسيفك المشركين مع رسول الله (ص.) ثم جئت تقاتل المسلمين ؟ فقال : « أمرني رسول الله (ص.) بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين » قال الحاكم : وحدثنا أبو بكر محمد ابن أحمد بن بالويه ثنا الحسن بن علي بن شبيب العمري ثنا محمد بن حميد ثنا سلمة بن الفضل حدثني أبو زيد الأموي عن عتاب بن ثعلبة في خلافة عمر بن الخطاب قال : « أمرني رسول الله (ص.) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي بن أبي طالب وقال الخطيب البغدادي : حدثنا الحسن بن علي بن عبد الله المقرئ ثنا أحمد بن محمد بن يوسف ثنا محمد بن جعفر المطيري ثنا أحمد بن عبد الله المؤدب بسر من راى ثنا المعلى بن عبد الرحمن ببغداد ثنا شريك عن سليمان بن مهران عن الأعمش عن علقمة والأسود قالا : أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين فقلنا له : يا أبا أيوب ! إن الله أكرمك بنزول محمد (ص.) و بمجيء ناقته تفضلا من الله و إكراماً لك حين أناخت ببابك دون الناس ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله ؟ فقال : يا هذا إن الرائد لايكذب أهله ، و إن رسول الله (ص.) أمرنا بقتال ثلاثة مع علي ، بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين . فأما الناكثون فقد قاتلناهم وهم أهل الجمل ، طلحة والزبير ، وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم — يعني معاوية وعمراً — وأما المارقون فهم أهل الطرفات وأهل السعيفات وأهل النخيلات وأهل النهروان ، والله ما أدري أين هم ولكن لابد من قتالهم إن شاء الله . قال : وسمعت رسول الله (ص.) يقول لعمار : « يا عمار تقتلك الفئة الباغية وأنت مذ ذاك مع الحق والحق معك ، يا عمار بن ياسر إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس غيره فاسلك مع علي فانه لن يدليك في ردى ولن يخرجك من هدى ، يا عمار من تقلد سيفاً أعان به عليا على عدوه قلده الله يوم القيامة وشاحين من در ، ومن تقلد سيفاً أعان به عدو علي عليه قلده الله يوم القيامة وشاحين من نار فقلنا : ياهذا ! حسبك رحمك الله حسبك رحمك الله » ، هذا السياق الظاهر أنه موضوع وآفته من جهة المعلى بن عبد الرحمن فانه متروك الحديث .

فصل

قال الهيثم بن عدي في كتابه الذي جمعه : في الخوارج وهو من أحسن ما صنف في ذلك قال : وذكر عيسى بن دآب قال : لما انصرف علي رضي الله عنه من النهروان قام في الناس خطيباً فقال : بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله (ص.) . أما بعد فان الله قد أعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم من أهل الشام فقاموا إليه فقالوا : يا أمير المؤمنين نفذت نبالنا وكلت سيوفنا

ونصلت أسنتنا ، فانصرف بنا إلى مصرنا حتى نستعد بأحسن عدتنا ، ولعل أمير المؤمنين يزيد فى عدتنا عـدة من فارقنا وهلك منا فإنه أقوى لناعلى عـدونا ـ وكان الذى تكلم بهذا الأشعث بن قيس الكندى فبايعهـم وأقبل بالناس حتى نزل بالنخيلة وأمرهم أن يلزموا معسكرهم و يوطنوا أنفسهم على جهاد عـدوهم ويقلوا زيارة نسائهم وأبنائهم ، فأقاموا معه أياما متمسكين برأيه وقوله ، ثم تسللوا حتى لم يبق منهم أحد إلا رءوس أصحابه ، فقام عـلى فيهم خطيباً فقال : الحمـد لله فاطر الخلق وفالق الأصباح وناشر الموتى وباعث من فى القبور ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأوصيكم بتقوى الله فان أفضل ما توسـل به العبد الايمان والجهاد فى سبيله وكلمة الاخـلاص فانها الفطرة ، و إقام الصلاة ، فانها الملة ، و إيتاء الزكاة فانها من فريضته ، وصوم شهر رمضان فانه جنة من عذابه ، وحج البيت فانه منفاة للفقر مدحضة للذنب ، وصـلة الرحم فانها مثراة فى المال ، منسأة فى الاجل ، محبة فى الأهل ، وصدقة السر فانها تكفر الخطيئة وتطفئ غضب الرب ، وصنع المعروف فانه يدفع ميتـة السوء ويقى مصارع الهول ، أفيضوا فى ذكر الله فانه أحسن الذكر ، وارغبوا فيما وعـد المتقون فان وعد الله أصدق الوعد ، واقتدوا بهدى نبيكم (ص.) فانه أفضل الهدى ، واستنوا بسنته فانها أفضل السنن ، وتعلموا كتاب الله فانه أفضـل الحديث ، وتفقهوا فى الدين فانه ربيع القلوب ، واستشفوا بنوره فانه شفاء لما فى الصدور ، وأحسنوا تلاوته فانه أحسن القصص ، و إذا قرئ عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ، و إذا هديتم لعلمه فاعملوا بما علمتم به لعلـكم تهتدون ، فان العالم العامل بغير علمه كالجاهل الجائر الذى لا يستقيم عن جهله ، بل قد رأيت أن الحجة أعظم ، والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه على هذا الجاهل المتحير فى جهله ، وكلاهما مضلل مثبور ، لاترتابوا فتشكوا ، ولاتشكوا فتـكفروا ، ولاترخصوا لأنفسكم فتـدهنوا ، ولا تدهـنوا فى الحق فتخسروا ، ألا وان من الحزم أن تتقوا ، ومن الثقة أن لا تغتروا ، و إن أنصحكم لنفسه أطوعكم لربه و إن أغشكم لنفسه أعصاكم لربه ، من يطع الله يأمن و يستبشر ، ومن يعص الله يخف ويـنـدم ، ثم سلوا الله اليقين وارغبوا إليه فى العافية ، وخير مادام فى القلب اليقين ، إن عوازم الأمور أفضلها ، و إن محدثاتها شرارها وكل محدث بدعة وكل محدث مبتدع ، ومن ابتدع فقد ضيع ، وما أحـدث محدث بدعة إلا ترك بها سنة ، المغبون من غبن دينـه ، والمغبون من خسر نفسه ، و إن الريا من الشرك ، و إن الاخـلاص من العمل والايمان ، ومجالس اللهو تنسى القرآن ويحضرها الشيطان ، وتدعو إلى كل غى ، ومجالسة النساء تزيغ القلوب وتطمح إليـه الأبصار ، وهى مصائد الشيطان ، فأصـدقوا الله فان الله مع من صدق وجانبوا الـكذب فان الـكذب مجانب للايمان ألا إن الصـدق عـلى شرف منجاة وكرامة ، و إن الـكذب عـلى شرف ردئ وهلـكة ، ألا وقولوا الحق تعرفوا به

واعملوا به تكونوا من أهله، وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم، وصلوا أرحام من قطعكم وعودوا بالفضل على من حرمكم، وإذ عاهدتم فأوفوا، وإذا حكمتم فاعدلوا، ولا تفاخروا بالآباء، ولا تنابزوا بالألقاب، ولا تمازحوا، ولا يغضب بعضكم بعضاً، وأعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب، وارحموا الأرملة واليتيم، وافشوا السلام وردوا التحية على أهلها بمثلها أو بأحسن منها [وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب] وأكرموا الضيف، وأحسنوا إلى الجار، وعودوا المرضى، وشيعوا الجنائز، وكونوا عباد الله إخوانا، أما بعد فان الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وإن الآخرة قد أظلت وأشرفت باطلاع، وان المضمار اليوم وغدا السباق وإن السبقة الجنة والغاية النار، ألا وإنكم فى أيام مهل من ورائها أجل يحثه عجل، فمن أخلص لله عمله فى أيام مهله قبل حضور أجله فقد أحسن عمله ونال أمله، ومن قصر عن ذلك فقد خسر عمله وخاب أمله، وضره أمله، فاعملوا فى الرغبة والرهبة فان نزلت بكم رغبة فاشكروا الله واجمعوا معها رهبة، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة، فان الله قد تأذن المسلمين بالحسنى، ولمن شكر بالزيادة، وإنى لم أر مثل الجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها، ولا أكثر مكتسبا من شئ كسبه ليوم تدخر فيه الدخائر، وتبلى فيه السرائر، وتجتمع فيه الكبائر، وإنه من لاينفعه الحق يضره الباطل، ومن لا يستقيم به الهدى يجر به الضلال، ومن لاينفعه اليقين يضره الشك، ومن لاينفعه حاضره فعازبه عنه أعور، وغائبه عنه أعجز: وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد، ألا وإن أخوف ما أخاف عليكم إثنان طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسى الآخرة، وأما اتباع الهوى فيبعد عن الحق، ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة إن استطعتم، ولا تكونوا من بنى الدنيا فان اليوم عمل ولاحساب وغدا حساب ولا عمل، وهذه خطبة بليغة نافعة جامعة للخير ناهية عن الشر. وقد روى لها شواهد من وجوه أخر متصلة ولله الحمد والمنة. وقد ذكر ابن جرير: أن عليا رضى الله عنه لما نكل أهل العراق عن الذهاب إلى الشام خطبهم فوبخهم وأنبهم وتوعدهم وهددهم وتلا عليهم آيات فى الجهاد من سور متفرقة، وحث على المسير إلى عدوهم فأبوا من ذلك وخالفوه ولم يوافقوه، واستمروا فى بلادهم، وتفرقوا عنه هاهنا وهاهنا، فدخل على الكوفة.

فصل

وقد ذكر الهيثم بن عدى أنه خرج على على بعد النهروان رجل يقال له: الحارث بن راشد الناجى، قدم مع أهل البصرة، فقال لعلى: إنك قد قاتلت أهل النهروان فى كونهم أنكروا عليك

قصة التحكيم وتزعم أنك قد أعطيت أهل الشام عهودك ومواثيقك ، وأنك لست بناقضها ، وهذان الحكمان قد اتفقا على خلعك ثم اختلفا فى ولاية معاوية فولاه عمرو وامتنع أبو موسى من ذلك ، فأنت مخلوع باتفاقهما ، وأنا قد خلعتك وخلعت معاوية معك ، وتبع الحارث هذا بشر كثير من قومه - بنى ناجية وغيرهم - وتحيزوا ناحية ، فبعث إليهم على معقل بن قيس الرماحى فى جيش كثيف فقتلهم معقل قتلا ذريعاً وسبى من بنى ناجية خمسمائة أهل بيت فقدم بهم ليقدم بهم على على فتلقاه رجل يقال له : مصقلة بن هبيرة أبو المغلس - وكان عاملا لعلى على بعض الأقاليم - فتضرروا إليه وشكوا ماهم فيه من السبي ، فاشتراهم مصقلة من معقل بخمسمائة الف درهم وأعتقهم ، فطالبه بالثمن فهرب منه إلى ابن عباس بالبصرة ، فكتب معقل إلى ابن عباس فقال له مصقلة : إنى انما جئت لأدفع ثمنهم إليك ثم هرب منه إلى على فكتب ابن عباس ومعقل إلى على فطالبه على فدفع من الثمن مائتى ألف ثم انشمر هارباً فلحق بمعاوية بن أبى سفيان بالشام ، فأمضى على عتقهم وقال : مابقى من المال فى ذمة مصقلة ؟ وأمر بداره فى الكوفة فهدمت . وقد روى الهيثم عن سفيان الثورى وإسرائيل عن عمار الذهبى عن أبى الطفيل أن بنى ناجية ارتدوا فبعث إليهم : معقل بن قيس فسباهم فاشتراهم مصقلة من على بثلثمائة ألف فأعتقهم ثم هرب إلى معاوية . قال الهيثم وهذا قول الشيعة ولم يسمع بحيي من العرب ارتد وابعد الردة التى كانت فى أيام الصديق . وقال الهيثم : حدثنى عبد الله[1] بن تميم بن طرفة الطائى حدثنى أبى أن عدى بن حاتم قال مرة لعلى بن أبى طالب وهو يخطب : قتلت أهل النهروان على انكار الحكومة ، وقتلت الحريث بن راشد على مسألتهم إياك أيضاً الحكومة ، والله ما بينهما موضع قدم . فقال له على : أسكت إنما كنت أعرابياً تأكل الضبع بجبل طئ بالأمس . فقال له عدى : وأنت والله قد رأيناك بالأمس تأكل البلح بالمدينة . قال الهيثم : ثم خرج على على رجل من أهل البصرة فقتل فأمر أصحابه عليهم الأشرس بن عوف الشيبانى ، فقتل هو وأصحابه ، قال : ثم خرج على على الأشهب بن بشر البجلى ثم أحد عرينة من أهل الكوفة فقتل هو وأصحابه . قال : ثم خرج على على سعيد بن نفد التميمى ثم من بنى ثعلبة من أهل الكوفة فقتل بقنطرة درربجان فوق المدائن . قال الهيثم : أخبرنى بذلك عبد الله بن عياش عن مشيخته .

فصل

ذكر ابن جرير عن أبى مخنف لوط بن يحيى - وهو أحد أئمة هذا الشأن - أن قتال على للخوارج يوم النهروان ، كان فى هذه السنة - أعنى سنة سبع وثلاثين - قال ابن جرير : وأكثر أهل السير

(١) كذا فى الأصل وفى نسخة : عبيد بن تميم .

على أن ذلك كان فى سنة ثمان وثلاثين وصححه ابن جرير ، قلت : وهو الأشبه كما سننبه عليه فى السنة الآتية إن شاء الله تعالى . قال ابن جرير : وحج بالناس فى هذه السنة - يعنى سنة سبع وثلاثين - عبيد الله بن عباس نائب على على اليمن ومخالفيها . وكان نائب مكة قثم بن العباس ، وعلى المدينة تمام بن عباس ، وقيل سهل بن حنيف ، وعلى البصرة عبد الله بن عباس ، وعلى قضائها أبو الأسود الدؤلى ، وعلى مصر محمد بن أبى بكر ، وعلى بن أبى طالب أمير المؤمنين مقيم بالكوفة ، ومعاوية بن أبى سفيان مستحوذ على الشام . قلت : ومن نيته أن يأخذ مصر من محمد بن أبى بكر .

ذكر من توفي فيها من الأعيان

خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة كان قد أصابه سبي فى الجاهلية فأشترته أنمار الخزاعية التى كانت تختن النساء ، وهى أم سباع بن عبد العزى الذى قتله حمزة يوم أحد وحالف بنى زهرة ، أسلم خباب قديماً قبل دار الأرقم ، وكان ممن يؤذى فى الله فيصبر و يحتسب ، وهاجر وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد . قال الشعبى : دخل يوماً على عمر فأكرم مجلسه وقال : ما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا بلال . فقال : يا أمير المؤمنين إن بلالا كان يؤذى وكان له من يمنعه ، و إنى كنت لا ناصر لى والله لقد سلقونى يوماً فى نار أججوها و وضع رجل رجله على صدرى فما اتقيت الأرض إلا بظهرى ، ثم كشف عن ظهره فاذا هو برص رضى الله عنه ، ولما مرض دخل عليه أناس من الصحابة يعودونه فقالوا : أبشر غداً تلقى الأحبة محمداً وحزبه فقال : والله إن إخوانى مضوا ولم يأكلوا من دنياهم شيئاً ، و إنا قد أينعت لنا ثمرتها فنحن نهدبها ، فهذا الذى يهمنى . قال : وتوفى بالكوفة فى هذه السنة عن ثلاث وستين سنة وهو أول من دفن بظاهر الكوفة

خزيمة بن ثابت

ابن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الأنصارى ذو الشهادتين وكانت راية بنى حطمة معه يوم الفتح ، وشهد صفين مع على ، وقتل يومئذ رضى الله عنه

سفينة مولى رسول الله ص . قد قدمنا ترجمته فى الموالى المنسوبين إليه صلوات الله وسلامه عليه .

عبد الله بن الأرقم بن ابي الأرقم

أسلم عام الفتح وكتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد تقدم مع كتاب الوحى * عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى ، قتل يوم صفين وكان أمير الميمنة لعلى فصارت امرتها للأشتر النخعى * عبد الله بن خباب بن الأرت . ولد فى حياة النبى (ص) وكان موصوفاً بالخير ، قتله الخوارج كما قدمنا بالنهروان فى هذه السنة ، فلما جاء على قال لهم : أعطونا قتلته ثم أنتم آمنون فقالوا : كلنا قتله فقاتلهم * عبد الله بن سعد بن أبى سرح : أحد كتاب الوحى أيضاً ، أسلم قديماً وكتب الوحى

ثم ارتد ثم عاد إلى الاسلام عام الفتح واستأمن له عثمان ـ وكان أخاه لأمه ـ وحسن إسلامه وقد ولاه عثمان نيابة مصر بعدموت عمرو بن العاص ، فغزا إفريقية و بلاد النوبة ، وفتح الأندلس وغزا ذات الصوارى مع الروم فى البحر فقتل منهم ماصبغ وجه الماء من الدماء ، ثم لما حصر عثمان تغلب عليه محمد بن أبى حذيفة وأخرجه من مصر فمات فى هذه السنة وهو معتزل عليا ومعاوية ، فى صلاة الفجر بين التسليمتين رضى الله عنه .

عمار بن ياسر ابو اليقظان العبسي

من عبس اليمن ، وهو حليف بنى مخزوم ، أسلم قديماً وكان ممن يعذب فى الله هو وأبوه وأمه سمية ، و يقال إنه أول من اتخذ مسجداً فى بيته يتعبد فيه ، وقد شهد بدراً وما بعدها وقد قدمنا كيفية مقتله يوم صفين وأن رسول الله (ص.) قال « : تقتلك الفئة الباغية » وروى الترمذى من حديث الحسن عن أنس أن رسول الله (ص.) قال : « إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة ، على وعمار وسلمان » وفى الحديث الآخر الذى رواه الثورى وقيس بن الربيع وشريك القاضى وغيرهم عن أبى إسحاق عن هانئ بن هانئ عن على أن عماراً استأذن على رسول الله (ص.) فقال : « مرحباً بالطيب المطيب » وقال إبراهيم ابن الحسين : حدثنا يحيى حدثنى نصر ثنا سفيان الثورى عن أبى الأعمش عن أبى عمار عن عمرو ابن شرحبيل عن رجل من أصحاب رسول الله أن رسول الله (ص.) قال : « لقد ملئ عمار إيماناً من قدمه إلى مشاشه » وحدثنا يحيى بن معلى عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عائشة أنها قالت : « مامن أحد من أصحاب رسول الله (ص.) أشاء أن أقول فيه إلا عمار بن ياسر فانى سمعت رسول الله (ص.) يقول : إن عمار بن ياسر حشى مابين أخمص قدميه إلى شحمة أذنه إيمانا » وحدثنا يحيى ثنا عمرو بن عون أنا هشيم عن العوام بن حوشب عن سلمة بن كهيل عن علقمة قال : أتيت أهل الشام فلقيت خالد بن الوليد فحدثنى قال : كان بينى و بين عمار بن ياسر كلام فى شئ فشكانى إلى رسول الله (ص.) فقال : « ياخالد ! لا تؤذ عماراً فانه من يبغض عماراً يبغضه الله ، ومن يعاد عماراً يعاده الله » قال : فعرضت له بعد ذلك فسللت ما فى نفسه . وله أحاديث كثيرة فى فضائله رضى الله عنه قتل بصفين عن إحدى وقيل ثلاث وقيل أربع وتسعين سنة طعنه أبو الغادية فسقط ثم أكب عليه رجل فاحتز رأسه ، ثم اختصما إلى معاوية أيهما قتله فقال لهما عمرو بن العاص : اندرا فوالله إنكما لتختصمان فى النار ، فسمعها منه معاوية فلامه على تسميعه إياهما ذلك ، فقال له عمرو : والله إنك لتعلم ذلك ، ولوددت أنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة . قال الواقدى ، حدثنى الحسن بن الحسين بن عمارة عن أبى إسحاق عن عاصم أن علياً صلى عليه ولم يغسله وصلى معه على هاشم بن عتبة ، فكان عمار مما يلى عليا ، وهاشم إلى نحو القبلة . قالوا : وقبر هنالك ، وكان آدم اللون ، طويلا بعيداً ما بين

المنكبين : أشهل العينين ، رجلا لا يغير شيبه رضى الله عنه .

الربيع بن معوذ بن عفراء

أسلمت قديماً وكانت تخرج مع رسول الله (ص) إلى الغزوات فتداوى الجرحى ، وتسق الماء للكلمى ، وروت أحاديث كثيرة * وقد قتل فى هذه السنة فى أيام صفين خلق كثير وجم غفير ، فقيل قتل من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً . وقيل قتل من أهل العراق أربعون ألفاً ـ من مائة وعشرين ألفاً ـ وقتل من أهل الشام عشرون ألفاً من ستين ألفاً وبالجملة فقد كان فيهم أعيان ومشاهير يطول استقصاؤهم وفيما ذكرنا كفاية والله تعالى أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين

فيها بعث معاوية عمرو بن العاص إلى ديار مصر فأخذها من محمد بن أبى بكر واستناب معاوية عمراً عليها ، وذلك كما سنبينه ، وقد كان على رضى الله عنه استناب عليها قيس بن سعد بن عبادة وانتزعها من يد محمد بن أبى حذيفة حين كان استحوذ عليها ومنع عبد الله بن سعد بن أبى سرح من التصرف فيها ، حين حصر عثمان ـ وقد كان عثمان استخلفه عليها وعزل عنها عمرو بن العاص ـ وعمرو كان هو الذى افتتحها كما قدمنا ذكر ذلك . ثم إن علياً عزل قيس بن سعد عنها وولى عليها محمد بن أبى بكر وقد ندم على على عزل قيس بن سعد عنها ، وذلك أنه كان كفوا لمعاوية وعمرو ، ولما ولى محمد بن أبى بكر لم يكن فيه قوة تعادل معاوية وعمراً ، وحين عزل قيس بن سعد عنها رجع إلى المدينة ثم سار إلى على بالعراق فكان معه ، وكان معاوية يقول : والله لقيس بن سعد عند على أبغض إلى من مائة ألف مقاتل بدله عنده ، فشهد معه صفين فلما فرغ على من صفين وبلغه أن أهل مصر قد استخفوا بمحمد بن أبى بكر لكونه شاب ابن ست وعشرين سنة أو نحو ذلك عزم على رد مصر إلى قيس بن سعد وكان قد جعله على شرطته أو إلى الأشتر النخعى وقد كان نائبه على الموصل ونصيبين ، فكتب إليه بعد صفين فاستقدمه عليه ثم ولاه مصر ، فلما بلغ معاوية تولية على للأشتر النخعى ديار مصر بدل محمد بن أبى بكر عظم ذلك عليه ، وذلك أنه كان قد طمع فى مصر واستنزاعها من يد محمد ابن أبى بكر ، وعلم أن الأشتر سيمنعها منه لحزمه وشجاعته ، فلما سار الأشتر إليها وانتهى إلى القلزم استقبله الخانسار وهو مقدم على الخراج فقدم إليه طعاماً وسقاه شرابا من عسل فمات منه ، فلما بلغ ذلك معاوية وعمراً وأهل الشام قالوا : إن لله جنوداً من عسل . وقد ذكر ابن جرير فى تاريخه أن معاوية كان قد تقدم إلى هذا الرجل فى أن يحتال على الأشتر ليقتله ووعده على ذلك بأمور ففعل ذلك ، وفى هذا نظر ، وبتقدير صحته فمعاوية يستجيز قتل الأشتر لأنه من قتلة عثمان رضى الله عنه . والمقصود أن معاوية وأهل الشام فرحوا فرحاً شديداً بموت الأشتر النخعى ، ولما بلغ ذلك علياً

تأسف على شجاعته وغنائه ، وكتب إلى محمد بن أبى بكر باستقراره واستمراره بديار مصر ، غير أنه ضعف جأشه مع ما كان فيه من الخلاف عليه من العثمانية الذين ببلد خربتا وقد كانوا استفحل أمرهم حين انصرف على من صفين ، وحين كان من أمر التحكيم ما كان ، وحين نكل أهل العراق عن قتال أهل الشام ، وقد كان أهل الشام حين انقضت الحكومة بدومة الجندل سلموا على معاوية بالخلافة وقوى أمرهم جداً ، فعند ذلك جمع معاوية أمراءه عمرو بن العاص ، وشرحبيل بن السمط وعبد الرحمن ابن خالد بن الوليد ، والضحاك بن قيس ، و بسر بن أبى أرطاة ، وأبا الأعور السلمى ، وحمزة بن سنان الهمدانى وغيرهم ، فاستشارهم فى المسير إلى ديار مصر فاستجابوا له وقالوا : سر حيث شئت فنحن معك ، وعين معاوية نيابتها لعمرو بن العاص اذا فتحها ففرح بذلك عمرو بن العاص ، ثم قال عمرو لمعاوية : أرى أن تبعث إليهم رجالا مع رجل مأمون عارف بالحرب ، فان بها جماعة ممن يوالى عثمان فيساعدونه على حرب من خالفهم ، فقال معاوية : لكن أرى أن أبعث إلى شيعتنا ممن هنالك كتابا يعلمهم بقدومهم عليهم ، ونبعث إلى مخالفينا كتابا ندعوهم فيه إلى الصلح . وقال معاوية : إنك يا عمرو رجل بورك لك فى العجلة و إنى امرؤ بورك لى فى التؤدة ، فقال عمرو : افعل ما أراك الله ، فوالله ما أمرك وأمرهم الا سيصير إلى الحرب العوان ، فكتب عند ذلك معاوية إلى مسلمة بن مخلد الأنصارى ، و إلى معاوية بن خديج السكونى ـ وهما رئيسا العثمانية ببلاد مصر ممن لم يبايع عليا ولم يأتمر بأمر نوابه بمصر فى نحو من عشرة آلاف ـ يخبرهم بقدوم الجيش عليهم سريعاً ، و بعث به مع مولى له يقال له سبيع ، فلما وصل الكتاب إلى مسلمة ومعاوية بن خديج فرحا به وردا جوابه بالاستبشار والمعاونة والمناصرة له ولمن يبعثه من الجيوش والجند والمدد إن شاء الله تعالى، فعند ذلك جهز معاوية عمرو بن العاص فى ستة آلاف ، وخرج معاوية مودعاً وأوصاه بتقوى الله والرفق والمهل والتؤدة ، وأن يقتل من قاتل و يعفو عمن أدبر ، وأن يدعو الناس إلى الصلح والجماعة ، فاذا أنت ظهرت فليكن أنصارك آثر الناس عندك ، فسار عمرو بن العاص إلى مصر ، فلما قدمها اجتمعت عليه العثمانية فقادهم ، وكتب عمرو بن العاص إلى محمد بن أبى بكر : أما بعد فتنح فانى لا أحب أن يصيبك منى ظفر ، فان الناس قد اجتمعوا بهذه البلاد على خلافك و رفض أمرك ، وندموا على اتباعك ، فهم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطان ، فاخرج منها فانى لك لمن الناصحين والسلام . و بعث إليه عمرو أيضاً بكتاب معاوية إليه : أما بعد فان غب البغى والظلم عظيم الوبال ، و إن سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النقمة فى الدنيا والتبعة الموبقة فى الآخرة و إنا لا نعلم أحداً كان أشد خلافاً على عثمان منك حين تطعن بمشاقصك بين حشاشته وأوداجه ، ثم إنك تظن أنى عنك نائم أوناس ذلك لك ، حتى تأتى فتأمر على بلاد أنت بها جارى وجل أهلها أنصارى وقد بعثت إليك بجيوش يتقربون إلى الله

بجهادك ولن يسلمك الله من القصاص أينما كنت والسلام . قال : فطوى محمد بن أبى بكر الكتابين وبعث بهما إلى على وأعلمه بقدوم عمرو إلى مصر فى جيش من قبل معاوية ، فإن كانت لك بأرض مصر حاجة فابعث إلى بأموال ورجال والسلام . فكتب إليه يأمره بالصبر وبمجاهدة العدو ، وأنه سيبعث إليه الرجال والأموال ، ويمده بما أمكنه من الجيوش . وكتب محمد بن أبى بكر كتابا إلى معاوية فى جواب ماقال وفيه غلظة ، وكذلك كتب إلى عمرو بن العاص وفيه كلام غليظ وقام محمد ابن أبى بكر فى الناس فخطبهم وحثهم على الجهاد ومناجزة من قصدهم من أهل الشام ، وتقدم عمرو ابن العاص إلى مصر فى جيوشه ، ومن لحق به من العثمانية المصريين ، والجميع فى قريب من ستة عشر ألفاً ، وركب محمد بن أبى بكر فى ألفى فارس الذين انتدبوا معه من المصريين وقدم على جيشه بين يديه كنانة بن بشر فجعل لايلقاه أحد من الشاميين إلا قاتلهم حتى يلحقهم مغلوبين إلى عمرو ابن العاص ، فبعث عمرو بن العاص إليه معاوية بن خديج فجاءه من ورائه وأقبل إليه الشاميون حتى أحاطوا به من كل جانب ، فترجل عند ذلك كنانة وهو يتلو [وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا] الآية ، ثم قاتل حتى قتل وتفرق أصحاب محمد بن أبى بكر عنه ورجع يمشى فرأى خربة فآوى إليها ودخل عمرو بن العاص فسطاط مصر وذهب معاوية بن خديج فى طلب محمد بن أبى بكر فمر بعلوج فى الطريق فقال لهم : هل مر بكم أحد تستنكرونه ؟ قالوا : لا ! فقال رجل منهم : إنى رأيت رجلا جالساً فى هذه الخربة ، فقال : هو هو ورب الكعبة : فدخلوا عليه فاستخرجوه منها ــ وقد كاد يموت عطشا ــ فانطلق أخوه عبد الرحمن بن أبى بكر إلى عمرو بن العاص ــ وكان قد قدم معه إلى مصر ــ فقال : أيقتل أخى صبراً ؟ فبعث عمرو بن العاص إلى معاوية بن خديج أن يأتيه بمحمد بن أبى بكر ولايقتله فقال معاوية : كلا والله ، أيقتلون كنانة بن بشر وأترك محمد بن أبى بكر ، وقد كان ممن قتل عثمان وقد سألهم عثمان الماء ، وقد سألهم محمد بن أبى بكر أن يسقوه شربة من الماء فقال معاوية : لاسقانى الله إن سقيتك قطرة من الماء أبداً ، إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً محرماً فتلقاه الله بالرحيق المختوم . وقد ذكر ابن جرير وغيره أن محمد بن أبى بكر نال من معاوية بن خديج هذا ومن عمرو بن العاص ومن معاوية ومن عثمان بن عفان أيضاً ، فعند ذلك غضب معاوية بن خديج فقدمه فقتله ثم جعله فى جيفة حمار فأحرقه بالنار ، فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعا شديداً وضمت عياله إليها ، وكان فيهم ابنه القاسم وجعلت تدعو على معاوية وعمرو بن العاص دبر الصلوات .

وذكر الواقدى أن عمرو بن العاص قدم مصر فى أربعة آلاف فيهم أبو الأعور السلمى فالتقوا مع المصريين بالمسناة فاقتتلوا قتالا شديداً حتى قتل كنانة بن بشر بن عتاب التجيبى ، فهرب عند

ذلك محمد بن أبي بكر فاختبأ عند رجل يقال له جبلة بن مسروق ، فدل عليه فجاء معاوية بن خديج وأصحابه فأحاطوا به فخرج إليهم محمد بن أبي بكر فقاتل حتى قتل . قال الواقدى : وكان ذلك فى صفر من هذه السنة ، قال الواقدى : ولما قتل محمد بن أبى بكر بعث على الأشتر النخعى إلى مصر فمات فى الطريق فالله أعلم . قال : وكانت أدرخ فى شعبان فى هذه السنة أيضاً ، وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية يخبره بما كان من الأمر وأن الله قد فتح عليه بلاد مصر ورجعوا إلى السمع والطاعة واجتماع الجماعة ، وبما عهد لهم من الأمر . وقد زعم هشام بن محمد الكلبى أن محمد بن أبى حذيفة بن عتبة مسك بعد مقتل محمد بن أبى بكر - وكان من جملة المحرضين على قتل عثمان - فبعثه عمرو بن العاص إلى معاوية ولم يبادر إلى قتله لأنه ابن خال معاوية ، فحبسه معاوية بفلسطين فهرب من السجن ، فلحقه رجل يقال له عبد الله بن عمرو بن ظلام بأرض البلقاء ، فاختفى محمد بغار فجاءت حمر وحش لتأوى إليه فلما رأته فيه نفرت فتعجب من نفرها جماعة من الحصادين هنالك ، فذهبوا إلى الغار فوجدوه فيه ، فجاء أولئك إليه فخشى عبد الله بن عمرو بن ظلام أن يرده إلى معاوية فيعفو عنه ، فضرب عنقه ، هكذا ذكر ذلك ابن الكلبى . وقد ذكر الواقدى وغيره أن محمد بن أبى حذيفة قتل فى سنة ست وثلاثين كما قدمنا فالله أعلم .

وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل فى كتابه : ثنا عبد الله بن صالح حدثنى ابن لهيعة عن يزيد ابن أبى حبيب أن عمرو بن العاص استحل مال قبطى من قبط مصر لأنه استقر عنده أنه كان يظهر الروم على عورات المسلمين - يكتب إليهم بذلك - فاستخرج منه بضعاً وخمسين أردبا دنانير ، قال أبو صالح : والأردب ست ويبات والويبة مثل القفيز واعتبرنا الويبة فوجدناها تسعا وثلاثين ألف دينار ، قلت : فعلى هذا يكون يبلغ ما كان أخذ من القبطى ما يقارب ثلاثة عشر ألف ألف دينار . قال أبو مخنف باسناده : ولما بلغ على بن أبى طالب مقتل محمد بن أبى بكر وما كان بمصر من الأمر ، وتملك عمرو لها ، واجتماع الناس عليه وعلى معاوية قام فى الناس خطيباً فحثهم على الجهاد والصبر والمسير إلى أعدائهم من الشاميين والمصريين ، وواعدهم الجرعة بين الكوفة والحيرة ، فلما كان الغد خرج يمشى إليها حتى نزلها فلم يخرج إليه أحد من الجيش ، فلما كان العشى بعث إلى أشراف الناس فدخلوا عليه وهو حزين كئيب فقام فيهم خطيباً فقال : الحمد لله على ما قضى من أمر وقدر من فعل وابتلانى بكم وبمن لا يطيع إذا أمرت ، ولا يجيب إذا دعوت ، أو ليس عجباً أن معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه بغير عطاء ولا معونة ، ويجيبونه فى السنة مرتين والثلاث إلى أى وجه شاء ؟ وأنا أدعوكم وأنتم أولوا النهى وبقية الناس على المعونة وطائفة من العطاء فتفرقون عنى وتعصوننى وتختلفون على ؟

فقام إليه مالك بن كعب الأوسى فندب الناس إلى امتثال أمر على والسمع والطاعة له فانتدب ألفان فأمر عليهم مالك بن كعب هذا فسار بهم خمساً ، ثم قدم على على جماعة ممن كان مع محمد بن أبى بكر بمصر فأخبروه كيف وقع الأمر وكيف قتل محمد بن أبى بكر وكيف استقر أمر عمرو بها ، فبعث إلى مالك بن كعب فرده من الطريق ـ وذلك أنه خشى عليهم من أهل الشام قبل وصولهم إلى مصر واستقر أمر العراقيين على مخالفة على فيما يأمرهم به وينهاهم عنه ، والخروج عليه والبعد عن أحكامه وأقواله وأفعاله ، لجهلهم وقلة عقلهم وجفائهم وغلظتهم وفجور كثير منهم ، فكتب على عند ذلك إلى ابن عباس ـ وهو نائبه على البصرة ـ يشكو إليه ما يلقاه من الناس من المخالفة والمعاندة ، فرد عليه ابن عباس يسليه فى ذلك ، ويعزيه فى محمد بن أبى بكر ويحثه على تلافى الناس والصبر على مسيئهم ، فان ثواب الله خير من الدنيا ، ثم ركب ابن عباس من البصرة إلى على وهو بالكوفة واستخلف ابن عباس على البصرة زياداً ، وفى هذا الحين بعث معاوية بن أبى سفيان كتابا مع عبد الله بن عمرو الحضرمى إلى أهل البصرة يدعوهم إلى الاقرار بما حكم له عمرو بن العاص ، فلما قدمها نزل على بنى تميم فأجاروه فنهض إليه زياد وبعث إليه أعين بن ضبيعة فى جماعة من الناس فساروا إليهم فاقتتلوا فقتل أعين بن ضبيعة ، فكتب زياد إلى على يعلمه بما وقع بالبصرة بعد خروج ابن عباس منها ، فبعث عند ذلك على جارية بن قدامة التميمى فى خمسين رجلا الى قومه بنى تميم ، وكتب معه كتابا إليهم فرجع أكثرهم عن ابن الحضرمى وقصده جارية فحصره فى دار هو وجماعة معه ، قيل : كان عددهم أربعين ، وقيل سبعين ، فحرقهم بالنار بعد أن أعذر إليهم وأنذرهم فلم يقبلوا ولم يرجعوا عما جاؤا له .

فصل

وقد صحح ابن جرير أن قتال على لأهل النهروان كان فى هذه السنة ، وكذلك خروج الحريث ابن راشد الناجى كان فى هذه السنة أيضاً ، وكان مع الحريث ثلثمائة رجل من قومه بنى ناجية ـ وكان مع على بالكوفة ـ فجاء إلى على فقام بين يديه وقال : والله ياعلى لا أطيع أمرك ولا أصلى خلفك ، إنى لك غدا لمفارق . فقال له على : ثكلتك أمك إذاً تعصى ربك وتنقض عهدك ولا تضر إلا نفسك ، ولم تفعل ذلك ؟ قال : لأنك حكمت فى الكتاب وضعفت عن قيام الحق إذ جد الجد ، وركنت إلى القوم الظالمين ، فانا عليك زارى وعليك ناقم ، وإنا لكم جميعاً مباينون . ثم رجع إلى أصحابه فسار بهم نحو بلاد البصرة فبعث إليهم معقل بن قيس ثم أردفه بخالد بن معدان الطائى ـ وكان من أهل الصلاح والدين والبأس والنجدة ـ وأمره أن يسمع له ويطيع ، فلما اجتمعوا صاروا جيشاً واحداً ، ثم خرجوا فى آثار الحريث وأصحابه فلحقوهم ـ وقد أخذوا فى جبال رامهرمز قال فصففنا لهم ثم أقبلنا

إليهم فجعل معقل على ميمنته يزيد بن معقل ، وعلى ميسرته منجاب بن راشد الضبى ، ووقف الحريث فيمن معه من العرب فكانوا ميمنة ، وجعل من اتبعه من الاكراد والعلوج ميسرة ، قال : وسار فينا معقل بن قيس فقال : عباد الله ! لاتبدؤا القوم وغضوا أبصاركم ، وأقلوا الكلام ، ووطنوا أنفسكم على الطعن والضرب ، وأبشروا فى قتالكم بالأجر إنما تقاتلون مارقة مرقت من الدين ، وعلوجاً كسروا الخراج ، ولصوصاً وأكراداً ، فاذا حملت فشدوا شدة رجل واحد . ثم تقدم فحرك دابته تحريكتين ثم حمل عليهم فى الثالثة وحملنا معه جميعنا فوالله ماصبروا لنا ساعة واحدة حتى ولوا منهزمين ، وقتلنا من العلوج والأكراد نحواً من ثلثمائة ، وفر الحريث منهزما حتى لحق باساف ـ وبها جماعة من قومه كثيرة ـ فاتبعوه فقتلوه مع جماعة من أصحابه بسيف البحر ، قتله النعمان بن صهبان ، وقتل معه فى المعركة مائة وسبعون رجلا . ثم ذكر ابن جرير وقعات كثيرة كانت بين أصحاب على والخوارج فيها أيضاً ثم قال : حدثنى عمر بن شبية ثنا أبو الحسن ـ يعنى المدائنى ـ على بن محمد بن على بن مجاهد قال قال الشعبى : لما قتل على أهل النهر خالفه قوم كثير ، وانتقضت أطرافه وخالفه بنو ناجية ، وقدم ابن الحضرمى إلى البصرة ، وانتقض أهل الجبال ، وطمع أهل الخراج فى كسره وأخرجوا سهل بن حنيف من فارس ـ وكان عاملا عليها ـ فأشار عليه ابن عباس بزياد بن أبيه أن يوليه إياها فولاه إياها فسار إليها فى السنة الآتية فى جمع كثير ، فوطئهم حتى أدوا الخراج

قال ابن جرير وغيره : وحج بالناس فى هذه السنة قثم بن العباس ، نائب على على مكة ، وأخوه عبيدالله ابن عباس نائب اليمن ، وأخوهما عبد الله نائب البصرة ، وأخوهم تمام بن عباس نائب المدينة ، وعلى خراسان خالد بن قرة اليربوعى وقيل ابن أبزى ، وأما مصر فقد استقرت بيد معاوية فاستناب عليها عمرو بن العاص .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان

سهل بن حنيف

ابن واهب بن العليم بن ثعلبة الأنصارى الأوسى ، شهد بدراً ، وثبت يوم أحد ، وحضر بقية المشاهد ، وكان صاحباً لعلى بن أبى طالب ، وقد شهد معه مشاهده كلها أيضاً غير الجمل فانه كان قد استخلفه على المدينة ، ومات سهل بن حنيف فى سنة ثمان وثلاثين بالكوفة ، وصلى عليه على فكبر خمساً وقيل ستا وقال إنه من أهل بدر رضى الله عنه .

صفوان بن بيضاء اخو سهيل بن بيضاء

شهد المشاهد كلها وتوفى فى هذه السنة فى رمضانها وليس له عقب .

صهيب بن سنان بن مالك

الرومى وأصله من اليمن أبو يحيى بن قاسط وكان أبوه أو عمه عاملا لكسرى على الايلة ، وكانت

منازلهم على دجلة عند الموصل ، وقيل على الفرات ، فاغارت على بلادهم الروم فأسرته وهو صغير ، فأقام عندهم حينا ثم اشترته بنو كلب فحملوه إلى مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان فأعتقه وأقام بمكة حيناً ، فلما بعث رسول الله (ص.) آمن به ، وكان ممن أسلم قديماً هو وعمار فى يوم واحد بعد بضعة وثلاثين رجلا ، وكان من المستضعفين الذين يعذبون فى الله عز وجل ، ولما هاجر رسول الله (ص.) هاجر صهيب بعده بأيام فلحقه قوم من المشركين يريدون أن يصدوه عن الهجرة ، فلما أحس بهم نثل كنانته فوضعها بين يديه وقال : والله لقد علمتم أنى من أرماكم ، ووالله لاتصلون إلى حتى أقتل بكل سهم من هذه رجلا منكم ، ثم أقاتلكم بسيفى حتى أقتل . وإن كنتم تريدون المال فأنا أدلكم على مالى هو مدفون فى مكان كذا وكذا ، فانصرفوا عنه فأخذوا ماله ، فلما قدم قال له رسول الله (ص.) : «ربح البيع أبا يحيى » وأنزل الله (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد) ورواه حماد بن سلمة عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب ، وشهد بدراً وأحداً وما بعدهما ، ولما جعل عمر الأمر شورى كان هو الذى يصلى بالناس حتى تعين عثمان ، وهو الذى ولى الصلاة على عمر - وكان له صاحباً - وكان أحمر شديد الحمرة ليس بالطويل ولا بالقصير أقرن الحاجبين كثير الشعر وكان لسانه فيه عجمة شديدة ، وكان مع فضله ودينه فيه دعابة وفكاهة وانشراح ، روى أن رسول الله (ص.) رآه يأكل بقثاء رطباً وهو أرمد إحدى العينين ، فقال : « أتأكل رطبا وأنت أرمد » ؟ فقال : إنما آكل من ناحية عينى الصحيحة ، فضحك رسول الله (ص.) . وكانت وفاته بالمدينة سنة ثمان وثلاثين ، وقيل سنة تسع وثلاثين ، وقد نيف على السبعين .

محمد بن أبي بكر الصدّيق

ولد فى حياة النبى (ص.) فى حجة الوداع تحت الشجرة عند الحرم وأمه أسماء بنت عميس ، ولما احتضر الصديق أوصى أن تغسله فغسلته ، ثم لما انقضت عدتها تزوجها على فنشأ فى حجره ، فلما صارت إليه الخلافة استنابه على بلاد مصر بعد قيس بن سعد بن عبادة كما قدمنا ، فلما كانت هذه السنة بعث معاوية عمرو بن العاص فاستلب منه بلاد مصر وقتل محمد بن أبى بكر كما تقدم ، وله من العمر دون الثلاثين ، رحمه الله ورضى عنه .

اسماء بنت عميس

ابن معبد بن الحارث الخثعمية، أسلمت بمكة وهاجرت مع زوجها جعفر بن أبى طالب إلى الحبشة وقدمت معه إلى خيبر ، ولها منه عبد الله ، ومحمد ، وعون . ولما قتل جعفر بموتة تزوجها بعده أبو بكر الصديق فولدت منه محمد بن أبى بكر أمير مصر ثم لما مات الصديق تزوجها بعده على بن أبى طالب فولدت له يحيى وعونا ، وهى أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين لأمها . وكذلك هى أخت أم

الفضل امرأة العباس لأمها ، وكان لها من الأخوات لأمها تسع أخوات ، وهي أخت سلمى بنت عميس امرأة العباس التي له منها بنت اسمها عمارة .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين

فيها جهز معاوية بن أبي سفيان جيوشاً كثيرة ففرقها في أطراف معاملات علي بن أبي طالب، وذلك أن معاوية رأى بعد أن ولاه عمرو بن العاص بعد اتفاقه مع أبي موسى على عزل علي ، أن ولايته وقعت الموقع ، فهو الذي يجب طاعته فيما يعتقده ، ولأن جيوش علي من أهل العراق لا تطيعه في كثير من الامر ولا يأتمرون بأمره ، فلا يحصل بمباشرته المقصود من الامارة والحالة هذه ، فهو يزعم أنه أولى منه إذ كان الأمر كذلك . وكان ممن بعث في هذه السنة النعمان بن بشير في ألفي فارس إلى عين التمر ، وعليها مالك بن كعب الأرحبي في ألف فارس مسلحة لعلي ، فلما سمعوا بقدوم الشاميين ارفضوا عنه فلم يبق مع مالك بن كعب إلا مائة رجل فكتب عند ذلك إلى علي يعلمه بما كان من الامر ، فندب علي الناس إلى مالك بن كعب فتثاقلوا ونكلوا عنه ولم يجيبوا إلى الخروج ، فخطبهم علي عند ذلك فقال في خطبته : « يا أهل الكوفة ! كلما سمعتم بمنسر من مناسر أهل الشام انجحر كل منكم في بيته ، وغلق عليه بابه . انجحار الضب في جحره ، والضبع في وجاره ، المغرور والله من غررتموه ، ولمن فارقكم فاز بالسهم الأصيب ، لا أحرار عند النداء ، ولا إخوان ثقة عند النجاة ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ماذا منيت به منكم ، عمي لا تبصرون ، وبكم لا تنطقون ، وصم لا تسمعون ، إنا لله وإنا إليه راجعون » ودهمهم النعمان بن بشير فاقتتلوا قتالا شديداً وليس مع مالك بن كعب إلا مائة رجل قد كسروا جفون سيوفهم واستقتلوا ، فبيناهم كذلك إذ جاءهم نجدة من جهة مخنف بن سليم مع ابنه عبد الرحمن بن مخنف في خمسين رجلا ، فلما رآهم الشاميون ظنوا أنهم مدد عظيم ففروا هراباً ، فاتبعهم مالك بن كعب فقتل منهم ثلاثة أنفس وذهب الباقون على وجوههم ولم يتم لهم أمر من هذا الوجه . وفيها بعث معاوية سفيان بن عوف في ستة آلاف وأمره بأن يأتي هيت فيغير عليها ، ثم يأتي الأنبار والمدائن . فسار حتى انتهى إلى هيت فلم يجد بها أحداً ، ثم إلى الأنبار وفيها مسلحة لعلي نحو من خمسمائة ، فتفرقوا ولم يبق منهم إلا مائة رجل ، فقاتلوا مع قلتهم وصبروا حتى قتل أميرهم ـ وهو أشرس بن حسان البلوي ـ في ثلاثين رجلا من أصحابه ، واحتملوا ما كان بالانبار من الأموال وكروا راجعين إلى الشام ، فلما بلغ الخبر علياً رضي الله عنه ركب بنفسه فنزل بالنخيلة فقال له الناس : نحن نكفيك ذلك يا أمير المؤمنين . فقال : والله ما تكفونني ولا أنفسكم ، وسرح سعد بن قيس في أثر القوم فسار وراءهم حتى بلغ هيت فلم يلحقهم فرجع . وفيها بعث معاوية عبد الله بن مسعدة الفزاري في ألف وسبعمائة إلى تيماء وأمره أن يصدق أهل البوادي ومن

امتنع من إعطائه فليقتله ثم يأتى المدينـة ومكة والحجاز . فسار إلى تيماء واجتمع عليـه بشر كثير ، فلما بلغ عليا بعث المسيب بن نجبية الفزارى فى ألفى رجل فالتقوا بتيماء فاقتتلوا قتالا شديداً عنـد زوال الشمس ، وحمل المسيب بن نجبة على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات وهو لا يريد قتله بل يقول له : النجا النجا ، فانحاز ابن مسعدة فى طائفة من قومه إلى حصن هناك فتحصنوا به وهرب بقيتهم إلى الشام ، وانتهبت الأعراب ما كان جمعه ابن نجبيـة من إبل الصدقة ، وحاصرهم المسيب بن نجبة ثلاثة أيام ثم ألقى الحطب على الباب وألهب فيه النار ، فلما أحسوا بالهلاك أشرفوا من الحصن ، ومتوا إليه بانهم من قومه فرق لهم وأطفأ النار ، فلما كان الليل فتح باب الحصن وخرجوا هرابا إلى الشام ، فقال عبد الرحمن بن شبيب للمسيب بن نجبة : سر حتى ألحقهم ! فقال : لا ! فقال : غششت أمير المؤمنين داهنت فى أمرهم . وفيها وجه معاوية الضحاك بن قيس فى ثلاثة آلاف وأمره أن يغير عـلى أطراف جيش على ، فجهز على حجر بن عـدى فى أربعة آلاف وأنفق فيهـم خمسين درهماً خمسين درهماً ، فالتقوا بتدمر فقتل من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلا ، ومن أصحاب حجر بن عـدى رجلان ، وغشيهم الليل فتفرقوا ، واستمر الضحاك باصحابه فاراً إلى الشام . وفيها سار معاوية بنفسه فى جيش كثيف حتى بلغ دجلة ثم كر راجعاً . ذكره محمد بن سعد عن الواقدى باسناده وأبو معشر أيضاً

وفى هـذه السنة ولى على بن أبى طالب زياد بن أبيه على أرض فارس ، وكانوا قد منعوا الخراج والطاعة ، وسبب ذلك حين قتل ابن الحضرمى وأصحابه بالنار حين حرقهم جارية بن قدامة فى تلك الدار كما قدمنا ، فلما اشتهر هذا الصنيع فى البلاد تشوش قلوب كثير من الناس على على ، واختلفوا على على ، ومنع أكثر أهل تلك النواحى خراجهم ، ولاسيما أهل فارس فانهم تمردوا وأخرجوا عاملهـم سهل بن حنيف ــ كما تقدم فى العام الماضى ــ من بين أظهرهم ، فاستشار على الناس فيمن يوليه عليهم ، فأشار ابن عباس وجارية بن قدامة أن يولى عليهم زياد بن أبيه ، فانه صليب الرأى ، عالم بالسياسة . فقال على : هو لها ، فولاه فارس وكرمان وجهزه إليهما فى أربعة آلاف فارس ، فسار إليها فى هـذه السنة فدوخ أهلها وقهرهم حتى استقاموا وأدوا الخراج وما كان عليهم من الحقوق ، ورجعوا إلى السمع والطاعة ، وسار فيهم بالمعدلة والامانة ، حتى كان أهل تلك البلاد يقولون : ما رأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى أنوشروان من سيرة هـذا العربى فى اللين والمداراة والعلم بما يأتى ، وصفت له تلك البـلاد بعدله وعلمه وصرامته ، واتخذ للمال قلعة حصينة ، فكانت تعرف بقلعة زياد ، ثم لما تحصن فيها منصور اليشكرى فيما بعد ذلك عرفت به فكان يقال لها قلعة منصور .

قال الواقدى : وفى هـذه السنة بعث عـلى بن أبى طالب عبـد الله بن عباس عـلى الموسم وبعث معاوية يزيد بن سخبرة الرهاوى ليقيم للناس الحج فلـما اجتمعا بمكة تنازعا وأبى كل واحد

منهما أن يسلم لصاحبه فاصطلحا على شيبة بن عثمان بن أبى طلحة الحجبى فحج بالناس وصلى بهم فى أيام الموسم قال أبو الحسن المدائنى : لم يشهد عبد الله بن عباس الموسم فى أيام على حتى قتل ، والذى نازعه يزيد بن سخبرة إنما هو قثم بن العباس حتى اصطلحا على شيبة بن عثمان . قال ابن جرير : وكما قال أبو الحسن المدائنى قال أبو مصعب . قال ابن جرير : وأما عمال على على الأمصار فهم الذين ذكرنا فى السنة الماضية غير أن ابن عباس كان قد سار من البصرة الى الكوفة واستخلف على البصرة زياد بن أبيه ثم سار زياد فى هذه السنة إلى فارس وكرمان كما ذكرنا .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان

سعد القرظي

مؤذن مسجد قبا فى زمان رسول الله (ص.) ، فلما ولى عمر الخلافة ولاه أذان المسجد النبوى وكان أصله مولى لعمار بن ياسر ، وهو الذى كان يحمل العنزة بين يدى أبى بكر وعمر وعلى إلى المصلى يوم العيد و بقى الأذان فى ذريته مدة طويلة .

عقبة بن عمرو بن ثعلبة

أبو مسعود البدرى سكن ماء بدر ولم يشهد الوقعة بها على الصحيح ، وقد شهد العقبة ، وهو من سادات الصحابة وكان ينوب لعلى بالكوفة إذا خرج لصفين وغيرها .

سنة أربعين من الهجرة

قال ابن جرير : فمما كان فى هذه السنة من الأمور الجليلة توجيه معاوية بسر بن أبى أرطاة فى ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز ، فذكر عن زياد بن عبد الله البكائى عن عوانة قال : أرسل معاوية بعد تحكيم الحكمين بسر بن أبى أرطاة ـ وهو رجل من بنى عامر بن لؤى ـ فى جيش فساروا من الشام حتى قدموا المدينة ـ وعامل على عليها يومئذ أبو أيوب ـ ففر منهم أبو أيوب فأتى عليا بالكوفة ، ودخل بسر المدينة ولم يقاتله أحد ، فصعد منبرها فنادى على المنبر : يا دينار ويا نجار ويا رزيق شيخى شيخى عهدى به هاهنا بالأمس فأين هو ؟ ـ يعنى عثمان بن عفان ـ ثم قال : يا أهل المدينة والله لولا ماعهد إلى معاوية ما تركت بها محتلما إلا قتلته ، ثم بايع أهل المدينة وأرسل إلى بنى سلمة فقال : والله مالكم عندى من أمان ولا مبايعة حتى تأتونى بجابر بن عبد الله ـ يعنى حتى يبايعه ـ فانطلق جابر إلى أم سلمة فقال لها : ماذا ترين إنى خشيت أن أقتل وهذه بيعة ضلالة ؟ فقالت : أرى أن تبايع فانى قد أمرت ابنى عمر وختنى عبد الله بن زمعة ـ وهو زوج ابنتها زينب ـ أن يبايعا فأتاه جابر فبايعه . قال : وهدم بسر دوراً بالمدينة ثم مضى حتى أتى مكة فخافه أبو موسى الأشعرى أن يقتله فقال

له بسر : ما كنت لأفعل بصاحب رسول الله (ص) ذلك ، فخلى عنه ، وكتب أبو موسى قبل ذلك إلى أهل اليمن أن خيلا مبعوثة من عند معاوية تقتل من أبى أن يقر بالحكومة ، ثم مضى بسر إلى اليمن وعليها عبيد الله بن عباس ففر إلى الكوفة حتى لحق بعلى ، واستخلف على اليمن عبد الله بن عبد الله بن المدان الحاوى ، فلما دخل بسر اليمن قتله وقتل ابنه ، ولقى بسر ثقل عبيد الله بن عباس وفيه ابنان صغيران له فقتلهما وهما عبد الرحمن وقثم ، ويقال إن بسراً قتل خلقا من شيعة على فى مسيره هذا وهذا الخبر مشهور عند أصحاب المغازى والسير ، وفى صحته عندى نظر والله تعالى أعلم . ولما بلغ عليا خبر بسر وجه جارية بن قدامة فى ألفين ، ووهب بن مسعود فى ألفين ، فسار جارية حتى بلغ نجران فحرق بها وقتل ناساً من شيعة عثمان ، وهرب بسر وأصحابه فاتبعهم حتى بلغ مكة ، فقال لهم جارية : بايعوا فقالوا : لمن نبايع وقد هلك أمير المؤمنين فلمن نبايع ؟ فقال : بايعوا لمن بايع له أصحاب على ، فتثاقلوا ثم بايعوا من خوف ، ثم سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلى بهم فهرب منه فقال جارية : والله لو أخذت أبا سنور لضربت عنقه ، ثم قال لأهل المدينة : بايعوا للحسن ابن على ، فبايعوا وأقام عندهم ثم خرج منصرفا إلى الكوفة وعاد أبو هريرة يصلى بهم . قال ابن جرير : وفى هذه السنة جرت بين على ومعاوية المهادنة بعد مكاتبات يطول ذكرها على وضع الحرب بينهما ، وأن يكون ملك العراق لعلى ولمعاوية الشام ، ولا يدخل أحدهما على صاحبه فى عمله بجيش ولا غارة ولا غزوة . ثم ذكر عن زياد عن ابن إسحاق ما هذا مضمونه أن معاوية كتب إلى على : أما بعد فان الأمة قد قتل بعضها بعضاً يعنى فلك العراق ولى الشام . فأقر بذلك على رضى الله عنه . وأمسك كل واحد منهما عن قتال الآخر ، وبعث الجيوش إلى بلاده ، واستقر الأمر على ذلك .

قال ابن جرير : وفى هذه السنة خرج ابن عباس من البصرة إلى مكة وترك العمل فى قول عامة أهل السير ، وقد أنكر ذلك بعضهم وزعم أنه لم يزل عاملا على البصرة حتى صالح على معاوية ، وأنه كان شاهداً للصلح ، ممن نص على ذلك أبو عبيدة كما سيأتى . ثم ذكر ابن جرير سبب خروج ابن عباس عن البصرة وذلك أنه كلم أبا الأسود الدؤلى القاضى بكلام فيه غض من أبى الأسود فكتب أبو الأسود إلى على يشكو إليه ابن عباس وينال من عرضه فانه تناول شيئا من أموال بيت المال فبعث على إلى ابن عباس فعاتبه فى ذلك وحرر عليه التبعة فغضب ابن عباس من ذلك وكتب إلى على : ابعث إلى عملك من أحببت فانى ظاعن عنه والسلام . ثم سار ابن عباس إلى مكة مع أخواله بنى هلال وتبعهم قيس كلها ، وقد أخذ شيئاً من بيت المال مما كان اجتمع له من العمالة والفىء ، ولما سار تبعته أقوام أخر فلحقهم بنو غنم وأرادوا منعهم من المسير فكان بينهم قتال ، ثم تحاجزوا ودخل ابن عباس مكة .

ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن ابي طالب
وما ورد من الأحاديث النبوية من الأخبـــار
بمقتله وكيفيته

كان أمير المؤمنين رضى الله عنه قد تنغصت عليه الأمور ، واضطرب عليه جيشه ، وخالفه أهل العراق ، ونكلوا عن القيام معه ، واستفحل أمر أهل الشام ، وصالوا وجالوا يمينا وشمالا ، زاعمين أن الأمرة لمعاوية بمقتضى حكم الحكمين فى خلعهما عليا وتولية عمرو بن العاص معاوية عند خلو الامرة عن أحد ، وقد كان أهل الشام بعد التحكيم يسمون معاوية الأمير ، وكلما ازداد أهل الشام قوة ضعف جأش أهل العراق ، هذا وأميرهم على بن أبى طالب خير أهل الأرض فى ذلك الزمان ، أعبدهم وأزهدهم، وأعلمهم وأخشاهم لله عزوجل ، ومع هذا كله خذلوه وتخلوا عنـه حتى كره الحياة وتمنى الموت ، وذلك لكثرة الفتن وظهور المحن ، فكان يكثر أن يقول : مايحبس اشقاها ، أى ما ينتظر ؟ ماله لا يقتل ؟ ثم يقول : والله لتخضبن هذه و يشير إلى لحيته من هذه و يشير إلى هامته ، كما قال البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن إسحاق الصنعانى ثنا أبو الجراب الأحوص بن جراب ثنا عمار بن زريق عن الأعمش عن حبيب بن أبى ثابت عن ثعلبة بن يزيد قال قال على : « والذى فلق الحبة و برأ النسمة لتخضبن هذه من هذه للحيته من رأسه فما يحبس أشقاها » ؟ فقال عبدالله بن سبع : والله يا أمير المؤمنين لو أن رجلا فعل ذلك لأبدنا عترته : فقال أنشدكم بالله أن يقتل غـير قاتلى . فقالوا : يا أمير المؤمنين ألا تستخلف ؟ فقال : لا ولكن أترككم كما تركـكم رسول الله . قالوا : فما تقول لربك إذا لقيته وقـد تركتنا هملا ؟ قال : أقول اللهـم استخلفتنى فيهـم ما بدالك ثم قبضتنى وتركتك فيهم فان شئت أصلحتهم و إن شئت أفسدتهم .

طريق أخرى

قال أبو داود الطيالسى فى مسنده : ثنا شريك عن عثمان بن المغيرة عن زيد بن وهب . قال : جاءت الخوارج إلى عـلى فقالوا له : اتق الله فإنك ميت . قال : لا والذى فلق الحبة و برأ النسمة ، ولـكن مقتول من ضربة على هـذه تخضب هذه ـ وأشار بيده إلى لحيته ـ عهد معهود وقضى مقضى ، وقد خاب من افترى .

طريق أخرى عنه

قال الحافظ أبو يعلى : ثنا سويد بن سعيد ثنا رشدين بن سـعد عن يزيد بن عبد الله بن أسامة عن عثمان بن صهيب عن أبيه . قال قال على : قال لى رسول الله ﷺ : « من أشقى الأولين ؟ قلت : عاقرُ الناقة ، قال : صدقت فمن أشقى الآخرين ؟ قلت : لاعلم لى يارسول الله ، قال : الذى يضربك

على هذه ـ وأشار بيده ـ على يافوخه فيخضب هذه من هذه يعني لحيته من دم رأسه قال : « فكان يقول : وددت أنه قد انبعث أشقاكم » .

طريق اخرى عن علي

قال الامام أحمد : حدثنا وكيع ثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن عبد الله بن سبع . قال : سمعت عليا يقول لتخضبن هذه من هذه فما ينتظر بى إلا شقى ، فقالوا : يا أمير المؤمنين اخبرنا به نبدعترته ، قال : إذاً تالله تقتلون بى غير قاتلى ، قالوا : فاستخلف علينا ، قال : لا ! ولكن أتركم إلى ما تركم إليه رسول الله ص ، قالوا : فما تقول لربك إذا أتيته ؟ قال : أقول : اللهم تركتنى فيهم ما بدالك ثم قبضتنى إليك وأنت فيهم ، إن شئت أصلحتهم و إن شئت أفسدتهم

وقال الامام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ثنا أبو بكر عن الأعمش عن سلمة بن كهيل عن عبد الله ابن بسع قال : خطبنا على فقال : « والذى فلق الحبة و برأ النسمة لتخضبن هذه من هذه ، قال فقال الناس : فأعلمنا من هو والله لنبيدنه أو لنبيدن عترته . قال : أنشدكم بالله أن يقتل غير قاتلى ، قالوا : إن كنت علمت ذلك فاستخلف قال لا ولكن أكلكم إلى ماوكلكم إليه رسول الله (ص) » تفرد به أحمد .

طريق أخري عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه

قال الامام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ثنا محمد ـ يعنى ابن راشد ـ عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن فضالة بن أبى فضالة الأنصارى ـ وكان ابن فضالة من أهل بدر ـ : وقال « خرجت مع أبى عائداً لعلى بن أبى طالب من مرض أصابه ثقل منه ، قال فقال له أبى : مايقيمك بمنزلك هذا لو أصابك أجلك الا أعراب جهينة ؟ تحمل إلى المدينة فان أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك . فقال على : إن رسول الله (ص) عهد إلى أن لا أموت حتى أؤمر ثم تخضب هذه ـ يعنى لحيته ـ من دم هذه ـ يعنى هامته ـ قال فقتل وقتل ابن فضالة يوم صفين » تفرد به أحمد أيضاً . وقد رواه البيهقى فى الدلائل عن الحاكم عن الأصم عن الحسن بن مكرم عن أبى النضر هاشم بن القاسم به .

طريق أخري عنه

قال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده : حدثنا أحمد بن أبان القرشى ثنا سفيان بن عيينة ثنا كوفى يقال له عبد الملك بن أعين عن أبى حرب بن أبى الأسود عن أبيه قال : سمعت على بن أبى طالب يقول : « قال لى عبد الله بن سلام وقد وضعت رجلى فى غرز الركاب لا تأتى العراق فانك إن أتيتها أصابك بها ذباب السيف قال : وايم الله لقد قالها ولقد قالها النبى (ص) لى قبله . قال أبو الأسود فقلت : تالله ما رأيت رجلا محاربا يحدث بهذا قبلك غيرك » . ثم قال البزار : ولا نعلم رواه إلا على ابن أبى طالب بهذا الاسناد ، ولا نعلم رواه إلا عبد الملك بن أعين عن أبى حرب ، ولا رواه عنه

إلا ابن عيينة . هكذا قال : وقد رأيت من الطرق المتعددة خلاف ذلك . وقال البيهقى بعد ذكره طرفاً من هذه الطرق : وقد روينا فى كتاب السنن باسناد صحيح عن زيد بن أسلم عن أبى سنان الدؤلى عن على فى إخبار النبى (ص) بقتله .

حديث آخر في ذلك

قال الخطيب البغدادى . أخبرنى على بن القاسم البصرى ثنا على بن اسحاق الماردانى أنا محمد ابن إسحاق الصنعانى ثنا إسماعيل بن أبان الوراق ثنا ناصح بن عبد الله المحلمى عن سماك عن جابر ابن سمرة قال قال رسول الله (ص) لعلى : « من أشقى الأولين ، قال : عاقر الناقة ، قال : فمن أشقى الآخرين ؟ قال الله ورسوله أعلم ، قال : قاتلك » .

حديث آخر في معنى ذلك

وروى البيهقى من طريق فطر بن خليفة وعبد العزيز بن سياه كلاهما عن حبيب بن أبى ثابت عن ثعلبة الحمانى قال سمعت عليا على المنبر وهو يقول : « والله إنه لعهد النبى الأمى إلى إن الامة ستغدر بك بعدى » قال البخارى : ثعلبة بن زيد الحمانى فى حديثه هذا نظر . قال البيهقى : وقد رويناه باسناد آخر عن على ان كان محفوظا . أخبرنا أبو على الروذبارى أنا أبو محمد بن شوذب الواسطى بها ثنا شعيب بن أيوب ثنا عمرو بن عون عن هشيم عن إسماعيل بن سالم عن أبى إدريس الازدى عن على . قال :« إن مما عهد إلى رسول الله (ص) أن الامة ستغدر بك بعدى » قال البيهقى : فان صح فيحتمل أن يكون المراد به والله أعلم فى خروج من خرج عليه ثم فى قتله . وقال الأعمش عن عمرو بن مرة ابن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأرقم . قال : خطبنا على يوم جمعة فقال نبئت أن بسراً قد طلع اليمن ، وإنى والله لأحسب أن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم ، وما يظهرون عليكم إلا بعصيانكم إمامكم وطاعتهم إمامهم ، وخيانتكم وأمانتهم ، وإفسادكم فى أرضكم وإصلاحهم ، قد بعثت فلاناً فخان وغدر ، وبعثت فلانا فخان وغدر ، وبعث المال إلى معاوية لو ائتمنت أحدكم على قدح لأخذ علاقته ، اللهم سئمتهم وسئمونى ، وكرهتهم وكرهونى ، اللهم فأرحهم منى وأرحنى منهم » قال : فما صلى الجمعة الأخرى حتى قتل رضى الله عنه وأرضاه .

صفة مقتله رضي الله عنه

ذكر ابن جرير وغير واحد من علماء التاريخ والسير وأيام الناس : أن ثلاثة من الخوارج وهم عبد الرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجم الحميرى ثم الكندى حليف بنى حنيفة من كندة المصرى وكان أسمر حسن الوجه أبلج شعره مع شحمة أذنيه وفى وجهه أثر السجود . والبرك بن عبدالله التميمى . وعمرو بن بكر التميمى أيضاً ـ اجتمعوا فتذاكروا قتل على إخوانهم من أهل النهروان فترحموا عليهم

وقالوا : ماذا نصنع بالبقاء بعـدهم ؟ كانوا لا يخافون فى الله لومة لائم ، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمـة الضلال فقتلناهم فأرحنا منهم البلاد وأخذنا منهم ثأر إخواننا ؟ فقال ابن ملجم : أما أنا فأكفيكم على ابن أبى طالب . وقال البرك وأنا أكفيكم معاوية : وقال عمرو بن بكر وأنا أكفيكم عمرو بن العاص. فتعاهـدوا وتواثقوا أن لا ينكص رجل منهـم عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه فأخذوا أسيافهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة من رمضان أن يبيت كل واحد منهم صاحبه فى بلده الذى هو فيه فأما ابن ملجم فسار إلى الـكوفة فدخلها وكتم أمره حتى عن أصحابه من الخوارج الذين هم بها ، فبينما هو جالس فى قوم من بنى الرباب يتذاكرون قتلاهم يوم النهروان إذ أقبلت امرأة منهـم يقال لها قطام بنت الشجنة ، قد قتل على يوم النهروان أباها وأخاها ، وكانت فائقة الجمال مشهورة به ، وكانت قد انقطعت فى المسجد الجامع تتعبد فيـه ، فلما رآها ابن ملجم سلبت عقله ونسى حاجته التى جاء لها ، وخطبها إلى نفسها فاشترطت عليه ثلاثة آلاف درهم وخادما وقينة . وأن يقتل لها على بن أبى طالب . قال : فهو لك وواللہ ما جاء بى إلى هذه البلدة إلاقتل على ، فتزوجها ودخل بها ثم شرعت تحرضه على ذلك وندبت له رجلا من قومها ، من تيم الرباب يقال له وردان ، ليكون معه ردءا ، واستمال عبد الرحمن ابن ملجم رجـلا آخر يقال له شبيب بن نجـدة الأشجعى الحرورى قال له ابن ملجم : هل لك فى شرف الدنيا والآخرة ؟ فقال : وما ذاك : قال ؟ قتـل على ، فقال : ثـكلتك أمك ، لقـد جئت شيئاً إداً كيف تقدر عليـه ؟ قال أكمن له فى المسجد فاذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه ، فان نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا ، و إن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا . فقال : ويحك لو غير على كان أهون على ؟ قد عرفت سابقته فى الاسلام وقرابته من رسول الله (ص) فما أجدنى أنشرح صدراً لقتله . فقال : أما تعلم أنه قتل أهل النهروان ؟ فقال : بلى قال : فنقتله بمن قتل من اخواننا . فأجابه إلى ذلك بعدلأى ودخل شهر رمضان فواعدهم ابن ملجم ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت ، وقال : هذه الليلة التى واعدت أصحابى فيها أن يثأروا بمعاوية وعمرو بن العاص فجاء هؤلاء الثلاثة ـ وهم ابن ملجم ، ووردان ، وشبيب ـ وهم مشتملون على سيوفهـم فجلسوا مقابل السـدة التى يخرج منها على ، فلما خرج جعل ينهض الناس من النوم إلى الصلاة ، ويقول : الصلاة الصلاة فثار إليـه شبيب بالسيف فضربه فوقع فى الطاق ، فضربه ابن ملجم بالسيف على قرنه فسال دمه على لحيته رضى الله عنـه ، ولمـا ضربه ابن ملجم قال : لاحكم الا لله ليس لك يا على ولا لأصحابك ، وجعل يتلو قوله تعالى [ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد] ونادى على : عليكم به ، وهرب وردان فأدركه رجل من حضرموت فقتـله ، وذهب شبيب فنجا بنفسـه وفات الناس ، ومسك ابن ملجم وقدم على جعدة بن هبيرة بن أبى وهب فصلى بالناس صلاة الفجر ، وحمل

عليّ إلى منزله ، وحمل إليه عبد الرحمن بن ملجم فأوقف بين يديه وهو مكتوف ـ قبحه الله ـ فقال له : أى عـدو الله ألم أحسن إليك ؟ قال : بلى : قال . فما حملك على هذا : قال ؟ شحذته أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شر خلقـه ، فقال له على لا أراك إلا مقتولا به ، ولا أراك إلا من شر خلق الله ، ثم قال : إن مت فاقتلوه و إن عشت فانا أعلم كيف أصنع به ، فقال جندب بن عبد الله : يا أمير المؤمنين إن مت نبايع الحسن ؟ فقال لا آمركم ولا أنهاكم ، أنتم أبصر . ولما احتضر على جعل يكثر من قول لا إله إلا الله ، لا يتلفظ بغيرها . وقد قيل إن آخر ما تـكلم به [فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره] . وقـد اوصى ولديه الحسن والحسين بتقوى الله والصلاة والزكاة وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه فى الدين والتثبت فى الأمر ، والتعاهد للقرآن ، وحسن الجوار ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واجتناب الفواحش ، و وصاهما بأخيهما محمد بن الحنفية و وصاه بما وصاهما به ، وأن يعظمهما ولا يقطع أمراً دونهما وكتب ذلك كله فى كتاب وصيته رضى الله عنه وأرضاه .

وصورة الوصية : « بسم الله الرحمن الرحيم ! هذا ما أوصى به على بن أبى طالب أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له وأن محمداً عبـده و رسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، إن صـلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له و بذلك أمرت وأنا أول المسلمين ، أوصيك يا حسن وجميع ولدى ومن بلغه كتابى بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبـل الله جميعاً ولا تفرقوا فانى سمعت أبا القاسم (ص) يقول : « إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام » أنظروا إلى ذوى أرحامكم فصلوا ليهون الله عليكم الحساب الله الله فى الأيتام فلا تعفو أفواههم ولا يضيعن بحضرتكم ، والله الله فى جيرانكم فانهم وصية نبيكم ، مازال يوصى بهم حتى ظننا أنه سيورثهم ، والله الله فى القرآن فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم ، والله الله فى الصلاة فانها عمود دينكم ، والله الله فى بيت ربكم فلا يخلون منكم ما بقيتم فانه إن ترك لم تناظروا ، والله الله فى شهر رمضان فان صيامه جنة من النار ، والله الله فى الجهاد فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، والله الله فى الزكاة فانهـا تطفئ غضب الرب ، والله الله فى ذمـة نبيكم لا تظلمن بين ظهرانيكم ، والله الله فى أصحاب نبيكم فان رسول الله (ص) أوصى بهم ، والله الله فى الفقراء والمساكين فأشركوهم فى معاشكم ، والله الله فيما ملكت أيمانكم فان آخر ما تـكلم به رسول الله (ص) أن قال : « أوصيكم بالضعيفين نسائكم وما ملكت أيمانكم » الصـلاة الصلاة لا تخافن فى الله لومة لائم يكفكم من أرادكم و بغى عليكم ، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فيولى الأمر شراركم ثم تدعون فـلا يستجاب لكم ، وعليكم بالتواصـل والتباذل ، وإياكم

والتدابر والتقاطع والتفرق ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ، حفظكم الله من أهل بيت ، وحفظ عليكم نبيكم ، أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله . ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض فى شهر رمضان سنة أربعين .

وقد غسله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلى عليه الحسن فكبر عليه تسع تكبيرات . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ثنا شريك عن عمران بن ظبيان عن أبى يحيى قال : لما ضرب ابن ملجم عليا قال لهم « افعلوا به كما أراد رسول الله (ص) أن يفعل برجل أراد قتله فقال : اقتلوه ثم حرقوه » . وقد روى أن أم كلثوم قالت لابن ملجم وهو واقف : ويحك ! لم ضربت أمير المؤمنين ؟ قال : إنما ضربت أباك فقالت : إنه لابأس عليه ، فقال : لم تبكين ؟ والله لقد ضربته ضربة لو أصابت أهل المصر لماتوا أجمعين ، والله لقد سممت هذا السيف شهراً ولقد اشتريته بألف وسممته بألف .

قال الهيثم بن عدى : حدثنى رجل من بجيلة عن مشيخة قومه أن عبد الرحمن بن ملجم رأى امرأة من تيم الرباب يقال لها قطام كانت من أجمل النساء ترى رأى الخوارج ، قد قتل على قومها على هذا الرأى فلما أبصرها عشقها فخطبها فقالت : لا أتزوجك إلا على ثلاثة آلاف وعبد وقينة ، فتزوجها على ذلك فلما بنى بها قالت له : ياهذا قد فرعت فافرع فخرج ملبساً سلاحه وخرجت معه فضربت له قبة فى المسجد وخرج على يقول : الصلاة الصلاة ، فاتبعه عبد الرحمن فضربه بالسيف على قرن رأسه فقال الشاعر : ـ قال ابن جرير : هو ابن مياس المرادى .

فلم أرَ مهراً ساقهُ ذو سماحةٍ * كمهر قطام بيّناً غيرَ معجم
ثلاثةُ آلافٍ وعبدٌ وقينةٌ * وقتلُ علىٍ بالحسام المصممِ
فلا مهرَ أغلا من علىٍ وإن غلا * ولافتكَ إلادونَ فتكِ[1] ابن ملجمِ

وقد عزى ابن جرير هذه الأبيات إلى ابن شاس المرادى وأنشد له ابن جرير فى قتلهم عليا :

ونحنُ ضربنا مالكَ الخيرِ حيدراً * أبا حسنٍ مأمومةً فتفطرا
ونحن خلعنا ملكهُ من نظامهِ * بضربةِ سيفٍ إذ علا وتجبرا
ونحنَ كرامٌ فى الهياجِ أعزةٌ * إذا الموتُ بالموتِ ارتدى وتأزرا

وقد امتدح ابن ملجم بعض الخوارج المتأخرين فى زمن التابعين وهو عمران بن حطان وكان أحد العباد ممن يروى عن عائشة فى صحيح البخارى فقال فيه :

ياضربةً من تقيٍ ما أرادَ بها * إلا ليبلغَ من ذى العرشِ رضوانا

(١) كذا فى الأصل وفى نسخة : ولا قتل إلا دون قتل . فلعلها رواية .

إنى لأذكره يوماً فأحسبه * أوفى البرية عند الله ميزانا

وأما صاحب معاوية ـ وهو البرك ـ فانه حمل عليه وهو خارج إلى صلاة الفجر فى هذا اليوم فضربه بالسيف ، وقيل بخنجر مسموم فجاءت الضربة فى وركه فجرحت إليته ومسك الخارجى فقتل ، وقد قال لمعاوية : اتركنى فانى أبشرك ببشارة ، فقال : وما هى ؟ فقال : إن أخى قد قتل فى هذا اليوم على بن أبى طالب ، قال : فلعله لم يقدر عليه ، قال : بلى إنه ، لاحرس معه ، فأمر به فقتل ، وجاء الطبيب فقال لمعاوية : إن جرحك مسموم فاما أن أكويك وإما أن أسقيك شربة فيذهب السم ولكن ينقطع نسلك فقال معاوية : أما النار فلا طاقة لى بها ، وأما النسل ففى يزيد وعبد الله ما تقر به عينى . فسقاه شربة فبرأ من ألمه وجراحه واستقل وسلم رضى الله عنه . ومن حينئذ عملت المقصورة فى المسجد الجامع وجعل الحرس حولها فى حال السجود ، فكان أول من اتخذها معاوية لهذه الحادثة .

وأما صاحب عمرو بن العاص ـ وهو عمرو بن بكر ـ فانه كمن له ليخرج إلى الصلاة فاتفق أن عرض لعمرو بن العاص مغص شديد فى ذلك اليوم فلم يخرج إلا نائبه إلى الصلاة ـ وهو خارجة بن أبى حبيبة من بنى عامر بن لؤى وكان على شرطة عمرو بن العاص فحمل عليه الخارجى فقتله وهو يعتقده عمرو بن العاص ، فلما أخذ الخارجى قال : أردت عمرا وأراد الله خارجة ، فأرسلها مثلا ، وقتل قبحه الله ، وقد قيل إن الذى قالها عمرو بن العاص ، وذلك حين جئ بالخارجى فقال : ما هذا ؟ قالوا قتل نائبك خارجة ، ثم أمر به فضربت عنقه .

والمقصود أن عليا رضى الله عنه لما مات صلى عليه ابنه الحسن فكبر عليه تسع تكبيرات ودفن بدار الامارة بالكوفة خوفاً عليه من الخوارج أن ينبشوا عن جثته ، هذا هو المشهور ومن قال إنه حمل على راحلته فذهبت به فلا يدرى أين ذهب فقد أخطأ وتكلف مالا علم له به ولا يسيغه عقل ولا شرع ، وما يعتقده كثير من جهلة الروافض من أن قبره بمشهد النجف فلا دليل على ذلك ولا أصل له ، ويقال إنما ذاك قبر المغيرة بن شعبة ، حكاه الخطيب البغدادى عن أبى نعيم الحافظ عن أبى بكر الطلحى عن محمد بن عبد الله الحضرمى الحافظ عن مطر أنه قال : لو علمت الشيعة قبر هذا الذى يعظمونه بالنجف لرجموه بالحجارة ، هذا قبر المغيرة بن شعبة . قال الواقدى : حدثنى أبو بكر ابن عبد الله بن أبى سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة قال : سألت أبا جعفر محمد بن على الباقر كم كان سن على يوم قتل ؟ قال : ثلاثا وستين سنة . قلت : أين دفن ؟ قال : دفن بالكوفة ليلا وقد غبي عن دفنه ، وفى رواية عن جعفر الصادق أنه كان عمره ثمانية وخمسين سنة ، وقد قيل إن عليا دفن قبلى المسجد الجامع من الكوفة . قاله الواقدى ، والمشهور بدار الامارة . وقد حكى الخطيب البغدادى عن أبى نعيم الفضل بن دكين أن الحسن والحسين حولاه فنقلاه إلى المدينة فدفناه بالبقيع

عند قبر فاطمة ، وقيل إنهم لما حملوه على البعير ضل منهم فأخذته طيء يظنونه مالا فلما رأوا أن الذى فى الصندوق ميت ولم يعرفوه دفنوا الصندوق بما فيه فلا يعلم أحد أين قبره ، حكاه الخطيب أيضاً .
وروى الحافظ ابن عساكر عن الحسن قال : دفنت عليا فى حجرة من دور آل جعدة . وعن عبد الملك بن عمير قال : لما حفر خالد بن عبدالله أساس دار ابنه يزيد استخرجوا شيخاً مدفونا أبيض الرأس واللحية كأنما دفن بالأمس فهم باحراقه ثم صرفه الله عن ذلك فاستدعى بقباطى فلفه فيها وطيبه وتركه مكانه . قالوا وذلك المكان بحذاء باب الوراقين مما يلى قبلة المسجد فى بيت اسكاف وما يكاد يقر فى ذلك الموضع أحد إلا انتقل منه . وعن جعفر بن محمد الصادق قال : صلى على على ليلا ودفن بالكوفة وعمى موضع قبره ولكنه عند قصر الامارة . وقال ابن الكلبى : شهد دفنه فى الليل الحسن والحسين وابن الحنفية وعبد الله بن جعفر وغيرهم من أهل بيتهم فدفنوه فى ظاهر الكوفة وعموا قبره خيفة عليه من الخوارج وغيرهم ، وحاصل الأمر أن علياً قتل يوم الجمعة سحراً وذلك لسبع عشرة خلت من رمضان من سنة أربعين وقيل إنه قتل فى ربيع الأول والأول هو الأصح الأشهر والله أعلم . ودفن بالكوفة عن ثلاث وستين سنة وصححه الواقدى وابن جرير وغير واحد ، وقيل عن خمس وستين وقيل عن ثمان وستين سنة رضى الله عنه . وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر . فلما مات على رضى الله عنه استدعى الحسن بابن ملجم فقال له ابن ملجم : إنى أعرض عليك خصلة قال : وما هى ؟ قال : إنى كنت عاهدت الله عند الحطيم أن أقتل عليا ومعاوية أو أموت دونهما ، فان خليتنى ذهبت إلى معاوية على أنى إن لم أقتله أو قتلته و بقيت فلله علىّ أن أرجع إليك حتى أضع يدى فى يدك . فقال له الحسن : كلا والله حتى تعاين النار ، ثم قدمه فقتله ثم أخذه الناس فأدرجوه فى بوارى ثم أحرقوه بالنار ، وقد قيل إن عبد الله بن جعفر قطع يديه ورجليه وكحلت عيناه وهو مع ذلك يقرأ سورة اقرأ باسم ربك الذى خلق إلى آخرها ثم جاءوا ليقطعوا لسانه فجزع وقال : إنى أخشى أن تمر على ساعة لا أذكر الله فيها ثم قطعوا لسانه ثم قتلوه ثم حرقوه فى قوصرة والله أعلم .
وروى ابن جرير قال : حدثنى الحارث ثنا ابن سعد عن محمد بن عمر قال : ضرب على يوم الجمعة فمكث يوم الجمعة ، وليلة السبت وتوفى ليلة الاحد لاحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة . قال الواقدى : وهو المثبت عندنا والله أعلم بالصواب .

ذكر زوجاته وبنيه وبناته

قال الامام أحمد : حدثنا حجاج ثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن هانىء بن هانىء عن على قال: « لما ولد الحسن جاء رسول الله (ص) فقال : أرونى ابنى ، ما سميتموه ؟ فقلت : سميته حربا ، فقال : بل هو حسن ، فلما ولد الحسين قال : أرونى ابنى ، ما سميتموه ؟ فقلت : سميته حربا قال : بل هو

حسين ، فلما ولد الثالث جاء النبي (ص) فقال أروني ابني ما سميتموه ؟ فقلت : حربا فقال : بل هو محسن ، ثم قال : إني سميتهم باسم ولد هارون شبر وشبير ومشبر » وقد رواه محمد بن سعد عن يحيي ابن عيسى التيمي عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال قال علي : كنت رجلا أحب الحرب فلما ولد الحسن هممت أن أسميه حربا ، فذكر الحديث بنحو ما تقدم لكن لم يذكر الثالث . وقد ورد في بعض الأحاديث أن عليا سمى الحسن أولا بحمزة وحسينا بجعفر فغير اسميهما رسول الله (ص) .

فأول زوجة تزوجها علي رضي الله عنه فاطمة بنت رسول الله (ص) بنى بها بعد وقعة بدر فولدت له الحسن وحسينا و يقال ومحسنا ومات وهو صغير ، و ولدت له زينب الكبرى وأم كلثوم وهذه تزوج بها عمر بن الخطاب كما تقدم . ولم يتزوج علي على فاطمة حتى توفيت بعد رسول الله (ص) بستة أشهر ، فلما ماتت تزوج بعدها بزوجات كثيرة ، منهن من توفيت في حياته ومنهن من طلقها ، وتوفي عن أربع كما سيأتي ، فمن زوجاته أم البنين بنت حرام وهو المحل بن خالد بن ربيعة بن كعب بن عامر ابن كلاب فولدت له العباس وجعفراً وعبد الله وعثمان . وقد قتل هؤلاء مع أخيهم الحسين بكربلاء ولا عقب لهم سوى العباس . ومنهن ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك من بني تميم فولدت له عبيد الله وأبا بكر ، قال هشام بن الكلبي : وقد قتلا بكربلاء أيضاً . وزعم الواقدي أن عبيد الله قتله المختار بن أبي عبيد يوم الدار . ومنهن أسماء بنت عميس الخثعمية فولدت له يحيي ومحمداً الأصغر قاله الكلبي . وقال الواقدي : ولدت له يحيي وعونا قال الواقدي : فأما محمد الأصغر فمن أم ولد . ومنهن أم حبيبة بنت زمعة بن بحر بن العبد بن علقمة وهي أم ولد من السبي الذين سباهم خالد من بني تغلب حين أغار على عين التمر فولدت له عمر ـ وقد عمر خمساً وثلاثين سنة ـ ورقية . ومنهن أم سعيد بنت عروة بن مسعود بن مغيث بن مالك الثقفي فولدت له أم الحسن و رملة الكبرى . ومنهن ابنة امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن كلب الكلبية فولدت له جارية فكانت تخرج مع علي إلى المسجد وهي صغيرة فيقال لها : من أخوالك ؟ فتقول : وه وه تعني بني كلب . ومنهن أ... بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وأمها زينب بنت رسول الله (ص) ، وهي التي كان رسول (ص) يحملها وهو في الصلاة إذا قام حملها و إذا سجد وضعها ، فولدت له محمداً الأوسط ، وأما ابنه محمد الأكبر فهو ابن الحنفية وهي خولة بنت جعفر بن قيس ابن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي ابن بكر بن وائل سباها خالد أيام الصديق أيام الردة من بني حنيفة فصارت لعلي بن أبي طالب فولدت له محمداً هذا ، ومن الشيعة من يدعي فيه الامامة والعصمة ، وقد كان من سادات المسلمين ولكن ليس بمعصوم ولا أبوه معصوم بل ولا من هو أفضل من أبيه من الخلفاء الراشدين قبله ليسوا

بواجبي العصمة كما هو مقرر فى موضعه والله أعلم . وقد كان لعلى أولاد كثيرة آخرون من أمهات أولاد شتى فانه مات عن أربع نسوة وتسع عشرة سرية رضى الله عنه فمن أولاده رضى الله عنهم ممن لا يعرف أسماء أمهاتهم أم هانئ وميمونة وزينب الصغرى ورملة الكبرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وأمامة وخديجة وأم الكرام وأم جعفر وأم سلمة وجمانة . قال ابن جرير : فجميع ولد على أربعة عشر ذكرا وسبع عشرة أنثى . قال الواقدى : وإنما كان النسل من خمسة وهم الحسن والحسين ومحمد [ابن الحنفية والعباس بن] (١) الكلابية وعمر بن التغلبية رضى الله عنهم أجمعين . وقد قال ابن جرير : حدثنى ابن سنان القزاز ثنا أبو عاصم ثنا مسكين بن عبد العزيز أنا حفص بن خالد حدثنى أبى خالد بن جابر قال : « سمعت الحسن لما قتل على قام خطيباً فقال : لقد قتلتم الليلة رجلا فى ليلة نزل فيها القرآن ، ورفع فيها عيسى بن مريم ، وفيها قتل يوشع بن نون فتى موسى والله ما سبقه أحد كان قبله ولايدركه أحد يكون بعده ، والله أن كان رسول الله (ص.) ليبعثه فى السرية جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، والله ماترك صفراء ولا بيضاء إلا ثمانمائة أو تسعمائة أرصدها لحادثة » وهذا غريب جداً وفيه نكارة والله أعلم . وهكذا رواه أبو يعلى عن إبراهيم بن الحجاج عن مسكين به . وقال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن شريك عن أبى إسحاق عن هبيرة قال : خطبنا الحسن بن على قال : « لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون بعلم ولايدركه الآخرون ، كان رسول الله (ص.) يبعثه بالراية جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله لاينصرف حتى يفتح له . ورواه زيد العمى وشعيب ابن خالد عن ابى إسحاق به وقال « ما ترك إلا سبعمائة كان أرصدها يشترى بها خادماً » : وقال الامام أحمد : حدثنا حجاج ثنا شريك عن عاصم بن كريب عن محمد بن كعب القرظى أن عليا قال : « لقد رأيتنى مع رسول الله وإنى لأربط الحجر على بطنى من الجوع ، وإن صدقتى اليوم لتبلغ أربعين ألفاً » ورواه عن أسود عن شريك به وقال « إن صدقتى لتبلغ أربعين الف دينار » .

شيء من فضائل امير المؤمنين علي بن ابي طالب

من ذلك أنه أقرب العشرة المشهود لهم بالجنة نسباً من رسول الله (ص.) فأنه على بن أبى طالب ابن عبد المطلب واسمه شيبة بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصى واسمه زيد ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، أبو الحسن القرشى الهاشمى فهو ابن عم رسول الله (ص.) وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . قال الزبير بن بكار : وهى أول هاشمية ولدت هاشميا . وقد أسلمت وهاجرت ، وأبوه هو العم الشقيق الرفيق أبو طالب واسمه عبد مناف كذا

(١) ما بين المربعين تصحيح من ابن الأثير وبياض فى الأصل .

نص على ذلك الامام احمد بن حنبل هو وغير واحد من علماء النسب وأيام الناس . وزعمت الروافض أن اسم أبى طالب عمران وانه المراد من قوله تعالى [إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين] وقد أخطأوا فى ذلك خطأ كثيرا ولم يتأملوا القرآن قبل أن يقولوا هذا البهتان من القول فى تفسيرهم له على غير مراد الله تعالى ، فانه قد ذكر بعد هذه قوله تعالى [إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك مافى بطنى محرراً] فذكر ميلاد مريم بنت عمران عليها السلام وهذا ظاهر ولله الحمد . وقد كان أبو طالب كثير المحبة الطبيعية لرسول الله (ص) ولم يؤمن به إلى أن مات على دينه كما ثبت ذلك فى صحيح البخارى من رواية سعيد بن المسيب عن أبيه فى عرضه عليه السلام على عمه أبى طالب وهو فى السياق أن يقول لا إله إلا الله فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال كان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله فخرج رسول الله وهو يقول « أما لأستغفرن لك مالم أنه عنك » فنزل فى ذلك قوله تعالى [إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين] ثم نزل بالمدينة قوله تعالى [ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم] وقد قررنا ذلك فى أوائل المبعث ونبهنا على خطأ الرافضة فى دعواهم أنه أسلم وافترائهم ذلك بلا دليل على مخالفة النصوص الصريحة . وأما على رضى الله عنه فانه أسلم قديماً وهو دون البلوغ على المشهور ، ويقال إنه أول من أسلم من الغلمان ، كما أن خديجة أول من أسلم من النساء ، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار ، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالى . وقد روى الترمذى وأبو يعلى عن إسماعيل بن السدى عن على بن عياش عن مسلم الملائى عن حبة بن جوين عن على ـ وحبة لا يساوى حبة ـ عن أنس بن مالك قال : « بعث رسول الله يوم الأثنين وصلى على يوم الثلاثاء » ورواه بعضهم عن مسلم الملائى عن حبة ابن جوين عن على ـ وحبة لا يساوى حبة ـ وقد روى سلمة بن كهيل عن حبة عن على قال : عبدت الله مع رسول الله سبع سنين قبل أن يعبده أحد » وهذا لا يصح أبداً وهو كذب وروى سفيان الثورى وشعبة عن سلمة عن حبة عن على قال : « أنا أول من أسلم » وهذا لا يصح أيضاً وحبة ضعيف وقال سويد بن سعيد ثنا نوح بن قيس بن سليمان بن عبد الله عن معاذة العدوية قالت سمعت على بن أبى طالب على منبر البصرة يقول : « أنا الصديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر ، وأسلمت قبل أن يسلم » وهذا لا يصح قاله البخارى ، وقد ثبت عنه بالتواتر أنه قال على منبر الكوفة : « أيها الناس ! إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، ولو شئت أن أسمى الثالث لسميت »

وقد تقدم ذلك فى فضائل الشيخين رضى الله عنهما وارضاهما . قال الامام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ثنا أبو عوانة عن أبى بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال : « أول من صلى - وفى رواية أسلم - مع رسول الله بعد خديجة على بن أبى طالب » ورواه الترمذى من حديث شعبة عن أبى بلج به وقد روى عن زيد بن أرقم وأبى أيوب الأنصارى أنه صلى قبل الناس بسبع سنين وهذا لا يصح من أى وجه كان روى عنه . وقد ورد فى أنه أول من أسلم من هذه الأمة أحاديث كثيرة لايصح منها شئ ، وأجود مافى ذلك ما ذكرنا . على أنه قد خولف فيه وقد اعتنى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر فى تاريخه بتطريق هذه الروايات ، فمن أراد كشف ذلك فعليه بكتابه التاريخ والله الموفق للصواب . وقد روى الترمذى والنسائى عن عمرو بن مرة عن طلحة بن زيد عن زيد ابن أرقم قال : « أول من أسلم على » قال الترمذى : حسن صحيح وصحب على رسول الله (ص) مدة مقامه بمكة ، وكان عنده فى المنزل وفى كفالته فى حياة أبيه لفقر حصل لأبيه فى بعض السنين مع كثرة العيال ، ثم استمر فى نفقة رسول الله (ص) بعد ذلك إلى زمن الهجرة ، وقد خلفه رسول الله (ص) ليؤدى ما كان عنده عليه السلام من ودائع الناس ، فانه كان يعرف فى قومه بالأمين ، فكانوا يودعونه الأموال والأشياء النفيسة ثم هاجر على بعد رسول الله (ص) وصحب رسول الله (ص) إلى أن توفى وهو راض عنه وحضر معه مشاهده كلها وجرت له مواقف شريفة بين يديه فى مواطن الحرب كما بينا ذلك فى السيرة بما أغنى عن إعادته هاهنا ، كيوم بدر وأحد والأحزاب وخيبر وغيرها ، ولما استخلفه عام تبوك على أهله بالمدينة قال : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لانبى بعدى » وقد ذكرنا تزويجه فاطمة بنت رسول الله ودخوله بها بعد وقعة بدر بما أغنى عن إعادته . ولما رجع عليه السلام من حجة الوداع فكان بين مكة والمدينة بمكان يقال له غدير خم خطب الناس هنالك فى اليوم الثانى عشر من ذى الحجة فقال فى خطبته : « من كنت مولاه فعلى مولاه » وفى بعض الروايات : « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله » والمحفوظ الأول ، وإنما كان سبب هذه الخطبة والتنبيه على فضله ماذكره ابن إسحاق من أن عليا لما بعثه رسول الله (ص) إلى اليمن أميراً هو وخالد بن الوليد ورجع على فوافى رسول الله (ص) بمكة فى حجة الوداع وقد كثرت فيه المقالة وتكلم فيه بعض من كان معه بسبب استرجاعه منهم خلعاً كان خلعها نائبه عليهم لما تعجل السير إلى رسول الله (ص) ، فلما تفرغ رسول الله من حجة الوداع أحب أن يبرئ ساحة على مما نسب إليه من القول الذى لا أصل له ، وقد اتخذت الروافض هذا اليوم عيداً ، فكانت تضرب فيه الطبول ببغداد فى أيام بنى بويه فى حدود الأربعمائة كما سننبه عليه إذا انتهينا إليه إن شاء الله . ثم بعد ذلك بنحو من عشرين يوماً تعلق المسوح على أبواب

الدكاكين وينثر التبن والرماد ، وتدور الذرارى والنساء فى سكك البلد تنوح على الحسين بن على يوم عاشوراء صبيحة قراءتهم المصرع المكذوب فى قتله ، وسنبين الحق فى صفة قتله كيف وقع الأمر على الجلية إن شاء الله تعالى . وقد كان بعض بنى أمية يعيب علياً بتسميته أبا تراب وهذا الاسم إنما سماه به رسول الله (ص.) كما ثبت فى الصحيحين عن سهل بن سعد أن عليا غاضب فاطمة فراح إلى المسجد فجاءه رسول الله فوجده نائماً وقد لصق التراب بجلده فجعل ينفض عنه التراب ويقول : « إجلس أبا تراب » .

حديث المؤاخاة

قال الحاكم حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الجنيد ثنا الحسين بن جعفر القرشى ثنا العلاء بن عمرو الحنفى ثنا أيوب بن مدرك عن مكحول عن أبى أمامة قال : « لما آخى رسول الله (ص.) بين الناس آخى بينه وبين على » ثم قال الحاكم لم نكتبه من حديث مكحول إلا من هذا الوجه وكان المشايخ يعجبهم هذا الحديث لكونه من رواية أهل الشام . قلت : وفى صحة هذا الحديث نظر ، وورد من طريق أنس وعمر أن رسول الله (ص.) قال : « أنت أخى فى الدنيا والآخرة » وكذلك من طريق زيد بن أبى أوفى وابن عباس ومحدوج بن زيد الذهلى وجابر بن عبد الله وعامر بن ربيعة وأبى ذر وعلى نفسه نحو ذلك وأسانيدها كلها ضعيفة لا يقوم بشئ منها حجة والله أعلم . وقد جاء من غير وجه أنه قال : « أنا عبد الله وأخو رسوله لا يقولها بعدى إلا كذاب » وقال الترمذى : ثنا يوسف بن موسى القطان البغدادى ثنا على بن قادم ثنا على بن صالح بن حى عن حكيم بن جبير عن جميع بن عمير التيمى عن ابن عمر قال : « آخى رسول الله (ص.) بين أصحابه فجاء على تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخ بينى وبين أحد ، فقال رسول الله (ص.) أنت أخى فى الدنيا والآخرة » ثم قال : هذا حديث حسن غريب وفيه عن زيد بن أبى أوفى ، وقد شهد بدرا . وقد قال رسول الله لعمر : « وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ؟ وبارز يومئذ كما تقدم وكانت له اليد البيضاء ودفع إليه رسول الله (ص.) الراية يومئذ وهو ابن عشرين سنة قاله الحكم عن مقسم عن ابن عباس . قال : وكانت تكون معه راية المهاجرين فى المواقف كلها ، وكذلك قال سعيد بن المسيب وقتادة . وقال خيثمة بن سليمان الاطرابلسى الحافظ : حدثنا أحمد بن حازم عن ابن أبى غرزة ثنا إسماعيل بن أبان ثنا ناصح بن عبد الله المحلمى عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال قالوا يا رسول الله من يحمل رايتك يوم القيامة؟ قال : « ومن عسى أن يحملها يوم القيامة إلا من كان يحملها فى الدنيا على بن أبى طالب » ؟ وهذا إسناد ضعيف . ورواه ابن عساكر عن أنس بن مالك ولا يصح أيضاً . وقال الحسن بن عرفة : حدثنى عمار بن محمد عن سعيد بن محمد الحنظلى عن أبى جعفر محمد بن على قال نادى مناد فى السماء يوم بدر :

« لاسيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على » قال الحافظ ابن عساكر وهذا مرسل و إنما تنفل رسول الله (ص.) سيفه ذا الفقار يوم بدر ثم وهبه لعلى بعد ذلك . وقال الزبير بن بكار : حدثنى على بن المغيرة عن معمر بن المثنى قال : كان لواء المشركين يوم بدر مع طلحة بن أبى طلحة فقتله على بن أبى طالب ففى ذلك يقول الحجاج بن علاط السلمى .

لله أى مذنب عن حربه * أعنى ابن فاطمة المعم المخولا
جادت يداك له بعاجل طعنة * تركت طليحة للجبين مجندلا
وشددت شدة باسل فكشفتهم * بالحق إذ يهوون أخول أخولا
وعللت سيفك بالدماء ولم تكن * لترده حران حتى ينهلا

وشهد بيعة الرضوان وقد قال الله تعالى [لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة] وقال رسول الله (ص.) « لن يدخل أحد بايع تحت الشجرة النار» . وقد ثبت فى الصحاح وغيرها أن رسول الله (ص.) قال يوم خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله ، ليس بفرار يفتح الله على يديه » فبات الناس يدوكون أيهم يعطاها حتى قال عمر : ما أحببت الامارة إلا يومئذ . فلما أصبح أعطاها عليا ففتح الله على يديه ، و رواه جماعة منهم مالك والحسن و يعقوب ابن عبد الرحمن وجرير بن عبد الحميد وحماد بن سلمة وعبد العزيز بن المختار وخالد بن عبد الله ابن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة أخرجه مسلم . ورواه ابن أبى حازم عن سهل بن سعد أخرجاه فى الصحيحين وقال فى حديثه : « فدعا به رسول الله وهو أرمد فبصق فى عينيه فبرأ » ورواه إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه و يزيد بن أبى عبيد عن مولاه سلمة أيضاً ، وحديثه عنه فى الصحيحين . وقال محمد بن إسحاق : حدثنى بريدة عن سفيان عن أبى فروة الأسلمى عن أبيه عن سلمة بن عمرو ابن الأكوع قال : بعث رسول الله (ص.) إلى أبى بكر الصديق برايته إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد ، ثم بعث عمر بن الخطاب فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد فقال رسول الله (ص.) لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار ، قال سلمة : فدعا رسول الله علياً وهو أرمد فتفل فى عينيه ثم قال : خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك ، قال سلمة فخرج والله بها يهرول هرولة و إنا لخلفه نتبع أثره حتى ركز رايته فى رجم من حجارة تحت الحصن فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : على بن أبى طالب ، قال اليهودى : غلبتم ومن أنزل التوراة على موسى قال : فما رجع حتى فتح الله على يديه » وقد رواه عكرمة بن عمار عن عطاء مولى السائب عن سلمة بن الأكوع وفيه أنه هو الذى جاء به يقوده وهو أرمد حتى بصق رسول الله فى عينه فبرأ .

رواية بريدة بن الحصيب . وقال الامام أحمد : حدثنا زيد [بن الحباب] ثنا الحسين بن واقد حدثنى عبد الله بن بريدة حدثنى بريدة بن الحصيب قال : حاصرنا خيبر فأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له ، ثم أخذه من الغد عمر فخرج فرجع ولم يفتح له ، وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد فقال رسول الله : إنى دافع اللواء غداً إلى رجل يحبه الله و رسوله ويحب الله و رسوله لا يرجع حتى يفتح له ـ و بتنا طيبة أنفسنا أن الفتح غداً ـ قال : فلما أصبح رسول الله (ص.) صلى الغداة ، ثم قام قائماً فدعا باللواء والناس على مصافهم فدعا عليا وهو أرمد فتفل فى عينيه ودفع إليه اللواء ففتح له ، قال بريدة : وأنا فيمن تطاول لها ، و رواه النسائى من حديث الحسين بن واقد به أطول منه ثم رواه أحمد عن محمد بن جعفر و روح كلاهما عن عوف عن ميمون أبى عبد الله الكردى عن عبد الله ابن بريدة عن أبيه به نحوه ، وأخرجه النسائى عن بندار وغندر به وفيه الشعر .

رواية عبد الله بن عمر و رواه هشيم عن العوام بن حوشب عن حبيب بن أبى ثابت عن عن ابن عمر فذكر سياق حديث بريدة و رواه كثير النواء عن جميع بن عمير عن ابن عمر نحوه وفيه « قال على : فما رمدت بعد يومئذ » و رواه أحمد عن وكيع عن هشام بن سعيد عن عمر بن أسيد عن ابن عمر كما سيأتى .

رواية ابن عباس وقال أبو يعلى : حدثنا يحيى بن عبد الحميد ثنا أبو عوانة عن أبى بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص.) : « لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله و رسوله ويحبه الله و رسوله ، فقال أين على ؟ قالوا : يطحن ، قال وما أحد منهم يرضى أن يطحن ، فأتى به فدفع إليه الراية فجاء بصفية بنت حيى بن أخطب » وهذا غريب من هذا الوجه وهو مختصر من حديث طويل ، و رواه الامام أحمد عن يحيى بن حماد عن أبى عوانة عن أبى بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس فذكره بتمامه فقال الامام أحمد عن يحيى بن حماد : ثنا أبو عوانة ثنا أبو بلج ثنا عمرو بن ميمون قال : إنى لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا : يا ابن عباس إما أن تقوم معنا و إما أن تخلونا هؤلاء ؟ فقال : بل أقوم معكم ـ وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى ـ قال : وابتدأوا فتحدثوا فلا ندرى ما قالوا قال فجاء ينفض ثوبه و يقول : أف وتف ، وقعوا فى رجل له عشر وقعوا فى رجل قال له النبى (ص.) : « لأبعثن رجلا لا يخزيه الله أبداً يحب الله ورسوله قال : فاستشرف لها من استشرف قال : أين على ؟ قالوا : هو فى الرحا يطحن ، قال : وما كان أحدكم ليطحن ، قال فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر فنفث فى عينيه ثم هز الراية ثلاثا فأعطاها إياه فجاء بصفية بنت حيى بن أخطب قال . ثم بعث فلانا بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها ثم قال : لا يذهب بها إلا رجل منى وأنا منه . قال وقال لبنى عمه : أيكم يوالينى فى الدنيا والآخرة ؟ فأبوا

قال : وعلى معه جالس فقال على : أنا أواليك فى الدنيا والآخرة قال فتركه ثم أقبل على رجال منهم فقال : أيكم يواليني فى الدنيا والآخرة فأبوا فقال على : أنا أواليك فى الدنيا والآخرة فقال : أنت ولبى فى الدنيا والآخرة » قال : وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة ، قال : وأخذ رسول الله ثوبه فوضعه على علىّ وفاطمة وحسن وحسين فقال : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » قال وشرى على نفسه لبس ثوب النبي (ص.) ثم نام مكانه ، قال وكان المشركون يرومون رسول الله (ص.) فجاء أبو بكر وعلى نائم وأبو بكر يحسب أنه نبي الله فقال : يا نبي الله ! فقال له على : إن نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمونة فأدركه ، قال : فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار قال : وجعل علىّ يرمى بالحجارة كما كان يرمى رسول الله (ص.) وهو يتضرر وقد لف رأسه فى الثوب لا يخرجه حتى أصبح ثم كشف عن رأسه فقالوا : إنك لئيم كان صاحبك نرميه فلا يتضرر وأنت تتضرر وقد استنكرنا ذلك ، قال : وخرج - يعنى رسول الله (ص.) فى غزوة تبوك - فقال له على : أخرج معك ؟ فقال له النبي (ص.) : لا ! فبكى على فقال : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي ؟ إنه لا ينبغى أن أذهب إلا وأنت خليفتى » قال وقال له رسول الله (ص.) : « أنت ولبى كل مؤمن » بعدى قال وسد أبواب المسجد غير باب على قال فيدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره ، قال وقال « من كنت مولاه فان عليا مولاه » قال : وأخبرنا الله فى القرآن أنه قد رضى عن أصحاب الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فهل حدثنا أنه سخط عليهم بعد . قال وقال نبي الله (ص.) لعمر حين قال ائذن لى أن أضرب عنق هذا المنافق - يعنى حاطب بن أبى بلتعة - قال : « وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وقد روى الترمذى بعضه من طريق شعبة عن أبى بلج يحيى ابن أبى سليم واستغربه ، وأخرج النسائى بعضه أيضاً عن محمد بن المثنى عن يحيى بن حماد به . وقال البخارى فى التاريخ : ثنا عمر بن عبد الوهاب الرماحى ثنا معمر بن سليمان عن أبيه عن منصور عن ربعى عن عمران بن حصين . قال قال رسول الله (ص.) : « لأدفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فبعث إلى على وهو أرمد فتفل فى عينيه واعطاه الراية فما رد وجهه وما اشتكاهما بعد » ورواه أبو القاسم البغوى عن إسحاق ابن إبراهيم عن أبى موسى الهروى عن على بن هاشم عن محمد بن على عن منصور عن ربعى عن عمران فذكره . وأخرجه النسائى عن عباس العنبرى عن عمر بن عبد الوهاب به .

رواية ابي سعيد في ذلك قال الامام أحمد : حدثنا مصعب بن المقدام وحجين بن المثنى قالا : ثنا إسرائيل ثنا عبد الله بن عصمة قال سمعت أبا سعيد الخدرى يقول : إن رسول الله (ص.) أخذ الراية فهزها ثم قال : « من يأخذها بحقها فجاء فلان فقال أنا فقال : امض ثم جاء رجل آخر فقال

أنا فقال امض ثم قال النبي (ص) والذى أكرم وجه محمد لأعطينها رجلا لا يفر ، فجاء علي فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بعجوتهما وقديدهما » . ورواه أبو يعلى عن حسين بن محمد عن إسرائيل وقال فى سياقه «فجاء الزبير فقال أنا فقال : امض ثم جاء آخر فقال : امض » وذكره تفرد به أحمد.

رواية علي بن ابي طالب في ذلك وقال الأمام أحمد حدثنا وكيع عن ابن أبي ليلى عن المنهال عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان أبي يسير مع علي وكان علي يلبس ثياب الصيف فى الشتاء وثياب الشتاء فى الصيف فقيل له لو سألته فسأله فقال : « إن رسول الله (ص) بعث إلى وأنا أرمد العين يوم خيبر فقلت يا رسول الله إنى أرمد العين فتفل فى عينى فقال اللهم أذهب عنه الحر والبرد فما وجدت حراً ولا برداً منذ يومئذ ، وقال لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، ليس بفرار فتشرف لها أصحاب النبي (ص) فأعطانيها » تفرد به أحمد وقد رواه غير واحد عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن علي به مطولا . وقال أبو يعلى : حدثنا زهير ثنا جرير عن مغيرة عن أم موسى قالت سمعت عليا يقول : « ما رمدت ولا صدعت منذ مسح رسول الله وجهى وتفل فى عينى يوم خيبر وأعطانى الراية »

رواية سعد بن ابي وقاص في ذلك . ثبت فى الصحيحين من حديث شعبة عن سعد بن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله (ص) قال لعلى : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لانبى بعدى » ؟ قال أحمد ومسلم والترمذى : حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا حاتم بن إسماعيل عن بكير بن مسمار عن عامر ابن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال له : أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال ما يمنعك أن تسب أبا تراب ؟ [فقال] أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله (ص) ؟ لأن تكون لى واحدة منهن أحب إلى من حمر النعم سمعت رسول الله (ص) يقول - وخلفه فى بعض مغازيه - فقال له علي يارسول الله أتخلفنى مع النساء والصبيان ؟ فقال رسول الله (ص) : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى » ؟ وسمعته يقول يوم خيبر : لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فتطاولت لها قال ادعوا لى عليا فأتى به أرمد فبصق فى عينيه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه » ولما نزلت هذه الآية [فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم] « دعا رسول الله (ص) عليا وفاطمة وحسناً وحسيناً ثم قال اللهم هؤلاء أهلى » : وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث سعيد بن المسيب عن سعد أن رسول الله (ص) قال لعلى : « أنت منى بمنزلة هارون من موسى » وقال الترمذى : ويستغرب من رواية سعيد عن سعد. وقال الامام أحمد : حدثنا أحمد الزبيرى ثنا عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت عن حمزة بن عبد الله عن أبيه - يعنى عبد الله بن عمر - عن سعد قال : لما خرج رسول الله إلى تبوك خلف عليا فقال :

أتخلفنى ؟ قال : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى » وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه . وقال الحسن بن عرفة العبدى : ثنا محمد بن حازم أبو معاوية الضرير عن موسى بن مسلم الشيبانى عن عبد الرحمن بن سابط عن سعد بن أبى وقاص قال : قدم معاوية فى بعض حجاته فأتاه سعد بن أبى وقاص فذكروا عليا فقال سعد : له ثلاث خصال لأن تكون لى واحدة منهن أحب إلى من الدنيا وما فيها . سمعت رسول الله (ص) يقول « من كنت مولاه فعلى مولاه ، وسمعته يقول : لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، وسمعته يقول : أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى » لم يخرجوه وإسناده حسن . وقال أبو زرعة الدمشقى : ثنا أحمد بن خالد الذهبى أبو سعيد ثنا محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى نجيح عن أبيه قال : « لما حج معاوية أخذ بيد سعد بن أبى وقاص فقال يا أبا إسحاق إنا قوم قد أجفانا هذا الغزو عن الحج حتى كدنا أن ننسى بعض سننه فطف نطف بطوافك ، قال : فلما فرغ أدخله دار الندوة فأجلسه معه على سريره ثم ذكر على بن أبى طالب فوقع فيه فقال : أدخلتنى دارك وأجلستنى على سريرك ثم وقعت فى على تشتمه ؟ والله لأن يكون فىَّ إحدى خلاله الثلاث أحب إلى من أن يكون لى ماطلعت عليه الشمس ، ولأن يكون لى ما قال له حين غزا تبوكا « ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى » ؟ أحب إلى مما طلعت عليه الشمس ، ولأن يكون لى ماقال له يوم خيبر : « لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار » أحب إلى مما طلعت عليه الشمس ولأن أكون صهره على ابنته ولى منها من الولد ماله احب إلى من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس ، لا أدخل عليك داراً بعد هذا اليوم ، ثم نفض رداءه ثم خرج . وقال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبى وقاص قال : خلف رسول الله (ص) على بن أبى طالب فقال : يا رسول الله تخلفنى فى النساء والصبيان ؟ قال : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى » ؟ إسناده على شرطهما ولم يخرجاه . وهكذا رواه أبو عوانة عن الاعمش عن الحكم بن مصعب عن ابيه ورواه ابو داود الطيالسي عن شعبة عن عاصم عن مصعب عن أبيه فالله أعلم . وقال أحمد : ثنا ابو سعيد مولى بنى هاشم ثنا سليمان بن بلال حدثنا الجعد بن عبد الرحمن الجعفى عن عائشة بنت سعد عن أبيها : أن عليا خرج مع رسول الله (ص) حتى جاء ثنية الوداع وعلى يبكى يقول : تخلفنى مع الخوالف ؟ فقال : « أو ما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة » ؟ وهذا إسناد صحيح أيضاً ولم يخرجوه . وقد رواه غير واحد عن عائشة بنت سعد عن أبيها ، قال الحافظ ابن عساكر : وقد روى هذا الحديث عن رسول الله (ص) جماعة من الصحابة منهم عمر وعلى وابن عباس وعبد الله

ابن جعفر ومعاوية وجابر بن عبد الله وجابر بن سمرة وأبو سعيد والبراء بن عازب زيد بن أرقم وزيد بن أبي أوفى ونبيط بن شريط وحبشي بن جنادة ومالك بن الحويرث وأنس بن مالك وأبو الفضل ، وأم سلمة وأسماء بنت عميس ، وفاطمة بنت حمزة . وقد تقصى الحافظ ابن عساكر هذه الأحاديث فى ترجمة على فى تاريخه فأجاد وأفاد وبرز على النظراء والأشباه والانداد . رحمه رب العباد يوم التناد . **رواية عمر رضي الله عنه في ذلك** قال أبو يعلى : حدثنا عبد الله بن عمر ثنا عبدالله بن جعفر أخبرنى سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبى هريرة قال قال عمر : لقد أعطى على بن أبى طالب ثلاث خصال لأن تكون لى خصلة منها أحب إلى من حمر النعم قيل وما هن يا أمير المؤمنين ؟ قال : تزويجه فاطمة بنت رسول الله (ص) ، وسكناه المسجد مع رسول الله (ص) يحل له فيه ما يحل له ، والراية يوم خيبر . وقد روى عن عمر من غير وجه **رواية ابن عمر رضي الله عنهما** وقد رواه الامام أحمد عن وكيع عن هشام بن سعد عن عمر بن أسيد عن ابن عمر قال : « كنا نقول فى زمان رسول الله (ص) خير الناس أبو بكر ثم عمر ولقد أوتى ابن أبى طالب ثلاثا لأن أكون أعطيتهن أحب إلى من حمر النعم » . فذكر هذه الثلاث . وقد روى أحمد والترمذى من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر أن رسول الله (ص) قال لعلى : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى » ؟ ورواه أحمد من حديث عطية عن أبى سعيد عن النبى (ص) قال : « أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى » . ورواه الطبرانى من طريق عبد العزيز بن حكيم عن ابن عمر مرفوعاً ورواه سلمة بن كهيل عن عامر بن سعد عن أبيه عن أم سلمة أن رسول الله قال لعلى : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبى بعدى » قال سلمة وسمعت مولى لبنى موهب يقول : سمعت ابن عباس يقول قال النبى (ص) مثله . **تزويجه فاطمة الزهراء رضي الله عنها.** قال سفيان الثورى عن ابن أبى نجيح عن أبيه سمع رجل علياً على منبر الكوفة يقول : « أردت أن أخطب إلى رسول الله ابنته ثم ذكرت أن لا شئ لى ثم ذكرت عائدته وصلته فخطبتها ، فقال : هل عندك شئ ؟ قلت : لا ! قال فأين درعك الحطمية التى أعطيتك يوم كذا وكذا ؟ قلت : عندى ، قال : فأعطها فأعطيتها فزوجنى فلما كان ليلة دخلت عليها قال لا تحدثا شيئا حتى آتيكما ، قال : فاتانا وعلينا قطيفة أو كساء فتحثثنا فقال مكانكما ، ثم دعا بقدح من ماء فدعا فيه ثم رشه على وعليها ، فقلت : يا رسول الله أنا أحب إليك أم هى ؟ قال : هى أحب إلى وأنت أعز على منها» . وقد روى النسائى من طريق عبد الكريم بن سليط عن ابن بريدة عن أبيه فذكره بأبسط من هذا السياق ، وفيه انه أولم عليها بكبش من عند سعد وآصع من الذرة من عند جماعة من الأنصار ، وأنه دعا لهما بعد ما صب عليهما الماء ، فقال : « اللهم بارك لهما فى شملهما » — يعنى

الجماع ـ وقال محمد بن كثير عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : لما خطب علي فاطمة دخل عليها رسول الله فقال لها : « أى بنية ! إن ابن عمك عليا قد خطبك فماذا تقولين ؟ فبكت ثم قالت : كأنك يا أبت إنما دخرتنى لفقير قريش ؟ فقال : والذى بعثنى بالحق ماتكلمت فيه حتى أذن الله لى فيه من السموات ، فقالت فاطمة : رضيت بما رضى الله ورسوله. فخرج من عندها واجتمع المسلمون إليه ثم قال : ياعلى اخطب لنفسك فقال على الحمد لله الذى لايموت وهذا محمد رسول الله زوجنى ابنته على صداق مبلغه أربعمائة درهم فاسمعوا ما يقول واشهدوا ، قالوا : ما تقول يا رسول الله ؟ قال : أشهدكم إنى قد زوجته » . رواه ابن عساكر وهو منكر وقد ورد فى هذا الفصل أحاديث كثيرة منكرة وموضوعة ضربنا عنها لئلا يطول الكتاب بها . وقد أورد منها طرفاً جيداً الحافظ ابن عساكر فى تاريخه . وقال وكيع عن أبى خالد عن الشعبى قال قال على : « ما كان لنا إلا إهاب كبش ننام على ناحيته وتعجن فاطمة على ناحيته » وفى رواية مجالد عن الشعبى « ونعلف عليه الناضح بالنهار وما لى خادم عليها غيرها » • **حديث اخر** قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا عوف عن ميمون ابى عبد الله عن زيد بن أرقم قال : كان لنفر من أصحاب رسول الله (ص) أبواب شارعة فى المسجد قال فقال يوماً : « سدوا هذه الأبواب إلا باب على » قال فتكلم فى ذلك اناس فقام رسول الله (ص) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فانى أمرت بسد هذه الأبواب غير باب على فقال فيه قائلكم و إنى والله ما سددت شيئا ولا فتحته ، ولكن أمرت بشئ فاتبعته » . وقد رواه أبو الأشهب عن عوف عن ميمون عن البراء بن عازب فذكره . وقد تقدم ما رواه أحمد والنسائى من حديث أبى عوانة عن أبى بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس الحديث الطويل وفيه سد الابواب غير باب على . وكذا رواه شعبة عن أبى بلج . ورواه سعد بن أبى وقاص قال أبو يعلى ثنا موسى بن محمد بن حسان ثنا محمد بن إسماعيل بن جعفر الطحان ثنا غسان بن بسر الكاهلى عن مسلم عن خيثمة عن سعد « أن رسول الله (ص) سد أبواب المسجد وفتح باب على فقال الناس فى ذلك فقال : ما أنا فتحته ولكن الله فتحه » وهذا لا ينافى ماثبت فى صحيح البخارى من أمره عليه السلام فى مرض الموت بسد الأبواب الشارعة إلى المسجد إلا باب أبى بكر الصديق لأن نفى هذا فى حق على كان فى حال حياته لاحتياج فاطمة إلى المرور من بيتها إلى بيت أبيها ، فجعل هذا رفقا بها ، وأما بعد وفاته فزالت هذه العلة فاحتيج إلى فتح باب الصديق لأجل خروجه إلى المسجد ليصلى بالناس إذ كان الخليفة عليهم بعد موته عليه السلام وفيه إشارة إلى خلافته . وقال الترمذى : ثنا على بن المنذر ثنا ابن فضيل عن سالم بن أبى حفصة عن عطية عن أبى سعيد . قال قال رسول الله (ص) لعلى : « ياعلى لا يحل لأحد يجنب فى المسجد غيرى وغيرك » قال على بن

المنذر : قلت لضرار بن صرد : ما معنى هـذا الحديث ؟ قال : لا يحل لأحد يستطرقه جنباً غيرى وغيرك . ثم قال الترمذى : وهذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجـه . وقد سمع محمد ابن إسماعيل هذا الحديث . وقد رواه ابن عساكر من طريق كثير النواء عن عطية عن أبى سعيد به ، ثم أورده من طريق أبى نعيم ثنا عبـد الملك بن أبى عيينة عن أبى الخطاب عمر الهروى عن محدوج عن جسرة بنت دجاجة أخبرتنى أم سلمة قالت : خرج النبى (ص.) فى مرضه حتى انتهى إلى صرحة المسجد فنادى بأعلى صوته : « إنه لا يحل المسجد لجنب ولا لحائض إلا لمحمد وأزواجه وعلى وفاطمة بنت محمد ألا هل بينت لكم الأسماء أن تضلوا » وهـذا إسناد غريب وفيه ضعف ، ثم ساقه من حديث أبى رافع بنحوه وفى إسناده غرابة أيضاً . **حديث اخر** قال الحاكم وغير واحد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن بريدة بن الحصيب : قال غزوت مع على إلى اليمن فرأيت منـه جفوة فقدمت على رسول الله (ص.) فذكرت عليا فتنقصته فرأيت وجه رسول الله (ص.) يتغير فقال : « يابريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم » ؟ فقلت بلى يا رسول الله فقال : « من كنت مولاه فعلى مولاه » . وقال الامام أحمـد : حدثنا ابن نمير ثنا الأجلح الكندى عن عبـد الله بن بريدة عن أبيه بريدة قال : « بعث رسول الله (ص.) بعثتين إلى اليمن على إحداهما على بن أبى طالب وعلى الأخرى خالد بن الوليد وقال إذا التقيتما فعلى على الناس وإذا افترقتما فكل واحد منكما على جنده ، قال : فلقينا بنى زيد من أهل اليمن فاقتتلنا فظهر المسلمون على المشركين فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية فاصطفى على امرأة من السبى لنفسه ، قال بريدة : فكتب معى خالد بن الوليد إلى رسول الله (ص.) يخبره بذلك ، فلما أتيت رسول الله دفعت إليه الكتاب فقرئ عليه فرأيت الغضب فى وجه رسول الله فقلت : يارسول الله هذا مكان العائذ بعثتنى مع رجل وأمرتنى أن أطيعه فبلغت ما أرسلت به ، فقال رسول الله (ص.) لاتقع فى على فانه منى وأنا منه ، وهو وليكم بعدى » هذه الفظة منكرة والاجلح شيعى ومثله لايقبل إذا تفرد بمثلها ، وقـد تابعه فيها من هو أضعف منه والله أعلم . والمحفوظ فى هذا رواية أحمـد عن وكيع عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن عبـد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله (ص.) : « من كنت مولاه فعلى وليـه » . ورواه أحمـد أيضاً والحسن بن عرفة عن الأعمش به . ورواه النسائى عن أبى كريب عن أبى معاوية به . وقال أحمد : حدثنا روح بن على ابن سويد بن منجوف عن عبـد الله بن بريدة عن أبيه قال : « بعث رسول الله عليا إلى خالد بن الوليد ليقبض الخمس قال فأصبح ورأسه تقطر ، فقال خالد لبريدة : ألا ترى ما يصنع هذا ؟ قال : فلما رجعت إلى رسول الله أخبرته ما صنع على ، قال : ــ وكنت أبغض علياً ــ فقال : يابريدة أتبغض علياً ؟ فقلت : نعم ! قال : لاتبغضه وأحبه فان له فى الخمس أكثر من ذلك » . وقد رواه البخارى فى

الصحيح عن بنـدار عن روح به مطولا . وقال أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ثنا عبـد الجليل قال انتهيت إلى حلقة فيها أبو مجلز وابنا بريدة فقال عبد الله بن بريدة : حدثنى أبى بريدة قال « أبغضت علياً بغضاً لم أبغضه أحـداً ، قال وأحببت رجلا من قريش لم أحبه إلا على بغضه عليا ، قال فبعث ذلك الرجل على خيل قال فصحبته ما أصحبه إلا على بغضه عليا فأصبنا سبياً فكتبنا إلى رسول الله أن ابعث إلينا من يخمسه ، فبعث إلينا عليا قال وفى السبي وصيفة هى من أفضـل السبى ـ نخمس وقسم فخرج ورأسه يقطر ، فقلنا : يا أبا الحسن ماهذا ؟ قال : ألم ترو إلى الوصيفة التى كانت فى السبى ؟ فانى قسمت وخمست فصارت فى الخمس ثم صارت فى أهل بيت النبي (ص.) ، ثم صارت فى آل على فوقعت بها ، قال وكتب الرجل إلى نبى الله (ص.) فقلت : ابعثنى ؟ فبعثنى مصدقا ، قال : فجعلت أقرأ الكتاب وأقول صدق ، قال : فأمسك النبى (ص.) بيدى والكتاب قال : أتبغض علياً ؟ قال : قلت نعم ! قال : فلا تبغضه وإن كنت تحبه فازدد له حباً ، فوالذى نفسى بيده لنصيب آل على فى الخمس أفضل من وصيفة ، قال : فما كان فى الناس أحـد بعد قول رسول الله (ص.) أحب إلى من عـلى قال عبد الله : فوالذى لا إله غـيره ما بينى و بين النبي (ص.) فى هذا الحديث غير أبى بريدة » تفرد به أحمد وقد روى غير واحد هذا الحديث عن أبى الجواب عن يونس بن أبى إسحاق عن أبيـه عن البراء بن عازب نحو رواية بريدة بن الحصيب وهذا غريب . وقد رواه الترمذى عن عبدالله بن أبى زياد عن أبى الجواب الأحوص بن جواب به وقال حسن غريب لانعرفه إلا من حديثه . وقال الامام أحمد : حدثنا عبـد الرزاق ثنا جعفر بن سليمان حدثنى يزيد الرشك عن مطرف بن عبـد الله عن عمران بن حصين قال : « بعث رسول الله سرية وأمر عليها على بن أبى طالب فأحدث شيئا فى سفره فتعاقد أربعة من أصحاب محمـد أن يذكروا أمره إلى رسول الله (ص.) قال عمران . وكنا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول الله فسلمنا عليه ، قال : فدخلوا عليه فقام رجل منهم فقال : يارسول الله إن عليا فعل كذا وكذا فأعرض عنـه ثم قام الثانى فقال يارسول الله إن عليا فعل كذا وكذا ، فأعرض عنه ثم قام الثالث فقال : يا رسول الله إن عليا فعـل كذا وكذا ثم قام الرابع فقال : يارسول الله إن عليا فعل كذا وكذا ، قال : فأقبل رسول الله على الرابع وقد تغير وجهه وقال : دعوا عليا ، دعوا عليا ، دعوا عليا إن عليا منى وأنا منـه وهو ولى كل مؤمن بعـدى » . وقد رواه الترمذى والنسائى عن قتيبة عن جعفر بن سليمان وسياق الترمذى مطول وفيه « أنه أصاب جارية من السبى » ثم قال : حسن غريب لانعرفه إلا من حـديث جعفر بن سليمان . ورواه أبو يعـلى الموصـلى عن عبـد الله بن عمر القواريرى والحسن بن عمر بن شقيق الحرمى والمعلى بن مهـدى كلهم عن جعفر بن سليمان به . وقال خيثمة بن سليمان حدثنا أحمـد بن حازم أخبرنا عبيد الله بن موسى بن يوسف بن صهيب عن دكين

عن وهب بن حمزة قال « سافرت مع علي بن أبي طالب من المدينة إلى مكة ، فرأيت منه جفوة فقلت : لئن رجعت فلقيت رسول الله لأنالن منه ، قال : فرجعت فلقيت رسول الله فذكرت عليا فنلت منه ، فقال لى رسول الله (ص) : لاتقولن هذا لعلى فان عليا وليكم بعدى » : وقال أبو داود الطيالسى : عن شعبة عن أبى بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال لعلى : « أنت ولى كل مؤمن بعدى » . وقال الامام أحمد : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا أبى عن أبى إسحاق حدثنى عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم عن سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب ـ وكانت عند أبى سعيد الخدرى ـ عن أبى سعيد قالت : اشتكى عليا الناس فقام رسول الله فينا خطيباً فسمعته يقول : « أيها الناس لاتشكوا عليا فوالله إنه لأجيش فى ذات الله ـ أو فى سبيل الله » . تفرد به أحمد . وقال الحافظ البيهقى : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان أنا أبو سهل بن زياد القطان ثنا أبو إسحاق القاضى ثنا إسماعيل بن أبى إدريس حدثنى أخى عن سليمان بن بلال عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب بن عجرة عن أبى سعيد قال : « بعث رسول الله (ص) على بن أبى طالب إلى اليمن ، قال أبو سعيد : فكنت فيمن خرج معه فلما أحضر إبل الصدقة سألناه أن نركب منها ونريح إبلنا ـ وكنا قد رأينا فى إبلنا خللا ـ فأبى علينا وقال : إنما لكم منها سهم كما للمسلمين ، قال : فلما فرغ على وانصرف من اليمن راجعاً ، أمر علينا إنسانا فأسرع هو فأدرك الحج ، فلما قضى حجته قال له النبى (ص) : ارجع إلى أصحابك حتى تقدم عليهم . قال أبو سعيد : وقد كنا سألنا الذى استخلفه ما كان على منعنا إياه ففعل ، فلما جاء على عرف فى إبل الصدقة أنها قد ركبت ـ رأى أثر المراكب ـ فذم الذى أمره ولامه ، فقلت أما إن لله على إن قدمت المدينة وغدوت إلى رسول الله (ص) لأذكرن لرسول الله (ص) ولأخبرته ما لقينا من الغلظة والتضييق ، قال : فلما قدمنا المدينة غدوت إلى رسول الله (ص) أريد أن أذكر له ما كنت حلفت عليه فلقيت أبا بكر خارجاً من عند رسول الله (ص) فلما رآنى وقف معى ورحب بى وساءلنى وساءلته وقال : متى قدمت ؟ قلت : قدمت البارحة ، فرجع معى إلى رسول الله (ص) وقال : هذا سعد بن مالك بن الشهيد ، قال : ائذن ، له فدخلت فحييت رسول الله (ص) وحيانى وسلمت عليه وسألنى عن نفسى وعن أهلى فأحفى المسألة فقلت : يارسول الله لقينا من على من الغلظة وسوء الصحبة والتضييق ، فابتدر رسول الله وجعلت أنا أعدد ما لقينا منه حتى إذا كنت فى وسط كلامى ضرب رسول الله (ص) على فخذى ـ وكنت منه قريباً ـ وقال : سعد بن مالك بن الشهيد مه بعض قولك لأخيك على ، فوالله لقد علمت أنه جيش فى سبيل الله ، قال فقلت فى نفسى : ثكلتك أمك سعد بن مالك ألا أرانى كنت فيما يكره منذ اليوم وما أدرى لاجرم ، والله لا أذكره

بسوء أبداً سراً ولا علانية » : وقال يونس بن بكير . عن محمد بن إسحاق حدثني أبان بن صالح عن عبد الله بن دينار الأسلمي عن خاله عمرو بن شاش الأسلمي ـ وكان من أصحاب الحديبية ـ قال : « كنت مع علي في خيله التي بعثه فيها رسول الله إلى اليمن ، فجفاني علي بعض الجفاء فوجدت عليه في نفسي ، فلما قدمت المدينة اشتكيته في مجالس المدينة وعند من لقيته فأقبلت يوماً و رسول الله جالس في المسجد فلما رآني أنظر إلى عينيه نظر إلى حتى جلست إليه فلما جلست إليه قال : أما إنه والله يا عمرو لقد آذيتني ، فقلت : إنا لله و إنا إليه راجعون أعوذ بالله والاسلام أن أوذي رسول الله ص. فقال : من آذى عليا فقد آذاني » وقد رواه الامام أحمد عن يعقوب عن أبيه إبراهيم بن سعد عن محمد بن اسحاق عن أبان بن صالح عن الفضل بن معقل عن عبد الله بن دينار عن خاله عمرو بن شاش فذكره . وكذا رواه غير واحد عن محمد بن إسحاق عن أبان بن الفضل . وكذلك رواه سيف بن عمر عن عبد الله بن سعيد عن أبان بن صالح به ولفظه : « فقال رسول الله من آذى مسلما فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله » . و روى عباد بن يعقوب الرواجني عن موسى بن عمير عن عقيل بن نجدة بن هبيرة عن عمرو بن شاش قال قال رسول الله : « يا عمرو و إن من آذى عليا فقد آذاني » وقال أبو يعلى : ثنا محمود بن خداش ثنا مروان بن معاوية ثنا فنان بن عبد الله النهمي ثنا مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : كنت جالساً في المسجد أنا و رجلان معي فنلنا من علي فأقبل رسول الله يعرف في وجهه الغضب فتعوذت بالله من غضبه فقال : « مالكم ومالي ؟ من آذى عليا فقد آذاني » . **حديث غدير خم** قال الامام أحمد : حدثنا حسين بن محمد وأبو نعيم المعنى قالا : ثنا فطر عن أبي الطفيل قال : جمع علي الناس في الرحبة ثم قال لهم : أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله يقول يوم غدير خم ماسمع لما قام ، فقام كثير من الناس قال أبو نعيم ! ـ فقام ناس كثير ـ فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس : « أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا نعم يارسول الله قال : من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » . قال فخرجت كأن في نفسي شيئا فلقيت زيد بن أرقم فقلت له : إني سمعت علياً يقول كذا وكذا : قال . فما تنكر ؟ قد سمعت رسول الله ص. يقول ذلك له . و رواه النسائي من حديث حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عنه أتم من ذلك ، وقال أبو بكر الشافعي : ثنا محمد بن سليمان بن الحارث ثنا عبيد الله ابن موسى ثنا أبو إسرائيل الملائي عن الحكم عن أبي سليمان المؤذن عن زيد بن أرقم أن علياً انتشد الناس : من سمع رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » فقام ستة عشر رجلا فشهدوا بذلك وكنت فيهم . وقال أبو يعلى وعبد الله بن أحمد في مسند أبيه : حدثنا القواريري ثنا يونس بن أرقم ثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال :

« شهدت عليا فى الرحبة يناشد الناس : أنشد بالله من سمع رسول الله يقول يوم غديرخم : من كنت مولاه فعلى مولاه لما قام فشهد قال عبد الرحمن : فقام اثنا عشر بدرياً كأنى أنظر إلى أحدهم عليه سراويل فقالوا: نشهد أنا سمعنا رسول الله (ص) يقول يوم غديرخم : ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجى أمهاتهم ؟ قلنا : بلى يارسول الله ، قال : فمن كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » . ثم رواه عبد الله بن أحمد عن أحمد بن عمر الوكيعى عن زيد بن الحباب عن الوليد بن عقبة بن نيار عن سماك بن عبيد بن الوليد العبسى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى فذكره ، قال : « فقام اثنا عشر رجلا فقالوا : قد رأيناه وسمعناه حين أخذ بيدك يقول : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله » . وهكذا رواه أبو داود الطهوى ـ واسمه عيسى ابن مسلم ـ عن عمرو بن عبد الله بن هند الجلى وعبد الأعلى بن عامر التغلبى كلاهما عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى فذكره بنحوه ، قال الدارقطنى غريب تفرد به عنهما أبو داود الطهوى . وقال الطبرانى : ثنا أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن كيسان المدينى سنة تسعين ومائتين . حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلى ثنا مسعر عن طلحة بن مصرف عن عميرة بن سعد قال : شهدت عليا على المنبر يناشد أصحاب رسول الله من سمع رسول الله يوم غديرخم يقول ما قال ؟ فقام اثنا عشر رجلا منهم أبو هريرة وأبوسعيد وأنس بن مالك فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول :« من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » و رواه أبو العباس بن عقدة الحافظ الشيعى عن الحسن بن على بن عفان العامرى عن عبد الله بن موسى عن قطن عن عمرو بن مرة وسعيد بن وهب وعن زيد بن نقيع قالوا : سمعنا عليا يقول فى الرحبة فذكر نحوه فقام ثلاثة عشر رجلا فشهدوا أن رسول الله قال : « من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وأحب من أحبه وابغض من أبغضه ، وانصر من نصره واخذل من خذله » قال أبو إسحاق حين فرغ من هذا الحديث : يا أبا بكر أى أشياخ هم ؟ . وكذلك رواه عبد الله بن أحمد عن على بن حكيم الأودى عن إسرائيل عن أبى إسحاق فذكر نحوه . وقال عبد الرزاق عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن سعيد بن وهب وعبد خير قالا سمعنا عليا برحبة الكوفة يقول : أنشد الله رجلا سمع رسول الله (ص) يقول : « من كنت مولاه فعلى مولاه » فقام عدة من أصحاب رسول الله فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول ذلك . وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبى إسحاق سمعت سعيد بن وهب قال : نشد على الناس فقام خمسة أو ستة من أصحاب رسول الله فشهدوا أن رسول الله (ص) قال : « من كنت مولاه فعلى مولاه » وقال أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ثنا حسين بن الحرث بن لقيط الأشجعى عن رباح بن الحرث قال : جاء رهط إلى على بالرحبة فقالوا : السلام عليك يامولانا : فقال ، كيف أكون مولاكم

وأنتم قوم عرب ؟ قالوا : سمعنا رسول الله يوم غديرخم يقول : « من كنت مولاه فان هذا على مولاه » قال رباح فلما مضوا اتبعتهم فسألت من هؤلاء ؟ قالوا : نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصارى. وقال أبو بكر بن أبى شيبة : ثنا شريك عن حنش عن رباح بن الحرث قال : بينا نحن جلوس فى الرحبة مع على إذ جاء رجل عليه أثر السفر فقال : السلام عليك يامولاى قالوا : من هذا ؟ فقال أبو أيوب : سمعت رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلى مولاه » وقال أحمد : ثنا محمد بن عبد الله ثنا الربيع - يعنى ابن أبى صالح الأسلمى - حدثنى زياد بن أبى زياد الأسلمى سمعت على بن أبى طالب ينشد الناس فقال أنشد الله رجلا مسلما سمع رسول الله يقول يوم غديرخم ما قال ، فقام اثنا عشر رجلا بدرياً فشهدوا . وقال أحمد : حدثنا ابن نمير ثنا عبد الملك عن أبى عبد الرحمن الكندى عن زاذان أن ابن عمر قال : سمعت عليا فى الرحبة وهو ينشد الناس : من شهد رسول الله يوم غديرخم وهو يقول ماقال ؟ فقام ثلاثة عشر رجلا فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلى مولاه » وقال أحمد : ثنا حجاج بن الشاعر ثنا شبابة ثنا نعيم بن حكيم حدثنى أبو مريم ورجل من جلساء على عن على أن رسول الله (ص) قال يوم غديرخم : « من كنت مولاه فعلى مولاه » قال فزاد الناس بعد « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » . وقد روى هذا من طرق متعددة عن على رضى الله عنه ، وله طرق متعددة عن زيد بن أرقم . وقال غندر عن شعبة عن سلمة بن كهيل سمعت أبا الطفيل يحدث عن أبى مريم أو زيد بن أرقم - شعبة الشاك - قال قال رسول الله (ص) : « من كنت مولاه فعلى مولاه » قال سعيد بن جبير : وأنا قد سمعته قبل هذا من ابن عباس . رواه الترمذى عن بندار عن غندر وقال حسن غريب . وقال الامام أحمد : حدثنا عفان ثنا أبو عوانة عن المغيرة عن أبى عبيد عن ميمون بن أبى عبد الله قال قال زيد بن أرقم وأنا أسمع : نزلنا مع رسول الله بواد يقال له وادخم فأمر بالصلاة فصلاها بهجير قال : فخطبنا وظلل لرسول الله (ص) بثوب على شجرة سمر من الشمس فقال : « ألستم تعلمون - أو ألستم تشهدون - أنى أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا : بلى ! قال : فمن كنت مولاه فان عليا مولاه ، اللهم عاد من عاداه ووال من والاه » . وكذا رواه أحمد عن غندر عن شعبة عن ميمون بن أبى عبد الله عن زيد بن أرقم . وقد رواه عن زيد بن أرقم جماعة منهم أبو إسحاق السبيعى وحبيب الاساف وعطية العوفى وأبو عبد الله الشامى وأبو الطفيل عامر ابن واثلة . وقد رواه معروف بن خربوذ عن أبى الطفيل عن حذيفة بن أسيد قال : لما قفل رسول الله من حجة الوداع نهى أصحابه عن شجرات بالبطحاء متقاربات أن ينزلوا حولهن ، ثم بعث إليهن فصلى تحتهن ثم قام فقال : « أيها الناس قد نبأنى اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبى إلا مثل نصف عمر الذى قبله ، وإنى لأظن أن يوشك أن أدعى فأجيب ، وإنى مسئول وأنتم مسئولون ، فماذا أنتم قائلون

قالوا : نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً ، قال : ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن جنته حق وأن ناره حق وأن الموت حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ؟ قالوا : بلى نشهد بذلك ، قال : اللهم اشهد . ثم قال : يا أيها الناس إن الله مولاى وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم من كنت مولاه فهذا مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، ثم قال : أيها الناس إنى فرطكم وإنكم واردون على الحوض حوض أعرض مما بين بصرى وصنعاء فيه آنية عدد النجوم قدحان من فضة ، وإنى سائلكم حين تردون على عن الثقلين فانظروا كيف تخلفونى فيهما ؟ الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا ، وعترتى أهل بيتى فانه قد نبأنى اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض » . رواه ابن عساكر بطوله من طريق معروف كما ذكرنا . وقال عبد الرزاق : أنا معمر عن على بن زيد بن جدعان عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله حتى نزلنا غدير خم بعث منادياً ينادى ، فلما اجتمعنا قال : « ألست أولى بكم من أنفسكم ؟ قلنا : بلى يارسول الله ! قال : ألست أولى بكم من أمهاتكم ؟ قلنا : بلى يا رسول الله : قال : ألست أولى بكم من آبائكم ؟ قلنا بلى يارسول الله ! قال : ألست ألست ألست ؟ قلنا : بلى يارسول الله قال : من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » فقال عمر بن الخطاب : هنيئاً لك يا ابن أبى طالب أصبحت اليوم ولى كل مؤمن . وكذا رواه ابن ماجه من حديث حماد بن سلمة عن على بن زيد وأبى هارون العبدى عن عدى بن ثابت عن البراء به . وهكذا رواه موسى بن عثمان الحضرمى عن أبى إسحاق عن البراء به . وقد روى هذا الحديث عن سعد وطلحة بن عبيد الله وجابر بن عبد الله وله طرق عنه وأبى سعيد الخدرى وحبشى بن جنادة وجرير بن عبد الله وعمر بن الخطاب وأبى هريرة ، وله عنه طرق منها ـ وهى أغربها ـ الطريق الذى قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى : ثنا عبد الله بن على بن محمد بن بشران أنا على بن عمر الحافظ أنا أبو نصر حبشون بن موسى بن أيوب الخلال ثنا على بن سعيد الرملى ثنا ضمرة بن ربيعة القرشى عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن شهر ابن حوشب عن أبى هريرة قال : « من صام يوم ثمانى عشرة من ذى الحجة كتب له صيام ستين شهراً وهو يوم غدير خم لما أخذ النبى (ص.) بيد على بن أبى طالب فقال : « ألست ولى المؤمنين ؟ قالوا : بلى يارسول الله ! قال : من كنت مولاه فعلى مولاه » فقال عمر بن الخطاب بخ بخ لك يا ابن أبى طالب أصبحت مولاى ومولى كل مسلم فأنزل الله عز وجل [أليوم أكملت لكم دينكم] ومن صام يوم سبعة [1] وعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهراً وهو أول يوم نزل جبريل بالرسالة . قال

(١) فى نسخة طوقوب : ستة وعشرين .

الخطيب : اشتهر هـذا الحديث برواية حبشون وكان يقال إنه تفرد به ، وقد تابعه عليه أحمد بن عبيـد الله بن العباس بن سالم بن مهران المعروف بابن النبرى عن على بن سعيد الشامى ، قلت وفيه نـكارة من وجوه منها قوله نزل فيـه [اليوم أكملت لـكم دينكم] وقـد ورد مثله من طريق ابن هارون العبـدى عن أبى سـعيد الخدرى ولا يصح أيضاً ، وإنمـا نزل ذلك يوم عرفة كما ثبت فى الصحيحين عن عمر بن الخطاب وقد تقدم . وقد روى عن جماعـة من الصحابة غير من ذكرنا فى قوله عليه السلام « من كنت مولاه » والأسانيد إليهم ضعيفة. حديث الطير وهذا الحديث قد صنف الناس فيه وله طرق متعددة وفى كل منها نظر ونحن نشير إلى شئ من ذلك قال الترمذى : حدثنا سفيان بن وكيع ثنا عبد الله بن موسى عن عيسى بن عمر عن السرى عن أنس قال : « كان عنـد النبي (ص) طير فقال : اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك يأ كل معى من هذا الطير » فجاء على فأ كل معه ، ثم قال الترمذى : غريب لا نعرفه من حديث السرى إلا من هـذا الوجه ، قال : وقد روى من غـير وجه عن أنس وقـد رواه أبو يعلى عن الحسين بن حماد عن شهر بن عبد الملك عن عيسى بن عمر به . وقال أبو يعلى : ثنا قطن بن بشير ثنا جعفر بن سليمان الضبعى ثنا عبد الله بن مثنى ثنا عبد الله بن أنس عن أنس بن مالك قال : أهدى لرسول الله (ص) حجل مشوى بخبزه وضيافه ، فقال رسول الله (ص) : « اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك يأكل معى من هذا الطعام » فقالت عائشة: اللهم اجعله أبى ، وقالت حفصة : اللهم اجعله أبى ، وقال أنس : وقلت : اللهم اجعله سعد بن عبادة ، قال أنس : فسمعت حركة بالباب فقلت إن رسول الله (ص) عـلى حاجة فانصرف ثم سمعت حركة بالباب فخرجت فاذا عـلى بالباب ، فقلت : إن رسول الله (ص) عـلى حاجة فانصرف ثم سمعت حركة بالباب فسلم عـلى فسمع رسول الله (ص) صوته فقال : انظر من هـذا ؟ فخرجت فاذا هو على فجئت إلى رسول الله (ص) فأخـبرته فقال : « ائذن له يدخل عـلى فأذنت له فدخل ، فقال رسول الله (ص) اللهـم وال من والاه » . والى ورواه الحاكم فى مستدركه عن أبى على الحافظ عن محمد بن أحمـد الصفار وحميد بن يونس الزيات كلاهما عن محمد بن أحمد بن عياض عن أبى غسان أحمد بن عياض عن أبى ظبية عن يحيى بن حسان عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن أنس فذكره ، وهـذا إسناد غريب . ثم قال الحاكم : هذا الحديث على شرط البخارى ومسلم وهذا فيه نظر ، فان أباعلاثة محمد بن أحمد بن عياض هذا غير معروف لكن روى هـذا الحديث عنه جماعة عن أبيه ، وممن رواه عنه أبو القاسم الطبرانى ثم قال : تفرد به عن أبيه والله أعلم . قال الحاكم وقد رواه عن أنس أكثر من ثلاثين نفساً قال شيخنا الحافظ الكبير أبو عبد الله الذهبى فصلهم بثقة يصح الاسناد إليه ثم قال الحاكم : وصحت الرواية عن عـلى وأبى سعيد وسفينة ، قال شيخنا أبو عبد الله لا والله ما صح

شيء من ذلك ، ورواه الحاكم من طريق إبراهيم بن ثابت القصار وهو مجهول عن ثابت البناني عن أنس قال : دخل محمد بن الحجاج فجعل يسب علياً فقال أنس : اسكت عن سب على فذكر الحديث مطولا وهو منكر سنداً ومتناً ، لم يورد الحاكم فى مستدركه غير هذين الحديثين وقد رواه ابن أبى حاتم عن عمار بن خالد الواسطى عن إسحاق الأزرق عن عبد الملك بن أبى سليمان عن أنس ، وهذا أجود من إسناد الحاكم . ورواه عبد الله بن زياد أبو العلاء عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أنس بن مالك . فقال : أهدى لرسول الله (ص) طير مشوى فقال : « اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك يأكل معى من هذا الطير » فذكر نحوه ، ورواه محمد بن مصفى عن حفص بن عمر عن موسى ابن سعد عن الحسن عن أنس فذكره ، ورواه على بن الحسن الشامى عن خليل بن دعلج عن قتادة عن أنس بنحوه ، ورواه أحمد بن يزيد الورتنيس عن زهير عن عثمان الطويل عن أنس فذكره ، ورواه عبيد الله بن موسى عن مسكين بن عبد العزيز عن ميمون أبى خلف حدثنى أنس ابن مالك فذكره ، قال الدارقطنى : من حديث ميمون أبى خلف تفرد به مسكين بن عبد العزيز ورواه الحجاج بن يوسف بن قتيبة عن بشر بن الحسين عن الزبير بن عدى عن أنس . ورواه ابن يعقوب إسحاق بن الفيض ثنا المضاء بن الجارود عن عبد العزيز بن زياد أن الحجاج بن يوسف دعا أنس بن مالك من البصرة فسأله عن على بن أبى طالب فقال : أهدى للنبى صلى الله عليه وسلم طائر فأمر به فطبخ وصنع فقال : « اللهم ائتنى بأحب الخلق إلى يأكل معى » . فذكره . وقال الخطيب البغدادى : أنا الحسن بن أبى بكير أنا أبو بكر محمد بن العباس بن نجيح ثنا محمد بن القاسم النحوى أبو عبد الله ثنا أبو عاصم عن أبى الهندى عن أنس فذكره . ورواه الحاكم بن محمد عن محمد بن سليم عن أنس بن مالك فذكره . وقال أبو يعلى : حدثنا الحسن بن حماد الوراق ثنا مسهر بن عبد الملك ابن سلع ثقة ثنا عيسى بن عمر عن إسماعيل السدى أن رسول الله (ص) كان عنده طائر فقال : « اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك يأكل معى من هذا الطير ، فجاء أبو بكر فرده ، ثم جاء عمر فرده ثم جاء عثمان فرده ثم جاء على فأذن له » . وقال أبو القاسم بن عقدة ثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا يوسف بن عدى ثنا حماد بن المختار الكوفى ثنا عبد الملك بن عمير عن أنس بن مالك قال : أهدى لرسول الله (ص) بطائر فوضع بين يديه فقال : « اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك يأكل معى قال : فجاء على فدق الباب فقلت من ذا ؟ فقال : أنا على ، فقلت إن رسول الله على حاجة حتى فعل ذلك ثلاثا ، فجاء الرابعة فضرب الباب برجله فدخل فقال النبى (ص) . ما حبسك ؟ فقال : قد جئت ثلاث مرات فيحبسنى أنس ، فقال النبى (ص) : ماحملك على ذلك ؟ قال قلت : كنت أحب أن يكون رجلا من قومى » وقد رواه الحاكم النيسابورى عن عبدان بن يزيد عن يعقوب الدقاق عن إبراهيم بن الحسين

الشامى عن أبى توبة الربيع بن نافع عن حسين بن سليمان بن عبد الملك بن عمير عن أنس فذكره ، ثم قال الحاكم : لم نكتبه إلا بهذا الاسناد ، وساقه ابن عساكر من حديث الحرث بن نبهان عن إسماعيل – رجل من أهل الكوفة – عن أنس بن مالك فذكره . ومن حديث حفص بن عمر المهرقانى عن الحكم بن شبير بن إسماعيل أبى سليمان أخى إسحاق بن سليمان الرازى عن عبد الملك بن أبى سليمان عن أنس فذكره . ومن حديث سليمان بن قرم عن محمد بن على السلمى عن أبى حذيفة العقيلى عن أنس فذكره . وقال أبو يعلى : ثنا أبوهشام ثنا ابن فضيل ثنا مسلم الملائى عن أنس قال : أهدت أم أيمن إلى رسول الله (ص) طيراً مشوياً فقال : « اللهم ائتنى بمن تحبه يأكل معى من هذا الطير ، قال أنس فجاء على فاستأذن فقلت : هو على حاجته ، فرجع ثم عاد فاستأذن فقلت : هو على حاجته فرجع ، ثم عاد فاستأذن فسمع النبى (ص) صوته فقال : ائذن له فدخل وهو موضوع بين يديه فأكل منه وحمد الله » فهذه طرق متعددة عن أنس بن مالك وكل منها فيه ضعف ومقال . وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبى – فى جزء جمعه فى هذا الحديث بعد ما أورد طرقا متعددة نحواً مما ذكرنا – ويروى هذا الحديث من وجوه باطلة أو مظلمة عن حجاج بن يوسف وأبى عصام خالد بن عبيد ودينار أبى كيسان وزياد بن محمد الثقفى وزياد العبسى وزياد بن المنذر وسعد بن ميسرة البكرى وسليمان التيمى وسليمان بن على الأمير وسلمة بن وردان وصباح بن محارب وطلحة بن مصرف وأبى الزناد وعبد الأعلى بن عامر وعمر بن راشد وعمر بن أبى حفص الثقفى الضرير وعمر بن سليم البجلى وعمر بن يحيى الثقفى وعثمان الطويل وعلى بن أبى رافع وعيسى بن طهمان وعطية العوفى وعباد بن عبد الصمد وعمار الذهبى وعباس بن على وفضيل بن غزوان وقاسم بن جندب وكلثوم بن جبر ومحمد ابن على الباقر والزهرى ومحمد بن عمرو بن علقمة ومحمد بن مالك الثقفى ومحمد بن جحادة وميمون بن مهران وموسى الطويل وميمون بن جابر السلمى ومنصور بن عبد الحميد ومعلى بن أنس وميمون أبى خلف الجراف وقيل أبو خالد ومطر بن خالد ومعاوية بن عبد الله بن جعفر وموسى بن عبد الله الجهنى ونافع مولى ابن عمر والنضر بن أنس بن مالك ويوسف بن إبراهيم ويونس بن حيان ويزيد بن سفيان ويزيد بن أبى حبيب وأبى المليح وأبى الحكم وأبى داود السبيعى وأبى حمزة الواسطى وأبى حذيفة العقيلى وإبراهيم بن هدبة ثم قال بعد أن ذكر الجميع : الجميع بضعة وتسعون نفساً أقربها غرائب ضعيفة وأردؤها طرق مختلفة مفتعلة وغالبها طرق واهية . وقد روى من حديث سفينة مولى رسول الله (ص) فقال أبو القاسم البغوى وأبو يعلى الموصلى قالا : حدثنا القواريرى ثنا يونس بن أرقم ثنا مطير ابن أبى خالد عن ثابت البجلى عن سفينة مولى رسول الله (ص) قال : أهدت امرأة من الأنصار طائرين بين رغيفين – ولم يكن فى البيت غيرى وغير أنس – فجاء رسول الله (ص) فدعا بغدائه . فقلت :

يارسول الله قد اهدت لك امراة من الا نصار هدية ، فقدمت الطائرين إليـه فقال رسول الله (ص) : اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك و إلى رسولك ، فجاء على بن أبى طالب فضرب الباب خفيا فقلت : من هذا ؟ قال أبو الحسن ، ثم ضرب الباب و رفع صوته فقال رسول الله من هذا : قلت على بن أبى طالب قال افتح له ، ففتحت له فأكل معه رسول الله (ص) من الطيرين حتى فنيا » . و روى عن ابن عباس فقال أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد : ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى ثنا حسين بن محمد ثنا سليمان بن قرم عن محمد بن شعيب عن داود بن عبـد الله بن عباس عن أبيه عن جده ابن عباس قال : إن النبى (ص) أتى بطائر فقال : « اللهم ائتنى برجل يحبه الله و رسوله فجاء علـى فقال : اللهم و إلى » و روى عن على نفسه فقال عباد بن يعقوب : ثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على حدثنى أبى عن أبيـه عن جـده عن على قال : أهدى لرسول الله (ص) طير يقال له الحبارى فوضعت بين يديه ـ وكان أنس بن مالك يحجبـه ـ فرفع النبى (ص) يده إلى الله ثم قال : « اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك يأكل معى هذا الطير . قال فجاء على فاستأذن فقال له أنس : إن رسول الله يعنى على حاجتـه فرجع ثم أعاد رسول الله (ص) الدعاء فرجع ثم دعا الثالثة فجاء على فأدخله ، فلما رآه رسول الله قال : اللهـم و الى . فأكل معه فلما أكل رسول الله وخرج عـلى قال أنس : سمعت عليا فقلت يا أبا الحسن استغفرلى فان لى إليك ذنب و إن عنـدى بشارة ، فأخبرته بما كان من النبى (ص) فحمد الله واستغفر لى و رضى عنى أذهب ذنبى عنـده بشارتى إياه » ومن حـديث جابر بن عبـد الله الأنصارى أورده ابن عساكر من طريق عبـد الله بن صالح كاتب الليث عن ابن لهيعة عن محمد بن المنكدر عن جابر فذكره بطوله . وقد روى أيضاً من حديث أبى سعيد الخدرى وصححه الحاكم ولـكن إسناده مظلم وفيـه ضعفاء . و روى من حديث حبشى بن جنادة ولا يصح أيضاً ومن حديث يعلى بن مرة والاسناد إليه مظلم ، ومن حديث أبى رافع نحوه وليس بصحيح . وقد جمع الناس فى هذا الحديث مصنفات مفردة منهم أبو بكر بن مردويه والحافظ أبو طاهر محمد بن أحمد بن حمدان فيما رواه شيخنا أبو عبـد الله الذهبى و رأيت فيـه مجلداً فى جمع طرقه وألفاظه لأبى جعفر بن جرير الطبرى المفسر صاحب التاريخ ، ثم وقفت على مجلد كبير فى رده وتضعيفه سنداً ومتنا للقاضى أبى بكر الباقلانى المتـكلم . وبالجملة ففى القلب من صحة هذا الحديث نظر و إن كثرت طرقه والله أعلم .

حديث آخر في فضل علي قال أبو بكر الشافعى : ثنا بشر بن موسى الأسدى ثنا زكريا بن عـدى ثنا عبد الله بن عمرو عن عبـد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله (ص) إلى امرأة من الأنصار فى نخل لها يقال له الاسراف ففرشت لرسول الله (ص) تحت صور لها مرشوش فقال رسول الله (ص) : « الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة ، فجاءه

أبو بكر ، ثم قال : الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة ، فجاء عمر ، ثم قال : الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة قال : فلقد رأيته مطاطياً رأسه تحت الصور ثم يقول : اللهم إن شئت جعلته علياً ، فجاء على ، ثم إن الأنصارية ذبحت لرسول الله (ص) شاة وصنعتها فأكل وأكلنا فلما حضرت الظهر قام يصلى وصلينا ماتوضأ ولا توضأنا ، فلما حضرت العصر صلى وما توضأ ولا توضأنا » . **حديث آخر** قال أبو يعلى : حدثنا الحسن بن حماد الكوفى ثنا ابن أبى عتبة عن أبيه عن الشيبانى عن جميع بن عمير قال : « دخلت مع أبى على عائشة فسألتها عن على فقالت : مارأيت رجلا كان أحب إلى رسول الله (ص) منه ، ولا امرأة كانت أحب إلى رسول الله (ص) من امرأته » وقد رواه غير واحد من الشيعة عن جميع بن عمير به . **حديث آخر** قال الامام أحمد : ثنا يحيى بن أبى بكير ثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن أبى عبد الله الجدلى البجلى قال : دخلت على أم سلمة فقالت لى : أيسب رسول الله (ص) فيكم ؟ فقلت معاذ الله ـ أو سبحان الله أو كلمة نحوها ـ قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول : « من سب علياً فقد سبنى » وقد رواه أبو يعلى عن عبيد الله بن موسى عن عيسى بن عبد الرحمن البجلى من بجيلة من سليم عن السدى عن أبى عبد الله البجلى قال : « قالت لى أم سلمة أيسب رسول الله فيكم على المنابر ؟ قال : قلت وأنى ذلك ؟ قالت : أليس يسب على ومن أحبه ؟ فأشهد أن رسول الله (ص) كان يحبه » وقد روى من غير هذا الوجه عن أم سلمة . وقد ورد من حديثها وحديث جابر وأبى سعيد أن رسول الله (ص) قال لعلى : « كذب من زعم أنه يحبنى و يبغضك » ولكن أسانيدها كلها ضعيفة لا يحتج بها **حديث آخر** قال عبد الرزاق « أنا الثورى عن الأعمش عن عدى بن ثابت عن زر بن حبيش قال : سمعت عليا يقول : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبى (ص) إلى أنه لايحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق » ورواه أحمد عن ابن عمير ووكيع عن الأعمش . وكذلك رواه أبو معاوية ومحمد بن فضيل وعبد الله بن داود الحربى وعبيد الله بن موسى ومحاضر بن المورع ويحيى بن عيسى الرملى عن الأعمش به وأخرجه مسلم فى صحيحه عن [1] ورواه غسان بن حسان عن شعبة عن عدى بن ثابت عن على فذكره . وقد روى من غير وجه عن على . وهذا الذى أوردناه هو الصحيح من ذلك والله أعلم . وقال الامام أحمد : ثنا عثمان بن أبى شيبة ثنا محمد بن فضيل عن عبيد الله بن عبد الرحمن أبى نصر حدثنى مساور الحميرى عن أبيه قال : سمعت أم سلمة تقول : سمعت رسول الله (ص) يقول لعلى : « لايبغضك مؤمن ولا يحبك منافق » وقد روى من غير هذا الوجه عن أم سمة بلفظ آخر ولا يصح وروى ابن عقدة عن الحسن بن على بن بزيغ ثنا عمرو بن إبراهيم ثنا سوار بن مصعب عن الحكم عن يحيى

(١) بياض بالأصل وفى صحيح مسلم عن سعد .

الخراز عن عبد الله بن مسعود سمعت رسول الله (ص) يقول: « من زعم أنه آمن بى و بما جئت به وهو يبغض عليا فهو كاذب ليس بمؤمن » وهذا بهذا الاسناد مختلق لايثبت والله أعلم. وقال الحسن ابن عرفة: حدثنى سعيد بن محمد الوراق عن على بن الحزاز سمعت أبا مريم الثقفى سمعت عمار بن ياسر يقول: سمعت النبى (ص) يقول لعلى: « طوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك » وقد روى فى هذا المعنى أحاديث كثيرة موضوعة لا أصل لها. وقال غير واحد عن أبى الأزهر أحمد بن الأزهر: ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهرى عن عبد الله بن عبيد الله عن ابن عباس أن رسول الله (ص) نظر إلى على فقال: « أنت سيد فى الدنيا سيد فى الآخرة، من أحبك فقد أحبنى وحبيبك حبيب الله، ومن أبغضك فقد أبغضنى و بغيضك بغيض الله، وويل لمن أبغضك من بعدى » وروى غير واحد أيضاً عن الحارث بن حصيرة عن أبى صادق عن ربيعة بن ناجد عن على قال: دعانى رسول الله فقال: « إن فيك من عيسى ابن مريم مثلا أبغضته يهود حتى بهتوا أمه، وأحبوه النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذى ليس هو له » قال على: ألا و إنه يهلك فىّ اثنان محب مطرى مفرط يفرطنى بما ليس فى. ومبغض يحمله شنآنى على أن يبهتنى، ألا و إنى لست بنبى ولا يوحى إلى، ولكنى أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت، فما أمرتكم من طاعة الله حق عليكم طاعتى فيما أحببتم وكرهتم، لفظ عبد الله بن أحمد. قال يعقوب بن سفيان: ثنا يحيى بن عبد الحميد ثنا على بن مسهر عن الأعمش عن موسى بن طريف عن عباية عن على قال: أنا قسيم النار، إذا كان يوم القيامة قلت هذا لك وهذا لى. قال يعقوب: وموسى بن طريف ضعيف يحتاج إلى من يعدله، وعباية أقل منه ليس بشئ حديثه. وذكر أن أبا معاوية لام الأعمش على تحديثه بهذا، فقال له الأعمش: إذا نسيت فذكرونى، ويقال إن الأعمش إنما رواه على سبيل الاستهزاء بالروافض والتنقيص لهم فى تصديقهم ذلك. قلت: وما يتوهمه بعض العوام بل هو مشهور بين كثير منهم، أن عليا هو الساقى على الحوض فليس له أصل ولم يجئ من طريق مرضى يعتمد عليه، والذى ثبت أن رسول الله (ص) هو الذى يسقى الناس. وهكذا الحديث الوارد فى أنه ليس أحد يأتى يوم القيامة راكباً إلا أربعة رسول الله على البراق، وصالح على ناقته، وحمزة على العضباء، وعلى على ناقة من نوق الجنة رافعاً صوته بالتهليل، وكذلك ما فى أفواه الناس من اليمين بعلى يقول أحدهم: خذ بعلى، اعطنى بعلى، ونحو ذلك كل ذلك لا أصل له بل ذلك من نزعات الروافض ومقالاتهم ولا يصح من شئ من الوجوه، وهو من وضع الرافضة و يخشى على من اعتاد ذلك سلب الايمان عند الموت، ومن حلف بغير الله فقد أشرك. **حديث اخر** قال الامام أحمد: حدثنى يحيى عن شعبة ثنا عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن على قال: مر بى رسول الله (ص) وأنا وجع وأنا أقول: اللهم إن كان

أجلى قد حضر فأرحنى ، و إن كان آجلا فارفع عنى ، و إن كان بلاء فصبرنى . قال : ما قلت : « فأعدت عليه فضربنى برجله وقال : ماقلت ؟ فأعدت عليه فقال ؟ اللهم عافه أو اشفه » فما اشتكيت ذلك الوجع بعد . **حديث آخر** قال محمد بن مسلم بن داره : ثنا عبيد الله بن موسى ثنا أبو عمر الأزدى عن أبى راشد الحرانى عن أبى الحمراء قال قال رسول الله (ص) : « من أراد أن ينظر إلى آدم فى علمه و إلى نوح فى فهمه و إلى إبراهيم فى حلمه و إلى يحيى بن زكريا فى زهده و إلى موسى فى بطشه فلينظر إلى على ن أبى طالب » وهذا منكر جداً ولا يصح إسناده . **حديث آخر فى رد الشمس** قد ذكرناه فى دلائل النبوة بأسانيده وألفاظه فأغنى له عن إعادته **حديث اخر** قال أبو عيسى الترمذى : حدثنا على بن المنذر الكوفى ثنا محمد بن فضيل عن الأجلح عن أبى الزبير عن جابر قال : « دعا رسول الله (ص) عليا يوم الطائف فانتجاه فقال الناس : لقد طال نجواه مع ابن عمه ، فقال رسول (ص) ما انتجيته ولكن الله انتجاه » ثم قال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الأجلح وقد رواه غير ابن فضيل عن الأجلح ومعنى قوله « ولكن الله انتجاه » أن الله أمرنى أن انتجى معه . **حديث اخر** قال الترمذى : ثنا محمد بن بشار و يعقوب بن إبراهيم وغير واحد ثنا أبو عاصم عن أبى الجراح عن جابر بن صبيح حدثتنى أمى أم شراحيل حدثتنى أم عطية قالت : بعث رسول الله (ص) جيشاً فيهم على قالت سمعت رسول الله (ص) رافعاً يديه يقول : « اللهم لا تمتنى حتى ترنى عليا » ثم قال هذا حديث حسن **حديث اخر** قال الامام أحمد : حدثنا على بن عاصم قال حصين أنا على عن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم المازنى قال : لما خرج معاوية من الكوفة استعمل المغيرة بن شعبة قال فأقام خطباء يقعون فى على ، قال وأنا إلى جنب سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل قال : فغضب فقام وأخذ بيدى وتبعته فقال : ألا ترى إلى هذا الرجل الظالم لنفسه الذى يأمر بلعن رجل من أهل الكوفة وأشهد على التسعة أنهم من أهل الجنة ، ولو شهدت على العاشر لم آثم ، قال قلت : وما ذاك ؟ قال قال رسول الله (ص) « اثبت حرا فليس عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد » قال قلت : من هم ؟ فقال : رسول الله وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى والزبير وطلحة وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن مالك . قال قلت : ومن العاشر ؟ قال قال أنا . وينبغى أن يكتب هاهنا حديث أم سلمة المتقدم قريباً أنها قالت لأبى عبد الله الجدلى : « أيسب رسول الله فيكم على المنابر » ؟ الحديث رواه أحمد . **حديث اخر** قال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم وابن أبى بكير قالا ثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن حبشى بن جنادة السلولى ـ وكان قد شهد حجة الوداع ـ قال قال رسول الله (ص) : « على منى وأنا منه ولا يؤدى عنى إلا أنا أو على » ثم رواه أحمد عن أبى أحمد الزبيرى عن إسرائيل . **حديث آخر** قال أحمد : حدثنا وكيع قال قال إسرائيل قال أبو إسحاق

عن زيد بن يثيع عن أبى بكر « أن رسول الله (ص) بعثه ببراءة إلى أهل مكة لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، من كان بينه و بين رسول الله مدة فأجله إلى مدته والله برئ من المشركين ورسوله. قال فسار بها ثلاثا ثم قال لعلى الحقه ورد على أبا بكر و بلغها أنت ، قال فلما قدم أبو بكر على رسول الله بكى وقال يارسول الله حدث فى شئ ؟ قال ماحدث فيك إلا خير ولكن أمرت أن لايبلغه إلا أنا أو رجل من أهل بيتى » وقال عبد الله بن أحمد : حدثنى محمد بن سليمان لوين ثنا محمد بن جابر عن سماك عن حبشى عن على قال : « لما نزلت عشر آيات من براءة دعا رسول الله أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة ثم دعانى فقال لى أدرك أبا بكر فحيث لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم ، فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكر فقال : يا رسول الله نزل فى شئ ؟ قال لا ولكن جبريل جاءنى فقال لايؤدى عنك إلا أنت أو رجل من بيتك » وقد رواه كثير النواء عن جميع بن عمير عن ابن عمر بنحوه وفيه نكارة من جهة أمره برد الصديق فان الصديق لم يرجع بل كان هو أمير الحج فى سنة تسع وكان على هو وجماعة معه بعثهم الصديق يطوفون برحاب منى فى يوم النحر وأيام التشريق ينادون ببراءة ؟ وقد قررنا ذلك فى حجة الصديق وفى أول تفسير سورة براءة. **حديث آخر** روى من حديث أبى بكر الصديق وعمر وعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعمران بن حصين وأنس وثوبان وعائشة وأبى ذر وجابر أن رسول الله (ص) قال : « النظر إلى وجه على عبادة » وفى حديث عن عائشة « ذكر على عبادة » ولكن لا يصح شئ منها فانه لا يخلو كل سند منها عن كذاب أو مجهول لا يعرف حاله وهو شيعى. **حديث الصدقة بالخاتم وهو راكع** : قال الطبرانى : ثنا عبد الرحمن بن مسلم الرازى ثنا محمد بن يحيي عن ضريس العبدى ثنا عيسى بن عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن على بن أبى طالب حدثنى أبى عن أبيه عن جده عن على قال : نزلت هذه الآية على رسول الله (ص) [إنما وليكم الله و رسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهم راكعون] فخرج رسول الله (ص) فدخل المسجد والناس يصلون بين راكع وقائم وإذا سائل فقال : ياسائل هل أعطاك أحد شيئا فقال : لا ! إلا هاذاك الراكع ـ لعلى ـ أعطانى خاتمه . وقال الحافظ ابن عساكر : أنا خالى أبو المعالى القاضى أنا أبو الحسن الخلعى أنا أبو العباس أحمد بن محمد الشاهد ثنا أبو الفضل محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن الحارث الرملى ثنا القاضى جملة بن محمد ثنا أبو سعيد الأشج ثنا أبو نعيم الأحول عن موسى بن قيس عن سلمة قال : تصدق على بخاتمه وهو راكع فنزلت [إنما وليكم الله و رسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهم راكعون] وهذا لا يصح بوجه من الوجوه لضعف أسانيده ولم ينزل فى على شئ من القرآن بخصوصيته وكل ما يريدونه فى قوله تعالى [إنما أنت منذر

ولكل قوم هاد] وقوله [و يطعمون الطعام على حبه مسكينا و يتيما وأسيرا] وقوله [أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر] وغير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة فى أنها نزلت فى على لا يصح شئ منها ، وأما قوله تعالى [هذان خصمان اختصموا فى ربهم] فثبت فى الصحيح أنه نزل فى على وحمزة وعبيدة من المؤمنين ، وفى عتبة وشيبة والوليد بن عتبة من الكافرين . وما روى عن ابن عباس أنه قال : مانزل فى أحد من الناس ما نزل فى على . وفى رواية عنه أنه قال : نزل فيه ثلثمائة . آية فلا يصح ذلك عنه لا هذا ولا هذا . **حديث آخر** قال أبو سعيد بن الأعرابى : ثنا محمد بن زكريا الغلابى ثنا العباس بن بكار أبو الوليد ثنا عبد الله بن المثنى الانصارى عن عمه ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أنس قال : « كان رسول الله (ص.) جالسا بالمسجد وقد أطاف به أصحابه إذ أقبل على فسلم ثم وقف فنظر مكاناً يجلس فيه فنظر رسول الله (ص.) إلى وجوه أصحابه أيهم يوسع له ـ وكان أبو بكر عن يمين رسول الله (ص.) جالسا ـ فتزحزح أبو بكر عن مجلسه وقال : هاهنا يا أبا الحسن ، فجلس بين رسول الله (ص.) و بين أبى بكر فرأينا السرور فى وجه رسول الله (ص.)، ثم أقبل على أبى بكر فقال : يا أبا بكر إنما يعرف الفضل لأهل الفضل » فأما الحديث الوارد عن على وحذيفة مرفوعا « على خير البشر ، من أبى فقد كفر ومن رضى فقد شكر » فهو موضوع من الطريقين معاً قبح الله من وضعه واختلقه . **حديث آخر** قال أبو عيسى الترمذى : ثنا إسماعيل بن موسى بن عمر الرومى ثنا شريك عن كهيل عن سويد بن غفلة عن الصنابحى عن على قال : قال رسول الله (ص.) : « أنا دار الحكمة وعلى بابها » ثم قال هذا الحديث غريب قال : وروى بعضهم هذا الحديث عن ابن عباس قلت : رواه سويد بن سعيد عن شريك عن سلمة عن الصنابحي عن على مرفوعا : « أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأت باب المدينة » وأما حديث ابن عباس فرواه ابن عدى من طريق أحمد بن سلمة أبى عمرو الجرجانى ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص.) : « أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأتها من قبل بابها » ثم قال ابن عدى : وهذا الحديث يعرف بأبى الصلت الهروى عن أبى معاوية سرقه منه أحمد بن سلمة هذا ومعه جماعة من الضعفاء ، هكذا قال رحمه الله . وقد روى أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز عن ابن معين أنه قال : أخبرنى ابن أيمن أن أبا معاوية حدث بهذا الحديث قديماً ثم كف عنه ، قال : وكان أبو الصلت رجلا موسراً يكرم المشايخ ويحدثونه بهذه الأحاديث وساقه ابن عساكر باسناد مظلم عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده عن جابر بن عبد الله فذكره مرفوعا ، ومن طريق أخرى عن جابر : قال ابن عدى وهو موضوع أيضاً . وقال أبو الفتح الأودى : لا يصح فى هذا الباب شئ . **حديث آخر** يقرب مما قبله قال ابن عدى : ثنا أحمد بن

حبرون النيسابوری ثنا ابن أيوب أبو أسامة ـ هو جعفر بن هذيل ـ ثنا ضرار بن صرد ثنا يحيي بن عيسى الرملي عن الأعمش عن بن عباية عن ابن عباس عن النبي (ص) قال : « على عيبة علمي ».

حديث آخر فى معنى ما تقدم قال ابن عدى : ثنا أبو يعلى ثنا كامل بن طلحة ثنا ابن لهيعة ثنا يحيي بن عبد الله عن أبى عبد الرحمن الجيلى عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله (ص) قال فى مرضه : « ادعوا لى أخى فدعوا له أبا بكر فأعرض عنه ثم قال ادعو لى أخى فدعوا له عمر فأعرض عنه ثم قال ادعوا لى أخي فدعوا له عثمان فأعرض عنه ، ثم قال ادعولى أخى فدعى له على بن أبى طالب فستره بثوب وأكب عليه فلما خرج من عنده قيل له : ما قال ؟ قال : علمنى ألف باب يفتح كل باب إلى ألف باب » قال ابن عدى هذا حديث منكر ولعل البلاء فيه من ابن لهيعة فانه شديد الافراط فى التشيع وقد تكلم فيه الأئمة ونسبوه إلى الضعف **حديث آخر** قال ابن عساكر : أنبأنا أبو يعلى ثنا المقرى أنا أبو نعيم الحافظ أنا أبو أحمد الغطريفى ثنا أبو الحسين بن أبى مقاتل ثنا محمد بن عبيد بن عتبة ثنا محمد بن على الوهبي الكوفى ثنا أحمد بن عمران بن سلمة ـ وكان ثقة عدلا مرضياً ـ ثنا سفيان الثورى عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : كنت عند النبى (ص) فسئل عن على فقال : « قسمت الحكمة عشرة أجزاء أعطى على تسعة والناس جزءاً واحدا » وسكت الحافظ ابن عساكر على هذا الحديث ولم ينبه على أمره وهو منكر بل موضوع مركب على سفيان الثورى باسناده قبح الله واضعه ومن افتراه واختلقه . **حديث آخر** قال أبو يعلى ثنا عبيد الله بن عمر القواريرى ثنا يحيي عن سعيد عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى عن على . قال : « بعثنى رسول الله (ص) إلى اليمن وأنا حديث السن ليس لى علم بالقضاء قال : فضرب فى صدرى وقال : إن الله سيهدى قلبك ويثبت لسانك قال : فما شككت فى قضاء بين اثنين بعد » وقد ثبت عن عمر أنه كان يقول : على أقضانا وأبى أقرؤنا للقرآن . وكان عمر يقول أعوذ بالله من معضلة ولا أبو حسن لها . **حديث آخر** قال الامام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد ثنا جرير بن عبد الحميد عن مغيرة عن أم موسى عن أم سلمة قالت والذى أحلف به إن كان على بن أبى طالب لأقرب الناس عهداً برسول الله عدنا رسول الله غداة بعد غداة يقول : « جاء على ؟ مراراً ـ وأظنه كان بعثه فى حاجة ـ قالت فجاء بعد فظننت أن له إليه حاجة فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب فكنت من أدناهم إلى الباب فأكب عليه على فجعل يساره ويناجيه ثم قبض من يومه ذلك فكان أقرب الناس به عهدا » وهكذا رواه عبد الله بن أحمد وأبو يعلى عن أبى بكر بن أبى شيبة به **حديث آخر في معناه** قال أبو يعلى : ثنا عبد الرحمن بن صالح ثنا أبو بكر بن عياش عن صدقة عن جميع بن عمير أن أمه وخالته دخلتا على عائشة فقالتا : ياأم المؤمنين أخبرينا عن على ،

قالت : أى شئ تسألن عن رجل وضع يده من رسول الله موضعاً فسالت نفسه فى يده فمسح بها وجهه ثم اختلفوا فى دفنه فقال : إن أحب الاماكن إلى الله مكان قبض فيه نبيه (ص.)؟ قالتا : فلم خرجت عليه ؟ قالت أمر قضى لوددت أنى أفديه بما على الأرض » وهذا منكر جداً وفى الصحيح ما يرد هذا والله أعلم. **حديث آخر** قال الامام أحمد : ثنا أسود بن عامر حدثنى عبد الحميد بن أبى جعفر - يعنى الفراء - عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن زيد بن يثيع عن على قال : قيل يارسول الله من نؤمر بعدك؟ قال : إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أميناً زاهداً فى الدنيا راغباً فى الآخرة ، وإن تؤمروا عمر تجدوه قوياً أميناً لايخاف فى الله لومة لائم ، وإن تؤمروا علياً - ولا أراكم فاعلين - تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الطريق المستقيم » وقد روى هذا الحديث من طريق عبد الرزاق عن النعمان ابن أبى شيبة وعن يحى بن العلاء عن الثورى عن أبى إسحاق عن زيد بن يثيع عن حذيفة عن النبى (ص.) بنحوه . ورواه أبو الصلت الهروى عبد السلام بن صالح عن ابن نمير عن الثورى عن شريك عن أبى إسحاق عن زيد بن يثيع عن حذيفة به . وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابورى : أنا أبو عبد الله محمد بن على الآدمى بمكة ثنا إسحاق بن إبراهيم الصنعانى أنا عبد الرزاق بن همام عن أبيه عن ابن ميناء عن عبد الله بن مسعود قال : كنا مع النبى (ص.) ليلة وفد الجن قال : فتنفس فقلت : ما شأنك يارسول الله ؟ قال : « نعيت إلى نفسى . قلت : فاستخلف . قال من ؟ قلت أبا بكر قال فسكت ثم مضى ثم تنفس قلت : ما شأنك يارسول الله ؟ قال نعيت إلى نفسى ياابن مسعود ، قلت : فاستخلف قال : من قلت : عمر قال : فسكت ثم مضى ساعة ثم تنفس قال : فقلت : ما شأنك يارسول الله ؟ قال : نعيت إلى نفسى يا ابن مسعود ، قلت : فاستخلف قال من ؟ قلت : على بن أبى طالب قال : أما والذى نفسى بيده لئن أطاعوه ليدخلن الجنة أجمعين أكتعين» قال ابن عساكر همام وابن ميناء مجهولان. **حديث آخر** قال أبو يعلى : ثنا أبو موسى - يعنى محمد بن المثنى - ثنا سهيل ابن حماد أبو غياث الدلال ثنا مختار بن نافع الفهمى ثنا أبو حيان التيمى عن أبيه عن على قال قال رسول الله (ص.) : « رحم الله أبا بكر زوجنى ابنته وحملنى إلى دار الهجرة وأعتق بلالا من ماله ، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا تركه الحق وماله من صديق، رحم الله عثمان تستحييه الملائكة رحم الله علياً دار الحق معه حيث دار ». وقد ورد عن أبى سعيد وأم سلمة أن الحق مع على رضى الله عنه وفى كل منهما نظر الله أعلم. **حديث آخر** قال أبو يعلى : ثنا عثمان بن جرير عن الأعمش عن إسماعيل ابن رجاء عن أبيه عن أبى سعيد قال : سمعت رسول الله (ص.) يقول : « إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، فقال أبو بكر : أنا هو يا رسول الله ، قال : لا ! فقال عمر : أنا هو يا رسول الله ، قال : لا ! ولكنه خاصف النعل - وكان قد أعطى علياً نعله يخصفه » - ورواه الامام

البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن أبى معاوية عن الأعمش به . ورواه الامام أحمد عن وكيع وحسين بن محمد عن فطر بن خليفة عن إسماعيل بن رجاء به . ورواه البيهقى أيضاً من حديث أبى نعيم عن فطر بن خليفة عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه عن أبى سعيد به . ورواه فضيل ابن مرزوق عن عطية عن أبى سعيد . وروى من حديث على نفسه . وقد قدمنا هذا الحديث فى موضعه فى قتال على أهل البغى والخوارج ولله الحمد ، وقدمنا أيضاً حديث على للزبير أن رسول الله (ص) قال لك : إنك تقاتلنى وأنت ظالم . فرجع الزبير وذلك يوم الجمل ثم قتل بعد مرجعه فى وادى السباع . وقدمنا صبره وصرامته وشجاعته فى يومى الجمل وصفين ، وبسالته وفضله فى يوم النهروان ، وما ورد فى فضل طائفته الذين قتلوا الخوارج من الأحاديث وذكرنا الحديث الوارد من غير طريق عن على وأبى سعيد وأبى أيوب أن رسول الله (ص) أمره بقتال المارقين والقاسطين والناكثين وفسروا الناكثين بأصحاب الجمل والقاسطين بأهل الشام والمارقين بالخوارج والحديث ضعيف

تم الجزء السابع من كتاب البداية والنهاية ويليه الجزء الثامن وأوله فصل فى ذكر شئ من سيرته العادلة وسريرته الفاضلة وخطبه الكاملة

فهرست المجلد السابع من كتاب البداية والنهاية

صحيفة

صحيفة

انتهى الفهرست